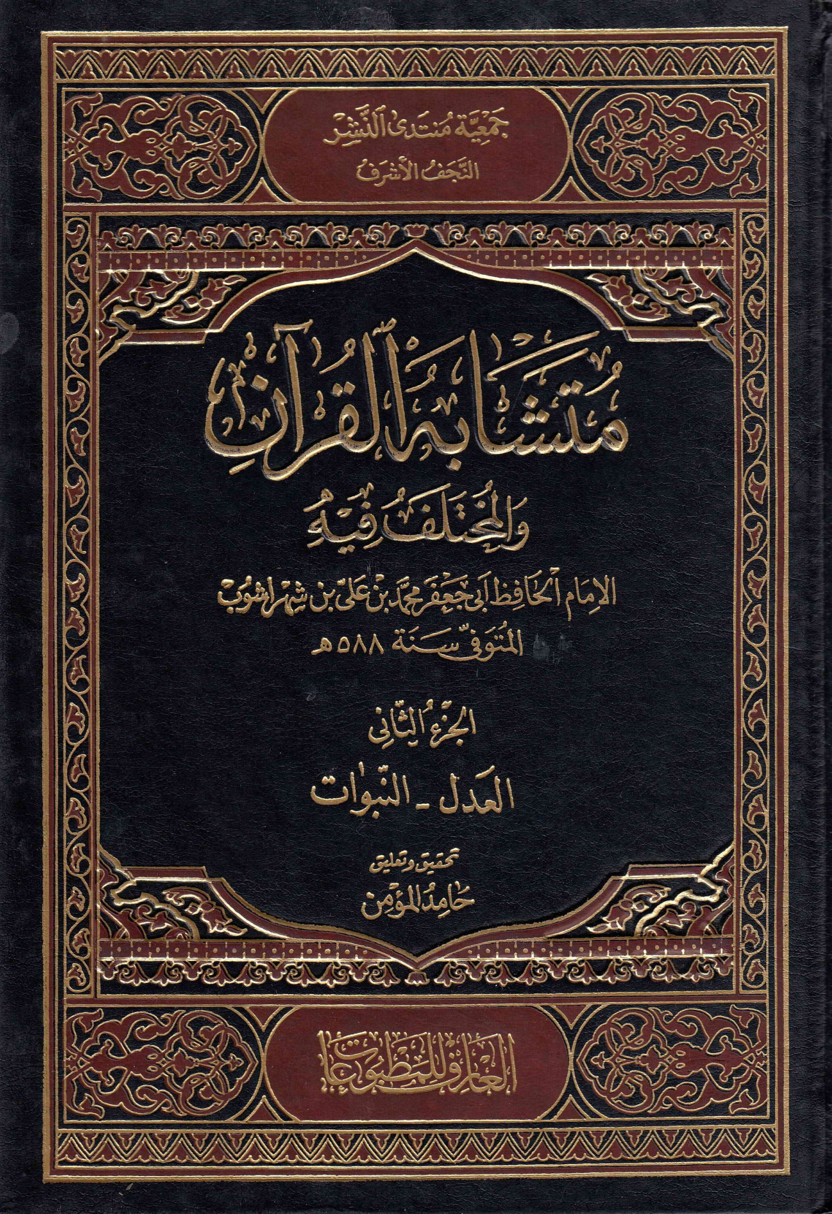

جمعية منتدى النشر
النجف الأشرف
متشابه القرآن
والمختلف فيه
الامام الحافظ ابي جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب
المتوفى سنة ٥٨٨هـ
الجزء الثاني
العدل - النبوات
تحقيق وتعليق
حامد المؤمن
العارف للمطبوعات


متشابه القرآن
والمختلف فيه
٢


بسم الله الرحمن الرحيم


اللهم صل على محمد وآل محمد

جمعية منتدى النشر
النجف الأشرف



الامام الحافظ ابى جعفر محمد بن على بن شهراشوب
المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

الجزء الثاني

العدل - النبوات

تحقيق وتعليق
حامد المؤمن

العارف للمطبوعات

هوية الكتاب

اسم الكتاب: متشابه القرآن والمختلف فيه

الجزء الثاني

المؤلف: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهرآشوب

تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

تنضيد وإخراج فني: نصير علي موسى شُكر

القياس: ١٧ × ٢٤ (فني)

عدد الصفحات: ٥٤٤ صفحة

الطبعة الاولى المنقحة

1429 هـ - 2008 م

الناشر

جمعية منتدى النشر

النجف الأشرف



مؤسسة العارف للمطبوعات

بيروت- لبنان

TLF:00961 1 452077

العراق - النجف الاشرف / الميدان

TEL: 00964 33 370636

MOB: 00964 7801327828

Url:www.alaref.net

Email:arefli@hotmail.com

[٢]

بَاب
مَا يَدخُلُ فِي أبْوَابِ العَدْلِ

مذهبُ الجبرِ، ينـافي الأصُـولَ الخمسـةَ[1]. ألّا تـرى أنَّـه يـؤدِّي إلى فسـادِ معرفـة شيءٍ مـن طريـقِ الاكتسـابِ، ومعرفـةِ الصَّـانعِ، والملائكـةِ، والرُّسـلِ، والكتبِ، واليومِ الآخرِ، وارتفـاعِ الأمـرِ، والنَّهـي، وبطـلانِ التَّكليـفِ، وزوالِ الحمدِ، والذَّمِّ، وسقوطِ الثَّوابِ، والعقابِ.

وإذا لم تقعْ معرفةٌ من طَريـقِ الاكتسـابِ، والاسـتِدْلالِ، فَالأدلَّـةُ باطلـةٌ، والمعجزاتُ عَبَثٌ، والهدايةُ فَاسِدَةٌ، لأنَّ من جُبِرَ على معرفةِ الحقِّ يعرفهُ ضرورةً، ومن جُبِرَ على مَعْرِفةِ الباطِلِ، لم[2] يَعرِفْهُ بالاستدلالِ، والاكتسابِ.

[وإذا][3] فسدَ الاستدلالُ، فسدَ معرفةُ الصَّـانعِ، لحصـولها بالاسـتدلالِ، وهوَ مبنيٌّ على أنَّ الفعلَ في الـمُشَاهَدِ[4]، مُتعـلِّقٌ بالفاعـلِ. وإذا فسدَ الأصـلُ،

---

(١) في النسخ جميعها: الخمس. من دون (تاء). والصَّوابُ ما أثبتناهُ.

(٢) (لم) ساقطة من (أ).

(٣) ما بين المعقوفتين مطموسة ف (ش).

(٤) في (ك) و(هـ) و(ح): الشَّاهد.

لمْ يكنْ إلى إثباتهِ سبيلٌ.

والنُّبُواتُ، إنَّما تُعْلَمُ من طريقِ الاكتسابِ، بأنْ يُظْهِرَ اللهُ ـ على أيديهم ـ المعجزاتِ. وإذا[1] فسدَ الأصلُ، فسدَ الفرعُ، ومتى ما صحَّ[2]، بطلَ التَّكليفُ، والأمرُ، والنَّهيُ، والحمدُ، والذَّمُّ، والثَّوابُ، والعقابُ. ومتى ما بطلَ ذلكَ، بطلتِ النُّبُواتُ رأساً، لأنَّها مبنيَّةٌ على هذهِ الأصولِ.

وإنَّ اللهَ ـ تعالى ـ إذا خلقَ بعضَهُم كفَّاراً، وبعضَهُمْ[3] مؤمنينَ، ولا يقدرانِ على التَّغييرِ. فلماذا يبعثُ الأنبياءَ؟

وإذَا جَازَ أنْ يُضِلَّ اللهُ الخلقَ[4]، جازَ أنْ يبعثَ من يُضِلُّهمْ[5] عنهُ، فلمْ يُؤْمَنْ أنْ يكونَ داعياً إلى الضَّلالِ.

وإذا كانَ جميعُ الأفعالِ لله [تعالى][6] فبأيِّ شيءٍ، يؤمَرُ[7]، ويُنْهَى، ويكلَّفُ، وَيُحَثُّ، ويُرغَّبُ، ويُرهَّبُ، وهوَ لا يَقْدرُ على تَقْدِيمٍ، وَتَأخِيرٍ،

---

(١) في (هـ) و(أ): فإذا.

(٢) في (أ): يصحّ بصيغة المضارع.

(٣) في (أ): أوْ بعضهم.

(٤) في (ك): الحقّ.

(٥) في (أ): يضعهم.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٧) في (هـ) و(ح): يَأمر. بصيغة المبني للمعلوم.

ولا نَقْضٍ[١]، وإِبْرَامٍ، ولا فعلٍ، وتركٍ؟

وَلَئِنْ جَازَ تكليفُ من هذا حالُهُ، جازَ تكليفُ الجمادِ.

وإنَّ اللهَ ـ تعالى ـ فرَّقَ بينَ فعلِ نفسهِ، وفعلِ خلقهِ، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[٢]، ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[٣]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ / ٦١/ فَلْيَكْفُرْ﴾[٤]، ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾[٥].

وقد ألزمَ على أفعالهم، فقالَ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها﴾[٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾[٧]، ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٨]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ

---

(١) في (ك): نقص. بالصَّاد المهملة.

(٢) التَّغابن: ٢.

(٣) الإنسان: ٣.

(٤) الكهف: ٢٩.

(٥) يونس: ١٠٨.

(٦) الإسراء: ٧.

(٧) فصلت: ٤٦.

(٨) لقمان: ١٢.

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1]، ﴿مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾[2]، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾[3]، ﴿قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها﴾[4]، ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[5].

وذكرَ أنَّ الجزاءَ بالأعمالِ، فقالَ: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ﴾[6]، ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها﴾[7]، ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾[8]، ﴿فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾[9]، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[10]، ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[11]، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلَّا ما

---

(١) الزلزلة: ٧، ٨.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) آل عمران: ٩٧.

(٤) الأنعام: ١٠٤.

(٥) الروم: ٤٤.

(٦) العنكبوت: ٤٠.

(٧) غافر: ٤٠.

(٨) فصلت: ٥٠.

(٩) الشورى: ٤١، ٤٢.

(١٠) النجم: ٣١.

(١١) الأنعام: ١٦٤. الإسراء: ١٥: فاطر: ١٨. الزُّمر: ٧.

سَعى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الْـجَزاءَ الأَوْفى﴾ (١)، ﴿وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِـنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢)، ﴿فَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣)، ﴿ما يَفْعَلُ اللهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (٤)، ﴿فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (٥)، فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً﴾ (٦)، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاكُفْرانَ لِسَعْيِهِ﴾ (٧)، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٨)، ﴿وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (٩)، ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٠)، ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١)، ﴿ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٢)، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا﴾ (١٣)، ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ

---

(١) النجم: ٣٩ ـ ٤١.

(٢) الزخرف: ٧٦.

(٣) التوبة: ٧٠.

(٤) النساء: ١٤٧.

(٥) المزمل: ١٩.

(٦) النبأ: ٣٩.

(٧) الأنبياء: ٩٤.

(٨) النساء: ١١٠.

(٩) سبأ: ١٧.

(١٠) السجدة: ١٧.

(١١) التوبة: ٨٢، ٩٥.

(١٢) النحل: ٣٢.

(١٣) النجم: ٣١.

بِصِدْقِهِمْ﴾ (١)، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)، ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها﴾ (٣)، ﴿لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٤)، ﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (٥).

وأضافَ أفعالَهمْ إلى أعضائهم، فقالَ: ﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾ (٦)، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (٧)، ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ (٨)، ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾ (٩)، ﴿ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ﴾ (١٠)، ﴿وَما تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١١)، ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الأَنْعامُ﴾ (١٢).

---

(١) الأحزاب: ٢٤.

(٢) فصلت: ٢٧.

(٣) الأنعام: ١٦٤.

(٤) البقرة: ٢٨٤.

(٥) الشورى: ٣٠.

(٦) غافر: ١٩.

(٧) المائدة: ٦.

(٨) لقمان: ١٨.

(٩) ق: ١٨.

(١٠) الحج: ١٠.

(١١) غافر: ١٩.

(١٢) محمد: ١٢.

وَأَمَرَهُم بالأوامرِ. فقالَ: ﴿آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ﴾[١]، ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[٣]، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾[٤]، ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ﴾[٥]، ﴿اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ﴾[٦]، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾[٧]، ﴿اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا﴾[٨]، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ﴾[٩]، ﴿وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[١٠]، ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾[١١]، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً﴾[١٢]، ﴿اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[١٣].

(١) النساء: ١٣٦، الحديد: ٧.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) البقرة: ٤٣، ٨٣. النور: ٥٦. المزمّل: ٢٠.

(٤) البقرة: ١٨٩.

(٥) الإسراء: ٦٤.

(٦) فصلت: ٤٠.

(٧) الأنعام: ١١٣.

(٨) آل عمران: ٢٠٠.

(٩) البقرة: ١٩١. النساء: ٨٩، ٩١.

(١٠) التوبة: ٥.

(١١) الحج: ٧٧.

(١٢) النور: ٣١.

(١٣) الأحزاب: ٧٠.

ونهاهم بالنَّواهي، فقالَ: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[١] ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ﴾[٢]، ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ﴾[٣]، ﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٤] ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٥] ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾[٦]، ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ﴾[٧] ﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾[٨]، ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾[٩]، ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[١٠]، ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾[١١]، ﴿وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ﴾[١٢]، ﴿وَلا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً﴾[١٣]،

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) الأعراف: ٨٦.

(٣) البقرة: ٢٨٣.

(٤) القصص: ٧٦.

(٥) النحل: ١٢٧.

(٦) الإسراء: ٣١.

(٧) النساء: ١٧١.

(٨) النحل: ١١٦.

(٩) الكهف: ٢٣، ٢٤.

(١٠) البقرة: ٦٠. الأعراف: ٧٤. هود: ٨٥. الشعراء: ١٨٣. العنكبوت: ٣٦.

(١١) الإسراء: ٣٧. لقمان: ١٨.

(١٢) الإسراء: ٢٩.

(١٣) النساء: ١٠٥.

﴿وَلا تَتَّبِعِ الْـهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[١]، ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ووصفَ المحسنينَ بأفعالهِمْ، فقالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْـمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، ﴿التَّائِبُونَ الْـعابِدُونَ﴾[٤]، ﴿إِنَّ الْـمُسْلِمِينَ وَالْـمُسْلِماتِ﴾[٥]، ﴿مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ﴾[٦]، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْـمُتَطَهِّرِينَ﴾[٧]، ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٨]، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٩]، ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالْـفَواحِشَ وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[١٠]، ﴿لا يُضِيعُ أَجْرَ الْـمُحْسِنِينَ﴾[١١]،

---

(١) ص: ٢٦.

(٢) الجاثية: ١٨.

(٣) المؤمنون: ١.

(٤) التوبة: ١١٢.

(٥) الأحزاب: ٣٥.

(٦) التحريم: ٥.

(٧) البقرة: ٢٢٢.

(٨) الذّاريات: ١٦ ـ ١٨.

(٩) البقرة: ١٥٣. الأنفال: ٤٦.

(١٠) الشورى: ٣٧.

(١١) التوبة: ١٢٠. هود: ١١٥. يوسف: ٩٠.

﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[1]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]، ﴿لَعَلَّكُمْ / ٦٢/ تَهْتَدُونَ﴾[3]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[6].

وعنَّفَ المُجْرِمين وَذَكَرَ عُقُوبَتَهُم، فَقالَ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللهِ﴾[7]، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[8]، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[9]، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[10]، ﴿وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾[11]، ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ قُتِلَ

---

(١) الكهف: ٣٠.

(٢) البقرة: ٥٢. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٣) البقرة: ٥٣. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٤) البقرة: ٢١. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٥) البقرة: ٧٣. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٦) الأنعام: ١٥٢. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٧) المائدة: ٣٨.

(٨) النور: ٢.

(٩) النساء: ٩٣.

(١٠) الطلاق: ١.

(١١) الزمر: ٤٨.

الْـخَرَّاصُونَ﴾ [١]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْـمُكَذِّبُونَ﴾ [٢].

وصرَّحَ بمعتقدِ الأنبياءِ ـ عليهم السلام ـ، فقال ـ عن آدم ـ: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنـا أَنْفُسَنا﴾ [٣]، وعنْ نوحٍ: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [٤]، وعن موسى ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْـتُ نَفْسِي﴾ [٥]، وعنْ إبراهيم : ﴿أَأَنْـتَ فَعَلْـتَ هـذا بِآلِهَتِنـا يـا إِبْـراهِيمُ﴾ [٦]، وعـنْ يعقوب: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ [٧]، وعن يوسفَ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي﴾ [٨]، وعنْ داودَ: ﴿لَقَـدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ﴾ [٩]، وعـنْ سـليمان: ﴿رَبِّ اغْفِـرْ لِي وَهَـبْ لِي مُلْكاً﴾ [١٠]، وعن عيسى: ﴿ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [١١]، وعـنْ نبيِّنـا ـ عليـه

---

(١) الذاريات: ٨ ـ ١٠.

(٢) الواقعة: ٥١.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) نوح: ٢١.

(٥) القصص: ١٦.

(٦) الأنبياء: ٦٢.

(٧) يوسف: ١٨، ٨٣.

(٨) يوسف: ٣٧، ٣٨.

(٩) ص: ٢٤.

(١٠) ص: ٣٥.

(١١) المائدة: ١١٧.

السلام ـ: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ (١)، وعنْ الملائكةِ: ﴿أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (٢).

ونسبَ الكفرَ إليهم ظاهراً، فقالَ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً﴾ (٣)، ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٤)، ﴿وَجَعَلُوا للهِ أَنْداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٥)، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ (٦)، وأشباهُ ذلكَ.

وحكى مقالةَ الكفَّارِ، فقالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧)، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ

---

(١) سبأ: ٥٠.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) مريم: ٨١. يس: ٧٤.

(٤) الأنعام: ١٠٠.

(٥) إبراهيم: ٣٠.

(٦) الأنفال: ٣٠.

(٧) البقرة: ٧٩.

وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١]، ﴿وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا﴾[٣]، ﴿وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٤]، ﴿وَقالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٥]، ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾[٦].

وذكرَ امتناعَهُمْ عنِ الحقِّ، فقالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾[٧]، ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾[٨]، ﴿وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ

---

(١) آل عمران: ٧٨.

(٢) الأعراف: ٢٨.

(٣) الأنعام: ١٤٨.

(٤) النحل: ٣٥.

(٥) الزخرف: ٢٠.

(٦) يس: ٤٧.

(٧) الأنعام: ١١١.

(٨) البقرة: ١٤٥.

بِآيَـةٍ﴾[١]. يعني: تُلْجِئُهم[٢] إلى الإيمانِ، وعلى تركِ الكفرِ، فافعلْ ذلكَ. وقولـهُ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾[٣].

اِفتتحَ القرآنَ بالعدلِ، فقالَ: ﴿الْـحَمْدُ للهِ﴾[٤]، أي: قُلِ الْـحَمْدُ للهِ. واختتمَ[٥] بهِ، فقالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٦]. وَالِبَةُ بنُ الحبابِ[٧]:

إن كـــانَ يُجـــزى بـــالخيرِ فاعلُـــهُ ... شرّاً ويُجْـــزَى المسيءُ بالحســـنِ

فويـــلُ تـــالي القـــرآنِ في ظُلَـــمِ ... اللَّيـــلِ وطُـــوبَى لِعَابِـــدِ الـــوثنِ



(١) الأنعام: ٣٥.

(٢) في (ك): تلجيهم. بالياء المثناة من تحت بعد الجيم الموحدة من تحت.

(٣) يس: ٦٠.

(٤) الفاتحة: ٢.

(٥) في (هـ) و(أ): اِختمْ. بصيغة الأمر.

(٦) الناس: ١.

(٧) لم أقف على مظنَّة أخذه.

فصل [-١-]

[في منع الجور على الله]

وقلتُمْ: إنَّ منَ الله جَورَ الجائرينَ، وفَسادَ المعتدينَ، فهوَ - عندَكُم - المريدُ لِشَتْمِهِ، ولِقَتْلِ أنبيائِهِ، وَلَعْنَةِ[1] أوليائهِ، وإنَّه أمرَ بالإيمانِ، ولم يُرِدْهُ، وَنَهَى عنِ الكفرِ، وأرَادَهُ، وإنَّه قَضَى بالجَوْرِ، والباطلِ، ثمَّ أَمَرَ عِبَادَهُ بإنْكَارِ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وإنَّه المفسدُ للعبادِ، والمظهرُ في الأرضِ الفسادَ، صرفَ النَّاسَ عنِ الإيمانِ، وأمرَهُمْ بِهِ، وإنَّه يعذِّبُ أطفالَ المشركينَ بذنوبِ آبائهمْ، واستَبْطَأَهُمْ إنْ لم يَفْعَلُوا مَا لا يَقْدِرُونَ عَلَيهِ، فَقَالَ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾[2]، / ٦٣/ وإنَّه صرفَ أكثرَ خلقهِ عنِ الإيمانِ، ثمَّ قالَ: ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[3]، وَأَفِكَهُمْ، وقالَ: ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[4]، وخَلَقَ فيهِم الكُفْرَ، ثمَّ قالَ: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾[5]، ولبسَّ الحقَّ عليهم بالباطل ثمَّ قالَ: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾[6]، وإنَّه دعا إلى الهدى، ثمَّ صدَّ

---

(١) في (ح): لعن.

(٢) البقرة: ٢٨.

(٣) يونس: ٣٢. الزُّمر: ٦.

(٤) المائدة: ٧٥.

(٥) آل عمران: ٩٨.

(٦) آل عمران: ٧١.

عنهُ، وقالَ: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[١]، وإنَّه منعَ العبادَ مِنَ الإيمانِ، وقالَ: ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى﴾[٢]، وَخَلَقَ فيهِمْ الكفرَ، وقالَ: ﴿فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، وإنَّه حالَ بينهم، وبينَ الطَّاعةِ، ثمَّ قالَ: ﴿وَماذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٤]، وإنَّه ذهبَ بهِمْ عنِ الحقِّ، ثمَّ قالَ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[٥]، وإنَّه لمْ يُمكِّنهمْ منَ الإيمانِ، ولمْ يُعطِهِمْ قوَّةَ السُّجودِ، ثمَّ قالَ: ﴿فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وَإِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ﴾[٦]، وإنَّه فعلَ ـ بعبادِهِ ـ الإعراضَ عنْ التَّذكرَةِ[٧]، ثمَّ قالَ: ﴿فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[٨]، وإنَّهُ يَمْكرُ بأوليائِهِ المُحْسِنينَ، ويَنْظُرُ لأعْدَائهِ المُشْرِكِينَ، لأنَّ العَبْدَ ـ عِنْدَهُم ـ مُجتهدٌ في طاعتِهِ، فَبَيْنَا[٩] هوَ كذلِكَ، وَعَلى ذلِكَ، إذْ خَلَقَ فيهِ الكُفرَ، ونَقَلَهُ ممَّا يحبُّ إلى ما يُسْخِطُ، وبَيْنَما[١٠] عَبْدُهُ[١١]، مُجتهدٌ في الكُفرِ بِهِ، والتَّكذيبِ لَهُ، إذْ نَقَلَهُ مِنَ الكُفرِ

---

(١) آل عمران: ٩٩.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) الانشقاق: ٢٠.

(٤) النساء: ٣٩.

(٥) التكوير: ٢٦.

(٦) الانشقاق: ٢٠، ٢١.

(٧) في (هـ): التذكرة عليهم.

(٨) المدَّثر: ٤٩.

(٩) في (ك): فبيَّنا. بتشديد الياء.

(١٠) في (أ): بينهما.

(١١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عنده. بالنون الموحّدة من فوق.

إلى الإيمانِ، فَهْوَ ـ عِنْدَهُم ـ لِعَدِوِّهُ أَنْظَرُ منهُ لِوَلِيِّهِ، فَلَيْسَ يَثِقُ وَلِيُّهُ بِولايَتِهِ، ولا يرهَبُ عَدوُّهُ منْ عَدَاوتِهِ، وإنَّه يقولُ للرُّسلِ: اُهْدوا إلى الحقِّ من أضللتُ عنهُ، وانهوا عِبَادِي أن يَفْعَلُوا ما شِئْتُ، وأردتُ، وأمُرُوهُمْ أنْ يَرْضُوا بما قَضَيتُ، وقَدَّرتُ، لأنَّه ـ عندهم ـ شاءَ الكفرَ، وأرادَ الفجورَ، وقضى[1] الجورَ، وقدَّرَ الخيانةَ. الصَّاحبُ[2]:

وإنْ سقتُ ما قالوهُ في الجبرِ ضِلَّةً	خشيتُ: جبالُ الأرضِ منهُ تهدَّدَ
فهذا يقولُ: اللهُ يخلقُ سُبَّةً[3]	لِيُشْتَمَ. كلَّا! فهوَ أعلى وأمجدُ
وقالوا أرادَ الكفرَ والفِسقَ والزِّنا	وقتلَ النَّبيِّينَ الَّذين تعبَّدوا
وكلَّفَ ما لم يستطعْ فعلَ مُخَنَقٍ	على عبدِهِ ما شاءَ، ما يتردَّدُ[5]
وعاقبهُ عنْ تركِهِ الفعلَ لمْ يُطِقْ	عقاباً لهُ بينَ الجحيمِ يُخَلَّدُ[6]
يقولونَ: عدلٌ[4] أنْ يكلِّفَ مُقْعَداً	قياماً ، وعدواً مُسرِعاً وهوَ مُقْعَدُ

❀❀❀

(١) في (ش) و(ك): قضاء. بصيغة المصدر.

(٢) ديوان الصاحب بن عبَّاد: ٣٣.

(٣) في الديوان: يقولون: إنَّ الله يخلقُ نسبةً. وفي (ح): نسبة.

(٤) في الديوان: عدلٌ. بالرَّفع. وهوَ الأنسبُ. وفي (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عدلاً. بتنوين النصب.

(٥) في الديوان: على عبدِهِ حاشاه مما تزيَّدوا. وفي (ح): لا يتردّد.

(٦) في الديوان: مخلَّد.

فصل [ـ٢ـ]

[في الاستطاعة ونسبة الأفعال]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ﴾[١].

سُئِلَ الصَّادقُ[٢] ـ عليه السلامُ ـ عنْ هذهِ الآيةِ، فقال: مستطيعونَ، يستطيعونَ[٣] الأخذَ بما أُمرُوا بهِ، والتركَ عمَّا نُهُوا عنهُ، وبذلِكَ ابْتُلُوا.

وقالَ أميرُالمؤمنينَ ـ عليه السلام ـ: ما أحسنتُ إلى أحدٍ، ولا أسأتُ إليهِ، لأنَّ الله ـ تعالى ـ يقولُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾[٤].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾[٥].

---

(١) القلم: ٤٣.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ٤: ٣٧٣.

(٣) في (هـ): ليستطيعون.

(٤) فصِّلتْ: ٤٦. الجاثية: ١٥.

(٥) الأنعام: ١٤٤. الأعراف: ٣٧. يونس: ١٧. الكهف: ١٥.

أي: أظلمُ لنفسهِ، ليخرُصَ[١] على الله كذباً أوْ[٢] يضيفَ إليهِ ما لا أصلَ لهُ.

أبو هريرةَ، قالَ: قامَ رجلٌ من خثعم[٣] إلى النَّبيِّ[٤] ـ عليه السلام ـ فقال: يا رسولَ الله، مَتَى يَرْحَمُ اللهُ عِبَادَهُ؟

قالَ: يَرْحَمُ[٥] اللهُ عبادَهُ، ما لم يَعْمَلُوا[٦] بالمعَاصِي، ثمَّ يَقُولوا[٧]: هيَ مِنَ الله.

أنسٌ: قال النَّبيُّ[٨] ـ عليه السلام ـ: سيأتي أقوامٌ يعملونَ بالمعاصي، ويقولونَ: هي منَ الله. فإذا رأيتُمُوهُمْ، فكَذِّبُوهمْ ـ ثلاثَ مرَّاتٍ ـ.

أبو الصَّلتِ الهرويُّ، عنِ الرِّضا، عن أبيهِ، عنِ الصَّادقِ ـ عليه السلام ـ وقد سُئِلَ[٩] عنْ ذنوبِنَا[١٠]، وذُنوبِ غيرنا ـ، فقالَ ـ عليه السلام ـ: ﴿لَيْسَ

(١) خرصَ: يخرُص: كذبَ: يكذبُ. «المعجم الوسيط ـ خرصَ»

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): ويضيف. معَ الواو.

(٣) خثعم: من قبائل العرب.

(٤) إنقاذ البشر من الجبر والقدر «رسائل الشريف المرتضى ـ ١ ـ»: ٥٨.

(٥) في (هـ): يرحموا. بإسناده إلى واو الجماعة.

(٦) في (أ): يعلموا. بلام ثمَّ ميم.

(٧) في (هـ): يقولونَ.

(٨) إنقاذ البشر من الجبر والقدر «رسائل الشريف المرتضى ـ ١ ـ»: ٧٩.

(٩) في (هـ): سأل. بصيغة المبني للمعلوم.

(١٠) في (أ): ذنبنا. بصيغة المفرد.

بِأَمانِيِّكُمْ وَلا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[١].

وسُئِلَ الصَّادقُ ـ عليه السلام ـ عنْ أفعالِ العبادِ، فقالَ: كلُّ ما وعدَ اللهُ، وتَوَعَّدَ عليهِ، فهوَ منْ أفعالِ العبادِ.

وسُئِلَ الرِّضا[٢] ـ عليه السلام ـ فقِيلَ[٣]: أهيَ مخلوقةٌ لله؟ فقالَ: لو خلقها، لما تبرَّأ منها، وقَدْ قالَ اللهُ: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[٤]. ولم يُرِدِ البراءةَ من خَلْقِ ذواتهم، وإنَّما تبرَّأ من شركِهِمْ، وفضائِحِهِمْ.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾[٥].

معناه: أعطيناهُمْ كلَّ ما لا يصُحُّ الفعلُ إلَّا معهُ، لأنَّ التَّمكينَ، إعطاءُ[٦] ما يصحُّ معهُ الفعلُ.

فإنْ[٧] كانَ الفعلُ لا يصحُّ إلَّا بعلمٍ، فالتَّمكينُ بإعطاءِ تلكَ الآيةِ لمنْ فيهِ القُدرةُ.

---

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) شرح عقائد الصَّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ١٩٩. وفيه: قبائحهم.

(٣) في (ك) و(هـ): فقال. بصيغة المبني للمعلوم.

(٤) التوبة: ٣.

(٥) الحج: ٤١.

(٦) العبارة «إعطاء... والتمكين» ساقطة من (أ).

(٧) في (ح): وإنْ. مع الواو.

وكذلكَ إنْ كانَ لا يصحُّ الفعلُ إلَّا بآلةٍ: بعِلْمٍ[١]، ونَصْبِ دلالةٍ، وصحَّةٍ، وسلامةٍ، ولُطْفٍ، وغيرِ ذلكَ، فَأعطاهُ[٢] جَميعَ ذلِكَ.

وإن كانَ الفعلُ يكفي ـ في صحَّةِ وجودهِ ـ مجرَّدُ القدرةِ، فخَلْقُ القدرةِ، هوَ التَّمكينُ.

واتَّصلَ بأميرالمؤمنين[٣] ـ عليه السلام ـ: أنَّ قوماً منْ أصحابِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله ـ، خَاضُوا في التَّعديلِ، والتَّجويرِ، فقالَ: يا[٤] أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ لَمَّا خلقَ خلْقَهُ، أرادَ أنْ يكونوا [على آدابٍ رفيعةٍ، وأخلاقٍ شريفةٍ، فعَلِمَ أنَّهمْ لمْ يكونوا][٥] كذلكَ إلَّا بأنْ يعرِّفَهُم ما لهُم، وما عَليهِمْ/ ٦٤/ والتَّعريفُ لايكونُ إلَّا بالأمرِ، والنَّهي. والأمرُ، والنَّهيُ، لا يجتمعانِ إلَّا بالوعدِ، والوعيدِ. والوعدُ لا يكونُ إلَّا بالترغيبِ، والوعيدُ لا يكونُ إلَّا بضِدِّ ذلكَ. ثمَّ خَلَقَهُمْ في دارِهِ، وأراهُمْ طَرَفاً من اللَّذَّاتِ الخالصةِ، الَّتي لا يشُوبُها ألمٌ، ألا وهيَ الجنَّةُ. وأراهُمْ طَرَفاً منَ المكارهِ، الَّتي لا يَشُوبُها لذَّةٌ، ألا وهي النَّارُ. فمنْ أجلِ ذلكَ يرونَ نعيمَ الدُّنيا مَخْلُوطاً بِمحَنِها، وسُرُورَهَا ممزُوجاً بِكَدَرِها، وغُمُوْمِها.

---

(١) في (أ): تعلم. بصيغة المضارع وبتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) في (ح): فأعطاه، بصيغة الفعل الماضي معَ ضمير الغائب (الهاء).

(٣) الاحتجاج: ١: ٣٠٩.

(٤) (يا) ساقطة من (ك) و(أ).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

وَسَمِعَ الجاحِظُ[١] هذا الحديثَ، فقالَ: هوَ جِمَاعُ الكلامِ، الَّذي دوَّنهُ النَّاسُ في كتُبِهِمْ، وتحاورِهِمْ بينهُمْ.

ثمَّ سمعَ أبو عليٍّ الجبَّائي[٢]، فقالَ: صَدَقَ الجاحظُ، هذا ما لا[٣] يحتملهُ الزِّيادةُ، والنُّقصانُ.

العونيُّ[٤]:

كيِّفُوا مَنْ خَلَقَ الكيفَ فبِئْسَ الواصِفُونا
ثمَّ قالوا جَبَرَ[٥] الخَلْقَ على ما يفْعَلُونا
فَهُمُ بالخيرِ والشَّرِّ -معاً- مُستَمِعُونا
فعلى ماذا يُثابونَ وعمَّا يُسْألُونا؟
لِمَ هذا بعذابٍ يُوعِدُ المُسْتهزِئينا؟
أيجورُ[٦] اللهُ في الحُكْمِ وأنتمْ تَعْدِلُونا؟
جَلَّ رَبُّ النَّاسِ عَنْ ذاكَ وَذَلَّ المُجْبِرُونا

❁❁❁

(١) الاحتجاج: ١: ٣٠٩.

(٢) الاحتجاج: ١: ٣٠٩.

(٣) (لا) ساقطة من (أ).

(٤) لم نقف على مورد أخذه.

(٥) في (ك) و(أ): خبر. بالخاء المعجمة من فوق.

(٦) في (أ): يجوز. بالزاي المعجمة.

فصل [-٣-]

[في نسبة الأفعال]

قولهُ - تعالى -: ﴿ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ﴾(١).

وما فيهِ تفاوتٌ منَ الكفرِ، والمعاصي، ليسَ منْ خلـقِ الله، لأنَّـهُ نَفـى نَفْيَـاً عَامَّاً أنْ يكونَ فيما خَلَقَهُ، تفاوتٌ.

وقال - تعالى -: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(٢). والكفرُ، ليسَ بِحَسَنٍ، ولا فِعْلٍ مُتقنٍ.

وقالَ - تعالى -: ﴿الَّذِي أَتْقَـنَ كُـلَّ شَيْءٍ﴾(٣). أي: أوجـدَ فيـهِ وجهـاً مـن وجوهِ الحكمةِ، عريَّاً من سائرِ القبائحِ.

وقال - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ بِالْـحَقِّ﴾(٤).

---

(١) الملك: ٣.

(٢) السجدة: ٧.

(٣) النَّمل: ٨٨.

(٤) الأنعام: ٧٣.

قالَ الحسنُ[١]، والبلخـيُّ، والجبَّـائيُّ، والزَّجَّـاجُ[٢]، والطـبريُّ[٣]: معنـاه: خَلقهُما للحقِّ، لا للباطلِ.

وقالَ ـ تعالى ـ: ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً﴾[٤].

يدلُّ على بطلانِ قولِ المجبرةِ[٥]: إنَّ كلَّ باطلٍ، وسَفَهٍ، وما يُخالفُ الحكمـةَ منْ فِعْلِ الله. تَعالى عَنْ ذلِكَ.

ثمَّ قالَ: ﴿ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٦].

ووجدنا منَ الأفعالِ ما هوَ ظلمٌ، وفسادٌ[٧]، وعبثٌ. وفاعلُ الظُّلمِ، ظـالمٌ، وفاعلُ الفسادِ، مفسدٌ، وفاعلُ العبثِ، عابثٌ.

ووجدنا ـ أيضاً ـ في الأفعالِ، ما هوَ طاعـةٌ، وخـضوعٌ. وفاعـلُ الطَّاعـةِ، مطيعٌ، وفاعلُ الخضوعِ، خاضعٌ. ولا يجـوزُ أنْ يكـونَ اللهُ ـ تعـالى ـ مطيعـاً، ولا خاضعاً.

---

(١) مجمع البيان: ٢: ٣٢٠.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٣٢٠.

(٣) جامع البيان: ٧: ٢٣٩.

(٤) ص: ٢٧.

(٥) الملل والنِّحل: ١: ١٣٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين: ١: ٢٨٣.

(٦) ص: ٢٧.

(٧) (فساد) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

وتعلَّقَ الصَّاحبُ بتفَّاحـةٍ على شـجرةٍ، وأخَـذَ نـصفَهَا، وبَقِـيَ النِّـصفُ عليها.

فقالَ لهُ أبُو إسحاقَ الاسفراييني: عِنـدَكَ: القَـادِرُ عـلى الـشَّيءِ يَنْبَغِـي أنْ يَكُونَ قَادراً عَلَى ضِدِّهِ.

فقالَ الصَّاحبُ: كما قدرْتُ على أخذها، أقدرُ على ردِّها. إلَّا أنَّ الرُّطوبـةَ، خارجةٌ عنها، فلا يتقبَّلُ(١).

وقالَ أبو حنيفةَ(٢): رأيتُ موسى بنَ جعفرٍ ـ عليهما السلام ـ وهـوَ صـغيرُ السِّنِّ في دهليزِ أبيهِ، فقلتُ: أينَ يُحدِثُ الغريبُ منكم، إذا أرادَ ذلك؟

فَنَظَرَ إليَّ، ثـمَّ قَـالَ: يَتَـوارَى خَلْـفَ الجـدارِ، ويتـوقَّى(٣) أعـيُنَ الجـارِ، ويتَجنَّبُ شطوطَ الأنهارِ، ومـساقطَ الـثِّمارِ، وأفنيـةَ الـدُّورِ، والطُّـرقَ النَّافـذةَ، والمساجدَ، ولا يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ، ولا يَسْتَدْبِرُهَا، وَيَضَعُ، وَيَرْفَعُ ـ بَعْدَ ذلِكَ ـ حَيْثُ شَاءَ(٤).

---

(١) في (هـ) و(ح): تقبل.

(٢) عيون أخبار الرِّضا: ١: ١٣٨ باختلاف يسير في اللفظ. التوحيد: ٩٦ باختلافٍ يسير في الرواية واللفظ. أمالي الصدوق: ٣٦٨. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ١٩٩ ـ ٢٠٠. إعلام الورى: ٢٩٧ ـ ٢٩٨. الاحتجاج: ٢: ١٥٩ تحف العقول: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٣) في (ك): يتوقَّى. بالفاء الموحَّدة.

(٤) في (أ): شيئاً.

فلما سمعتُ هذا، نَبُلَ[1] في عَينِي، وعَظُمَ في قلبي، فقلتُ لهُ: جُعلتُ فداكَ! مِمَّن المعصيةُ؟

فنظر إليَّ، ثمَّ قال: اِجلسْ حتَّى أُخبِرَكَ. فجلستُ، فقالَ: إنَّ المعصيةَ، لابدَّ أنْ تكونَ منَ العبدِ، أو منْ ربِّهِ، أو منهما جميعاً.

فإن كانتْ[2] من اللهِ ـ تعالى ـ، فهوَ أعدلُ، وأنصفُ منْ أنْ يظلمَ عبدَهُ، ويأخذَهُ بما لم يفعلْهُ.

وإن كانت منهما، فهو شريكُهُ، والقويُّ أَوْلَى بإنصافِ عبدِهِ الضَّعيفِ.

وإنْ كانتْ منَ العبدِ ـ وحدَهُ ـ، فعليهِ وقعَ الأمرُ، وإليهِ توجَّهَ النَّهيُ، ولهُ حقُّ الثَّوابِ، والعقابِ، ووجبتِ الجنَّةُ، والنَّارُ. فقلتُ: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

ونَظمَ في هذا المعنى [فقال][4]:

لمْ تخلُ أفعالُنا اللَّاتي نُذَمُّ بها	إحدى ثلاثِ خصالٍ حينَ نأتيها
إمَّا تفرُّدُ بارينا بصُنْعتِها	فيسقطُ اللَّومُ عنَّا حينَ نُنشيها
أو كانَ يُشرِكُنا فيها فيَلحَقُهُ	ما سوفَ يَلْحَقُنا من لائمٍ فيها

---

(١) في (أ): يبلَى.

(٢) في (ك): كان.

(٣) آل عمران: ٣٤.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

أو لمْ يكن لإلهي في جنايتِهَا ذنبٌ فما الذَّنبُ إلّا ذنبُ جانيها

سيعلمونَ إذا الميزانُ شالَ بهمْ أهمْ جَنَوها أم الرَّحمنُ جانيها[1]

✿✿✿

(١) الأبيات الأربعة الأولى في إعلام الورى: ٢٩٨ معزوَّة إلى موسى بن جعفر (عليه السلام) وهو مما يناسب رواية كتابنا هذا. والبيت الأخير في كتاب: فرق وطبقات المعتزلة: ٦٨ معزوٌّ إلى عمرو بن قايد أحد شيوخ المعتزلة. وهي في أمالي المرتضى: ١: ١٥٢ غير معزوّة. وهي في الاحتجاج: ٢: ١٥٩ غير معزوّة أيضاً.

/٦٥/ فصل [ـ٤ـ]

[في الاستطاعة وفي نسبة الأفعال]

قولهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾[1].

سألَ غيلانُ العبديُّ أبا الهذيلِ عن الاستطاعةِ، فقالَ: خبِّرني عن هذهِ الآية: هلْ يخلو منْ أن يكونَ أَكذَبَهُمْ، لأنَّهم مستطيعونَ للخروجِ، وهمْ[2] تَارِكُونَ لهُ، فاستطاعةُ الخروجِ فيهمْ، وليسَ يخرجونَ، لقولهِ: ﴿إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾، أي: همْ يستطيعونَ الخروجَ، وهمْ[3] يكذبونَ، فيقولونَ: لسنا نستَطِيعُ، ولو اِستَطَعْنا، لَخَرَجْنا، فَأَكْذَبَهُمْ اللهُ على هذا الوجهِ.

أوْ يكونَ على وجهٍ آخرَ، يقولُ: ﴿إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾. أي: إنَّني أُعطِيهمْ الاستطاعةَ، [ولمْ يخرجوا، فتكونُ معهمْ الاستطاعةُ][4] على الخروج، ولا يكونُ

---

(١) التوبة: ٤٢.

(٢) في (هـ): وهو.

(٣) في (هـ): فهمْ.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

الخروجُ.

ولا يُعقَلُ للآيةِ معنىً ثالثٌ.

وقيلَ للنَّظَّامِ: إِنْ كانتِ الاستطاعةُ لكَ، فَخُذْ لَنا هذا العصفورَ. فقالَ: هذا من اِستطاعةِ الباشقِ(١)، واليؤيؤ(٢)، لا منَ اِستطاعتي.

وقالَ الكُتبيُّ: لا أقدرُ على شيءٍ، ولا أملكُ أحداً(٣).

فقالَ الشَّيخُ المفيد: [أ](٤) حُكمي(٥) حُكْمُكَ على ما لا تملكُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قالَ: فرَّقتُ مالَكَ على المساكينِ، وطلَّقتُ زوجتَكَ، واعتقتُ عبدَكَ، ووَقَفتُ مُلْكَكَ.

وأُتيَ بطرَّارٍ(٦) أحولَ(٧) إلى والي البصرةِ، فسأَلَ عنِ الحُكْمِ، فقالَ جبريٌّ:

---

(١) الباشق: البازي. وهو ضرب من الصقور يستخدَم في الصَّيد. «المعجم الوسيط ـ بشق».

(٢) اليؤيُؤ: طائر من جوارح الطَّير كالباشق، وهو طائر صغير قصير الذَّنب. «المعجم الوسيط ـ يأيا».

(٣) في (هـ): بالخاء والذال المعجمتين.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) في (ش): حِلمي. باللام.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): طرَّار له. والطرَّار: النشَّال، يشق ثوبَ الرَّجل. ويسلُّ ما فيه (المعجم الوسيط ـطرَّ)

(٧) في (ك): أحوال. وفي (ح): بِهِ حول.

يُضْرَبُ[١] خمسَ[٢] عشرةَ دِرَّةً[٣].

وقالَ أبو عبد الرَّحمنِ: بلْ ثلاثينَ، خمسَ عشرةَ[٤] لطرِّهِ[٥]، وخمسَ عشرةَ[٦] لحولهِ.

فقالَ: يا أبا عبدالرحمنِ، لا ضربَ على الحَوَلِ!

قالَ: نعم، إذا كانا ـ جميعاً ـ من فعلِ اللهِ، فما جعلَ الضَّربَ على الطَّرِّ، بأحقَّ منهُ على الحَوَلِ[٧].

وقال رجلٌ لأبي الهذيل[٨]: من جمعَ بينَ الزَّانيين؟ يا أبا الهذيل! فقال: يا ابنَ أخي! أمَّا بالبصرةِ، فأنَّهم يقولونَ: القوَّادونَ، ولا أحسبُ أهلَ بغدادَ[٩] يخالفونهم في هذا القولِ! فما تقولُ أنتَ؟

فخجلَ الرَّجلُ.

---

(١) في (ش): فضرب. بصيغة الماضي.

(٢) في (ك): خمسة عشر.

(٣) الدِّرّة: السَّوط.

(٤) في (ش): خمسة عشر.

(٥) في (ش): لطهره

(٦) في (ش): خمسة عشر.

(٧) نثر الدُّرّ: ١٩٧.

(٨) نثر الدُّرّ: ١٩٧.

(٩) في (أ): بغدادي.

وقالَ أبو العتاهيةَ[١] لثمامةَ ـ وحرَّكَ يدَهُ ـ من حرَّكَ هذهِ[٢]؟ قال: ملعونٌ منَ الملاعينِ.

فغضبَ من قولِهِ. فقالَ: إن لمْ يكنْ فعلَكَ، فما هذا الغَضَبُ؟

وقيلَ لثُمامةَ: أترضى بمن خَلقَ المعاصيَ ربّاً؟

قال: [لا][٣]، ولا عبداً.

ورُفِعَ إلى عَيَّاشٍ برجلٍ، رَمَى، فَشَجَّ رأسَ بَعْضِهم، فقالَ [لهُ][٤]: لِمَ رميتَهُ؟

فقال: ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ[٥] رَمى﴾[٦]. فضربهُ مائةَ سوطٍ، وقالَ: وما ضربتَ إذْ ضربتَ، ولكنَّ اللهَ ضربَ.

ونزلَ أبو الأسودِ[٧] الدُّؤلي في بني قُشيرٍ، فرجموهُ باللَّيلِ، فاشتكى منهم.

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة: ٧١. العقد الفريد: ٢: ١٩٥ باختلاف في اللفظ يسير.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): هذا.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) العبارة: ﴿رمى... الله﴾ ساقطة من (أ).

(٦) الأنفال: ١٧.

(٧) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٤٨ بتحقيق: عبد الكريم الدجيلي. وفي أمالي المرتضى: ١: ٢٩٢ ـ ٢٩٣: القصَّة بتمامها ولكن من دون هذه الأبيات. والخبر منسوب إلى عثمان في فرق وطبقات المعتزلة ١: ٢٥.

فقالوا: اللهُ رَجَمَكَ[١].

فقال: لا تكذبوا على الله، فلوْ أنَّ اللهَ رماني، لما أخطأني، ثمَّ قالَ في ذلكَ:

رماني جاري ظالماً برميَّةٍ | فقلتُ لهُ: مهلاً! فأنكرَ ما أتى
وقال: الَّذي يرميكَ ربُّكَ جازياً | بذنبكَ والحوباتُ[٣] تعقبُ ما ترى
فقلتُ لهُ: لو أنَّ ربِّي رميَّةً[٢] | رماني، لما أخطا إلهي ما رمى[٤]
جزى اللهُ شرّاً كلَّ من نالَ سوءةً | وينحلُ فيها ربَّهُ الشَّرَّ والأذى[٥]

وقال يزيدُ لعليٍّ[٦] بن الحسين ـ عليه السلام ـ: طلبَ أبوكَ شيئاً، لمْ يكنْ لهُ[٧]، بأهلٍ، فقتلهُ اللهُ على يَدَيْ منْ كانَ لهُ أهلاً فما ذنبي في ذلك؟

فقال ـ عليه السلام ـ: قالَ اللهُ: ﴿أَلا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٨]. أَفتراهُ أنَّه لَعَنَ قَاتلهُ، أمْ نفسَهُ؟ فبهتَ. الصَّاحبُ[٩]:

---

(١) في (ش) و(ح): يرجمك. بصيغة المضارع.

(٢) في الديوان: برميةٍ.

(٣) في الديوان: والأذناب

(٤) في الديوان: ما أتى.

(٥) في الديوان: وينحل منه الأبّ في عذره الرَّدى. وفي الديوان بطبعة آل ياسين: ٢٤: وينحل منها الربُّ في عذره الرّدا.

(٦) الاحتجاج: ٢: ٣٨ ـ ٣٩. بلفظ مختلف قليلاً.

(٧) (له) ساقطة من (أ).

(٨) هود: ١٨.

(٩) أخلَّ بهما ديوانه المطبوع بتحقيق آل ياسين.

زعـــمَ الرِّجـــالُ المجـــبرونَ بـــأنّما ... قَتْـــلُ الحـــسينِ قَـــضَتْ بـــهِ الأقـــدارُ

فعـــلامَ يُلْعَـــنُ قـــاتِلُوه[1] وإنّـــما ... قَتْـــلُ الحـــسينِ قـــضى بِـــهِ الجَبَّـــارُ

وناظَرَ[2] أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ[3] ـ في حالِ صِباهُ ـ صَقْراً، فقالَ: ما تقولُ: إنَّ الله ـ تعالى ـ يَخْلُقُ العَدْلَ؟

قال: نعم.

قال: [أفَنُسَمِّيهِ بفعلِهِ العَدْلَ عادلاً؟

قال: نعم.

قال: أتقولُ: إنَّهُ يَخْلُقُ الجَوْرَ؟

قال: نعم.

قال][4] : فما أنكرتَ أنْ يكونَ بفعلِهِ الجَوْرَ جائِراً؟

قال: لا يَصُحُّ ذلك.

قال: فما أنْكَرْتَ ألّا يكونَ بفعلِهِ العَدْلَ عادِلاً؟

---

(١) في (هـ): قاتليه.

(٢) في (ش): نظر.

(٣) فرق وطبقات المعتزلة: ٨٦.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

فانقطعَ صَقْرٌ، فجعلَ الناسَ يقولونَ: مَنْ هذا الصَّبيُّ؟ فقيلَ: غُلامٌ من أهلِ جُبَّى[١]. فنُسِبَ إليه.

وكان مُجْبِرٌ[٢] يسألُ أصحابَ بِشْرِ بنِ المُعْتَمِر، ويقولُ: أنتم تَحْمُدونَ اللهَ على إيمانِكم؟ فَهُمْ يقولونَ: نعم. فيقولُ: فكأنَّهُ يَجِبُ أنْ يُحمَدَ على ما لم يَفْعَلْ، وقد قالَ: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾[٣]. فيقولونَ له: إنَّما ذَمَّ مَنْ أحبَّ أن يُحْمَدَ بما لم يفعَلْ مِمَّا لم يُعْزَ عليهِ، ولم يُدْعَ إليه، وهو يَشْغَبُ[٤]، إذْ أقبلَ[٥] ثُمامَةُ بنُ أشْرَس. فقال بِشْرُ: دُونَكَ الرَّجُل، [فَسَلْهُ][٦] عنِ المسألةِ.

فقال: هل يجبُ عليكَ تَحْمَدُ[٧] اللهَ على الإيمانِ؟

قالَ: لا، بل هُوَ يَحْمَدُني عليهِ، لأنَّهُ أمرني بهِ، ففعلْتُهُ، وأنا أحْمَدُهُ على الأمرِ به، والتَّقويةِ عليه، [والدُّعاءِ إليهِ][٨].

---

(١) جُبَّى.

(٢) في (هـ): مجيز. بالياء المثناة من تحت بعدها زاي معجمة.

(٣) آل عمران: ١٨٨.

(٤) شغب القوم وعليهم وفيهم وبهم: يشغب شَغْباً: هَيَّجَ الشَّرَّ بينهم، وأحدَثَ فتنةً، وجلبَةً «المعجم الوسيط ـ شغب».

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): إذا قيل.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش). وفي (ح): فَسَأَلَهُ. بصيغة الماضي.

(٧) في (أ): يحمدوا.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك).

فانقَطَعَ المُجْبِرُ، فقال بِشرٌ: شَنَّعتَ، فَسَهُلْتَ[١].

وَقَال المأمونُ لِثَنَويٍّ: خَبِّرني: هل نَدِمَ مُسِيءٌ قط[٢] على /٦٦/ إساءَةٍ[٣]؟

قال: نعم.

قال: فالنَّدَمُ على الإساءةِ إحسانٌ، أو إساءَةٌ؟

قال: إحسانٌ.

قال: فالَّذي نَدِمَ، هو الَّذي أساءَ، أو غيرُهُ؟

قال: هو الَّذي أساءَ.

قال: فأرى صاحِبَ الخَيْرِ، هو صاحِبُ الشَّرِّ، وقد بَطَلَ قولُكم، إنَّ[٤] الّذي يَنْظُرُ نَظَرَ الوَعِيدِ، هو الّذي يَنْظُرُ نَظَرَ الرَّحمةِ.

قال: فإنِّي أزْعُمُ أنَّ الّذي أساءَ، غيرُ الّذي نَدِمَ.

قال: فهذا الّذي نَدِمَ على شَيءٍ، كانَ منهُ، أمْ مِنْ غيرِهِ؟ فأفْحَمَهُ[٥].

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة: ٦٢.

(٢) العبارة: «قطّ... إحسان» ساقطة من (أ).

(٣) في (ح): إساءَته. بإضافة المصدر إلى ضمير الغائب (الهاء).

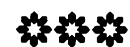
(٤) في (ش) و(أ): إذا.

(٥) العقد الفريد: ٢: ١٩٧.

وأنشَدَ ذُو الرُّمَّةِ[١]:

وَعَيْنانِ قالَ اللهُ كُوْنا فكانَتا ... فَعُولانِ بالألبابِ ما تَفْعَلُ الخَمْرُ

فقيلَ لهُ: فَعُولَينِ. خَبَرُ «الكَونِ»، فقال: لو سَبَّحْتُ، رَبِحْتُ. وإنّما قُلْتُ: وَعَيْنانِ فَعُولانِ. وَصَفْتُهما بذلك. وإنّما تَحَرَّزَ[٢] ـ بذلك ـ من الجَبْرِ[٣].



(١) ديوان شعر ذي الرّمة: ٢١٣.

(٢) في (ش) و(هـ): تجوَّز. بالجيم الموحدة من تحت بعدها واو مشدّدة.

(٣) أمالي المرتضى: ١: ٢٠ مع اختلاف يسير في اللفظ. مجالس العلماء: ٨٥ ـ ٨٦. بقية التنبيهات على أغلاط الرواة: ١٠٩.

فصل [ـ ٥ ـ]

[في بطلان القول بالجبر]

قوله ـ تعالى ـ حِكايةً عن الكفَّارِ: ﴿ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [١]، فكذَّبَهُم اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿بَلى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٢].

يَعْتَرِفُ[٣] إبليسُ بعصيانِهِ ـ يومَ القيامةِ ـ ويقولُ: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ﴾ [٤].

ويُعانِدُ الجَبْرِيُّ، فيقولُ: ﴿وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [٥]، فَتَنْطِقُ أعضاؤُهُ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [٦].

ويقول إبليسُ: ﴿وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾ [٧]، ويقولُ قَرِينُهُ مِنَ

---

(١) النّحل: ٢٨.

(٢) النّحل: ٢٨.

(٣) في (أ): يعرف.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

(٥) الأنعام: ٢٣.

(٦) النور: ٢٤.

(٧) إبراهيم: ٢٢.

الجِنَّ، أو[1] الإنسِ، أو الملائكةِ: ﴿رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَلكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾[2].

وقالتِ الكَفَرةُ: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ﴾[3]، ﴿هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللهِ﴾[4].

والجَبْرِيَّةُ[5] تُضِيفُ كُلَّ سيئةٍ إليه: ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[6]، وقالتِ المُشَبِّهةُ: كلتا يديهِ يمينٌ[7]. وقالتِ النَّصارى: ﴿إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[8]. وقالتِ المُجْبِرَةُ: تاسِعُ تِسْعَةٍ. وقالتِ المشركون: الملائكةُ[9] بناتُ الله. وقالتِ الجَبْرِيَّةُ: صفاتُ الله، قديمةٌ.

زَعَمَ المُجْبِرُ أَنَّهُ لا يَقْدِرُ على تحريكِ رِيشَةٍ، ثمَّ يعمَلُ بالاختيارِ، والنَّصِّ، والشُّورى.

---

(١) في (ش) و(ك) و(أ): والإنس، مع الواو.

(٢) ق: ٢٧.

(٣) الزّمر: ٣.

(٤) يونس: ١٨.

(٥) في (هـ): الجبرة.

(٦) المائدة: ٦٤.

(٧) في (هـ): يميناً، بتنوين النصب.

(٨) المائدة: ٧٣.

(٩) (الملائكة) ساقطة من (هـ).

أوّلُ مَنْ أظْهَرَ الجَبْرَ في هذهِ الأُمّةِ، مُعاويةُ. وذلك[1] أنّهُ خَطَبَ، فقال: يا أهلَ الشّام، أنا خازِنٌ مِنْ خُزّانِ رَبِّي، أُعطِي مَنْ أعطاهُ اللهُ، وأمنعُ مَنْ منعَهُ اللهُ بالكتابِ والسُّنَّةِ.

فقامَ أبو ذَرٍّ ـ رحمةُ الله عليهِ ـ وقال: كَذِبْتَ، والله! إنَّكَ لَتُعْطِي مَنْ مَنَعَهُ اللهُ بالكتابِ، والسُّنَّةِ، وتمنَعُ مَنْ أعطاهُ اللهُ.

فقامَ عبادَةُ بنُ الصَّامِتِ ثمَّ أبو الدّرداء، وقالا: صَدَقَ أبو ذرٍّ! صَدَقَ أبو ذرٍّ! [صَدَقَ أبو ذرٍّ][2].

فنزَلَ معاويةُ عنِ المنبرِ، وقال: فَنَعَمْ إذن! فَنَعَمْ إذن.

وفي روايةٍ: إنّهُ خَطَبَ، فقالَ: قالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[3]. فلا نُلامُ نحنُ.

فقامَ الأحنفُ، فقالَ: إنَّا ـ والله ـ لا نَلُومُكَ على ما في خزائِنِ الله، ولكن نَلُومُكَ على ما أنزَلَ اللهُ علينا من خزائِنِهِ، وأغْلَقْتَ بابَكَ علينا دُوْنَهُ.

شاعِرٌ[4]:

---

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): ذلك. من دون واو.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ) و(ح).

(٣) الحجر: ٢١.

(٤) في (أ): رؤبة.

إذا أعطـــى تَنَمَّـــرَ حِـــينَ يُعْطِـــي ... وإنْ لم يُعْـطِ، قــال: أبــى القــضاءُ

يُبخِّــــلُ رَبَّــــهُ سَــــفَهاً وجَهْـــلاً ... ويَعْــــذِرُ نَفْـــسَهُ فـــيما يـــشاءُ[1]

أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ أحمدَ الحُسَينيُّ[2]:

زَعَـمَ الـسفيهُ ومَـنْ يُـضاهي قوْلَـهُ: ... إنَّ الكبــائرَ مِــنْ فِعَــالِ الخَــالِقِ

إنْ كــان حقَّــاً مــا يقــولُ، فَلِـمْ قَـضَى ... حَـدَّ الزُّنـاةِ[3]، وقَطْـعَ كَـفِّ الـسَّارِقِ؟

الصَّاحِبُ[4]:

المُجْــــبِرُونَ يُجَــــادِلُونَ بباطــــلٍ ... وبغــــيرِ مــــا يجــــدونَ في القُــــرآنِ

كُــــلٌّ مقالَتُــــهُ: الإلــــهُ أضَــــلَّني ... وأرادَ أمــــراً كــــان عنــــهُ نهــــاني

أيقــــولُ ربُّكــــم لِقــــومٍ: آمِنُــــوا ... عَمْــــداً وينهــــاكُمْ عــــنِ الإيــــمانِ؟

إنْ كــــانَ ذا فتعــــوَّذُوا مــــن ربِّكــــم ... ودَعُــــوا تعــــوُّذَكُم مــــن الــــشَّيطانِ

غيرُهُ[5]:

إيّــــاكَ والجَــــبْرَ أنْ تَــــدِينَ بــــهِ ... فــــإنَّ بــــالجَبْرِ قالَــــتْ الفَــــسَقَهْ

فَنَــــزِّهِ اللهَ عَــــنْ محارِمِــــهِ ... ولا تكــــنْ مِــــنْ أُولئــــكَ الطَّبَقَــــهْ

---

(١) لم نقف على قائلها ولا مورد أخذهما وهما لسا في ديوان رؤبة بن الحجاج.

(٢) لم نقف على مورد أخذهما.

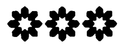
(٣) في (ش): الزناء. بالهمزة.

(٤) أخلَّ بها ديوانهُ بتحقيق آل ياسين.

(٥) لم نقف على اسم قائلها أو مورد أخذها.

لـو كـان قـد قَـدَّر الزِّنـاءَ[١] لَـمَا قَـدَّرَ[٢] حَـدَّ الزِّنـاءِ[٣] والـسَّرِقَهْ

فقـال: مَـنْ يَـسْرِقْ اقْطَعُـوا يَـدَهُ وقـالَ في المُلْحِـدِ: اِضْرِبُـوا عُنُقَـهْ



(١) في (ك) و(هـ): الزّنا. من دون همزة.

(٢) في (هـ): قدّ. من دون راء.

(٣) في (هـ): الزناة. وفي (ك): الزنا.

فصل [ـ ٦ ـ]

[في نسبة الهدى إلى الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْـمُهْتَدِي﴾[١].

الهُدَى: الإرشادُ: وأصلُهُ: الطَّرِيقُ. يقال: هـدَاهُ الطَّريـقَ، ولِلطَّريـقِ، وإلى الطَّريـقِ. وَلـذلِكَ سُـمِّي كـلُّ مرشـدٍ، هَاديـاً. قولـهُ ـ في التَّـورَاةِ ـ: ﴿وَجَعَلْنـاهُ هُـدىً﴾[٢]، وفي القُـرآن: ﴿هُـدىً لِلْمُتَّقِـينَ﴾[٣]، وللنَّـارِ: ﴿أَوْ أَجِـدُ عَـلَى النَّـارِ هُدىً﴾[٤].

وبمعنَى: الدِّلَالَةِ، والبُرهانِ ـ إذا أدَّى إلى ذلك ، كانَ مقيَّداً ، مقرُونَاً بهَا[٥]ـ قولُهُ: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْـمُسْتَقِيمَ﴾[٦]، ﴿وَإِنَّـكَ لَتَهْـدِي إِلى صِراطٍ﴾[٧]، ﴿وَاللهُ

---

(١) الأعراف: ١٧٨.

(٢) الإسراء: ٢.

(٣) البقرة: ٢.

(٤) طه: ١٠.

(٥) (بها) ساقطة من (هـ).

(٦) الفاتحة: ٦.

(٧) الشورى: ٥٢.

يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ﴾[١].

وبمعنى: النَّجاةِ، والثَّوابِ ـ إذا أُطلقَ ـ قولهُ: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَـهُمْ﴾[٢]، ﴿أُولئِكَ / ٦٧/ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ﴾[٣]. وهذا بعْدَ القَتلِ. وقولُهُ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ﴾[٤]، ﴿وَأَصْلَحَ بالَـهُمْ﴾[٥] بالجَنَّةِ.

وبمعنَى: الوَصْفِ بذلِكَ، والحُكْمِ بهِ عَليهِ، قَولهُ: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ﴾[٦]. يعني: تُسَمُّوا مُهتدياً مَنْ قَدْ سَمَّاهُ اللهُ ضالّاً.

الشَّاعِرُ[٧]:

مَــازالَ يَهْــدِي قَوْمَــهُ ويُــضِلُّنا جَهْــلاً ويَنْــسِبُنا إلى الكُفَّــارِ

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) محمد: ٤، ٥.

(٣) الزُّمر: ١٨.

(٤) يونس: ٩.

(٥) محمَّد: ٢.

(٦) النساء: ٨٨.

(٧) نكت الانتصار لنقل القرآن: ٢١٨ معزواً إلى النجاشي. وفيه: ويضلُّنا حقّاً. وهو ليس في مجموع شعره الذي صنعه محمد سليم النعيمي. وفي الأساس لعقائد الأكياس: ١١٣: جهراً وينسبنا إلى الفجّار. ومن دون عزو.

وبمعنى: زِيادَةِ الأَلطَافِ[١]، وذلكَ أَنَّهُ يلطُفُ لِمَنْ عَلمَ أَنَّهُ يؤمِنُ، فَيَأتيهِ منَ الأسْبَابِ، ما يعلمُ أَنَّهُ يُؤمِنُ لسَبَبِهِ. قولُهُ: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ﴾[٢]، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[٣]، ﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾[٤].

وبمعنى: البَيانِ، والتَّعريفِ. قولُهُ: ﴿إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى﴾[٥]، ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ﴾[٦]، ﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٧].

وأمَّا[٨] قَوْلُ المُجْبِرَةِ، أَنَّهُ بمعنى: خَلَقَ الإيمَانَ فيهم، أو: بأن يخلُقَ مَا يُوجبُ ذلِكَ مِنْ قُدرَةٍ، وغيرِها[٩]، أو[١٠]: يحملُهُمْ على ذلكَ جَبراً، أو: مَا جَرى مجرَاهُ، فَفاسدٌ، لأَنَّهُ لا يقُولُ أهلُ اللُّغَةِ ـ لِمَنْ حَمَلَ غيرَهُ على سُلُوكِ الطَّرقِ جبراً ـ: إنَّهُ هداهُ إليهِ. وإنَّما يُقالُ: رَدَّهُ إلى الطَّريقِ، وحمَلَهُ عليهِ، وأكرَهَهُ، وأمثالُ ذلكَ.

---

(١) في (أ): الا الطلاق.

(٢) الرَّعد: ٢٧.

(٣) التغابن: ١١.

(٤) العنكبوت: ٦٩.

(٥) الليل: ١٢.

(٦) الإنسان: ٣.

(٧) البلد: ١٠.

(٨) في (ح): فأمَّا. معَ الفاء.

(٩) في (ش): غيرهما.

(١٠) في (هـ): إذْ يحملهم.

ويجوزُ: هداهُ اللهُ. بمعنى: التَّمكينِ[١]، أوْ مَا يَجري مجرَاهُ، لأنَّـهُ لا يَـصحُّ التَّكليفُ إلَّا معَ البيانِ. ولنا: [٢]:

وَمَـنْ يهتـدِ[٣] يَرْشُـدْ وَمَـنْ يَلْـقَ رَبَّـهُ   بِكُفـرٍ مـنَ الأحـزَابِ فالنَّـارُ مَوْعِـدُهُ

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [٤]

المعنى: إمَّا أنْ يختارَ ـ بحُسنِ اِختيـارهِ ـ الـشُّكرَ[٥] لله ـ تعـالى ـ، فيُـصيبَ الحَقَّ، وَإمَّا أنْ يَكفُرَ نِعمَهُ، فيَكونَ ضالّاً عنِ الصَّوابِ. وليسَ المعنى: إنَّه مُخـيَّرٌ[٦] في ذلكَ. وإنَّما خرجَ[٧] مخرجَ التَّهديد، كقولـهِ: ﴿فَمَـنْ شـاءَ فَلْيُـؤْمِنْ وَمَـنْ شـاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٨]. بِدلَالةِ قَولِهِ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً﴾[٩].

---

(١) في (أ): التمكُّن.

(٢) في (ش) و(هـ): شاعر ولنا. والمقصود بـ(لنا) مؤلِّف الكتاب ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ ولم نقف على مجموع شعره.

(٣) في (ش): يهتدي.

(٤) الإنسان: ٣.

(٥) في (هـ): السكر. بالسين المهملة.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): مجبر. بالجيم المعجمة من تحت بعدها باء موحّدة من تحت.

(٧) في (ش): خارج.

(٨) الكهف: ٢٩.

(٩) الكهف: ٢٩.

وإنَّما المرادُ البيانُ بِـ «مَنْ»: أنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِما، فأيُّهما اختارَ، جُوزِيَ عَليهِ، بِحسبهِ.

وفي الآيةِ، دلالةٌ على أنَّهُ ـ تعالى ـ قدْ هدَى جَميعَ خَلقِهِ المُكلَّفِينَ، لأنَّ قَولَهُ: ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ﴾ [1]، عامٌّ في جُملتِهم، وذلِكَ مُبطلٌ قَولَ المُجبرةِ: إنَّ اللهَ لا يهدي الكافرَ، بِنصبِ الدِّلالَةِ على طريقِ الحقِّ، واجتِنَابِ الباطِلِ.

وليسَ كُلُّ مَنْ تَركَ الشُّكرَ، كانَ كافراً، لأنَّ الشُّكرَ قدْ يكونُ تَطوُّعاً، كما يكونُ [2] واجباً.

ثمَّ إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ بيَّنَ أنَّ ما ذكرهُ على وجهِ التَّهديدِ [3]، لكُفرِهم، بقولِهِ: ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَعِيراً﴾ [4]. وذكرَ ـ أيضاً ـ ما للمؤمنينَ ـ لإيمانهم [5] ـ فقال: ﴿إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ [6].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ

---

(١) الإنسان: ٣.

(٢) في (ك): تكون.

(٣) في (هـ): التهذيه.

(٤) الفتح: ١٣.

(٥) في (هـ): كأيمانهم.

(٦) الإنسان: ٥.

الضَّلالَةُ﴾(١).

لم يُرِدْ نصبَ الأدِلَّةِ على الحقِّ، لأنَّه ـ تعالى ـ سوَّى ـ في ذلكَ ـ بينَ الكـافرِ، والمُؤمنِ، كَما قالَ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْـعَمى عَلَى الْـهُدى﴾(٢).

وإنَّما أرادَ: من لَطُفَ ـ تعالى ـ لَهُ، بِما عَلمَ أَنَّهُ يُؤمنُ، فَسمَّى ذلِـكَ اللُّطـفَ هدايةً.

وقيلَ: فمنهُم مـن هـدَى اللهُ إلى الجنَّـةِ بإيمانِـهِ، ومـنهم مـن حقَّـتْ عليـهِ الضَّلالةُ.

قال الحسنُ(٣): لأنَّهم ضلُّوا عنْ طريقِ الحقِّ، وكفرُوا بالله.

وقال أبُو الهذيلِ: حقَّتْ عليهِ الضَّلالةُ(٤) عنْ طَريقِ الجنَّةِ، بما اِرتكبـوا مـنَ الكُفرِ، والضَّلالةِ.

والمرادُ بـ «الضَّلالةِ» ـ هاهنا ـ العُدُولُ عنِ الجنَّةِ. وقـد سـمَّى اللهُ العقـابَ ضَلالاً في قولهِ: ﴿إِنَّ الْـمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾(٥).

***

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) فصلت: ١٧.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٣٥٩.

(٤) (الضلالة) ساقطة من (أ).

(٥) القمر: ٤٧.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدى﴾[١].

قال قتادةُ[٢]: إنَّ علينا، لَبَيانَ الطَّاعةِ منَ المعصيةِ.

وفيهِ دِلالةٌ على وجوبِ هُدى[٣] المُكلَّفينَ إلى الدِّينِ، وأنَّهُ لا يجُوزُ صرفُهُم عنهُ[٤].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدى﴾[٥].

التَّقديرُ: تنزِيلُ الشَّيءِ على مقدارِ غيرِهِ. فاللهُ ـ تعالى ـ خلقَ الخلقَ، وقدَّرَهُمْ على ما اقتَضَتْهُ الحِكمةُ.

فَـ «هَدى»، معناهُ: أرْشدَهُم إلى طريقِ الرُّشدِ منَ الغيِّ. وهكذا كلُّ حيَوانٍ إلى ما فيهِ مَنفَعَتُهُ، ومَضَرَّتُهُ، حتَّى أنَّهُ هدى[٦] الطِّفلَ إلى ثدي أمِّهِ، وميَّزَهُ منْ غَيرِهِ، وأعطى الفَرْخَ الهدايةَ حتَّى طلبَ الزَّقَّ مِنْ أبويهِ، والعُصفُورُ ـ على صِغَرِهِ

---

(١) الليل: ١٢.

(٢) جامع البيان: ٣٠: ٢٢٦. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٥٠٢. الدر المنثور: ٨: ٥٣٧ الجامع لأحكام القرآن: ٢٠: ٨٦.

(٣) في (ش): للمكلفين. مع حرف الجرُ (اللام).

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): عنده.

(٥) الأعلى: ٣.

(٦) في النسخ جميعها: أهدى. والصواب ما أثبتناهُ.

ـ يَطلبُ مثلَ ذلكَ بهدايةِ الله ـ تعالى ـ [لَهُ][١]

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[٢].

أي: نُرشدهُمْ السَّبيلَ المُوصلَ إلى الثَّوابِ.

وقيلَ: لِنُوَفِقَنَّهم[٣] لازدِيادِ الطَّاعاتِ، فيَزْدادُ ثَوابُهم.

وقيلَ: لنُرشِدَهُمْ إلى الجنَّةِ.

***

/ ٦٨/ قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْـمُهْتَدِي﴾[٤].

أي: مَنْ يَحكُمِ اللهُ بِهدايتِهِ، ويُسمِّيهِ بها، وبإخلاصِهِ الطَّاعَةَ[٥]، فَهوَ المهتدي في الحقيقَةِ.

وفيه دُعاءٌ إلى الاهتداءِ، وتَرغِيبٌ فيهِ. [وفيهِ][٦] معنى الأمرِ بهِ.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك).

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) في (ك): لنوقفنَّهم. بالقاف المثناة بعدها الفاء الموحَّدة.

(٤) الأعراف: ١٧٨.

(٥) في (ش): بالطاعة. مع حرف الجر (الباء).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

وقيلَ: مَنْ يهدِ اللهُ إلى طريقِ الجنَّةِ، فَهوَ المُهتدِي إليها.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾[١]. أي: مَن يَحكُمِ [اللهُ][٢] بِضَلالَتِهِ، ويُسمِّيهِ ضَالّاً، بِسُوءِ[٣] اختيارِهِ للضَّلَالةِ، فإنَّهُ لا ينفعُهُ وِلايةُ وَلِيٍّ لهُ. وَلَوْ توَلّاهُ، لَمْ يُعتَدَّ بقولِهِ، لأنَّهُ منَ اللَّغوِ الَّذي لا منزِلَةَ لهُ، فلذلكَ حَسُنَ أنْ يُنفى[٤]، لأنَّهُ بِمَنزِلةِ ما لَم يكُنْ؟

وقيلَ: مَن يُضِلَّهُ اللهُ عن طَريقِ الجنَّةِ، وأرادَ عقابَهُ على معاصيهِ، لمْ يُوجدْ لَهُ ناصرٌ يمنَعُهُ منْ عِقَابهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾[٥].

ظاهرُ الآيةِ: إنَّ مَن كَفَرَ باللهِ، ورَسُولهِ، يُعاقِبُهم اللهُ على كُفرِهِمْ، وظُلمِهِم، ولا يَهديهِمْ[٦] [إلى][٧] الجنَّةِ، بَلْ يُدخِلُهُمْ النَّارَ.

---

(١) الإسراء: ٩٧.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٣) في (هـ): بسواء.

(٤) في النُّسخ جميعها: يبقى. بالباء الموحدة من تحت بعدها قاف مثناة. وما أثبتناه من (ط).

(٥) النِّساء: ١٦٨، ١٦٩.

(٦) في (أ): ولا ليهديهم.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(هـ).

وَيحتَمِلُ: أَنَّهُ لم يَكُنِ اللهُ يَفعَلُ بِهِم ما يُؤمِنُونَ عِندَهُ في المُستَقبَلِ، عُقُوبةً لهُم على كُفرِهِم الماضي، واستِحقاقَهم[1] حِرمانَ ذلكَ، وأَنَّهُ يَخذُلُهُمْ عَنْ ذلِكَ، حتَّى يَسلِكُوا طَرِيقَ جَهنَّمَ.

وَيكُونُ المعنى: لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيُوَفِّقَهم للإسلامِ، ولكنَّهُ يخذُلُهم عنهُ إلى طريقِ جَهنَّمَ، جزاءً لهُمْ على ما فعلُوهُ منَ الكُفرِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ﴾[2].

المُرادُ بهِ الثَّوابُ، وما يَجرِي مجراهُ، لأَنَّهُ قَدْ يُؤمِنُ الكافرُ، ويتُوبُ[3] الفاجِرُ، وَيُنِيبُ الغَادِرُ. والآيةُ دَليلٌ لأَهلِ العَدْلِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللهِ لا يَهْدِيهِمُ اللهُ﴾[4].

يعني: إلى طرِيقِ الجَنَّةِ. أوْ قُلتَ: لا يَحكُمُ اللهُ بِهُداهُمْ، لأَنَّهُمْ كُفَّارٌ.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَوْ هَدانَا اللهُ لَهَدَيْناكُمْ﴾[5].

---

(١) في (أ): اِستحقام.

(٢) آل عمران: ٨٦.

(٣) في (هـ): يثوب. بالثاء المثلثة. وفي (أ): يتوب الله الفاجر.

(٤) النحل: ١٠٤.

(٥) إبراهيم: ٢١.

إنَّما هُوَ حِكايةُ قولِ رُؤساءِ المُشركينَ في جهنَّمَ، لِقولِهِ: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾[1].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾[2].

قد قُلنا: إنَّ الهدى[3] المُطلقَ، إنَّما يَكونُ بمعنى البيانِ، أوِ النَّجاةِ. وهذهِ الآيةُ إنَّما وردَتْ فِيمَنْ أُعيدَ بعدَ المماتِ. ألَا ترى إلى أوَّلِ قولِهِ: ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[4].

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾[5].

معناهُ: إنَّهُ لا يَهديهِم إلى طريقِ الجنَّةِ، والثَّوابِ، لكُفرِهِمْ.

ويحتَمِلُ: لا يَهديهم. بِمَعنى: لا يَقبلُ أعمالَهم، كَما يَقبَلُ أعمالَ المهتَدِينَ مِنَ المؤمنينَ، لأنَّ أعمالَهُم، لا تَقعُ على وجهٍ، يُستَحقُّ بها المَدحُ.

وقيلَ: لا يَحكُمُ بِهدايتِهم، لكوْنِهِمْ كُفاَّراً.

***

(١) إبراهيم: ٢١.

(٢) الأعراف: ٣٠.

(٣) في (هـ) و(أ): الهدي. بالياء المثناة من تحت.

(٤) الأعراف: ٢٩.

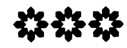
(٥) البقرة: ٢٦٤.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْـقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

إخبارٌ منهُ ـ تعالى ـ إنَّه لا يَهدي أحَداً ـ مِمَّنْ ظَلَمَ نفسَهُ، وَكَفَرَ بآياتِ الله، وجَحَدَ(٢) وحدَانيتَهُ ـ إلى الجنَّةِ، كَما أَنَّهُ يَهْدِي المؤمنينَ.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْـقَوْمَ الْـفاسِقِينَ﴾ (٣).

أي: لا يَحكُمُ للفَاسقِ بأَنَّهُ مُهتدٍ، ولا يُجري عَليهِ مثلَ هذهِ الصِّفَةَ، لأنَّها صفةُ مدحٍ.



(١) البقرة: ٢٥٨. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٢) في (أ): جحدوا. بإسناده إلى واو الجماعة.

(٣) المائدة: ١٠٨ وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

فصل [ـ ٧ ـ]

[في نسبة الهدى إلى الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ﴾[١].

لمْ يقُلْ: ليسَ إلَيكَ. فَسَقطَ[٢] التَّعَلُّقُ، وذلكَ إنَّه إذا[٣] قالَ: عليك كذا، فإنَّما مَعناهُ: إنَّه يَجبُ عليكَ كذا. كَقولِهِ: ﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ﴾[٤]. ولا يلزَمُ النَّبيَّ ـ عليهِ السلام ـ هِدايةُ أولئكَ[٥]. وإنَّما عليهِ التَّبليغُ، لقولِهِ: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٦].

ويُفسِّرونَ «الهُدَى» بالفِقهِ[٧]، والثَّوابِ.

ثمَّ قالَ: ﴿وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[٨].

---

(١) البقرة: ٢٧٢.

(٢) في (ش): فسقوط.

(٣) في (ش): إذْ.

(٤) آل عمران: ٩٧.

(٥) العبارة: «أولئك... الله» ساقطة من (أ).

(٦) الأنعام: ٩٠.

(٧) في (ح): بالتفقّه.

(٨) البقرة: ٢٧٢.

قالَ ابنُ الاخشيد،[١]، والزَّجّاجُ[٢]: إنَّما علَّقَ الهدايةَ بِالمشِيئةِ لِمَن كانَ في المعلُومِ، أنَّه يصلُحُ باللُّطفِ، وليسَ كلُّ أحدٍ يصلُحُ بهِ، فلذلكَ جاءَ الاختصاصُ بالمشِيئَةِ.

وقال الجُبَّائيُّ[٣]: الهِدايةُ ـ في الآيةِ ـ هُوَ إلى طَرِيقِ الجَنَّةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[٤].

قالوا: كانَ النَّبيُّ ـ عليه السلام ـ يُحِبُّ إسلامَ أبي طالبٍ، ويَكرَهُ إسلامَ الوَحشيِّ، فنزلتِ الآيةُ[٥] في أبي طالبٍ ونَزَلتْ[٦] في الوَحشِيِّ[٧]: ﴿يا عِبادِيَ

---

(١) قول ابن الأخشيد هذا محمولٌ على أحد الوجوه على المعتزلة مطلقاً كما في التفسير الكبير: ٧: ٧٧.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٨٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٨٥ـ٣٨٦.

(٤) القصص: ٥٦.

(٥) جامع البيان: ٢٠: ٩٢ بروايات مختلفة. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٢٥٩. ثم أنظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٢٦ ـ ٢٢٧. الدر المنثور: ٦: ٤٢٨ ـ ٤٢٩ وفي الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٩٩: أجمع جلُّ أهل التفسير أنها نزلت في أبي طالب.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): نَزَلَ.

(٧) في (ش): حشي.

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [١]. فَلَمْ يُسلمْ أبو طالبٍ، وأسْلَمَ الوَحشِيُّ [٢].

فَلَوْ جازَ للنَّبيِّ ـ عليه السلام ـ أنْ يُخالِفَ اللهَ ـ تعالى ـ في إرادَتـهِ، لجَازَ أن يُخالِفهُ في أوامرِهِ، ونواهيهِ.

وإذا كانَ [اللهُ] [٣] لَمْ يُرِدْ إيمانَهُ، وأرَادَ كُفرَهُ، وأرَادَ النَّبيُّ ـ عليه السلام ـ [٤] إيمانَهُ، فَقَدْ حَصَلَ غايةُ الخِلَافِ بَينَ إرَادَتي الرَّسُولِ، والمُرسِلِ. اِبنُ رِزِّيك [٥]:

ولَـوْ لَمْ يَكُـنْ [٦] قَـدْ شَـاءَ طَاعَـاتِهم لَـمَا	أتَـاهُمْ بِهَـا عَـنْ رَبِّهـم مُطلَـقُ الأمـرِ
يُوافِـقُ إبلِـيسَ اللَّعِـينَ بِـزَعمِهِمْ	بِغَيرِوفاقِ المُصْطَفَى/ ٦٩/ العَلَمِ الطُّهْـرِ [٨]
وَحِـينَ أرَادَ الكُفـرَ مِـنْ مَعشَرٍ فَلِـمْ	دَعَـاهُمْ إلى الإيـمانِ؟ هـذا مِـنَ الهُجْـرِ [٩]
وَماحَاجَةُ الدُّنيا إلى الرُّسْلِ حِيثُ [٧] مَـنْ	تَـوَفَّى بِهِـمْ إيمانُهـم سَـبَبَ الكُفْـرِ

***

(١) الزُّمَر: ٥٣.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٢٢٧، ٢٤٩. الدر المنثور: ٧: ٢٣٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٢٦٨.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٥) أخلَّ بها ديوانه بتحقيق محمد هادي الأميني.

(٦) في (ك): تكن.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): حين.

(٨) في (أ): الطهير.

(٩) في (ك): الفجر.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [1].

الإيمانُ لَيسَ بِهُدَىً مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ إيماناً، وَلَيسَ فيهِ تخصِيصٌ. ولا يَصُحُّ أنْ يكونَ هُدىً على مذهَبِهِمْ، لأنَّ العبدَ ـ عندَهُمْ ـ غيرُ مُختَارٍ.

و﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيسَ بِهُدىً لغَيرِهِمْ.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ﴾ [2].

أي: بيانَاً، وَدِلالَـةً أنَّ اللهَ ـ تعـالى ـ هَـدَى الكـافِرَ إلى الإيـمانِ، كَـما هَـدَى المُؤمِنَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [3].

منْ فَتَحَ اليَاءَ، أرَادَ: أنَّ الله، لا يَهدِي مَنْ يُضِلُّهُ. أوْ قُلتَ: إنَّ مَنْ أضـلَّهُ اللهُ لا يَهْتَدِي.

وَمَنْ ضَمَّ اليَاءَ، أرَادَ: أنَّ مَنْ حَكَـمَ اللهُ بِـضَلَالِهِ، وَسَـمَّاهُ ضـالَّاً، لا يَقـدِرُ أحدٌ [4] أنْ يَجعَلَهُ هَادِياً. أو قُلتَ: إنَّ مَنْ أضَـلَّهُ اللهُ لا يَقـدِرُ أحـدٌ [5] عـلى هِدَايتِـهِ

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) آل عمران: ٤.

(٣) النحل: ٣٧.

(٤) في (هـ): أحَداً. بتنوين النصب.

(٥) في (هـ): أحداً. بتنوين النَّصب.

إلَيها، ولا يَقدِرُ هُوَ ـ أيضاً ـ عَلَى أنْ يَهتديَ إليها.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْـمُسْتَقِيمَ﴾[1].

اللَّفظُ[2]، لا يُنبِئُ عن أنَّهُ يَفعَلُ خِلافَهُ[3]، وإنَّما يَسألُهُ ـ عَنْ ذلكَ ـ المُؤمِنُونَ[4]. وَلَوْ كانَ المُرادُ بِهِ الإيمانُ، لَمْ يَكُنْ لِسُؤَالِهِم ـ ما أعْطَوهُ ـ معنىً، ولَكانَ الواجِبُ أنْ يَقُولَ ذلك مَنْ لَمْ يُعطِهِ. والظَّاهِرُ يدُلُّ علَى الاستقبالِ.

وقالَ مَجُوسِيٌّ لأِميرِالمؤمنين[5] [ـ عليه السلام ـ[6]]: كيفَ أدْخُلُ في دِينٍ، لَمْ يَهتَدِ أربابُهُ، حَيثُ لا يَزالونَ، يَقُولُونَ: ﴿اهْدِنَا﴾، ﴿اهْدِنَا﴾؟

فأجَابهُ ـ عليه السلام ـ: إنَّ مَعناهُ: ثبِّتنَا.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ﴾[7].

---

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) في (هـ): اللفظ أنّه لا ينبئ.

(٣) في (هـ): بخلافه. مع حرف الجر (الباء).

(٤) في (هـ): المؤمنين. بالياء.

(٥) مجمع البيان: ١: ٢٧ بلا عزو.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ).

(٧) البقرة: ٣٨.

أي: جَعَلَ الإتِّباعَ إلى المَخلُوقِ. ولَوْ كانَ مِنَ الله ـ تعالى ـ، لَقالَ: فمَنْ أتبَعتُهُ[1] هُدايَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾[2].

يزيدُ الّذين اهتَدُوا إلى طاعَةِ الله، واجْتِناب معاصِيهِ، هُدَىً.

ووجهُ الزِّيادةِ لهُمْ فيهِ أنْ يفْعَلَ بِهِمْ الألطافَ الّتي يستَكْثِرُون[3] ـ عندها ـ الطاعاتِ، بما يُبيِّنُهُ لَهُم من وجهِ الدِّلالاتِ، والأُمُورِ الدَّاعيةِ إلى فعلِ الخَيْرَاتِ.

وقيلَ: زيادةُ الهُدَى، هي بإيمانِهِم بالنَّاسِخِ، والمنسُوخِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[4].

معناهُ: إنَّهُ لا يَهْدِي إلى طريقِ الجَنَّة، أو: لا يحكُمُ بهدايتِهِ إلى الحقِّ مَنْ هُوَ كاذبٌ على الله، بأنَّهُ أمَرَهُ باتِّخاذِ الأصنامِ.

***

(١) في (ش): أتبعه.

(٢) مريم: ٧٦.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): تستكثرون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) الزّمر: ٣.

قولُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾(١). أي: سَتَّارٌ لِمَنْ تابَ من المعاصي، فَأُسْقِطُ عقابَهُ، وأَسْتُرُ عليهِ معاصِيَه، إذا أضافَ إلى إيمانِهِ الأعمالَ الصَّالحةَ.

وقال قَتادَةُ(٢): معناهُ: لَزِمَ الإيمانَ إلى أن يموتَ، كأَنَّهُ قال: ثُمَّ اسْتَمَرَّ على الاستقامةِ. وإنَّما قيلَ ذلك، لئلّا يَتَّكِلَ الإنسانُ على أَنَّهُ كانَ أخلَصَ الطَّاعَةَ.

وفي تفسيرِ أهلِ البيتِ(٣) ـ عليهم السلام ـ: ثُمَّ اهتدى إلى وِلايةِ [أوليائهِ الَّذين أوجبَ اللهُ طاعتَهُم والانقيادَ لأمْرِهِم.

قالَ ثابتُ البَنَاني: ثُمَّ اهتدى إلى ولاية](٤) أهلِ البيتِ ـ عليهم السلام ـ(٥).



---

(١) طه: ٨٢.

(٢) جامع البيان: ١٦: ١٩٤.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٣٣ منسوباً إلى أبي جعفر الباقر (عليه السلام). تفسير نور الثقلين: ١: ٢٢ - ٢٥. البرهان في تفسير القرآن: ١: ٥٠ ـ ٥٢.

(٤) ما بين المعقوفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٥) البرهان في تفسير القرآن: ١: ٥١ معزواً إلى ثابت الثمالي عن زين العابدين (عليه السلام).

فصل [ـ ٨ ـ]

[في نسبة الهدى إلى الله]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ [1].

أي: لدِينِهِ، وإيمانِهِ: بأنْ يَفْعَلَ لَهُ لُطْفاً، يختارُ عندَهُ الإيمانَ، إذا عَلِمَهُ[2] لَهُ أهلاً.

وقيل: يَهْدِي اللهُ لنُبُوَّتِهِ من يشاءُ ممَّن يعلمُ أنَّهُ يصلحُ لها.

وقيل: يحكمُ بإيمانِهِ لمن يشاءُ، ممّن آمنَ بهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً[3] فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [4].

أي: مَنْ لم يجعلِ اللهُ لَهُ نُوراً في قلبِهِ، ويهدِهِ بهِ، فما لهُ من نُورٍ يَهْتدي بهِ.

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): عَلِمَ.

(٣) العبارة «نوراً... له» ساقطة من (أ).

(٤) النور: ٤٠.

وقيل: مَنْ(١) لم يجعل اللهُ(٢) لهُ نوراً - يوم القيامةِ - يهدِيْهِ [إلى الجنَّـةِ، فـما لـهُ من نُورٍ يهدِيهِ إليها](٣).

***

قولُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ﴾(٤).

أخبرَ أنَّهُ يخُصُّ - بذلك - الـمُتَّبِعُ لِرِضْوانِهِ. والـمُتَّبِعُ لرِضْوانِهِ قـد حـصلَ لهُ البيانُ، والإيمانُ.

***

قولُـهُ - سُـبْحَانَهُ -: ﴿وَأَمَّـا الَّـذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ فَـزادَتْهُمْ رِجْـساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَماتُوا﴾(٥).

الظَّاهرُ أن تكـونَ(٦) الآيـاتُ زادَتْهُـم الـرِّجْسَ بالحقيقـةِ، ولا خِـلافَ أنَّ الآياتِ، لا فِعْلَ لها في الحقيقةِ، وأنَّ اللهَ زادَهُم رِجْساً بالآياتِ، نحـوَ مـا ادَّعُـوهُ.

---

(١) (منْ) ساقطة من (أ).

(٢) لفظة (الله) سقطت من (ح).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) المائدة: ١٥.

(٥) التوبة: ١٢٥.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يكون.

وهذا فاسِدٌ، لأنَّ عندَهُم [أنَّ الآياتِ](١)، غيرُ مُوجبَةٍ للرِّجسِ، ولا يصُحُّ أن يَزِيدَهُم اللهُ الرِّجْسَ بالآياتِ(٢)، وإنَّما يَزِيدُهُم ذلك بالقُدرَةِ، الموجِبَةِ لذلك. ولا يُجيزُ أَحَدٌ منهُمْ أنْ تَزِيدَهُمْ الآياتُ رِجْساً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾(٣)، وقوله: ﴿قُلْ لِلهِ الْـمَشْرِقُ وَالْـمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾(٤).

الهُدَى، أصلُهُ الدِّلالةُ، وهو من فِعْلِهِ، بلا خلافٍ. فإذا هَدَى الكُلَّ، صَحَّ وَصْفُهُ / ٧٠/ بأَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يشاءُ، كما لو هَدَى البَعْضَ، صَحَّ ذلك فيهِ.

ويدُلُّ على أنَّهُ هَدَى الجميعَ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾(٥)، ﴿هُدىً لِلنَّاسِ﴾(٦).

والخَصْمُ مُعترِفٌ بأنَّ الهُدَى ـ في الآيةِ ـ بمعنى الدِّلالةِ، لأوَّلِها، لأنَّهُ بَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرينَ، ومُنْذِرينَ.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) في (ح): بالرِّجس الآيات.

(٣) البقرة: ٢١٣.

(٤) البقرة: ١٤٢.

(٥) الإنسان: ٣.

(٦) البقرة: ١٨٥. آل عمران: ٤. الأنعام: ٩١.

وقـال[١] : ﴿إِخْتَلَفُـوا بَغيـاً﴾ [٢] وَعَـدْواً، لا جَـبْرَاً . إذ مُحـالٌ أن يقـول : ﴿جاءَتْهُمُ الْـبيِّناتُ﴾ [٣]، ولم تأْتِهِم[٤]. أو يقولُ: كانُوا غيرَ مُتَمَكِّنين من التَّبيينِ.

كما أَنَّهُ محالٌ أن يقولَ: أتيتُ زيداً بكتابٍ، فلم يَقْرَأْهُ بَغياً، وعُـدْوَاناً. وهـو غيرُ مُتَمَكِّنٍ من قراءَتِهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ فَللهِ الْـحُجَّةُ الْـبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ﴾ [٥] .

على سبيل الجَبْرِ. وَلَم يَقُلْ: لاهْتَدَيْتُمْ. والهدايةُ، إنَّما هـوَ البيـانُ، والدَّلالـةُ، لأَنَّهُ هَدَى الجميعَ بِمعْنَاهما. أو الفَوْزُ، والنَّجاةُ. ولا خِلافَ في أَنَّهُ لو شَاءَ، لَنَجَّـى جميعَهُمْ، ولأَثَابَهُمْ.

أو الإيمانُ، والدِّينُ. ولا يصُحُّ ذلك، لأَنَّهُ لا يُقالُ ـ فِيمَنْ جَـبَرَ غَـيْرَهُ عـلى أمرٍ ـ قَدْ هدَاهُ، وإنَّما يُقالُ ذلك إذا أرْشَدَهُ إليهِ، ودَلَّهُ عليهِ.

ومعنى الآيةِ: أَنَّهُ حَكَى عن قولِ الكُفَّارِ، فقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ

---

(١) في (هـ): قالوا.

(٢) الجاثية: ١٧.

(٣) البقرة: ٢١٣.

(٤) في (هـ): تأتيهم. بإثبات الياء عند الجزم.

(٥) الأنعام: ١٥٠.

أَشْرَكُوا﴾[١]. فجَعَلَهُم ـ في قوله: ـ إنَّهُ ﴿لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكُوا﴾[٢]، ولا حَرَّمُوا شَيئاً ـ كاذِبينَ[٣].

فوَجَبَ أن يكونَ اللهُ بتكذِيبِهِ إيَّاهُمْ ـ فيما ادَّعَوا ـ مُرِيداً لإيمانِهِم، كارِهاً لما هُمْ عليهِ من الشِّرْكِ. فلمَّا كَذَّبَهُم، قال: ﴿قُلْ فَللهِ الْـحُجَّةُ الْـبالِغَةُ﴾[٤]. إذْ كانُوا أشْرَكُوا مِنْ جهةِ أنْفُسِهِم مِنْ غَيْرِ أن يكونَ أرادَ مِنهُمْ الـشِّرْكَ، أو أمَـرَهُم بـهِ، أو حَمَلَهُم عليهِ. إذْ لو فَعَلَ شيئاً من ذلك، لكانَ لَهُم الحُجَّةُ عليه.



(١) الأنعام: ١٤٨.

(٢) الأنعام: ١٠٧

(٣) في (ش): اِذبين.

(٤) الأنعام: ١٥٠.

فصل [ـ ٩ ـ]

[في نسبة الضَّلال]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ﴾[١]، ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ﴾[٢].

اِعْلَمْ أنَّ «ضَلَّ»[٣] لازمٌ. يُقالُ: ضَلَّ[٤] الشَيءُ. أي: ضَاعَ، وهَلَكَ، قولـه: ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْـحَياةِ الدُّنْيا﴾[٥].

وبمعنى: العذابِ. ﴿إِنَّ الْـمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾[٦].

وبمعنى: إبطالِ العَمَل. ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَـهُمْ﴾[٧].

ومُتَعَدٍّ، نحو: ضَلَّ[٨] فلانٌ الطَّريقَ. أي: لم يَهْتَدِ لهُ، قولـه: ﴿إِنَّ رَبَّـكَ هُـوَ

(١) السجدة: ١٠.

(٢) الجاثية: ٢٣.

(٣) في (هـ): ظلَّ. بالظاء المعجمة.

(٤) في (هـ): ظلَّ. بالظاء المعجمة.

(٥) الكهف: ١٠٤.

(٦) القمر: ٤٧.

(٧) محمّد: ٤.

(٨) في (هـ): ظلَّ. بالظاء المعجمة.

أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[١].

وقد جاءَ: «أَضَلَّ» على وُجُوهٍ:

أَضَلَّهُ فلانٌ: أَهْلَكَهُ، قوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٢].

وبمعنى: أضلَّ الرَّجُلُ دابَّتَهُ. أي: ضَلَّتْ عَنْهُ. قال الشَّاعِرُ[٣]:

هُبُوني اِمْرَأً منكُمْ أضلَّ بَعِيرَهُ [لَهُ ذِمَّةٌ إنَّ الذِّمامَ كَبِيرُ]

فالألفُ، لِلْفَرْقِ بين ما لا يُفارِقُ مكانَهُ، وبينَ ما يُفارِقُ.

وبمعنى: أَنَّهُ ضَلَّ منهُ، لا من غيرِهِ. كما يقولونَ: أضلَّتْ فُلانَةٌ فُلاناً، وأذهَبَتْ عَقْلَهُ. وهي لا تَعْرِفُهُ، لكنَّهُ فَسَدَ، وذَهَبَ عقْلُهُ من أجلِها، وعندَ رؤيتِهِ إيّاها، نُسِبَ إليها.

وبمعنى: الحُكْمِ عليهِ، بالضَّلالِ، والتَّسميةِ: أضلَّهُ فلانٌ. أي: سَمّاهُ ضالًا. مثلُ: أَكْفَرَهُ. إذا نُسِبَ[٤] عليه[٥].

قال الكُميتُ[٦]:

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) محمّد: ١.

(٣) هو قيس بن الملوَّح. أُنظر ديوان مجنون ليلى: ١٣٩. ومنه تمام البيت.

(٤) في (أ): نسبتْ.

(٥) في (هـ): إليه. وفي هامشها: عليه. وبجانبها كلمة (صح).

(٦) شرح شميات الكميت بشرح أبي رياش القيسي: ٥٣. وفيه: (أكفرتني).

فطائفَــةٌ قَــد أكْفَــروني بِحُــبِّكُمْ [وطائِفَــةٌ قَــالُوا: مُــسِيءٌ وَمُــذْنِبُ]

وقوله: ﴿فَما لَكُمْ فِي الْـمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ...﴾ الآية[١]، وقولـه: ﴿أَتُرِيـدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ﴾ [٢].

وبمعنى: الوِجْدَانِ: أَضْلَلْتُ[٣] فُلاناً. قوله: ﴿أَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ﴾ [٤].

وبمعنى: أنْ نَفْعَلَ[٥] ما عندَهُ يَضِلُّ العَبدُ[٦]، أو لأجلِهِ، فيَنسُبُ ضَلالهُ إلى نفسِهِ، كقولِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾ [٧]. ولا فِعْلَ للأصنامِ.

وبمعنى: تَشْدِيدِ الامتحان. مثلُ أنْ يُسْأَلَ الرَّجُلُ شيئاً نَفِيساً، فـإذا بَخِـلَ بِهِ، قِيلَ لهُ: قد بَخَّلَكَ فلانٌ. يُريدونَ بهِ: عَيْبَ المسؤولِ، لا الـسَّائِلِ. ويقولـونَ: أفْسَدْتَ فِضَّتَكَ في النَّارِ. أي: فَسَادُها عِنْدَ مِحْنَتِهِ[٨].

وقوله: ﴿وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ...﴾ [٩] إلى قولـه: ﴿... كَـذلِكَ يُـضِلُّ

---

(١) النساء: ٨٨.

(٢) النساء: ٨٨.

(٣) في (هـ): أظللت. بالظاء المعجمة.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) في (هـ): يفعل. بياء المضارعة المثناة من تحت. وفي (ح): تفعل. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) في (هـ): للعبد. مع حرف الجرّ (اللام).

(٧) إبراهيم: ٣٦.

(٨) في (ش): مجنّته. بالجيم المعجمة من تحت بعدها نون موحّدة من فوق مشدّدة.

(٩) المدّثر: ٣١.

اللهُ مَنْ يَشاءُ﴾ (١)، بَيَّنَ أنَّ إضْلالَهُ للعبدِ يكونُ - على هذا الوجهِ مِنْ إنزالِهِ آيةً مُتَشابِهَةً، وتكليفِهِ إيّاهُمْ - أمراً لا يَعْرِفُونَ الغَرَضَ فيهِ.

وبمعنى: الصَدِّ عَنِ الخَيْرِ، والرُّشدِ، والدُّعاءِ إلى الفسادِ، مثلُ قولِه: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٢)، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ (٣).

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً...﴾ (٤) إلى قولِه: ﴿... يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ (٥). يعني: بِضَرْبِ المَثَلِ. ثمَّ قالَ: ﴿وَما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ﴾ (٦). ولا خلافَ أنَّهُ لا يُضِلُّ - بضربِ المَثَلِ - أحداً وإنّما يُضِلُّ المُكَلَّفَ عِندَ ذلك.

وبمعنى: الحِرْمانِ. قولُهُ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ (٧).

ويَتَعَدّى لَفْظَةُ «أَضَلَّ» إلى مفعولينِ، وهو يأتي مع أداةٍ، وبغَيْرِها. فيقالُ: أَضَلَّهُ الطَّرِيقَ، وعن الطَّريقِ. قولُهُ: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ (٨)، وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ

(١) المدّثر: ٣١.

(٢) طه: ٨٥.

(٣) طه: ٧٩.

(٤) البقرة: ٢٦.

(٥) البقرة: ٢٦.

(٦) البقرة: ٢٦.

(٧) الأنعام: ١٢٥.

(٨) الأحزاب: ٦٧.

سَبِيلِهِ﴾[١].

فهذا الإضلالُ، بمعنى[٢] الإعراضِ عنِ الحَقِّ.

وإذا كان الضَّلالُ [لَفْظاً][٣] مُشْتَرَكاً[٤]، فلايجوزُ أن يُنْسَبَ إليه[٥] أقْبَحُها، وهو ما أضافَهُ إلى الشَّيطانِ، بل ينبغي أن يُنسَبَ أحْسَنُها، وأجْمَلُها، وليس شيءٌ من هذا الجِنْسِ، مُضافاً إلى الله ـ تعالى ـ لأنَّهُ ليس فيه أنَّهُ أضَلَّ عن الدِّينِ، أو عنِ الحقِّ. وإنَّما يَجيءُ مُطلقاً، غيرَ مَقْرونٍ بما ضَلَّ عنهُ، كقولِهِ: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ﴾[٦]، ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ﴾[٧].

وقولُهُمْ: ﴿أَضَلَّهُ اللهُ﴾[٨]، جائزٌ بمعنى: العذابِ، والإهلاكِ، والحُكْمِ، والتَّسْميةِ، والوِجدانِ، والمُصادَفَةِ، وبمعنى: أنْ يُفْعَلَ ما يُضِلُّ العبدَ، فيُضيفُهُ إلى نفسِهِ.

ولا يجوزُ بمعنى: خَلْقِ الضَّلالِ فيهِ، أو خَلْقِ ما يُوجِبُهُ مِنْ قُدْرَةٍ، وغيرِهَا.

---

(١) الزّمر: ٨.

(٢) (بمعنى) سقطت من (ح).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) في (ش): مشترك. وفي (ك) و(أ): لفظ مشترك.

(٥) في (ك): إلى.

(٦) الرعد: ٢٧. النحل: ٩٣. فاطر: ٨.

(٧) الجاثية: ٢٣.

(٨) في (ح): أضلهم.

كما يقولُ المُجْبِرَةُ[(١)].

وعند بعضهم: يجوزُ أنْ يُضِلَّ، بمعنى: التَّلبيسِ. وعندَ بعضِهم: يجوزُ أنْ يُضِلَّ عنِ الدُّنيا ابتداءً. قال بعضُهم: لا يجوزُ ابتداءً. وكُلُّها باطلٌ من وُجُوهٍ:

وذلكَ أنَّهُ لا يقالُ ـ في اللُّغةِ ـ: أضلَّهُ، بمعنى: خَلَقَ فيهِ الضَّلالَ، أوْ خَلَقَ فيهِ ما يُوجِبُ الضَّلالَ، ولا سائرِ أقوالِهم، لأنَّ العَرَبَ تقولُ: أضَلَّهُ فلانٌ عنِ الطَّريقِ، إذا لَبَّسَ عليهِ بِشُبَهٍ[(٢)].

ولا يقالُ ـ لمن رَدَّ غيرَهُ عنِ الطَّريقِ قَهْراً ـ: إنَّهُ أضلَّهُ. إنّما يُقالُ: رَدَّهُ، وصَرَفَهُ، ونَحْوَهُما[(٣)].

والإضلالُ ـ في الدِّينِ ـ لا يجوزُ من الله ـ تعالى ـ بحالٍ، لأنَّهُ لا يصُحُّ التَّكليفُ إلّا مع البيانِ. والإضلالُ، هو التَّلبيسُ، والتَّلْبيسُ، والبَيَانُ، متضادَّانِ.

ولو أضَلَّهُم اللهُ هكذا، لم يكنْ للاحتجاجِ عليهم ـ بالرُّسلِ، والكُتُبِ، وإقامَةِ الأدِلَّةِ، والترغِيبِ، والترهِيبِ[(٤)]، والوَعْدِ، والوَعِيدِ ـ معنىً، ولا فائدَةٌ.

***

(١) الملل والنحل: ١: ١٣٣.

(٢) في (هـ): بِشُبْهَةٍ. بصيغة المفرد.

(٣) في (ش): نَحْوَهَا.

(٤) (والترهيب) سقطت من (ح).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حكايةً عن إبليسَ ـ: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾[1].

ذَمَّ إبليسَ، وحِزْبَهُ من حيثُ أَضَلَّ النَّاسَ عنِ الدِّينِ، وأمَرَهُم بالاستعاذةِ منهُ، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ...﴾ السُّورة[2]، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[3]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[4].

فلو كانَ اللهُ يُضِلُّ عبادَهُ عنِ الدِّينِ ـ كما يُضِلُّ الشَّياطينُ ـ لاستحقَّ منَ المَذَمَّةِ مثلَ ما استحقُّوه، ولَوَجَبَتِ الاستعاذةُ منهُ، وأنْ يَتَّخذُوهُ عَدُواً.

وكيفَ يجوزُ أنْ يَذُمَّ إبليسَ، وَحِزْبَهُ، لأمرٍ يَتَعَاطى مِثْلَهُ، وهوَ أوَّلُهُ، وآخِرُهُ؟

وإنَّهُ أضافَ الإضلالَ عنِ الدِّينِ إلى جماعةٍ، وذَمَّهُم لذلكَ، فقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾[5]، ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾[6]، ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً﴾[7]. أي: إبليسُ. ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ

---

(١) النساء: ١١٩.

(٢) الناس: ١.

(٣) المؤمنون: ٩٧.

(٤) النحل: ٩٨.

(٥) النّمل: ٢٤.

(٦) النّساء: ١١٩.

(٧) يس: ٦٢.

قَوْمَهُ﴾(١)، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾(٢)، ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾(٣).

أي: الأَصْنَامُ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾(٤)، ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(٥)، ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾(٦).

فهؤلاءِ الَّذين ذَمَّهُم اللهُ إمَّا أنْ يكونُوا قد أَضَلُّوا غيرَهُم عنِ الدِّينِ ـ في الحقيقةِ ـ دُونَ الله، أو يكونَ اللهُ قَدْ أَضَلَّهُم دُوْنَ هؤلاءِ(٧)، فهو ـ سبحانه ـ مُتَقَوِّلٌ(٨) عَلَيْهِم(٩)، وعَابَهُم بما هُوَ فيهِ دُوْنَهم، وذَمَّهُم بما لم يَفْعَلُوه.

وبهذا الوجهِ، يقولُ القَدَرِيَّةُ، ويزعُمُونَ أَنَّ إبليسَ، وجُنُودَهُ، لم يُضِلُّوا أحداً عنِ الدِّينِ ـ في الحقيقةِ ـ دونَ الله، وإنَّما أَضَلَّهُم اللهُ، دونَ هؤلاءِ، لأنَّ

---

(١) طه: ٧٩.

(٢) طه: ٨٥.

(٣) إبراهيم: ٣٦.

(٤) فصّلت: ٢٩.

(٥) الزّخرف: ٣٧.

(٦) الأنعام: ١١٦.

(٧) في (أ): مَالا.

(٨) في (ك) و(أ): مَنقول. بالنون الموحدة من فوق بعد الميم.

(٩) في(ش): عَنْهم. يقال: تقوَّل عليه. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾ الحاقّة: ٤٤.

هؤلاءِ، لا يَقْدِرونَ على الإضلالِ، بحالٍ.

وإذا كان اللهُ، مُشارِكاً لَهُم في ذلك، كيفَ يجوزُ أنْ يَذُمَّهُم بِفِعلٍ، هُوَ شَرِيكُهُم، قد ساواهُمْ فيهِ، وإنْ يستَحِقُّوا[1] المَذَمَّةَ، وَجَبَ لَهُ مثلُ ما استحقُّوهُ. [قالَ][2] الشَّاعرُ[3]:

أإثْنانِ يَبْدُو مِنهُما الفِعْلُ واحداً يُلامُ عليهِ ذا، وذلكَ يُحْمَدُ[4]؟

وإنَّهُ بيَّنَ: أنَّهُ يُضِلُّ الظَّالمينَ، وأنَّهُ لا يُضِلُّ إلّا الفاسِقِينَ، وأنَّهُ لا يَهْدِي الكافِرِينَ، والفاسِقِينَ، والظَّالمين، وأنَّهُ يُضِلُّ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرتابٌ، وأنَّهُ يَهْدِي قَلْبَ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ، وأنَّ مَنْ يُجاهِدُ فيهِ، يَهْدِيهِ سُبُلَهُ.

فلو كانَ اللهُ، هُوَ المُضِلُّ ـ ابتداءً ـ لكانَ جميعُ هذهِ الآيات باطِلاً، لأنَّهُ قد يَرْتَدُّ المُسْلِمُ، وَيَكْفُرُ، ويُؤْمِنُ الكافِرُ، ويتوبُ، والضَّالُّ لا يُضَلُّ.

وعلى قضيَّةِ قولِهِم، يجبُ أنْ يقولَ: إنِّي لا أُضِلُّ إلّا المُؤْمنَ، ولا أهدِي إلّا الكافِرَ.

وإنَّهُ نَفى الإلهيَّةَ عمَّا سواهُ مِمَّا كانُوا يعبدُونَهُ، فقالَ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ

---

(١) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): إستحقّوا. بصيغة الماضي.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): شاعر. من دون (أل).

(٤) لم نقف على قائله ولا مظنّة وروده.

شُرَكائِكُمْ﴾(١).

فلو كان يُضِلُّ عنِ الحَقِّ، لكانَ قد ساوَاهُم في الإضلالِ، وفيما لأجلِهِ نَهَى عنِ اتِّباعِهِم، بل أرْبَى عَلَيهِمْ.

[والإضلالُ](٢) في الدِّينِ ـ على سبيلِ التَّلبيسِ ـ إنَّما يَفعَلُهُ العاجِزُ عنِ الصَّدِّ(٣)، والمنعِ، كالشيطانِ، فإنَّهُ لو قَدَرَ على المنعِ، لما اجْتَهَدَ بالحِيْلَةِ، والوَسْوَسَةِ. واللهُ ـ تعالى ـ غيرُ عاجِزٍ، فلا يُضِلُّ عنِ الدِّينِ على سبيلِ التَّلْبيسِ.

وإنَّهُ إنَّما أضافَ ما أضافَهُ / ٧٢/ إلى نفسِهِ مِنَ الإضلالِ مُطْلَقاً، غَيْرَ مَقْرُونٍ بما أضَلَّ عَنْهُ. ولم يَقُلْ في آيَةٍ: إنَّهُ أضَلَّ، أو يُضِلُّ عنِ الدِّينِ. وإنَّما قالَ: أضَلَّ، أو يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

وإذا وَرَدَ ـ مُطلقاً ـ كان معناهُ الإهلاكَ، والإبطالَ. كما أنَّ لفظَةَ «ضَلَّ»(٤)، إذا وردَتْ كانَ مَعنَاهَا الهَلاكَ، والبُطْلانَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ في خمسةِ مواضِعَ

(١) يونس: ٢٨، ٣٤، ٣٥، الروم: ٤٠.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) في (ش): الضّدّ. بالضاد المعجمة.

(٤) في (هـ): ظلَّ. بالظّاء المعجمة.

مِنَ القُرآنِ(١).

يَعْني: يُهْلِكُ، ويُنْجِي. ولا يجوزُ فيها غيرَ ذلك لِمُقتضى أُوْلَاها، وأُخْراها، ولأنَّهُ مُطْلَقٌ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾(٢).

يَحْتَمِلُ أمرينِ:

أحدَهُما: إنَّهُ يَحْكُمُ بِضَلالِ مَنْ يشاءُ إذا ضَلُّوا هُم عَنْ طريقِ الحقِّ.

والثاني: يُضِلُّهُم عَنْ طريقِ الجنَّةِ، إذا كانوا مُسْتَحِقِّينَ للعقابِ، ويَهْدي مَنْ يشاءُ إلى طريقِ الجنَّةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾(٣).

أي: بِضَرْبِ المَثَلِ [للّذينَ](٤) كَفَرُوا. ولم يَقُلْ: يُضِلُّ عَنِ الدِّينِ بِهِ.

---

(١) الرّعد: ٢٧. إبراهيم: ٤. النحل: ٩٣. فاطر: ٨. المدّثّر: ٣١.

(٢) إبراهيم: ٤.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السّياق.

الصَّاحِبُ(١):

يُـــضِلُّ عَـــنْ ثَوابِـــهِ أعْـــدَاءَهْ
وَإنَّـــما صَـــيَّرَهُ جَـــزَاءَهْ(٢)
ولم يُـــرِدْ في حالـــةٍ إغْـــواءَهْ
بَـــلْ جَلَـــبَ الإنـــسانُ مـــا قَـــدْ شَـــاءَهْ(٣)

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾(٤).

ليس فيها أَنَّهُ أَضَلَّ قَوْماً، أو يُضِلُّهُمْ، ولا أَنَّهُ(٥) يُرِيدُ ذلكَ، ولم يَقُلْ: وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ عن الدِّينِ. وإنّهُ بَيَّنَ على جهةِ الجَزَاء.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ﴾(٦)، ولم يَقُلْ: عَنِ

(١) ديوان الصاحب بن عبّاد: ٥٧.

(٢) في الدّيوان: ولم يصيِّرْهُ لَهُ جزاءَهُ.

(٣) في الديوانك ما قد سَاءَه. بالسين المهملة.

(٤) الأنعام: ١٢٦.

(٥) في (أ): وَلأنَّهُ.

(٦) الأعراف: ١٥٥.

الدِّينِ. وإنَّ «هِيَ»، تَرْجِعُ إلى مُتَقَدِّمٍ، ولا مذكورَ مَتَقَدِّمٌ، إلّا الرَّجْفَةَ. قال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾[1].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[2]، إلى طريقِ الجَنَّةِ.

والثّاني[3]: مَنْ يَخْذِلْهُ اللهُ عُقُوبةً على معاصِيهِ، على طريقِ الرَّشادِ، ولم يُوَفِّقْهُ لِحِرْمانِهِ نَفْسَهُ، بسُوءِ اختيارِهِ ـ فلن تَجِدَ لهُ سبيلاً إلى الحقِّ يُفْضِيْهِ[4] إليهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ﴾[5].

ليسَ فيهِ أَنَّهُ أَضَلَّهُ عنِ الدِّينِ. وأضافَ الفِعْلَ إليهِ، ثُمَّ بَيَّنَ أنّ اللهَ أضلَّهُ. أي: عاقَبَهُ.

***

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) النساء: ٨٨، ١٤٣.

(٣) (والثاني) سقطت من (ح).

(٤) في (ش) و(أ): يقضيه. بالقاف المثنّاة.

(٥) الجاثية: ٢٣.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾[١].

والخَصْمُ لا يُجَوِّزُ ذلكَ. ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾[٢]. أي: يُعَذِّبُهُمْ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾[٣].

الإضْلالُ: الدُّعاءُ إلى الضَّلالِ، الّذي يَقْبلُهُ المَدْعُو.

وقال بعضُهُم: إنَّهُ لا يصُحُّ إضْلَالُ أحدٍ لغيرِهِ، وإنَّما يُقالُ ذلكَ على وَجْهِ[٤] المَجازِ، ذَهَبَ إلى أنَّهُ فَعَلَ الضَّلالَ في غيرِهِ، لأنَّهُ لا يُوصَفُ بأنَّهُ مُضِلٌّ لغيرِهِ، إذا ضلَّ المَدْعُوُّ بإغوائِهِ.

وقالَ الرُّمَّانيُّ: هذا غيرُ صحيحٍ، لأنَّهُ يُذَمُّ بالاستدعاءِ إلى الضَّلالِ الّذي لايقبلُهُ المَدْعُوُّ، فلذلك فُرِّقَ بين الاستدعاءَيْنِ، فَوُصِفَ[٥] الآخَرُ بِهِ.

***

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) آل عمران: ٦٩.

(٤) في (أ): وجهه.

(٥) في (ش): وَصَفَ. من دون (فاء).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا﴾[١].

ولم يَقُل: إنَّهُ يُمِدُّهُم. والمَدُّ ـ في الطُّغيانِ ـ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وإنّما يُقالُ: مَدَّ لَهُ في العُمْرِ، وأمَدَّهُ بكذا.

فالمَدُّ إذا أُطْلِقَ، رَجَعَ إلى العُمْرِ، وليس هذا[٢] فِعْلَ مَنْ يُريدُ إضْلالَهُمْ. بل جميعُ ذلكَ دالٌّ على أنَّهُ مُرِيدٌ الخَيْرَ بِهِم، ومُريدٌ مِنهُم الطَّاعَةَ، والرُّجُوعَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

قال الطُّوسيُّ[٥]: مَنْ أطْلَقَ: أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ لا يُضِلُّ، ولا يَهْدِي، أو: أنَّ العِبَادَ، يُضِلُّونَ أنفُسَهم، أو يَهْدُونها، فقد أخْطَأَ.

ونقولُ[٦]: مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ، فهوَ الضَّالُّ، وَمَنْ هَداهُ، فهوَ المُهْتَدِي. ولكن

(١) مريم: ٧٥.

(٢) في (ك): هُنَا.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) إبراهيم: ٢٧.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ١: ١١٥.

(٦) في (هـ): يقول. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

لانُريدُ[١] ـ بذلك ـ ما يُريدُ بهِ المُخَالِفُ فيما يُؤدِّي إلى التَّجويرِ لله في حكمِهِ، لأنَّهُم يقولونَ: إنَّ اللهَ يُضِلُّ كَثيراً مِنْ خَلْقِهِ، بمعنى: أنَّهُ يَصُدُّهُم عن طاعتِهِ، ويَحُولُ بينهم، وبينَ معرِفَتِهِ، ويَلْبِسُ[٢] عليهم الأُمورَ، ويُحَيِّرُهُم، ويُغَلِّطُهُم، ويُشَكِّكُهُم، ويُوقِعُهم في الضَّلالةِ، ويُجْبِرُهُم عليها.

ومنْهُم مَنْ يقولُ: يَخْلُقُها فيهم، ويَخْلُقُ فيهم قُدْرَةً مُوْجِبَةً لَها، ويَمْنَعُهُم الأمرَ الّذي بهِ يَخْرُجُون منها، فيَصِفُونَ اللهَ ـ تعالى ـ بأقبحِ الصِّفاتِ وأخْبثِها.

وقُلنا: إنَّهُ قد أضَلَّ قَوْماً، وَهَدَى آخرينَ، وإنَّهُ يُضِلُّ مَنْ يشاءُ، ويهدي مَنْ يشاءُ. غيرَ أنَّهُ / ٧٣/ لا يشاءُ أنْ يُضِلَّ إلّا مَنْ ضَلَّ، وكَفَرَ ـ كما هُو مقتضى الآياتِ ـ وإنَّهُ لا يشاءُ أنْ يُضِلَّ المؤمنينَ، المُهْتدينَ، المُتمسِّكينَ بطاعتِهِ. بل يشاءُ أنْ يَهْدِيَهُم، ويزيدَهُمْ هُدَىً. وإنَّهُ يهدي المؤمنينَ بأنْ يُخْرِجَهم[٣] من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَآتاهُمْ تَقْواهُمْ﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[٥].



(١) في (هـ): يريد. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٢) لَبَسَ عليه الأمرَ: خلطه عليه حتّى لا يعرف حقيقته «المعجم الوسيط ـ لبس».

(٣) في (أ): نخرجهم. بنون المضارعة الموحّدة من فوق.

(٤) محمّد: ١٧.

(٥) التغابن: ١١.

فصل [ـ ١٠ ـ]

[في نسبة الإضلال]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾[١].

أضافَ الضَّلالَةَ إلى نفسه، ولم يَقُل: بِقَضاءِ رَبِّي، وإرادَتِهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾[٢].

يدُلُّ على بُطلانِ قَوْلِ المُجْبِرَةِ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يفعلُ المعاصِي، ويُرِيدُها[٣]، لأَنَّهُ نَسَبَ إضلالَهُمْ إلى أَنَّهُ بإرادَةِ الشَّيطانِ، على وجهِ الذَمِّ لَهُم.

فلو أرادَ ـ تعالى ـ أنْ يُضِلَّهم بِخَلْقِ الضَّلالِ فيهم، لكانَ ذلك أَوْكَدَ وُجُوهِ الظُّلْمِ [في][٤] إضلالِهِم.

***

(١) سبأ: ٥٠.

(٢) النّساء: ٦٠.

(٣) في (ش): يريدها.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾[١]. خِلافُ مَذْهبِ المُجْبِرَةِ[٢]، لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ نَسَبَهُ إلى الشَّيطانِ، وَهُمْ ينسِبُونَهُ إلى الله ـ تعالى ـ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣]، أي: هُوَ الّذي يُزَيِّنُ الكُفْرَ للكافرينَ، بِخِلافِ ما تقولُ المُجْبِرةُ[٤]: إنَّ[٥] اللهَ، هو المُزَيِّنُ لَهُم ذلك.

وفيها حُجَّةٌ على من قال: إنّ اللهَ ـ تعالى ـ لم يُرِدْ من الكافِرِ الإيمانَ، وإنّهُ أرسلَ الرُّسلَ بَيِّنَةً عَلَيهِم.

وعلى زَعْمِ مَنْ زَعَمَ أنّهُ أخَذَ الكافرينَ بالبأساءِ، والضَّرَّاءِ، في الدُّنيا، ليس لما أراد[٦] من صلاحِهِم، لأنّهُ بَيَّنَ أنَّهُ إنَّما فَعَلَ بِهِم ذلك، لِيَتَضَرَّعُوا، وهذه «لامُ» الغَرَضِ، لأنَّ الشَّكَّ لا يجوزُ عليه ـ تعالى[٧] ـ.

***

---

(١) آل عمران: ١٥٥.

(٢) الملل والنحل: ١: ١٣٦، ١٣٩.

(٣) النمل: ٢٤. العنكبوت: ٣٨.

(٤) الملل والنحل: ١: ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣.

(٥) في (هـ): فإنَّ. مع الفاء.

(٦) في (أ): أرادَهُ. مع الضمير (الهاء).

(٧) (تعالى) سقطت من (ح).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[١].

معناهُ: إنَّهُ دَعَاهُم[٢] إلى عبادَةِ العِجْلِ، فَضَلُّوا عندَ ذلكَ، فنَسَبَ اللهُ ـ تعالى ـ الإضلالَ إليهِ، كما ضَلُّوا بِدُعائِهِ. وَهذا خِلافُ مَذْهَبِهِم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ...﴾[٣] على قولـه: ﴿... قالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكافِرِينَ﴾[٤].

قال الحسنُ: معناهُ: كذلكَ يُضِلُّ أعمالَهُم بأنْ يُبْطِلَها.

وقيلَ: كذلك يُضِلُّ اللهُ الكافرينَ عن نَيْلِ ثوابِ الجَنَّةِ.

وقيل: كذلك يُضِلُّ [اللهُ][٥] الكافرينَ عمّا اتَّخذوهُ آلهـةً بـأنْ يَـصْرِفَهُم عـنِ الطَّمَعِ في نَيْلِ مَنْفَعَةٍ مِنْ جِهَتِها.



---

(١) طه: ٨٥.

(٢) في (هـ): دَعاهُ.

(٣) غافر: ٧١.

(٤) غافر: ٧٤

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

فصل [ـ ١١ ـ]

[في الإرادة والمشيئة]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[1]. وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾[2]، وقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[3]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها﴾[4]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾[5]، وقال: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ﴾[6].

قد أخبرَ اللهُ ـ تعالى ـ: أنّ ما أرادَ مِنْهُم غيرَ ما أرَادُوهُ.

وأخبرَ: أنَّهُ لا يريدُ الظُّلمَ بوجهٍ من الوجوهِ، قولهُ: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً

(١) النّساء: ٢٧.

(٢) التوبة: ٣٢.

(٣) الأنفال: ٦٧.

(٤) المائدة: ٣٧.

(٥) النّساء: ٦٠.

(٦) الأنفال: ٧.

لِلْعِبادِ﴾[١]، ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ﴾[٢]، ﴿ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣].

وأَخْبَرَ: أَنَّهُ لا يُحِبُّ المعاصِي، قولهُ: ﴿وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ﴾[٤]، ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾[٥]، ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٦]، ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[٧]، ﴿لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ﴾[٨]، ﴿وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمانَ﴾[٩].

وسُئِلَ النَّبيُّ ـ عليه السلام ـ: هل يُريدُ اللهُ المعاصي، وهو يَعْلَمُها ؟

فَاحْمَرَّ خَدَّاهُ، وقال: فَفِيمَ[١٠] بُعِثْتُ[١١]؟

---

(١) غافر: ٣١.

(٢) آل عمران: ١٠٨.

(٣) المائدة: ٦.

(٤) الزّمر: ٢٠٥.

(٥) البقرة: ٢٠٥.

(٦) الأعراف: ٥٥.

(٧) النساء: ١٤٨.

(٨) الأعراف: ٢٨.

(٩) الأعراف: ٢٨.

(١٠) في (أ): نعيم.

(١١) في (أ): فبعث.

وسَمِعَ ابنُ سيرينَ[١] رجلاً، يقولُ: ما فَعَلَ فلانٌ؟

قال: هُوَ كما يشاءُ اللهُ.

فقال ابنُ سيرين[٢]: لا تَقُلْ: كما يشاءُ اللهُ، ولكن قُلْ: كما يَعْلَمُ اللهُ. ولو كان كما يشاءُ[٣] اللهُ، لكانَ[٤] رجلاً صالحاً.

وقال فُضيلُ بنُ عياضٍ: لو كانتِ الأُمورُ بالمشيئةِ، فالنَّاسُ كُلُّهم مُطِيعُونَ.

واستَدَلَّ[٥] جَبْرِيٌّ بقولِهِ: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾[٦]، فقال عَدْلِيٌّ: فأَوَّلُها، وآخِرُها يُفسِدُ دَلِيلَكَ:

أمّا أَوَّلُها: ﴿فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾[٧]، وآخِرُها: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٨].

❋❋❋

(١) في (ش): سيدين. بالدال المهملة.

(٢) في (أ): ابن سيد.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): شاء. بصيغة الماضي.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): كان. من دون لام التوكيد الواقعة في جواب الشّرط.

(٥) لم أقف على مظنّة الرواية ولا اسم الجبري والعدليّ.

(٦) يونس: ٩٩.

(٧) يونس: ٩٨.

(٨) يونس: ٩٩.

فصل [ـ ١٢ ـ]

[في المشيئة]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾ (١).

كلامٌ مُجْمَلٌ، غيرُ مُفَسَّرٍ. وهـو في القُـرآنِ في ثلاثـةِ مواضِـعَ(٢)، وجميعُـهُ في الطّاعاتِ، والطّاعَةُ بأمرِهِ، ومشيئَتِهِ.

والكلامُ مُتَعَلِّقٌ بما تَقَدَّمَهُ مِنْ ذِكْرِ الاستقامةِ، لأَنَّـهُ ـ تعـالى ـ قـال: ﴿وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾، أي: لا تشاؤونَ الاستقامةَ إلّا واللهُ مُرِيدٌ لها، واللهُ يُرِيدُ الطّاعاتِ.

ولو أرادَ / ٧٤/ جميعَ ما يشاؤون، لأدّى إلى مناقَضَةِ القُرآنِ، لأَنَّـهُ بَـيَّنَ أَنَّ إرادَتَهُ، خلافُ إرادَةِ(٣) المَخْلُوقِ. ذَكَرْناها قَبْلَهُ.

والحكيمُ لا يجوزُ أن يُريدَ القَبائحَ، ولا المُباحَ، لأنَّ ذلك صِفَةُ نَقْصٍ، وهـو يتعالى عن ذلك.

---

(١) الإنسان: ٣٠.

(٢) الإنسان: ٣٠. التكوير: ٢٩. الكهف: ٢٤.

(٣) في (هـ): خلاف الذي أرادَهُ المخلوق.

وهذه الآيةُ حُجَّةٌ لنا، لأَنَّهُ جعل لنا مشيئَةً، وعَلَّقَها[١] بمشيئَتِهِ.

وعندَهُمْ: إنَّ مشيئةَ الله ـ تعالى ـ فِعْلُهُ. ولا حُجَّةَ لَهُم فيه، لأَنَّهُ مُعَارَضٌ بالآيات الصَّريحَةِ في [أَنَّهُ][٢] ـ تعالى ـ لا يُريدُ القَبيحَ.

ويُمكنُ حَمْلُ الآيةِ على العُمُومِ، لأنّ العبادَ، يشاؤونَ ـ عندَهُم ـ ما لا يشاؤُهُ اللهُ ـ تعالى ـ بأَنْ يُرِيدُوا ما عَلِمَ اللهُ ـ سبحانه ـ، لأَنَّهُ لا يَقَعُ بِمَنْعٍ، أو غيرِهِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[٣].

الضَّميرُ في قوله: «يشرح صدرَهُ للإسلامِ»، عائدٌ إلى اسمِ الله لقولِهِ: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾[٤]، وقولِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٥].

والمعنى: إنَّ الفعلَ، مستندٌ إلى اسمِ الله في اللَّفظِ، وفي المعنى إلى المشروح صَدْرُهُ. وإنَّما نَسَبَهُ إلى ضميرِ اسم الله، لأَنَّهُ بِقُدْرَتِهِ ـ كان ـ وتوفيقِهِ، كما قال:

---

(١) في (ش): علّقنا. وفي (أ): عقلها. بالقاف بعدها اللام.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) الأنعام: ١٢٦.

(٤) الزّمر: ٢٢.

(٥) الانشراح: ١.

﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[(١)].

ويدلُّ على أنَّ المعنى لِفاعِلِ الإيمانِ، إسنادُ هذا الفعلِ إلى الكافِرِ في قولِهِ: ﴿وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ﴾[(٢)]. فكما أسندَ الفعلَ إلى فاعلِ الكُفرِ، كذلكَ يكونُ إسنادُهُ ـ في المعنى ـ إلى فاعِلِ الإيمانِ.

ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ رَاجِعاً إلى «مَنْ». وتقديرُهُ: إنَّ المَهْدِيَّ يَشْرَحُ صَدْرَ نفسِهِ. ويكونُ تقديرُهُ: مَنْ [أرادَ اللهُ أن يهدِيَهُ إلى طريقِ الجنَّةِ، فَلْيُطِعْهُ، ومَنْ][(٣)] أرادَ أنْ[(٤)] يُعاقِبَهُ، فلْيَعْصِهِ.

والإرادةُ واقِعَةٌ على فِعْلِ العَبْدِ بِقَلْبِهِ الضَّيِّقِ. يُوضِحُ ذلك قولُهُ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً﴾[(٥)]. فالاطمِئْنَانُ إلى الإيمانِ، فعلُهُم لا محالَةَ، لأنَّهُ إيمانٌ. ثُمَّ نَسَبَ ـ تعالى ـ شَرْحَ صَدْرِهِم بالكُفْرِ إليهم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِراطٍ

---

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) النّحل: ١٠٦.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) (أنْ) ساقط من (أ).

(٥) النّحل: ١٠٦.

مُسْتَقِيمٍ﴾[١].

لا يجوزُ أنْ يكونَ على عُمُومِهِ، لأنَّا قد عَلِمْنَا أنَّهُ ـ تعالى ـ لا يشاءُ أن يُضِلَّ الأنبياءَ، والمؤْمنينَ، ولا يَهْدِي الكافرينَ، كما قال: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً﴾**[٢]، وقال: **﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ﴾**[٣]، وقال: **﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾**[٤]، وقال: **﴿وَما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ﴾**[٥].

وتَأْويلُ **﴿مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ﴾**، أي: يَخْذِلْهُ بأنْ يَمْنَعَهُ الْطافَهُ، فأعْرَضَ عَنِ الأدلَّةِ، فيكونُ كالأصَمِّ، والأعمى.

وقيل: مَنْ يَشَأِ اللهُ إضْلالَهُ عن طريقِ الجَنَّةِ، وَنَيْل ثَوابِها، يُضْلِلْهُ على وجهِ العُقُوبةِ، ومَنْ يشأْ أنْ يَرْحَمَهُ، يَهْدِهِ[٦] إلى الجَنَّةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: **﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ...﴾**[٧].

---

(١) الأنعام: ٣٩.

(٢) محمّد: ١٧.

(٣) المائدة: ١٦.

(٤) إبراهيم: ٢٧.

(٥) البقرة: ٢٦.

(٦) في النسخ جميعاً: يهديه.

(٧) البقرة: ٢٥٣.

ليس فيها أكثرُ مِنْ أنَّهُ لو شاءَ ألَّا[1] يَفْعَلُوا ذلك، ما فَعَلُوهُ، فَمِنْ أينَ يـدُلُّ على أنَّهُ قد شاءَ ما فَعَلُوهُ؟ وليس كُلُّ من لا يشاءُ شيئاً، يكـونُ مُرِيـداً لِـضِدِّهِ[2]، لأنَّ المسلمين، لو شاؤوا، لَـمَنَعُوا أهـلَ الذِّمَّـةِ في دارِ الإسـلامِ عـنِ المُنكـراتِ، فليسُوا بِمانِعينَ[3]، وهُمْ غيرُ راضينَ، ولا مُريدينَ لذلك.

***

قولُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْـهُدى﴾[4].

لَمْ يَقُلْ: إنِّي لَـو شِـئْتُ مِـنْ جَمِـيعِهِم الهُـدَى، لآمَنُـوا. ولم يَقُـلْ: لـو شـاءَ، لاجْتَمَعُوا على الهُدَى.

وكيفيةُ[5] جَمْعِهِم عليهِ: إمَّا أن يكونَ جَبْراً، كَقَوْلِ المُجْـبِرَةِ. أو بـأنْ يُوجِـدَ فيهم القُدْرَةَ المُوجِبَةَ لَهُ، كقولِ النّجّارِيَّةِ[6]. أو بـأنْ يَفْعَـلَ بِكُـلٍّ مـنهُمْ اللُّطْـفَ. يُوضِحُ ذلكَ قولُهُ: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً﴾[7] مع قولِهِ: ﴿وَلَـوْ أَنَّنـا

---

(١) في النسخ جميعها: لو شاء أن يفعلوا. بإسقاط (لا). وما أثبتناه من (ط) وهو الموافق.

(٢) في (أ): الصّده. مع (أل) وبالصاد المهملة.

(٣) في (ك): بماتعين. بالتاء المثنّاة من فوق بعد الألف.

(٤) الأنعام: ٣٥.

(٥) في (ك): كيفة.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ): البخاريَّة. بالباء الموحّدة من تحت، بعدها خاء معجمة من فوق. وفي (أ): التجارية. بالتاء المثنّاة من فوق. أُنظر قولهم في الملل والنحل: ١: ١٣٩.

(٧) الشّعراء: ٤.

نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْـمَلائِكَةَ﴾[١].

فمعلومٌ أنَّ هذا الإيمانَ الّذي نَفَاهُ عَنْهُم ـ عندَ إنزالِهِ هـذِهِ الآيـات ـ لـيسَ هُوَ الإيمانَ الّذي أوْجَبَهُ[٢] بقولِـهِ: ﴿فَظَلَّـتْ أَعْنـاقُهُمْ﴾[٣]، إذ لَـوْ كانـا واحـداً، لَتَنَاقَضَ القَولانِ، لأنَّ أحدَهُما يَقْتَضِي: أنَّهُم لا يُؤْمِنُونَ ـ أبـداً ـ عنـدَ نُـزُولِ شَيءٍ من الآياتِ، والآخَرَ يَقْتَضِي[٤]: إيمانَهُمْ عندَ نُزولِ الآيةِ[٥] من الـسَّماءِ. فلابـدَّ مِـنْ فَرْقٍ، وإلّا تَنَاقَضَ الكلامُ، فما نفاهُ، فهوَ الإيمانُ الاختيـاريُّ، ومـا أَثْبَتَـهُ، فهـو[٦] الضَّروريُّ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ شـاءَ اللهُ مـا أَشْرَكُـوا﴾[٧]، ﴿وَلَـوْ شـاءَ رَبُّـكَ مـا فَعَلُوهُ﴾[٨].

---

(١) الأنعام: ١١١.

(٢) في (أ): أوجه.

(٣) الشّعراء: ٤.

(٤) في (ش): يقتضي أنّهم لا يؤمنون أبداً. وهو وهمٌ من الناسخ لأنه تكرار للعبارة السابقة.

(٥) في (ح): آية. من دون (أل).

(٦) في (ش) و(أ): وهو. مع الواو.

(٧) الأنعام: ١٠٧.

(٨) الأنعام: ١١٣.

الظَّاهِرُ: أنَّهُ لو شاءَ ألّا يَفعَلُوا ما فَعَلُوا مِنَ الشِّرْكِ، والقَتْلِ. وليسَ فيهِ أنَّـهُ قد شاءَ أن يَفعَلُوا ذلك، ولـو شـاءَ أن يُلْجِئَهُم إلى خـلافِ ذلـك إلجَـاءً ـ إذن ـ فَعَلُوهُ، ولكنَّهُ فيهِ زوالُ التَّكليفِ، وارتفاعُ الأمرِ، والنَّهي / ٧٥/ وغيرُ ذلك.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [١].

قال الحسنُ[٢]: هذا إخبـارٌ عـن قُدْرَتِـهِ عـلى إلجـائِهِم عـلى الامتنـاعِ مِـنَ الاقتتالِ. أو: بأنْ يَمْنَعَهُم عن ذلك.

وقيلَ: لا يدُلُّ قوله: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ على أنَّهُ قد يـشاءَ اقتتـالَهُم، لأنَّهُ إذا احْتَمَلَ الكلامُ وَجْهَينِ: جَائِزٌ عليهِ، وغيرُ جائِزٍ، وَجَبَ حَمْلُهُ على ما يجـوزُ عَلَيْهِ. وهذا كَقَوْلِ القائِـلِ: لـو شـاءَ الـسُّلطانُ لم يَـشْرَبِ النَّـصارى الخَمْـرَ، ولا نَكَحَتِ الـمَجُوسُ الـمُحَرَّماتِ. وليسَ ـ في ذلك ـ دليلٌ على أنَّهُ قد شَاءَ[هُ][٣].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً﴾[٤].

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٥٩.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(هـ) و(ح).

(٤) هود: ١١٨.

لم يُبيِّنْ على أيِّ وَجْهٍ: جَبْراً[١]، أو اخْتِياراً.

الوزيرُ الآبي[٢]:

إذا فَعَلْتُ ما أرادَ رَبِّي ولم أحِدْ عنهُ، فماذا ذَنْبي؟
يَخْلُقُ ذَنْبي وَأكونُ آثِما يَظْلِمُني ثُمَّ أُسَمَّى ظالِما!

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾[٣].

قال الحسنُ[٤]، والجُبَّائيّ: إنَّهُ إخْبَارٌ عنِ القُدْرَةِ، كما قال: ﴿وَلَوْ شِئْنا لآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[٥]، وقولِهِ: ﴿وَلَوْ يَشاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾[٦].

قال الجُبَّائيّ: معناهُ: لو شاءَ اللهُ، لَفَعَلَ بِهِم ما يختارُونَ ـ عندهُ ـ الكُفْرَ، لكنَّهُ لا يَفْعَلُهُ، لأنَّهُ مُنافٍ للحِكْمَةِ.

(١) في (ك): خبراً. بالخاء المعجمة من فوق.

(٢) لم نقف على مورد أخذه.

(٣) النّحل: ٩٣.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٥٩.

(٥) السّجدة: ١٣.

(٦) محمّد: ٤.

وقال قومٌ: لو شاءَ اللهُ، لَجَمَعَهُم على مِلَّةٍ واحدةٍ في دَعْوَةِ جميعِ النَّاسِ [إلى][1] شريعةٍ واحدةٍ مع اختلافِ المصَالِحِ.

وقال الحسينُ[2] المغرِبِيُّ: معناهُ: لو شاءَ اللهُ ألَّا[3] يَبْعَثَ إليهِمْ أنبياءَ، [فيكونُوا مُتَعَبِّدينَ بها في العَقْلِ][4]، ويكونُونَ[5] أُمَّةً واحدةً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[6].

عَنَى بالمشِيئَةِ الْـجَاءَ، لا اخْتِياراً. وإنَّما أرادَ أنْ يُخْبِرَنا عن قُدْرَتِهِ، وإنَّهُ مِمَّنْ لا يُغَالَبُ، ولا يُعْصى مَقْهوراً.

ولفظةُ «الـمَشِيْئَةِ» في الآيةِ، لا يجوزُ حَمْلُها على الاختلافِ، والذَّهابِ عن الدِّينِ[7]، لأنَّهُ نَهَى عَنْهُ، وتَوَعَّدَ عليهِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يكونَ شَائِياً لَهُ، ومُخْبِراً

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (ش) و(ك): الحسن.

(٣) في (ش): لا. بإسقاط (أنْ) المصدريَّة.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) في (ش): فيكونون. مع الفاء.

(٦) هود: ١١٨، ١١٩.

(٧) في (هـ): عَنْ أنَّ الدِّينَ.

لِعبادِهِ[١] عليهِ؟

ثُمَّ إنَّ الرَّحمةَ، أقرَبُ إلى هذهِ الكِنَايةِ من الاختلافِ، وحَمْلُ اللَّفظِ على أقْرَبِ المذْكُورَينِ، أَوْلَى.

وقولهُ: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كنايةٌ عن الاجتماعِ على الإيمانِ، كما قال: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢].

وقال: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً﴾، ومعناهُ: إنَّهُ لو شاءَ أنْ يُدْخِلَهُم ـ أجمعين ـ الجَنَّةَ، فيَكُونوا ـ في وُصُولِ جميعِهِم إلى النَّعِيمِ ـ أُمَّةً واحِدَةً.

﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدِّينِ، والذَّهابِ عنِ الحقِّ فيهِ.

وقال أبو مُسْلمٍ[٣]: معنى «مُخْتَلِفِينَ»، أي: أنَّ[٤] خَلَفَ هؤلاءِ الكافِرِينَ يَخْلُفُ سَلَفَهُم في الكُفْرِ، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً﴾[٥]. وبهذا الاختلافِ يُريدُهُ[٦] الله ـ تعالى ـ.

***

(١) في (ك) و (هـ) و(أ): للعباد.

(٢) الذّاريات: ٥٦.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٢٠٣.

(٤) في (هـ): أنّي.

(٥) الفرقان: ٦٢.

(٦) في (أ): يريد. من دون الضمير (الهاء).

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾ (١).

إنَّما يقتضي إثباتَ قدرتِهِ على تكوينِ ذلك الشَّيءِ، وأنَّهُ لو شاءَ ان يُؤْمِنَ الكُلُّ على سبيلِ الجَبْرِ، لآمَنُوا، كما قال: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾ (٢).

وقد دَلَّ ـ على أنَّ المرادَ بِهِ الإكراهُ ـ قولُهُ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣). معناهُ: إنَّهُ لا ينبغي أن يُريدَ إكراهَهُم، لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يَقْدِرُ عليهِ، ولا يُرِيدُهُ، لأنَّهُ يُنافي التَّكليفَ.

ابنُ عَبَّادٍ (٤):

ولو أرادَ رَبُّنا أنْ يُشْتَما
وفَعَلَ الشَّاتِمُ ما قَدْ حَتَما
لَكَانَ فيهِ طائِعاً قد عَلِما
وكانَ مَنْ عَذَّبَهُ قَدْ ظَلَما

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ شِئْنا لآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداهَا﴾ (٥).

---

(١) يونس: ٩٩.

(٢) الشعراء: ٤.

(٣) يونس: ٩٩.

(٤) أخلَّ بها ديوان الصاحب بن عبّاد، بتحقيق الشيخ آل ياسين.

(٥) السّجدة: ١٣.

لا خِلافَ أنَّهُ قادِرٌ على هدَايـةِ الجَميـعِ، وأنَّـهُ لـو شـاءَ أنْ يفْعَلَـهُ، لَفَعَلَـهُ. والنِّزاعُ في كيفيَّةِ ما بهِ يَهْدِيهِم مِنْ جَبْرٍ، أو اخْتِيارٍ.

والهِدَايةُ ـ في الآيةِ ـ: الثَّوابُ. يدُلُّ عليهِ[1] عُقَيبُهُ: ﴿وَلكِنْ حَقَّ الْـقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْـجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2]، فبيَّنَ أنَّهُ قادرٌ على ذلكَ، ولَو شـاءَ، لنجَّى الجميعَ، ولكنْ وَجبَ فيهِ أنْ يَملأَ جهنَّمَ مِنهُمْ، لاستحقَاقِهِم.

ويحتَمِلُ أن يُريدَ النَّجاةَ، لقولهِ ـ فيما قَبلَ ذلكَ ـ: ﴿رَبَّنـا أَبْـصَرْنا﴾[3] فبـيَّنَ أنَّهم سَألُوا رَدَّهُم بعدَ ما عايَنُوا ما كانُوا يُوعدونَ، فقالَ: ﴿وَلَوْ شِـئْنا لآتَيْنـا كُـلَّ نَفْسٍ هُداها﴾، يَعني: طِلْبَتَها، وما يُتَوصَّلُ بهِ إلى نَجاتِها.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ﴾[4].

قال الحسنُ[5]، وقتادةُ[6]: لَترَكنَاهُم [عُمياً يَترَدَّدُونَ][7].

---

(١) في (أ): على.

(٢) السَّجدة: ١٣.

(٣) السَّجدة: ١٢.

(٤) يس: ٦٦.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ٢٥. أيضاً: مجمع البيـان: ٤: ٤٣١. الـدر المنثـور: ٧: ٧٠. الجـامع لأحكـام القرآن: ١٥: ٤٩.

(٦) جامع البيان: ٢٣: ٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٣١.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

والطَّمسُ: محوُ الشَّيءِ حتَّى يذهَبَ أثرُهُ. [والطَّمسُ علَى العَينِ: إذهابُ الشَّقِّ الَّذي بَينَ الجَفنَينِ. والطَّمسُ عَلى المالِ: إذهابُهُ][1]. والطَّمسُ عَلَى الكتابِ: إمحاؤُهُ. وطَمسُ الرِّيحِ الأثَرَ.

وهذا بيانٌ منَ الله ـ تعالى ـ أنَّهم في قبضَتهِ، وَهوَ قادرٌ عَلى ما يُريدُ بِهِم، فَليَحذَرُوا تنكِيلَهُ بِهِم.

/ ٧٦/ ثُمَّ قال ـ زيادةً في التَّحذيرِ ـ: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ﴾[2]. المسخُ: قَلبُ الصُّورَةِ إلى خِلْقَةٍ[3] مشوَّهَةٍ، كَما مُسخَ قومٌ[4] قردةً، وخَنازِيرَ. والمسخُ، نِهَايَةُ التَّنكِيلِ.

وقال الحسنُ[5]، وقتادةُ[6]: لَمَسَخنَاهُم على مقعَدِهِم، أو: على أرجُلِهِم. ولَو فعلنا بِهِم ذلكَ، لما اِستطاعُوا مُضياً.

***

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) يس: ٦٧.

(٣) في (ك): خلفه. بالفاء الموحَّدة.

(٤) في (هـ): قوماً، بالنصّب.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ٢٦. الدر المنثور: ٧: ٧٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٥٠.

(٦) جامع البيان: ٢٣: ٢٦.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (١).

ظاهرهُ يدُلُّ عَلَى أنّه لَو شاءَ، لَهَداهُم إلى الإيمانِ الاختياريِّ، وما أثبتَهُ، فهوَ الضَّرُوريُّ.

ومعنى ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أيْ: لَم يُبيِّنْ.

قال سُحيمُ(٢):

أَقُولُ لأهلِ الشِّعبِ إذ يَيْسِرونني ... ألم يَيأسُوا أنّي اِبنُ فَارِسِ زَهدَمِ

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ (٣). أي: بَيانُ الهُدى منَ الضَّلالِ.

﴿وَمِنْها جائِرٌ﴾ (٤). أي: طَرِيقٌ عَادِلٌ عَنِ الحَقِّ. ﴿وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ

(١) الرعد: ٣١.

(٢) مجاز القرآن: ١: ٣٣٢. تفسير غريب القرآن: ٢٢٨. تأويل مشكل القرآن: ١٩٢. وفيها بلاعزو. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٥٦٧. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٤٥. لسان العرب ـ يأس. وفيه: وذكر بعض العلماء إنه لولده جابر بن سحيم بدليل قوله فيه: «إني ابن فارس زهدم». وزهدم فرس سحيم.

(٣) النحل: ٩.

(٤) النحل: ٩.

أَجْمَعِينَ﴾[1].

قال الحسنُ[2]، والبلخيُّ[3]: لو شَاءَ بالأَجاءِ. وقـال الجُبَّـائي[4]: لَـوْ شـاءَ، لَهَداكُمْ إلى الجَنَّةِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ﴾[5].

إنَّـما علَّقَـهُ[6] بالمَشِيئَةِ، لأنَّ قَبُـولَ التَّوبـةِ، وإسـقاطَ العِقـابِ ـ عنـدنا ـ تفضُّلٌ[7]. ولو كان ذلكَ واجباً، لما جازَ تعليقُ ذلكَ بالمَشِيئَةِ، كَما لم يُعَلَّقِ الثَّـوابُ عَلَى الطَّاعَةِ، والعِوضُ عَلى الألمِ في موضعٍ بالمشيئَةِ.

***

قولُهُ ـ سُـبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ خِفْـتُمْ عَيْلَـةً فَـسَوْفَ يُغْنِـيكُمُ اللهُ مِـنْ فَـضْلِهِ إِنْ شاءَ﴾[8].

---

(١) النحل: ٩.

(٢) قول الحسن هذا منسوب في التفسير الكبير: ١٩: ٢٣٢ إلى الأصمّ.

(٣) قول البلخيّ هذا منسوب في التفسير الكبير: ١٩: ٢٣٢ إلى الأصمّ أيضاً.

(٤) مجمع البيان: ٣: ٣٥٢. التفسير الكبير: ١٩: ٢٣٢.

(٥) التوبة: ٢٧.

(٦) في (أ): عقله. بالقاف ثمَّ اللام.

(٧) في (أ): تفضيل.

(٨) التوبة: ٢٨.

عُلِّقَت بِالمشِيئَةِ، لأنَّ مِنهُم مَن لا يَبلُغُ هذا المعنى المَوعودَ بِهِ، لأنَّه يجُوزُ أن يَموتَ قبلَهُ.

ويُقالُ: لِتَنْقَطِعَ[١] الآمالُ إلى الله ـ تعالى ـ كَما قالَ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[٢].

***

قولُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ﴾[٣].

لا خِلافَ أنَّهُمْ لا يُؤمِنُونَ إلَّا بِمشِيئَتِهِ، لأنَّه لا يَصُحُّ من أحدٍ إيمانٌ، إلّا بَعدَ أن يأمُرَهُ بذلكَ، ويُريدُهُ منهُ. ومتى ما لم يأمُرهُ بذلكَ، ولَم يُرِدْ مِنهُ، فَلَيسَ بإيمانٍ.

وفي قولِهِ: ﴿إلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾ وَجْهانِ:

أن يُلجِئَهُمْ إلى ذلكَ. وهوَ الصَّحيحُ. ولا يجوزُ أنَّهم لا يُؤمنُونَ ما لم يَشأ اللهُ مِنُهم أن يؤمنُوا.

أنّه لا يجوزُ أن يُريدَ المعاصيَ، فإنَّه قَدْ أرادَ من الجميعِ الإيمانَ، وإنَّه ذكرَ

---

(١) في (ش) و(ك) و(ح): لينقطع. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) الفتح: ٢٧.

(٣) الأنعام: ١١١.

ذلكَ تَقريعاً لَهُمْ.

ولو أرادَ: أنَّهُم إنَّما لا يُؤمِنُونَ، لأنِّي ما شئتُ مِنهُم الإيـمانَ، ومتـى شِـئتُ، آمنُوا، لَكانَ مُبَيِّناً ـ بذلكَ ـ عُذرَهُم، ولصَحَّ اِحتجاجُهُم بأَنَّـهُ: ﴿لَـوْ شـاءَ اللهُ مـا عَبَدْنا مِنْ دُونِـهِ مِـنْ شَيْءٍ﴾[1]. ولأدَّى إلى تنـاقُضِ القُـرآنِ، نحـوُ: ﴿فَمَـنْ شـاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾[2]، ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ﴾[3].



(١) النحل: ٣٥.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) الإنسان: ٣.

فصل [ـ ١٣ ـ]

[في المشيئة]

قَوْلُه ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾(١).

ليسَ فيهِ أنَّ أفعَالَنا، مُتعَلّقةٌ بِمشيئَتِهِ، لأنَّه لم يقُل: حتَّى تقُولَ(٢): إن شاءَ اللهُ.

أو لَمْ(٣) يقُلْ (٤): إلّا أن تقولَ(٥)، وادِّعاءُ الحذفِ، عُدُولٌ عن الظَّاهِرِ.

قالَ الفرَّاءُ(٦): تَجْعلُ حَرْفَ الشَّرْطِ الّذي هُوَ «إنْ»، مُتَعلِّقاً بما قَبْلَهُ، وبما هُوَ مُتَعَلِّقٌ بهِ في الظَّاهِرِ مِنْ تقديرِ محذُوفٍ، ويكونُ التَّقديرُ: ولا تَقُولَنَّ لِشيءٍ إنِّي فاعِلٌ ذلك غداً إلّا أن تَقُولَ: إنْ شَاءَ اللهُ. لأنَّ مِنْ عاداتِهِم، إضمارَ القَوْلِ في

---

(١) الكهف: ٢٣، ٢٤.

(٢) في (ش): نقول. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٣) في (أ): أو ما لم.

(٤) في (هـ) و(ح): تقل. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): يقول: بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) معاني القرآن: ٢: ١٣٨.

مثلِ هذا الموضِعِ(١)، والموجودُ منهُ دِلالةٌ على المَفْقُودِ. وهذا تأدِيبٌ مِنَ الله لِعبادِهِ، حتَى يَخْرُجُوا مِنْ حَدِّ(٢) القَطْعِ.

ولاشُبْهَةَ أنَّ [ذلك](٣)، مُخْتصٌّ بالطّاعاتِ، دُوْنَ المُقَبّحاتِ، ولايستَجِيزُ(٤) مُسْلِمٌ أن يقولَ: إنِّي أزْنِي غداً، إن شاءَ اللهُ.

وقالَ أبو عليٍّ(٥): عَنَى(٦) ـ بذلك ـ أنَّ مَنْ لا يَأمَنُ(٧) أنْ يَبْقَى إلى غَدٍ(٨)، فلا يقولُ: إنِّي سأفعَلُ غدَاً كذا، وكذا.

فإنَّهُ رُبَّما ماتَ، أو عَجِزَ، أو مُنِعَ، فلا يأمنُ أنْ يكونَ خَبَرُهُ كَذِباً في معلومِ الله، فلا يَسْلَمُ خَبَرُهُ هذا من الكَذِبِ، إلّا بالاستثناء.

النَّاشِئُ(٩):

---

(١) في (هـ): الموضوع.

(٢) في (أ): أحد.

(٣) ما بين المعقوفتين مطموسة في (ش).

(٤) في (ش): يستجير. بالراء المهملة.

(٥) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٤٦١.

(٦) في (ك): عُني. بالبناء للمجهول.

(٧) في (أ): يأمر.

(٨) في (هـ): غذ. بالذال المعجمة. وفي (أ): عدو.

(٩) هو الناشئ الأصغر المتوفّى سنة ٣٣٦هـ والأبيات في ديوانه المخطوط بخط الشيخ محمد السماوي: ١٥ المودع في مكتبة آية الله الحكيم العامّة في النجف الأشرف.

قَدْ قُلْتَ: رَبِّي يَشَا شَيْئاً وَيُسْخِطُهُ وإِنَّهُ قد قضى ما ليسَ رَاضِيهِ

وإِنَّهُ قَدْ يكونُ العَبْدُ مُتَّبِعاً لما يشاءُ ويَقْضِي[٣] وهو عاصِيهِ

وإِنَّهُ جائِزٌ في عَدْلِ خالِقِنَا تكليفَ عَبْدٍ ضَعِيفٍ لا قُوَى فيهِ

وإِنَّهُ[١] أَرْسَلَ الدَّاعي لِيَدْعُونَا وصَدَّ أكثَرَنا عن أمْرِ دَاعِيهِ

وقالَ: مَنْ لَمْ يُجِبْ داعِيَّ مُسْتَبِقاً[٢] فسوفَ أُدْخِلُهُ نَاراً وأُصْلِيهِ

كفِعْلِ ذِي حَنَقٍ قَاسٍ وَذِي عَنَتٍ يَعِيبُ جَوْرَ القَضَا مِنَّا[٤] ويأتِيهِ

يُقَدِّرُ الكُفْرَ فِينَا ثُمَّ يُسْخِطُهُ يقولُ: لِمْ[٥] كانَ ما أقْضِي وَأُنْشِيهِ؟

***

قولُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللهُ﴾[٦]، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾[٧].

إنّما أمَرَ بالاستثناءِ، ليكونَ فَرْقاً بين كلامِ الخالِقِ، وكلامِ المخْلُوقِ.

---

(١) (إنّه) ساقطة من (أ).

(٢) في (هـ): مستبعاً. بالعين المهملة.

(٣) في (أ): يقتضي.

(٤) في (هـ): منّاً. بنون مشدّدة بعدها تنوين النصب.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): ألم. مع همزة الاستفهام.

(٦) الفتح: ٢٧.

(٧) القلم: الآيتان ١٧ - ١٨.

يُؤيِّدُ ذلِكَ / ٧٧/ ما قُلْنَاهُ[١]: إنَّهُ لا يجوزُ أنْ يَقُولَ: إنِّي أزني غداً، إن شاءَ اللهُ. وإنّما جازَ في الطّاعاتِ، والمُباحاتِ[٢]. وقال البلخيُّ: معنى «إنْ شاءَ اللهُ»، أي: أمَرَكُمْ اللهُ بهِ، لأنَّ مشيئةَ الله ـ تعالى ـ لِفِعْلِ عبادِهِ، هو أمْرُهُ بهِ.

وقالَ قومٌ[٣]: هو تأديبٌ لنا[٤]، كما قال: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[٥].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حِكايةً عن شُعَيْبٍ ـ: ﴿قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْها وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾[٦].

ذَكَرَ: أنَّهُ ليسَ لهُ أن يَعُودَ فيها إلّا أن يشاءَ اللهُ، ومتى شاءَ ذلك، كانَ لهُ أنْ يَعُودَ فيها. والخَصْمُ لا يُجِيزُ[٧] ـ للمُكَلَّفِ ـ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ، إنْ شاءَ اللهُ ذلك.

وقولُهُ: «فِيهَا»، كنايةٌ عن المِلَّةِ.

***

(١) في (ك) و(أ): قلنا. من دون الضمير (الهاء).

(٢) في (أ): المناجات. بنون موحدة من فوق وجيم معجمة من تحت. ومَعَ (في).

(٣) (قوم) ساقطة من (هـ).

(٤) التفسير الكبير: ٢٨: ١٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٩٠.

(٥) الكهف: الآيتان ٢٣ ـ ٢٤.

(٦) الأعراف: ٨٩.

(٧) في (هـ): يخبر. بالخاء المعجمة من فوق بعدها باء موحدة من تحت.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾[١].

لم يَقُل: لا أَضُرُّ نَفْسِي، ولا أنفعُها، ولا يَلْحَقُها نَفْعٌ، ولا ضَرٌّ إلّا بمشيئَتِهِ. بل نَفَى المِلْكُ للضَّرِّ والمَنْفَعةِ، فَوَقَعَ الاستثناءُ بالمِلْكِ، فوَجَبَ أنْ تكونَ المشيئَةُ، مشِيئَةَ المِلْكِ، لا للضَّرِّ الّذي يَمْلِكونَهُ، وقد جَعَلَ لَهُ مِلْكاً[٢] بقولِهِ: ﴿وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾[٣].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنَّا إِنْ شاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾[٤].

الأفعالُ المُسْتَقْبَلَةُ، لا يصُحُّ إطْلاقُها، دونَ تَعْلِيقِها بمشيئَتِهِ، لِيَخْرُجَ الخَبَرُ مِنْ أن يكونَ قَطْعَاً، وحُكْماً بَتّاً ـ كما ذكرناهُ ـ.

وبعدُ: فإنَّهُ إنَّما يَصُحُّ ذلك في الطَّاعاتِ، دونَ المعاصِي.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ﴾[٥].

يعني: لا يُريدُ ثوابَهُم مِنْ أجلِ كُفْرِهِم[٦].

---

(١) الأعراف: ١٨٨. يونس: ٤٩.

(٢) في النسخ جميعها: مالكاً. وما أثبتناه من (ط). ولعلّهُ: جعله مالكاً.

(٣) الأحزاب: ٥٠.

(٤) البقرة: ٧٠.

(٥) آل عمران: ٣٢.

(٦) في (هـ): كفر. من دون الضمير (هم).

فإذَنْ لا يُريدُ كُفْرَهُم[1]، لأنَّهُ لو أرَادَهُ[2]، لم يَكُنْ نَفْي مَحَبَّتِهِ لَهُمْ، لِكُفْرِهِم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾[3].

ليس فيها، من قِصَّةِ بَرْصِيْصَا، شَيءٌ مِمَّا يَقُولونَ فيهِ.

العَبْدِيُّ[4]:

وَهُمْ شَبَّهُوا اللهَ العَلِيَّ بِخَلْقِهِ ... وقَالُوا: خُلِقْنَا لِلْمَعاصِي وَأُجْبِرْنَا[6]

ولو شاءَ لم نَكْفُرْ، وقد شاءَ كُفْرَنَا[5] ... وإنْ شاءَ لم نُؤْمِنْ، وإنْ شاءَ آمَنَّا

❋❋❋

(١) العبارة: «فإذن لا يريد كفرهم» ساقطة من (أ).

(٢) في (هـ): أرادَهم.

(٣) الحشر: ١٦.

(٤) لم أقف على مظنّة وروده.

(٥) في (هـ): كفرت.

(٦) في (أ): وأخبرنا. بالخاء المعجمة من فوق.

فصل [ـ ١٤ ـ]

[في التكليف والاستطاعة]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١]، ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها﴾[٢]، ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها﴾[٣].

والوُسْعُ، دَونَ الطَّاقَةِ. قال الشَّاعرُ[٤]:

كَلَّفْتُها الوُسْعَ في سَيْري لَها أُصُلاً والوسْعُ مِنْها دُوَيْنَ[٥] الجُهدِ والوَخَدِ[٦]

وفي ذلك، دَلالةٌ على بطلانِ قولِ المُجْبِرَةِ[٧] من أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُكَلِّفُ العبدَ ما لا قُدْرَةَ له[٨] عليهِ.

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) البقرة: ٢٣٣.

(٤) لم نقف على اسم قائله، ولا مورد أخذِهِ.

(٥) في (ك): دون.

(٦) في (أ): الوجد. بالجيم المعجمة من تحت.

(٧) الملل والنحل: ١: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣. شرح الأصول الخمسة: ٤٠٠.

(٨) (له) سقطت من (ح).

وقولِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[١]، ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٢]، ﴿ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣]، ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٤]، ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾[٥].

ولو جَازَ تكليفُ ما لا يُطاقُ، لجازَ أنْ يُكَلَّفَ الأعمى النَّظَرَ، والمُقْعَدَ المَشْيَ، ولَجَازَ أنْ يُكَلِّفَنَا الطَّيرانَ.

ولو جازَ ذلك، لجازَ أنْ يُكَلِّفَ الأشجارَ، والأحْجَارَ، والنَّبَاتَ، والجَمَادَ.

وسُئِلَ الرِّضا[٦] ـ عليه السلام ـ، فقِيلَ لهُ: هل يُكَلِّفُ اللهُ العبادَ ما لا يُطِيقُونَ؟ فقالَ: اللهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ.

فقيلَ [لَهُ][٧]: هَلْ يستطيعونَ أنْ يَفْعَلُوا ما لم يُقَدَّرْ لَهُمْ؟

فقال: هُمْ أعجَزُ عَنْ ذلكَ.

---

(١) التغابن: ١٦.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) النّساء: ٢٨.

(٦) عيون أخبار الرضا: ١: ١٤٢. التوحيد: ٣٦١ بلفظٍ مختلفٍ عن الصادق (عليه السلام) ٣٦٢ عن الرضا (عليه السلام).

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ).

الصَّاحِبُ[١]:

لَــوْ كَلَّــفَ العَبْــدَ بــلا اســتطاعَهْ ... مــا ذُمَّ مَــنْ أبــدَى لَــهُ امْتِنَاعَــهْ

ولا أقــامَ للعبــادِ الــسَّاعَهْ ... أُفٍّ لهــذا القــولِ مِــنْ شَــنَاعَهْ

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ﴾[٢].

أي: ما يَشْتَدُّ كُلْفَتُهُ من العباداتِ، الـمُتعِبَةِ. يقالُ: واللهِ ما أستطيعُ النَّظَرَ إليكَ، ولا أُطِيقُ الاكتِحَالَ بِرُؤيتِكَ. مع أَنَّهُ يَرَاهُ. يدُلُّ عليهِ قولهُ: ﴿وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً﴾[٣]: ولا تُحَمِّلْنا مِنَ العَذَابِ ما لا طاقَةَ لنا بِهِ في الدَّارِ[٤] الدُّنيا. وإنَّهُ كلامٌ مُبْهَمٌ، ليس فيهِ دَلالَةٌ على شيءٍ.

الصَّاحِبُ[٥]:

قَالَتْ: أَيُلْزِمُ نَفْساً فَوْقَ طاقَتِها ... فَقُلْتُ: حاشاهُ، هذا فعلُ ذِي خَبَلِ[٦]

قَالَتْ: يَشاءُ مَعَاصِينَا ويُؤْثِرُها ... فَقُلْتُ: لو شَاءَها، لم تَخْشَ[٧] مِنْ زَلَلِ

***

(١) أخلّ بهما ديوانه المطبوع بتحقيق آل ياسين.

(٢) و(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) في (ش) و(ك) و(ح): دار. من دون (أل).

(٥) ديوان الصاحب بن عبّاد: ٤١ ـ ٤٢.

(٦) في (ك): حيل. بالحاء المهملة. بعدها ياء مثنّاة من تحت.

(٧) في (هـ): يخش. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[١].

لم يُرِدْ نَفْيَ القُدْرَةِ، وإنَّما أراد ثِقْلَهُ عليهِ، لقولِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[٢].

ويقتضي أنَّهُ لا يستطيعُ الصَّبْرَ في المستقبَلِ، لأنَّ «لَنْ» إذا دَخَلَتْ، أفادَتِ الاستقبالَ، ولم يُرِدْ بِهِ نَفْيَ قُدْرَتِهِ عن الصَّبْرِ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾.

ولا يدُلُّ على أنَّهُ غيرُ مُستطِيعِ الصَّبْرَ في الحالِ. وقد يجوزُ أنْ يَخْرُجَ في المستقبلِ مِنْ أنْ يستطيعَ ما هوَ ـ في الحالِ ـ مُستَطِيعٌ لَهُ.

غيرَ أنَّ الآيَةَ تقتَضِي[٣] خلافَ ذلك، لأنَّهُ قد صَبَرَ عَنِ المسألَةِ، عَمَّا لايَعْرِفُ. ومثلُ ذلك يَصْعُبُ على النَّفْسِ. وقد اسْتَثْقَلَ مُوسى الصَّبْرَ عَنِ / ٧٨/ المسألةِ، قولُهُ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.

ولَوْ لم يكُنْ كما قُلْنا، لَقالَ: وكيفَ تصْبِرُ، وأنتَ مُطِيقٌ الصَّبْرَ؟

وقولُهُ: ﴿لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. أي: إنَّ الصَّبْرَ، ثَقُلَ على طَبْعِكَ. كما يُقالُ ـ للمريضِ ـ:

إنَّكَ لا تستطِيعُ الصِّيامَ.

---

(١) الكهف: ٦٧.

(٢) الكهف: ٦٨.

(٣) في (ك) و(أ): يقتضي. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

ويُعَبَّرُ بالاستطاعةِ عَنِ الفعلِ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا﴾[١].

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾[٢].

ليسَ فيها أَنَّهُم صُمٌّ، وأَنَّهُم لا يَعْقِلُونَ. وإنَّما فيهِ أنَّ النَّبيَّ ـ عليه السلام[٣] ـ لا يُسْمِعُ، وإنْ كانُوا يَعْقِلُونَ أَوْقَاتاً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾[٤].

الظَّاهِرُ يقتضي نَفْيَ[٥] استطاعَتِهِم السَّمْعَ، والبَصَرَ، وليس بِفِعْلٍ للعَبْدِ، ولا يصُحُّ أنْ يكونَ لَهُ قُدْرَةٌ عليهِ.

وقد ذَمَّهُم بأَنَّهُم لا يستطيعونَ، كالأعمى[٦]، والأَصَمِّ[٧]. والأَعْمَى،

---

(١) المائدة: ١١٢.

(٢) يونس: ٤٢.

(٣) في (أ): صلّى الله عليه وآله.

(٤) هود: ٢٠.

(٥) في (ك) و(أ): هي.

(٦) في (هـ): كالأعم.

(٧) في (أ): الصمّ.

والأَصَمُّ[١]، لا يستَحِقَّانِ الذَّمَّ على كوْنِهما أعْمَى، وأصَمَّ.

والسَّمْعُ، والبَصَرُ، ليسَ بِمَعْنِيٍّ، فَيكونُ مَقْدُوراً، لأنَّ الإِدْرَاكَ، ليسَ بِمَعْنِيٍّ. ولو ثَبَتَ أَنَّهُ مَعْنِيٌّ، لكانَ غيرَ مَقْدُورٍ للعَبْدِ من حَيْثُ يَخْتَصُّ القَدِيمُ ـ تعالى ـ بالقُدْرَةِ عليهِ.

هذا إذا أُريدَ بهِ نَفْسُ الحاسَّةِ، وهي غيرُ مَقْدُورَةٍ للعبادِ، لأنَّ الجواهِرَ ـ وما تَخْتَصُّ[٢] بِهِ الحَوَاسُّ من البِنْيَةِ، مِمَّا يَصُحُّ بِهِ الإدْرَاكُ ـ ما يَتَفَرَّدُ القَدِيمُ ـ تعالى ـ بالقُدْرةِ عَلَيْهِ.

ولم يُرِدِ اللهُ ـ تعالى ـ نَفْيَ الاستطاعَةِ، وإنَّما أرادَ بِهَا نَفْيَ القَبُولِ عَنْهُم، واستِثْقَالَهُم لَهُ، كَقَوْلِ القائِلِ: ما أستَطِيعُ أنْ أسْمَعَ كلامَ فُلانٍ. ولا يَسْتَطِيعُ فلانٌ أنْ يراني، ولا أنْ يسْمَعَ بِذِكْرِي.

وقوله: ﴿**لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً**﴾[٣]. أي: يَسْتَثْقِلُونَ. ويقولُ مَنْ يُكَلِّفُ غَيرَهُ أمْراً: تستطيعُ[٤] أنْ تَذْهَبَ[٥] بِي[٦] إلى مَوْضِعِ كذلك.

---

(١) في (أ): الصمّ.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): يختصُّ بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٣) الكهف: ١٠١.

(٤) في (هـ): يستطيع. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٥) في (هـ): يذهب.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): لي. مع حرف الجر (اللام).

كما حَكَى اللهُ ـ تعالى ـ عنِ الحَوَارِيِّينَ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾(١). فَهُمْ لم يَشُكُّوا في أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ قادِرٌ. فلو شَكُّوا، لكانُوا كُفَّاراً، ولكِنْ أرادُوا: هل يُنَزِّلُ عَلَيْنَا مَائِدَةً؟

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ﴾(٢).

يَدُلُّ على فسادِ قَوْلِ المُجْبِرَةِ(٣) في الاستطاعةِ، لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ إذا عَذَرَ(٤) مَنْ لا يستَطِيْعُ، لِلْمَخافَةِ، كان مَنْ لا يَسْتَطِيعُ ـ لِعَدَمِ القُدْرَةِ ـ أعْذَرَ(٥).

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ﴾(٦).

فإنَّهُ جَعَلَ ذلك مَثَلاً، ولم يُخْبِرْ: أنَّ جميعَ النَّاسِ كذلكَ، فقالَ: إذا كانَ عَبْداً، لا يَقْدِرُ على الإنفاقِ، هل يَسْتَوِي هُوَ، ومَنْ يَقْدِرُ على الإنفاقِ، وَأَنْفَقَ؟

---

(١) المائدة: ١١٢.

(٢) البقرة: ٢٧٣.

(٣) كنز الفوائد: ٤٠.

(٤) في (أ): عذبت.

(٥) (أعذر) ساقطة من (أ).

(٦) النّحل: ٧٥.

وفي الظَّاهِرِ، نَفْيُ القُدْرَةِ عَنْهُ أصْلاً. ولا تقـولُ القَـوْمُ بـذلكَ. وأخـبرَ أنَّ الآخَرَ، يَقْدِرُ على الإنفاقِ، فهوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً[1]، وَجَهْراً. وذلك خلافُ قَوْلِهِم.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾[2].

ليس فيه ذِكْرُ الشَّيءِ، الّذي لا يَقْدِرونَ عليهِ، ولا بيانَ لَهُ. وإنَّـما يـصُحُّ مـا قالُوهُ. لو بَيَّنَ أنَّهُم لا يستطِيعُونَ سَبِيلاً، لأمرٍ مُعَيَّنٍ. فأمّا مـا لم يَـذْكُرْ ذلـكَ، فـلا مُتَعَلَّقَ لهُم، على أنَّ السَّبيلَ ممّا لا يُسْتَطاعُ، فلابـدَّ لَـهُ مـن تَـرْكِ الظَّـاهِرِ، فَـسَقَطَ التَّعَلُّقُ.

والمرادُ بالآيةِ: أنَّهُـمْ ـ لأجـلِ ضَـلالِهِم بِـضَرْبِ[3] الـمَثَلِ، وكُفْـرِهِمْ ـ لا يستَطِيعُونَ سَبيلاً إلى الخيرِ، الّذي هُوَ النَّجاةُ مِنَ العِقَابِ، والوصُولُ إلى الثَّوابِ.

والمُرادُ بِنَفْيِ الاستطاعةِ، أنَّهم مُسْتَثْقِلُونَ الإيمانَ. وَقَدْ يُخْبَرُ ـ عَمَّنْ اسْـتَثْقَلَ شَيئاً ـ بأنَّهُ لا يستطيعُهُ.

***

(١) في (أ) شرّاً. بالشين المعجمة.

(٢) الإسراء: ٤٨.

(٣) في (ش): يضرب. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾ (١).

الظَّاهِرُ: أنَّ أُولئكَ لَمْ يستطيعُوا السَّمعَ، الّذي هُوَ إدْرَاكُ الصَّوتِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (٢).

يعني: بالإيمانِ الكاذِبَةِ.

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ (٣). أي: يَستطِيعُونَ، فلا يفعَلُونَ، أو: لو اِستطاعُوا، ما فَعَلُوا. فَلو كانتِ الاستطاعَةُ معَ الفعلِ، لَكَانُوا عجزَةً(٤)، وكانُوا صادقينَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (٥).

يَدُلُّ على أنَّ الاستِطَاعَةَ، قبلَ الفعلِ، لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أوجبَ الحجَّ على

---

(١) الكهف: ١٠١.

(٢) التوبة: ٤٢.

(٣) التوبة: ٤٢.

(٤) في (ك) و(هـ): لعجزة.

(٥) آل عمران: ٩٧.

المستطيعِ، ومن لا يَستَطيع، لا يجبُ عَلَيهِ، وذلكَ لا يَكُونُ إلَّا قَبلَ فِعلِ الحجِّ.

وقيلَ: أي: مَن وَجَدَ الزَّادَ، والرَّاحِلَةَ، ونَحوَ هُما.

والاستِطَاعةُ بِالسَّمعِ، لا يـصُحُّ للخَـصمِ فيـهِ[1]، التَّعَلُّـقُ، لأنَّ مـن جـوَّزَ تَكليفَ الله ـ تعالى ـ الكافِرَ، الإيمانَ[2]، وهوَ لا يَقدِرُ عَليهِ، لا يُمكنُهُ العِلـمُ بنَفـي القَبائحِ / ٧٩/ عنِ الله ـ تعالى ـ، وإذا لم يُمكنْ ذلكَ، يلزَمُـهُ[3] تَجـويزُ القبـائحِ في أفعَالِهِ، وأخبارِهِ، ولا نأمَنُ[4] أن يُرسِلَ كذَّاباً، وأن يُخبِرَ هُوَ بِالكَذبِ ـ تعالى ـ عن ذلكَ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَـوْمَ يُكْـشَفُ عَـنْ سـاقٍ وَيُـدْعَوْنَ إِلَى الـسُّجُودِ فَـلا يَسْتَطِيعُونَ....﴾ إلى قولهِ ﴿...وَهُمْ سالِمُونَ﴾[5].

والسَّالِمُ غَيْرُ العَاجِزِ. فَلو كَانتِ الاستِطَاعَةُ مَعَ الفِعْلِ، لكَانُوا عَجَـزَةً، إذا لم يَفعَلُوا، لأنَّ الفعلَ، معدُومٌ. وإذا عُدِمَ الفعلُ، عُدمتِ الاستِطَاعةُ، لأنَّها مَعَهُ.

***

(١) (فيه) سقطت من (ح).

(٢) في (ح): بالأيمان. مع حرف الجر (الباء).

(٣) في (ش) تلزمه. وفي (ك): نلزمه.

(٤) في (أ): لا من.

(٥) القلم: ٤٢، ٤٣.

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(١).

الظَّاهرُ يقتضي التماسَ المعُونَةِ، من قِبَلِهِ(٢). ولا يـدُلُّ عـلى تحـصيلِ المعُونَـةِ بالأمُورِ المُعينَةِ على الطَّاعَةِ، نحوُ الصِّحَّةِ، والخواطرِ، والتَّنبيهِ، والدَّواعي، وغـيرِ ذلكَ. فثَبَتَ أنَّ الاستطاعةَ، قبلَ القُدرةِ. ولا يدُلُّ على أنَّ القُدرَةَ معَ الفعـلِ، لأنَّ الرَّغبةَ ـ في ذلكَ ـ تحتَمِلُ(٣) أن يسألَ اللهَ ـ تعـالى ـ مـن ألطافِـهِ، ومـا يُقـوِّي مـن دواعيهِ، ويُسهِّلَ الفعلَ عليهِ، ما ليسَ بحاصِلٍ. ومتَى لَطَفَ لهُ: بأنَّ يُعلمَهُ أنَّ لهُ ـ في عَاقِبتهِ ـ الثَّوابَ العَظيمَ، زَادَ ذلكَ في رَغبتِهِ.

وأيضاً: فإنَّه يَطلُبُ بَقاءَ كونهِ قادراً على طاعَاتهِ(٤)، المُستَقبَلَةِ، بأن يُجـدِّدَ لـهُ القُدرَةَ حالاً بعدَ حالٍ عندَ من لا يقولُ ببقائها، أو ألَّا يَفعَلَ ما يُضادُّها، ويَنفيها، عندَ من قالَ ببقَائها.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾(٥).

---

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) في (هـ): من قبل.

(٣) في (هـ): يحتمل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (أ): طاعة.

(٥) الإنسان: ٢٩.

قولُـهُ ـ سُـبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالَّـذِينَ يُظَـاهِرُونَ مِـنْ نِـسائِهِمْ...﴾ (١) إلى قولـهِ: ﴿...فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ (٢).

[أمرَ] (٣) اللهُ ـ تعالى ـ أن يَحكُمَ على المُستطيعِ، بـصِيامِ شـهرينِ، مُتَتـابِعَينِ، وإنَّما يَلزَمُهُ ذلك بعْدَ العَجـزِ عَـنِ العِتْـقِ، والـصَّومِ. فَثَبَـتَ أنَّ الاسـتطاعَةَ قَبْـلَ الفِعْلِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً﴾ (٤).

لا يدُلُّ على أنَّ القُدْرَةَ معَ الفِعْلِ، لأنَّهُ أخبَرَ أنَّهُ سيكونُ صابِراً.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ (٥).

قال أبو عليٍّ (٦): أي: القُدْرَةَ الَّتي خَلَقْتُها فِـيكُم. وفي ذلـك دَلالَـةٌ عـلى أنَّ

---

(١) المجادلة: ٣.

(٢) المجادلة: ٤.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) الكهف: ٦٩.

(٥) البقرة: ٦٣.

(٦) هو الجبّائيّ: مجمع البيان: ١: ١٢٨.

القُدْرَةَ][1] قبلَ الفِعْلِ.

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[2].

يدُلُّ على أنَّ القُدْرَةَ، قَبْلَ الفِعْلِ. ألا ترى أَنَّهُ أَخْبَرَ: بأَنَّهُ[3] قَـوِيٌّ عَلَيـهِ، وَلَم يَجِئْ ـ بَعْدُ ـ بِالعَرْشِ.

وقال نَجَّارِيٌّ لمحمَّدِ[4] بنِ سُوَيْدٍ: أَتَقُولُ: إنَّ الاستطاعَةَ، قَبْلَ الفِعْلِ، وما مِنْ عاميٍّ، إلّا وَيَعْلَمُ خِلافَ قَوْلِكَ؟

فقال: بل يَعْلَمُ خِلافَ قولِكَ، فانْظُرْ.

فَدَعَا بِحَمَّالٍ[5]، فقال: إنَّ هذا يَزْعُمُ أَنَّكَ لا تستطيعُ حَمْلَ هذا الكُوْرِ. فَشَتَمَ الحَمَّالُ[6] لِـمَنْ يَقُولُ هذا.

الوزيرُ الآبي[7]:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) النّمل: ٣٩.

(٣) في (ح): أنه. بإسقاط حرف الجر (الباء).

(٤) النجّاري: نسبة إلى الحسين النجّار رأس فرقة من المعتزلة تنسب إليه.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ): بجمّال. بالجيم المعجمة من تحت.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ): الجمّال. بالجيم المعجمة من تحت.

(٧) لم نقف على مورد أخذه.

مـــا كَلَّــفَ الإنــسانَ مـــا لم يُطِــقِ	هل كَلَّفَ الأخْرَسَ [حُسْنَ][1] المنطِـقِ
أوْ كَلَّــفَ الأعمــى اِنْتِقَــادَ الــدُّرِّ	أوِ الأصَـــمَّ سَــمْعَ صَــوتِ الــذَّرِّ

***

قولُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُـمَّ عَرَضَـهُمْ عَـلَى الْـمَلائِكَةِ فَقالَ أَنبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ﴾[2].

وهذا أقبحُ مِنْ تكليفِ ما لا يُطاقُ.

الجوابُ: ظَاهرُ الآيةِ، إنْ كـانَ أمـراً يقتـضي التَّعَلُّـقَ بِـشَرطٍ، هـو كـوْنُهُم صادِقِينَ، عالِـمِينَ، بأنَّهُم إذا أخْبَرُوا عن ذلك، صَدَقُوا. فكأنَّهُ قالَ: خَبِّرُوا بذلك إنْ عَلِمْتُمُوه. ومَتَى رَجَعُوا إلى أنفسِهِم ـ فَلَمْ يَعْلَمُوا[3] ـ فلا تكليفَ عَلَيهِم.

وقيلَ: «أنبِئُونِي»، وإنْ كانَ ظاهِرُهُ ظاهِرَ أمرٍ، [فَغَيْرُ أَمْرٍ][4] عـلى الحقيقـةِ، بل المرادُ بِهِ على التَّقريرِ والتنبيهِ عـلى مكـانِ الحُجَّـةِ، وإنَّ اللهَ ـ تعـالى ـ لـمّا قـالَ للملائِكَـةِ: ﴿إِنِّي جاعِـلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَـةً...﴾[5] إلى قولـه: ﴿... وَنُقَـدِّسُ

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) البقرة: ٣١.

(٣) (فلم يعلموا) ساقطة من (هـ).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) البقرة: ٣٠.

لَكَ﴾[١]، قال لَهُم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[٢]. أي: أطَّلِعُ على مصالِحِكُم، ثـمَّ أرادَ[٣] التَّنبيهَ على أنَّهُ لا يمتنِعُ أنْ يكونَ غيرُ الملائكةِ ـ مع أنَّها تُسَبِّحُ، وتُقَدِّسُ، وتُطِيْعُ، ولا تَعْصِي ـ أوْلَى بالاستِخْلافِ في الأرضِ.

وإذا كان في ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُفْسِدُ، ويَسْفِكُ الدِّماءَ، فعَلَّمَ آدَمَ جميعَ أسماءِ الأجناسِ، أو أكثرَهَا، ثُمَّ قال: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[٤] مُقَرِّراً لهم، ودالًّا على اختصاصِ آدَمَ، بما لم يُخَصُّوا بهِ، فلمّا اعترَفُوا بذلك، قالَ لَهُم ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٥].

[شاعِرٌ:][٦]

أيا رَبِّ ما حَمَّلْتَني فَوْقَ طاقَتي وحُوشِيتَ مِنْ تَكْلِيفِ ما لا أُطِيقُهُ[٧]



(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) في (ك): أزاد. بالزي المعجمة.

(٤) البقرة: ٣١.

(٥) البقرة: ٣٣.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ). وفي (ح): بيت.

(٧) لم نقف على اسم قائله ولا موردِ أخذه.

فصل [ـ ١٥ ـ]

[في معنى الفطرة والصِّبْغَة]

قوله ـ تعالى ـ: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾[1]، وقوله: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾[2]. ورُوِيَ عن[3] النبيِّ ـ عليه السلام[4] ـ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفطرَةِ، فأَبَوَاهُ يُهَوِّدانِهِ، ويُنَصِّرانِهِ، ويُمَجِّسانِهِ. الخَبَرُ.

تَكَلَّمَ النَّاسُ في ذلك، فَرَوَى [زرارةُ عن الصَّادِقِ ـ عليه السلام ـ][5] أَنَّهُ قال: التَّوحِيدُ[6].

---

(١) الرّوم: ٣٠.

(٢) البقرة: ١٣٨.

(٣) موطأ مالك: ٢٢٢. بزيادة في اللفظ. مسند أحمد: ١٢: ١٧٠ ط ـ شاكر. صحيح البخاري: ٢: ١٢٥، ٨: ١٥٣ باختلاف يسير. صحيح مسلم: ٨: ٥٢، ٥٣، ٥٤. الجامع الصحيح: ٤: ٤٤٧ وفيه: (يشرّكانه) بدلاً من (يمجسانه). المعجم الكبير: ١: ٢٥٩ ـ ٢٦٢. علل الشرايع: ٣٧٦. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١٢ بسقوط (يمجّسانِهِ). مسند أبي حنيفة: ١٥. الأساس لعقائد الأكياس: ١٧٠.

(٤) في (أ) : صلى الله عليه وآله وسلّم.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١١. التوحيد: ٣٢٨، ٣٢٩.

وقال أبو عُبيدٍ[١]: صِبْغَةُ الله، دِينُ الله، وفِطْرَةُ الله الَّتي فطَرَ النَّاسَ عَلَيها.

وقال ابنُ قُتيبةَ[٢]: يعني ـ بذلك ـ حديثَ الذَّرِّ في الأصْلابِ.

وقالَتِ الجَبْرِيَّةُ[٣]: أي: خَلَقَ على كُفْرٍ، أو على إيْمانٍ.

وقال محمَّدُ بنُ الحَسَنِ[٤]: كانَ هذا في أَوَّلِ / ٨٠/ الإسلامِ، قَبْلَ أنْ آمُرَ النَّاسَ بالجِهَادِ.

والفِطْرَةُ ـ في اللُّغَةِ[٥] ـ هُوَ الابتداءُ. يُقالُ: فَطَرَ نابُ البَعِيرِ.

وقال مُجاهدٌ[٦] في قوله: ﴿السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾[٧]، أي: مُنْشَقٌّ.

وقالَ غيرُهُ[٨]: ﴿فاطِرِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾[٩]، أي: مُبْتَدِعُها.

فيكونُ معنى الآيةِ، والخَبَرِ: «كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ...».

---

(١) غريب الحديث: ٢: ٢١.

(٢) تفسير غريب الحديث: ١٥١.

(٣) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢١٥.

(٥) لسان العرب (فَطَرَ).

(٦) في جامع البيان: ٢٩: ١٣٨ نسب إلى مجاهد قوله: ﴿السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أي: مثقلة به. أمّا ما أورده كتابنا فهو منسوبٌ لابن عبّاس، وكذا في الدرّ المنثور: ٨: ٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٧) المزّمّل: ١٨.

(٨) الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ٢٧.

(٩) الأنعام: ١٤. يوسف: ١٠١. إبراهيم: ١٠. فاطر: ١. الزُّمر: ٤٦.

أي: اِبتداءُ الخِلقَة، كَأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ لـمَّا اِبْتدأهُم، وَابْتَدَعهُم، فَطرَهُمْ عَلَى العبوديَّةِ لَهُ، وَنهاهُم أنْ يَعبُدُوا غيرَهُ.

يَدلُّ عَلَيهِ مَا بَعْدَ الآيةِ: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1].

ويؤيِّدهُ قوله: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. فَمنهُم مَن اِهتدى ومِنهُم من ضَلَّ مِن نفسِهِ، أو من غَيرِهِ.

وقال الفرَّاءُ[3]: سُمِّيت ﴿صِبْغَةَ الله﴾، لأنَّ اليَهُود، والنَّصارى، كانُوا يصبغُونَ أولادَهُم، فيقُولُ اللهُ ـ عزَّوجلَّ ـ إلزَمُوا صِبغَةَ الله[4].

وقال بعضُهُم[5]: كانتِ النَّصارى إذا أتى على أولادِهِم سَبعُ سِنِيْنَ صَبغُوهُ[6] في ماءِ نَهرِ الأُردُنِّ، وكانَ ذلك لَهُم بمنزِلةِ الخِتانِ للمُسلمينَ.

وتزعُمُ النّصارى: أنَّ المسيح، صِبغةُ يُوحنَّا المَعمُودَان، وكان تُسمِّي[7] هذا الفِعلَ المعُمودِيَّةَ[8].

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) في (أ): القرآن.

(٤) معاني القرآن: ١: ٨٢ـ ٨٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢: ١٤٤.

(٦) في (ح): صبغ.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ): يُسمَّى. بياء المضارعة المثناة من تحت وبصيغة البناء للمجهول.

(٨) في (هـ): العمودية.

اِبنُ حمَّادٍ[١]:

يَقُولُونَ في اللهِ غَيرَ الجَمِيلِ	فقد ألحَدُوا فيهِ ما وحَّدُوهُ
يُوَلُّونهُ قُبحَ أفعالهم	تَنزَّه عَنها العَليُّ النَّزِيهُ
وَقَالُوا: يُعذِّبُنا في المَعَادِ	عَلَى فِعْلِهِ جَلَّ مَنْ جوَّرُوهُ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾[٢].

الختمُ في الشَّاهِدِ، غيرُ مانعٍ منَ الإيمانِ، لأَنَّهُ يَفُكُّ المختُومَ من الكُتُبِ[٣]، والكِيْسِ[٤]، ويُحملُ مِنهُ، وإنَّما هوَ علامَةٌ يُعرفُ بها تناوُلُ المختُومِ عليهِ.

والمختُومُ على قلوبهِم، إمَّا أن يَكُونوا قادرينَ [على الإيمانِ، قبلَ الختمِ، أو غيرَ قَادِرينَ][٥]. فإن كانُوا غَيرَ قادرينَ، اِستَحالَ المنعُ، وإن كانُوا قادرينَ عليهِ، قيلَ: فهُم ـ في حال الختمِ ـ قادرونَ.

وقيل: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾، أي: شهِدَ[٦] علَيها بأنَّها لا تقبَلُ الحقَّ.

---

(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) في (أ): الكبت. بباء موحّدة من تحت بعدها تاء مبسوطة.

(٤) في (ش) و(ك): التكيُّس.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (ش): يشهد. بصيغة المضارع.

يقُولُ القائل: أرَاكَ تختُمُ على كُلِّ ما يقولُهُ فُلانٌ. أي: تَشهَدُ بهِ، وتُصدِّقهُ. وقد ختَمتُ عليكَ بأنَّك لا تَعلمُ. أي: شَهِدتُ.

وقيل: ﴿خَتَمَ اللهُ﴾: إخبَارٌ عن تَكبُّرِهِم، وإعرَاضِهم عَنِ الاستِماعِ[1] لما دُعُوا إليهِ منَ الحقِّ، كما يقُولُ: فلانٌ أصَمٌّ عن هذا الكلام. إذا اِمتنعَ عن سَماعِهِ، ورَفعَ نفسهُ عن تحمُّلِهِ.

ويحتمِلُ أن يكونَ المُرادُ بـ«خَتَمَ»: سَيختُمُ. ويَكونُ الماضي بمعنى المستقبَلِ، كقولِهِ: ﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ﴾[2].

وقيلَ: المعنى في ذلكَ أنَّهُ ذمَّهم بأنَّها كالمختومِ عليها في أنَّهُ لا يَدخُلُها الأيمانُ، ولا يخرُجُ عنها الكُفرُ.

قال الشَّاعرُ[3]:

لَقَد أسمَعتَ لو نادَيتَ حيَّاً ... وَلكِنْ لا حيَاةَ لِمَن تُنادي

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها﴾[4] وقوله: ﴿طَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾[5].

---

(١) في (أ): الأسماع.

(٢) الأعراف: ٤٤.

(٣) هو كثيِّر عزَّة: انظر ديوانه: ٢٢٢.

(٤) النساء: ١٥٥.

(٥) التوبة: ٩٣، النّحل: ١٠٨. محمد: ١٦.

قيلَ: معناهُ: إنَّ الله ـ تعالى ـ يجعلُ نُكتَةً سوداءَ[١] في قلبِ[٢] المنافقِ، والكافِرِ، لِتكُونَ علامةً لِلمَلائكةِ، يَعرِفُون بها أنَّه ممَّن لا يُفلِحُ أبداً.

وقيلَ: أي: طبَعَ فيها أثَرَ الذُّنُوبِ، لِتَعرِفَها الملائكةُ، فيَتبرَّؤا منهُم، ولا يُوَالُوهُم، ولا يستغفِروا لهُم.

وقيلَ: المرادُ ـ بذلكَ ـ الذَّمُّ لها، بأنَّها كالمطبُوعِ عليها، فَلَا يَدخُلُها خيرٌ، ولا يَنتفي عنها شَرٌّ. وحالُ الذَّمِّ تقتضي صِفاتِ المَدِح.

قال جريرٌ[٣]:

ألَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا ... وأندَى العَالمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وبَعدُ: فإنَّ الطَّبْعَ، وقعَ بِنَفسِ الكُفرِ، فقالَ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ﴾[٤]. والخصمُ لا يَقُولُ بذلكَ.

ويكونُ معنى[٥] الطَّبعِ، والخَتْمِ، العلامَةَ المُميِّزةَ بينَ المؤمنِ، والكافِرِ. والمنعُ إنَّما يَصُحُّ في القادِرِ، لأنَّ من ليسَ بِقادِرٍ على الشَّيءِ، غيرُ معقُولٍ.

***

(١) في (أ): سوداً.

(٢) في (أ): القلب. مع (أل).

(٣) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: ١: ٨٩.

(٤) النساء: ١٥٥.

(٥) في (هـ): المعنى الطبع.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ﴾[1]. الرَّبطُ: هوَ الشّدُّ في الأصلِ. ولا تَعَلُّقَ بذلكَ في بابِ الإيمانِ، وليسَ فيهِ ما بهِ رَبطٌ على قُلُوبِهِم، وإنَّما فيهِ الإخبارُ عنِ الرَّبطِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾[2].

لا تَعلُّقَ لخَصمِ فيهِ، لأنَّهم لَّما عَدَلُوا عنِ الحقِّ، جُعلَتِ الأكنَّةُ على قُلوبِهِم، والوَقرُ في آذانِهِم، عُقُوبةً لهُم، لاخِتيارهم ذلكَ. وإنَّهُ قالَ: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، ولم يقُل: لِئلَّا يَفقَهُوهُ. وهذا عُدُولٌ عنِ الظَّاهرِ.

والكنُّ على القَلبِ، والوَقرُ في الأُذُنِ، غيرُ ما نِعَينِ منَ الإيمانِ، لأنَّ الغطاءَ المُسمَّى الخِلْبَ[3]، هُوَ في البَطْنِ، وَلَهُ غِطاءٌ، والصَّمَمُ، آكدُ منَ الوقرِ. وقد يُؤمنُ الأصَمُّ، ولا مانعَ هناكَ، لقولِهِ: / ٨١ / ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾[4]، ونحوها.

***

(١) الكهف: ١٣، ١٤.

(٢) الأنعام: ٢٥.

(٣) الخِلْب: ج: أخلاب. حِجَابُ القلب، وحجابُ الكبَد. (المنجد ـ خلب).

(٤) الإسراء: ٩٤، والكهف: ٥٥.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْـقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْـلالاً فَهِـيَ إِلَى الأَذْقـانِ فَهُـمْ مُقْمَحُـونَ وَجَعَلْنـا مِـنْ بَـيْنِ أَيْـدِيهِمْ سَدًّا...﴾ الآيةُ[1].

المنعُ منَ الإيمانِ، لا يصُحُّ على مذهبِهِمْ، وإنَّما صحَّ عـلى مـذهبِ مـن قـالَ بالاختِيَارِ.

والجَرْيُ[2] على الظَّـاهِرِ، غـيرُ مُوجـبِ المَنـعَ مـنَ الإيـمانِ، لأنَّ المغلُـولَ، والمأخوذَ عليهِ، يُؤمنُ. وما ذَكَرَهُ جَرَى عَلَى جِهَةِ الذَّمِّ لَهُمْ، والتَّوبيخِ، وإنَّهُـمْ مـن حَيثُ أعرضُوا عَنِ الإيمانِ، لم يَنتَفِعُوا بالآياتِ الدَّالَّةِ على الحقِّ.

يَشهَدُ ـ بذلِكَ ـ قولُهُ ـ عُقيبَ الآيةِ بلا فصلٍ ـ: ﴿سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، وعُقَيبَ الآيةِ الثَّانيةِ: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْـهُدى فَلَـنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾[4].

ثُمَّ إنَّ المُرادَ ـ بهذِهِ الآياتِ ـ وصفُ حـالِهِمْ في الآخـرَةِ، فقَولُـهُ: في «الأَغلالِ»، «والسَّلاسَلِ»، كقولِهِ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[5]، وقولـهِ: ﴿إِذِ الأَغْـلالُ فِي

(١) يس: ٧ـ ٩.

(٢) في (هـ): الجبريّ.

(٣) يس: ١٠.

(٤) الكهف: ٥٧.

(٥) الحاقّة: ٣٠.

أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[١]. وقالَ في «السَّدِّ»: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْـمُنافِقُونَ وَالْـمُنافِقاتُ...﴾[٢] إلى قولِهِ: ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْـعَذابُ﴾[٣]، قالَ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْـقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾[٤].

قال السُّدِّيُّ[٥]: إنَّ ناساً من قُرَيشٍ همُّوا بقَتلِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فلَمَّا جاءُوهُ[٦]، جُعلَت أيديهم إلى أعناقِهم، فَلَمْ يستَطيعُوا أن يبَسُطُوا إليهِ يداً.

وقالَ قومٌ: حالَ اللهُ بينَهُم، وبَينَ ما أرادُوهُ، فَعَبَّرَ عن ذلكَ بأنّهُ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٧].

وقوله: ﴿فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[٨]. أي: بظُلمَةِ اللَّيلِ، فَهُم[٩] لايُبصرُون النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[١٠]، كما قالَ: ﴿وَإِذا قَرَأْتَ الْـقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ

(١) غافر: ٧١.

(٢) الحديد: ١٣.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) الإسراء: ٩٧.

(٥) مجمع البيان: ٤: ٤١٧. الدر المنثور: ٧: ٤٣.

(٦) في (ك): جاءوهم.

(٧) المائدة: ٦٤.

(٨) يس: ٩.

(٩) في (ح): وَهُم. معَ الواو.

(١٠) في (أ): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلّم.

وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾[١].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾[٢].

ليس فيها أَنَّه يفعَلُها اللهُ ـ تعالى ـ في القلبِ، أو يصُدُّ بها عنِ الإيمانِ، وإنَّما أرادَ بالغشاوَةِ، إلفَهُم الكفرَ، ومحبَّتَهُم لهُ.

ولم يقُل ـ تعالى ـ: إنَّه جعلَ عَلَى قُلُوبِهِم غشاوةً، بَل أخبَرَ أنَّه كذلكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً﴾[٣].

أي: مَنَعْنَاهُمْ[٤] الألْطَافَ الَّتي تُنَبِّهُ المُؤمنينَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَلّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٥].

معناهُ: ليسَ الأمرُ عَلَى ما قَالُوهُ، بَل غَلَبَ عَلى قُلُوبِهِم. يُقَالُ: رانتِ[٦]

---

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) المائدة: ١٣.

(٤) في (أ): معناهم. بالعين المهملة ثم النّون الموحّدة من فوق.

(٥) المطفّفين: ١٤

(٦) في (أ): رايت. بالياء المثناة من تحت.

الخَمرُ عَلى عَقلِهِ، تَرِينُ: رَيناً. إذا سَكَرَ، فغَلَبَ على عَقلِهِ. فَالرَّينُ، غَلَبَةُ[١] الشَّكِّ عَلَى القَلبِ. قَالَ أبو زُبيدٍ[٢] الطَّائيُّ:

ثُمَّ لما رآهُ رانَت[٣] بِهِ الخَمرُ وأن لا يَرِينَهُ باتِّقَاءِ

وَقَالَ الحسنُ[٤]، وقتادةُ[٥]: الرَّينُ: الذَّنْبُ عَلى الذَّنْبِ، حتَّى[٦] يَمُوتَ القَلبُ.

وَقِيْلَ: مَعْنَى «رَانَ»: غَطَّى، وَغَشَّى[٧].

قَالَ البَلْخِيُّ[٨]: وَفي[٩] ذَلِكَ دَلالةٌ عَلى مَا يَقُولُهُ أهلُ العَدلِ، لأنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ أَخْبَرَهُم: أنَّهُم الَّذينَ يَجعلُونَ الرَّينَ عَلى قُلُوْبِهِم.

***

---

(١) في (ش): غلبت، بالتاء المثناة المبسوطة.

(٢) شعر أبي زبيد الطائي: ٢٨. وفيه: «وَان لا يرِ يبه...» بالباء الموحدة من تحت، وقد أشار محققه إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا.

(٣) في (أ): رايت. بالياء المثناة من تحت.

(٤) جامع البيان: ٣٠: ٩٨. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤٥٣. الدر المنثور: ٨: ٤٤٧.

(٥) جامع البيان: ٣٠: ٩٩. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤٥٣. الدر المنثور: ٨: ٤٤٧.

(٦) في (هـ): على. وهي ساقطة من (أ).

(٧) في (ك): عشى. بالعين المهملة.

(٨) مجمع البيان: ٥: ٤٥١.

(٩) في (هـ): في. من دون الواو. وفي (ح): وفيها.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[١].

قَالُوا: إِذَا كَانَ اللهُ هُوَ الَّذي أَلَّفَ بينَ قُلوبهم، وأنقذَهُم منَ النَّارِ، صَحَّ أَنَّ أفعالَ الخَلْقِ، خَلقٌ لهُ.

قُلْنَا: لا يجبُ ذلكَ، لأَنَّا نَقُولُ: إنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أَلَّفَ بَينَ قُلوبِ العرَبِ، فأنقذَهُم مِنَ النَّارِ. وَلا يَجِبُ مِنْ ذَلِكَ أن تكونَ[٢] أفعَالُهم، أفعَالاً للنَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ ولا مُشاركاً لَهُم.

وَمَعْنَى «فَأَنْقذَكم مِنَ النَّار»[٣]: أَنَّهُ دَعَاهُم إلى الإيمانِ، ورَغَّبَهُم، فلَمَّا كانَ إسلامُهُم، ونجَاتُهُم، بِمعُونَتِهِ، ودُعائِهِ، كانَ هوَ المؤلِّفَ لِقلوبِهم، والمنقذَ لهم من النَّارِ، على هذا المعنى. لا أَنَّهُ[٤] أنشَأَ أفعالَهُم، وأحدَثَها.

وَيَجُوزُ أن يُقَالَ[٥]: أَلَّفَ اللهُ بينَ الكُفَّارِ، فلم يأتلِفُوا، وأنقَذَهُم، فَلَم يستنقذِوا. فيفيدُ ذلك، كما قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[٦].

***

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (ح): فأنقذهم.

(٤) في (أ): لأنّه. وهو تحريف.

(٥) في (هـ): يقول. بصيغة المبني للمعلوم.

(٦) فصلت: ١٧.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْـمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[1].

وَعَدَهُم[2] بالحيلُولَةِ بينَهُم وبينَ قلوبهم.

والوعيدُ لا يقعُ إلَّا بماذكرُوهُ[3].

والظَّاهِرُ يقتَضِي أن يَفرُقَ بينَ المرءِ، وقَلبِهِ، حتَّى لا يتَّصِلَ أحدُهما بالآخَرِ، لأنَّ هذا، هوَ حَقيقَةُ الحَيلُولةِ، وليسَ للأيمانِ[4] فيها ذِكرٌ[5].

﴿يَحُولُ بينَ المرءِ وقلبهِ﴾ بإزالةِ عقلهِ، وإبطاءِ تَمييزِهِ، وإن كان حيّاً. ويُقالُ ـ لِمَنْ فَقَدَ عَقلَهُ، وَسُلِبَ تَمييزُهُ ـ: إنَّه بغَيرِ قلبٍ، قالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[6].

قال الشَّاعرُ[7]:

وَلِيَ الْفُ بابٍ قد عَرَفتُ طَريقها ... ولكن بِلا قَلبٍ ! إلى أينَ أذهَبُ ؟

وبمعنى المُبالغَةِ في الإخبَارِ عن قُربهِ من عَبيدِهِ، وأنَّ الضَّمائرَ لَهُ باديةٌ،

---

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) (وعَدَ) ـ هنا ـ بمعنى: أوعد. للتهديد.

(٣) في (أ): ذَكرَهُ، من دون إسناد إلى واو الجماعة.

(٤) في (أ): الأيمان. من دون حرف الجر (اللام).

(٥) في (أ): ذكره. معَ الضمير (الهاء).

(٦) ق: ٣٧.

(٧) أمالي المرتضى: ١: ٥٢٦ وفيه: «وَلي ألف وَجْهٍ قد عرفت مكانهُ» وهو بلا عزوٍ.

قوله: ﴿وَنَحْنُ / ٨٢/ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1]. وإذا كانَ ـ عزَّوَجلَّ ـ أعلَمَ بما في قُلُوبِنا مِنَّا، ويجوزُ عَلينا السَّهوُ[2]، والنِّسيَانُ، والضَّلالُ، جازَ لهُ أن يقُولَ: إنّهُ يَحولُ بيننا، وبينَ قُلُوبِنَا، لأنَّ كُلَّ شَيَّ يَحُولُ بَينَ شَيئَينِ، فَهوَ أقرَبُ إلَيهما.

فَقَدْ بَالَغَ الله ـ تعالى ـ في صفَتهِ[3] القُربَ، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ المَسَافَةَ، كما تَقُولُ العرَبُ: فُلانٌ أقرَبُ إلى قلبي. وزَيْدٌ مِنِّي قَرِيبٌ.

و[4] «يَحُولُ بَينَهما»، أي: يَحُولُ بَينَهُ، وبينَ ما يَدعُوهُ إليهِ قلبُهُ مِنَ القَبائحِ بِالأمرِ، والنَّهي، والوَعدِ، والوَعيدِ، لأنَّا نَعلَمُ[5] أنَّه ـ تعالى ـ لَوْ لَمْ يُكلِّفِ العاقِلَ ـ معَ ما فيهِ منَ الشَّهوَةِ، والنِّفَارِ[6] ـ لم يَكُنْ لهُ عَنِ القَبيحِ مانِعٌ، فكأنَّ التَّكليفَ حائلٌ[7] بَينَهُ، وبَينَهُ من حَيثُ زُجِرَ عَنْ فِعلِهِ.

ثُمَّ إنَّ المؤمِنينَ، كانوا يُفَكِّرونَ في كثرةِ [عَدُوِّهم، وقِلَّةِ][8] عَدَدِهم،

---

(١) ق: ١٦.

(٢) في (أ): المشهو.

(٣) في (ك) و(هـ): صفة.

(٤) الواو ساقطة من (ح).

(٥) في (أ): علم. بصيغة الماضي.

(٦) في (ش): النفاد. بالدال المهملة.

(٧) في (هـ) و(ح): فكانَ التكليفُ حائلاً.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

فيَدخُلَ في قُلُوبِهِم الخَوفُ، فأعلَمَهُم ـ تعالى ـ أنَّهُ[1] يَحُولُ بينَ المَرءِ، وقَلبِهِ، بأن يُبَدِّلَهُ[2] بالخوفِ أمناً، ويُبدِّلَ عَدُوَّهُم على ضِدِّهِ.

الجبَّائي[3]: يَحُولُ بينَ المرءِ، وبينَ الانتفاعِ بِقَلبِهِ، بالمَوتِ، فلا يُمكِنُهُ إستدرَاكَ ما فَاتَ، ويُقَوِّي ذلكَ مَقَالُهُ[4] في آخرِ الآيةِ: ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[5].

هِشَامُ بنُ سَالِمٍ: قالَ الصَّادِقُ[6] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: يَحُولُ بَينهُ، وبينَ أن يَعلَمَ أنَّ الباطلَ حقٌّ.

اِبنُ رُزِّيك[7]:

ولَيسَ يحولُ اللهُ بينَ مُكَلَّفٍ وطَاعَتِهِ، كَلَّا! وَحُوشِيَ مِنَ الجَبرِ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا﴾[8].

---

(١) في (هـ): بأنه. مع الباء.

(٢) في (هـ): يبدلهم.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٥٣٤.

(٤) في (ش): مقالة. بالتاء المربوطة المنقوطة.

(٥) الأنفال: ٢٤.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٥٣٤.

(٧) أخلَّ به ديوانه. ط محمد هادي الأميني.

(٨) الكهف: ٢٨.

أي: وجَدناهُ غافِلاً، مُتَّبعَاً هَواهُ. يدُلُّ ـ على ذلكَ ـ قولهُ: ﴿وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾(١).

ويُقالُ: لا تُطِع من سمَّيناهُ غافلاً، أو نَسَبناهُ إلى الغَفلَةِ، كَقَولِكَ: كَفَّرناهُ. أي: نسَبناهُ إلى الكُفرِ.

ويقالُ: أي: من تَركنَا قَلبَهُ غُفلاً، ولم نَسِمهُ بِسِمَةِ المؤمنينَ مِنَ الكِنَايةِ. ويكونُ تَرْكُ السِّمَةِ ـ أصلاً(٢) ـ علامَةً ـ أيضاً ـ على الكفرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ﴾(٣).

لَيْسَ فِيها ذِكرٌ للمِحَّبةِ. والعِجلُ، لا يُشرَبُ، وكذلكَ المحَبةُ. وَلَمْ يقُل: إنَّ اللهَ، أشربَ قُلوبَهُمْ.

وذكَرَ: أنَّهُم أُشرِبُوا ذلكَ بِكُفرِهِم. ولَفظُ المَجهُولِ، لا حُكمَ لهُ، وَقَدْ يَأْبى أنْ يَكُونَ لهُ فَاعِلٌ سِوَى المَوْصُوفِ.

---

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) في (أ): اصلاعاً.

(٣) البقرة: ٩٣.

شاعرٌ[١]:

لَمْ يَخْلُقِ اللهُ خَلقَهُ عَبَثاً ... وَلَمْ يَدَعْهُمْ - سُدَىً - بِمَا صَنَعُوا

إنْ أحسَنُوا، أحسَنُوا لأنفُسِهِم ... وإنْ أسَاءُوا بِفِعلِهِم وقَعُوا

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها﴾[٢].

أي: كأنَّهُم لم يَفقَهُوا بِقُلوبِهِم، ولَمْ يَسمَعُوا بآذانِهِمْ، وَلَمْ يُبصِرُوا بِعُيُونِهِم ما كانُوا يُؤمَرُونَ بِهِ، كأنَّهم صُمٌّ، بُكمٌ، عُميٌ.

مَسكينٌ الدَّارِميُّ[٣]:

أعمى إذا مَا جَارَتي خَرَجَتْ ... حتَّى يُوارِي جَارَتي السِّتْرُ

وَأصَمُّ - عمَّا كانَ بَينَهُما - ... سَمِعي وَمَابِي - غَيرُهُ - وَقرُ

***

(١) لم نقف على اسم القائل ولا مورد أخذِهِ.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) ديوان مسكين الدارميّ: ٤٥.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما تُغْنِي الآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

قالوا: «مَا» للنَّفي. يَعني: مَا تُغني عَنهُم شيئاً، يَدفعُ الضَّرَرَ، إذا لم يُفكِّروا فِيها. كقَولِكَ: وما يُغنِي[٢] عَنكَ المَالُ شيئاً، إذا لم تُنفقْهُ في وُجوُهِهِ.

وَقَالُوا: «ما» لِلاستِفهامِ، كقولكَ: أيُّ شيءٍ تُغني عَنهُم مِن اِجتِلابِ نَفعٍ، أو دَفعِ ضَرَرٍ، إذا لم يستدِلُّوا بِها؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾[٣].

أرادَ بـ«السُّوءِ» عَذَاباً، وَنِقمَةً. والعذَابُ يَكونُ سُوءَاً[٤]، ولا يكونُ إساءَةً، لأنَّ الإساءَةَ، هِيَ الَّتي مَتَى يَفعَلُها فاعِلُها، فَهوَ مُسِيءٌ. والإساءَةُ، الكُفرُ.

وأمَّا السُّوءُ، فقد يَكونُ حِكمَةً، وعَدلاً. والعذَابُ، والنِّقمَةُ مِنَ العَدْلِ، والحِكْمَةِ.

***

(١) يونس: ١٠١.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): تغني. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) في (ك): سواء.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْـكُفْرَ﴾[1].

فيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أنَّ الكُفرَ، لَيسَ مِن فِعْلِ الله، ولا بِإرَادتِهِ، لأَنَّهُ لوْ كانَ مُرِيدَاً لهُ، لكَانَ[2] رَاضِياً بِهِ، لأنَّ الرِّضى، هُوَ الإرَادَةُ، إذا[3] وَقَعَتْ عَلى وَجهٍ.



(١) الزُّمر: ٧.

(٢) في (أ): كان. من دون (اللام) الواقعة في جواب الشرط.

(٣) (إذا) ساقطة من (أ).

فصل [-١٦-]

[في معنى الصَّرف]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1].

إنَّهُ ذِكرٌ عن نَفسِ الآياتِ، وليسَ للأيمانِ فيها ذِكرٌ.

والآياتُ هي:[2] الدَّلائلُ، والكتابُ، والأمُورُ الماضِيَةُ. وأصلُها العَلامَةُ. صرَفَهُم عن ثَوابِ النَّظرِ في آياتِ الله، المُستَحِقِّ صَاحِبُها الثَّوابَ.

وَيَعْنِي بِالآياتِ[3]: الأدِلَّةُ، ومُعجِزاتُ الأنبياءِ، وكَانُوا عَنها غَافِلِينَ.

وَأَرَاد: صَرفَهُم عَن زِيادةِ المُعجزاتِ، بعدَ ما تقدَّمَ مِن آياتِ الأنبِيَاءِ [-عليهم السَّلام-][4] لأَنَّهُ - تعالى -/ ٨٣/ إنَّما يُظهِرُها إذا عَلِمَ أنَّه يُؤمِنُ - عندَها -

---

(١) الأعراف: ١٤٦.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): في.

(٣) في (أ): أبا الآيات. وهو تحريف.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

مَن لَمْ يُؤمِنْ بِمَا تَقَدَّمَ منَ الآياتِ. ويَكونُ الصَّرفُ إمَّا بأنْ لا يُظهِرَهَا جُملَةً، أو بأن يَصرِفَهُم عَن مُشاهَدَتِهَا. وإذا صَرَفَهم عَنْهَا، فقَد صرَفَها عَنهُم، وأنَّ بَعضَ الجُهَّالِ في زَمانِهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ اِعتَقَدُوا جَوازَ المُعجِزَاتِ على يَدِ الكُفَّارِ المذكورينَ، فأكذَبَهُم اللهُ بذلكَ، وصَرَفَ من رَامَ المَنعَ مِن أدَاءِ آياتِهِ، لأنَّ مِنَ الوَاجِبِ على الله ـ تعالى ـ أن يَحُولَ بينَ مَن رَامَ ذلكَ، وبَينَهُ، لأنَّه ينقُضُ الغَرضَ في البِعثَةِ: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] فتكُونُ الآياتُ القُرآنَ، ونحوَهُ.

والصَّرفُ ـ هاهُنا ـ الحُكمُ، والتَّسمِيَةُ، والشَّهادَةُ. ومن شَهِدَ[2] على غَيرِهِ بالانصِرَافِ عَن شَيءٍ، فجَائزٌ أن يُقَالَ: صَرَفَهُ عَنهُ، كَما قالَ: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[3] يُوافِقُهُ[4] قولُهُ: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾[5].

ولَمَّا عَلِمَ[6] اللهُ ـ تعالى ـ أنَّ الَّذينَ يتكَبَّرُونَ في الأرضِ بغَيرِ الحَقِّ، سيُصرَفُونَ عنِ النَّظَرِ في آيَاتِهِ، والإيمَانِ بِهَا، إذا أظهَرَهَا عَلى أيدِي رُسُلِهِ، جازَ أن

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) في (أ): يشهد. بصيغة المضارع.

(٣) التَّوبة: ١٢٧.

(٤) في (هـ): يوافق. من دون الضمير (الهاء).

(٥) الأعراف: ١٤٦.

(٦) في (هـ): أعلم. معَ همزة التعدية.

يَقُولَ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾[١]. فيُرِيدُ[٢]: سأظهِرُ ما ينصرِفُونَ ـ بِسُوءِ اِختِيَارِهِم ـ عنهُ. تَقُولُ: سأبَخِّلُ فُلانَاً، وسأخَطِّئُهُ. أي: أسألُهُ[٣] ما يَبخَلُ بِبَذلِهِ، وامتَحِنُهُ بِما يُخطِئُ فيهِ.

والصَّرفُ، هُو المَنعُ مِن إبطَالِ الآياتِ، والقَدحِ فِيها بما يُخرِجُها أن تَكُونَ[٤] حُجَجَاً. وإنَّ اللهَ ـ تعالى ـ لَمَّا وَعَدَ موسى[٥] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وأمَّنهُ بِإهَلاكِ عَدُوِّهِم، قالَ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٦].

لَمْ يَقُلْ: فصرَفَ[٧]. على سَبِيلِ الحُكمِ، والخَبَرِ[٨]. إذ لَوْ كَانَ عَلَى ذلكَ،

(١) التوبة: ١٢٧.

(٢) في (ح): فيريد. معَ الفاء.

(٣) في (أ): سأله.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) في (هـ): لموسى.

(٦) التوبة: ١٢٧.

(٧) في (ح): يصرف. بصيغة المضارع، وهو تحريف.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الجبر. بجيم معجمة من تحت بعدها باء موحّدة من تحت. وهو تصحيف.

لأدْخَلَ عَلَيهِ «الفاء». وإنَّما قَالَ على سَبيلِ الدُّعاءِ[1] علَيهم، كَقَولِكَ: خَرَجَ زَيدٌ ـ لعَنَهَ اللهُ ـ. فَلَو كانَ ذلِكَ خبَراً، لَقَالَ: فلعَنَهُ اللهُ.

وإنَّهُ لَمْ يذكُرِ المَصرُوفَ عَنهُ. فَالمَصرُوفُ[2] عنهُ محذُوفٌ، غيرُ مذكُورٍ.

وإنَّ ذلكَ كَالجزَاءِ عَلى[3] انِصرَافِهِمْ، لأنَّ انِصرَافَهُمْ، كُفرٌ، ولا يجوزُ أنْ يجعَلَ الجزَاءَ عَلَيهِ كُفراً آخَرَ.

بَيتٌ[4]:

[جَـزَى اللهُ شَرّاً قَـابِضاً بِصَنيعِـهِ] وكُـلُّ امِـرِىءٍ يُجـزَى بِـمَا كَـان سَـاعِيَا

آخرُ[5]:

كُـلُّ امِـرِى في رُشـدِهِ وَغَيِّـهِ وإنَّـما يُجـزَى بِقَـدرِ سَـعيهِ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذا قَرَأْتَ الْـقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ

---

(١) الدعاء: نوعٌ من الإنشاء وليس خبراً.

(٢) في (ش): والمصروف. معَ الواو.

(٣) في (هـ): عَنْ.

(٤) قائلته ليلى الأخيلية. انظر: ديوان ليلى الأخيلية: ١٢٣ ومنه صدر البيت. و(قابض): هو رَجُلٌ فَرَّ من توبة فعيَّرته الشاعرة. وفي (ح): شطر. بدلاً من: بيت.

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾[١]، مثلُ قولهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً...﴾ الآية[٢].

وسَبَبُ نُزُولِهَا: أنَّ الكُفَّارَ. كانُوا إذا سَمِعُوا القُرآنَ مِنَ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٣] آذَوهُ، ورَجَمُوهُ، وشَغَلُوهُ عَن صَلاتِهِ، كما قالَ: ﴿لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[٤]، وقالَ[٥]: ﴿وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلّا مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾[٦]. فحَالَ اللهُ بَينَهُمْ، وبَينَ اِستِماعِ ذلِكَ، في تِلكَ الحالِ الَّتي كَانُوا عَازِمِينَ فِيها عَلَى أذاهُ، بأن ألقَى عَلَيهم النَّومَ، إذ قَعَدُوا يَرصُدُونَهُ، ولا يَعرِفُونَ مَكانَهُ.

وإنَّما فعَلَ ذلكَ، لِعِلمِهِ بأنَّهُم[٧] لا يُؤمِنُونَ، كَما قالَ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها﴾[٨]، وقال: ﴿إِنْ هذا إِلّا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[٩].

---

(١) الإسراء: ٤٥.

(٢) الأنعام: ٢٥.

(٣) في (أ): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلّم.

(٤) فصلت: ٢٦.

(٥) (وقال) ساقطة من (ح).

(٦) الأنفال: ٣٥.

(٧) في (ش): بأنّهم لأنّهم لا يؤمنون.

(٨) الأنعام: ٢٥. الأعراف: ١٤٦.

(٩) الأنعام: ٢٥. الأنفال: ٣١. المؤمنون: ٨٣. النَّمل: ٦٨.

ويُمكِنُ أنَّهُ ـ تعالى ـ يُضَيِّقُ صُدُورَهُم، فَلا يَفقَهُونَ، ولا يَسمَعُونَ، لِعِلمِهِ بأنَّهُم لا يُؤمِنُونَ من غَيرِ أن يَكُونَ حائلاً بَينَهُم، وبَينَ الإيمان.

والحجابُ، والوَقرُ، والآكِنَّةُ [تَكُونُ عَلى وَجهِ الاستعَارةِ، والمجازِ، كَما سَمَّى الكُفرَ، عَمَىً.

ويحمتَلُ أنْ يُشَبِّهَ][1] الكفرَ الَّذي في قُلُوبِهِم بِالِكنِّ، و يَنسِبُ هذا «الجَعْلَ» إلى نَفسِهِ، كَما يَقُولُ: جَعَلتُ فُلاناً فَاضِلاً، وجَعَلتُهُ فَاسِقاً. وجَعَلَ القَاضِي فلاَناً عَدْلاً، أو فَاسِقاً. وَإن لَم يَكُن مِن ذلكَ شيءٌ.

قال الشَّاعِرُ[2]:

جَعَلتني بَاخِلاً كلَّا ورَبِّ مِنَىً إنِّي لأَسمَحُ كفَّاً مِنكَ في اللَّزبِ



(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ١٠٦. وفيه: «كلاب وربّ منىً...» مجمع البيان: ٢: ٢٨٦. من دون عزو فيها.

فصل [-١٧-]

[في معنى المرض والرجز والقَسْوَة]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[١].

أي: حُزنٌ، وعِلَّةٌ. ولو كانَ الشَّكُّ مَرَضاً، لكانَ الشَّاكُّ مَرِيضاً، والمؤمِنُ صَحِيحاً. فيَجِبُ أن يُسمَّى كُلُّ كافِرٍ مَريضاً وكُلُّ مُؤمِنٍ صَحيحاً.

وأمَّا قَولُ الشَّاعِرِ[٢]:

ولَيْلَةٍ مَرِضتْ في كُلِّ ناحِيَةٍ فَما يُضِيءُ لَها شَمسٌ وَلَا قَمَرُ[٣]

فإنَّهُ بَالَغَ في كثرَةِ حُزنِهِ، وعِلَّتِهِ، كأَنَّهُ مُظْلِمٌ.

وقالَ أبو عُبيدةَ[٤]: [«المَرَضُ»][٥]: الشَّكُّ، والنِّفَاقُ.

---

(١) البقرة: ١٠.

(٢) هو أبو حيَّة النُّميريّ. انظر: شِعرَ أبي حيَّة النّميري: ١٤٨.

(٣) في (هـ): شمساً. بتنوين النَّصب. وفي (ح): فما يضيء بها.

(٤) مجاز القرآن: ١: ٣٢.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

وقالَ الطُّوسِيُّ(١): فَيكونُ مَعنَاهُ: إنَّ المُنَافِقينَ، كَانُوا كُلَّما أنزَلَ اللهُ آيَةً، أو سُورَةً، كَفروا بِها، فازدَادُوا ـ بذلكَ ـ كُفرَاً إلى كُفرِهم، وشَكّاً إلى شَكِّهِمْ. فَجَازَ ـ لذلِكَ ـ أن يُقَالَ: ﴿فَزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾(٢)، لَمّا اِزدَادُوا عِندَ نُزُولِ الآياتِ.

ومثلُهُ ـ حِكَايَةً عَن نُوحٍ ـ: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلّا فِراراً﴾(٣)، وهُم الَّذينَ اِزدادُوا فِرَاراً عِندَ دُعائِهِ. ومثلُهُ: ﴿فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾(٤).

والتَّقديرُ ـ في الآيَةِ ـ: في اِعتقادِ قُلُوبِهم ـ الَّذي يَعتقِدُونَهُ في الدِّينِ، والتَّصديقِ / ٨٤/ بِنبيِّهِ ـ مَرَضٌ.

وحذفَ المضَافَ، وأقَامَ المُضَافَ إليهِ، مُقَامَهُ، كما قالَ: ياخَيلَ الله اِركِبي. يعني: يا أصحَابَ خَيلِ الله. وكقولِهِ: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾(٥).

وإنَّما سمَّى الشَّكَّ في الدِّين، مَرَضاً، لأنَّ كُلَّ فاسِدٍ، يَحتَاجُ إلى عِلاجٍ. ومَرَضُ القَلبِ، أعضَلُ، ودَواؤهُ أعسَرُ، وأطِبّاؤُهُ أقَلُّ.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١: ٧٢.

(٢) البقرة: ١٠.

(٣) نوح: ٥، ٦.

(٤) التوبة: ٢٥.

(٥) يوسف: ٨٢.

ثمَّ قالَ ـ في آخرِ الآيةِ ـ: ﴿وَماتُوا وَهُمْ كافِرُونَ﴾[١]. فيهِ بَيَانٌ: أنَّ المرَضَ في القَلبِ، أدَّاهُم إلى أن مَاتُوا عَلَى الكُفرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[٢].

الظَّاهرُ لا يَقتَضي أنَّ الآياتِ، زادَتهُم رِجسَاً. وفي عُدُولِهِم عنها تَركٌ لِلظّاهِرِ.

وآخرُ الآيةِ: ﴿وَماتُوا وَهُمْ كافِرُونَ﴾[٣]، فيه بَيانٌ أنَّ رِجسَهُم، كَانَ سَببَ[٤] مَوتِهِم كُفَّاراً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[٥].

قالَ الفَرَّاء[٦]: الرِّجزُ: العَذَابُ، يَجعَلُهُ عَلى الَّذين لا يَعقِلُونَ، أي: كأنَّهم

---

(١) التوبة: ١٢٥.

(٢) التَّوبة: ١٢٥.

(٣) التَّوبة: ١٢٥.

(٤) في (هـ): بسبب. مع حرف الجرّ (الباء).

(٥) يونس: ١٠٠.

(٦) معاني القرآن: ١: ٤٨٠.

لايَعقِلُونَ شيئاً ذَمَّاً لَهُم، وعَيباً.

وقال اِبنُ عبَّاسٍ[١]: الرِّجز: الغَضَبُ والسَّخَطُ.

وقال أبو عُبيدةَ[٢]: الرِّجزُ: العَذَابُ.

وقال الحسنُ[٣]: الرِّجز: الكفرُ. أي[٤]: يجعَلُهُ[٥]. بمعنى: أَنَّهُ يَحكُمُ أَنَّهم أهلُهُ، ذمَّاً لَهُم، وعَيباً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً﴾[٦].

القَسوَةُ: قِلَّةُ الرَّحمَةِ. وقَد يُوصَفُ بَعضُ الكُفَّارِ بأَنَّهُ رَقيقُ القَلبِ. كَما أَنَّهُ يُوصَفُ بَعضُ المؤمِنينَ بأَنَّه قاسِي القَلبِ، فَلا تَعَلُّقَ لَهَا بالكُفرِ.

والكُفرُ لا يُوجبُ القَساوَةَ، لأَنَّها إنَّما تَجِبُ عَنِ القُدرَةِ، المُوجِبَةِ لِذلِك،

---

(١) جامع البيان: ١١: ١٧٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٣٧. الدر المنثور: ٤: ٣٩٤.

(٢) مجاز القرآن: ١: ٤١.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٣٧.

(٤) (أي) ساقطة من (ح).

(٥) في (ح): بجعلِهِ. بحرف الجر الباء الداخلة على المصدر (جعل).

(٦) المائدة: ١٣.

دُونَ الكُفرَ، ولأنَّه[١] جَعَلَها كالجَزَاءِ عَلى الكُفرِ. ولا يَجُوزُ أن يَجعلَ الجَزَاءَ على الكُفرِ، كُفراً آخَرَ[٢]، لأنَّه يؤَدِّي إلى مَا لا نِهَايةَ لَهُ.



(١) في (هـ): لأنَّها.

(٢) (آخر) ساقطة من (ح).

فصل [ـ ١٨ ـ]

[في الإملاء للكافرين والإنعام عليهم]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾[1].

لا يَدُلُّ عَلى أَنَّهُ جَعَلَ لِلكُفَّارِ دُولَةً عَلى المؤمِنينَ[2]، كَما جَعَلَ للمؤمِنينَ دُولَةً، وغَلَبَةً عَلَيهم، لأَنَّه لا يجُوزُ أن يَنصُرَ اللهُ الكُفَّارَ عَلى المؤمنينَ، كَما يَنصرُ المؤمنينَ عَلى الكفَّارِ.

ويَعني بِقَولِهِ: ﴿نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾: أَنَّهُ يجعَلُ بَعضَ القَومِ، مُبتَدياً[3]، آمِناً، مُعَافَى، مَسرُوراً، والَّذينَ أَصابَهُم القَرحُ، في غَمٍّ[4]، وحُزنٍ، وأَلَمٍ.

ويجُوزُ ذلِكَ منَ الله ـ تعالى ـ في المؤمنينَ والكَافِرينَ جَميعاً؛ لأَنَّ الله ـ تعالى ـ

---

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) (على المؤمنين) ساقطة من (ح).

(٣) مبتدياً: ظاهراً، بادِياً.

(٤) في (ح): همٍّ.

يَمتَحِنُ الكَافِرِينَ، والمؤمنينَ، بمِثْلِ هذا.

ومَعنى «الدُّولَةِ»: الغِنَى. قولُهُ: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ﴾[١]. ومنهُ حَديثُ أبي سُفيَانَ[٢]: تَدَاوَلُوها تَدَاوُلَ الكُرةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوالاً فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ الآيةُ[٣].

إنَّما أعطَاهُم اللهُ ـ تعالى ـ ذلكَ الإنعَامَ عَلَيه[٤]، معَ تَعَرِّيهِ[٥] من وُجُوهِ الاستفسَادِ[٦]. وهذا اِستفهامٌ، والاستِفهامُ لا يدُلُّ على أنَّه فَعَلَ ذلكَ.

ثمَّ قال: ﴿لِيُضِلُّوا﴾. [وهذا][٧] بخلافِ مذهَبِهِ.

وَ «اللّامُ»: لامُ العَاقِبَةِ، وهوَ ما يؤولُ إليهِ الأمرُ، كَقَولِهِ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[٨].

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) تاريخ الطبري: مروج الذَّهب:

(٣) يونس: ٨٨.

(٤) (عليه) ساقطة من (هـ) و(ح).

(٥) في (أ): تقوِّبه. بالقاف المثناة بعدها واو مشدّدة.

(٦) في (ش): الاستسفاد. بالسين المهملة ثانياً بعدها الفاء الموحّدة.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٨) القصص: ٨.

قال الخِليلُ[١]: «اللّامُ» ـ هاهُنا ـ بمعنى «الفَاءِ». تقديرُهُ: فَضلُّوا.

وقال البلخيُّ[٢] : هذا مُقَدَّمٌ، مؤَخَّرٌ . تقديرُهُ : ربَّنا لِيُضلُّوا عَـنْ سـبيلكَ، فَلا يُؤمنُوا. [ربَّنَا أُطمُسْ عَلَى أموَالِهِم.

وقيلَ: المعنى: فَلا يؤمِنُونَ][٣] إيمَانَ إلجَاءِ، حتَّى يَرَوا العَـذَابَ، الألِـيمَ[٤]، وهُم ـ معَ ذلكَ ـ لا يُؤمِنُون إيمَانَ اِختِيارٍ أصلاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآباءَهُمْ﴾[٥].

ليسَ فِيهِ أنَّهُ متَّعَهُم لذلِكَ. والإمتَاعُ لَيسَ بِمُوجِبٍ للنِّسْيَانِ عَلَى مَذهَبِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً﴾[٦].

---

(١) في (أ): الجليل. بالجيم المعجمة من تحت.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٢٣.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) في (ك): أليم. من دون (أل).

(٥) الفرقان: ١٨.

(٦) آل عمران: ١٧٨.

قال البلخيُّ[١]: وَلا يَحْسَبَنَّ[٢] الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ[٣] إملاءَنا لَهُم رِضِىً بأفعَالِهِم، وقبُولٌ لَهَا، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ، لأنَّا نُمِلي لَهُم، وَهُم يَزْدَادُونَ إثماً، يَستَحِقُّونَ بِهِ عَذَاباً أليماً.

ومثلُهُ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾[٤]. أي: ذَرأنَا كثيراً منَ الخَلقِ، سَيصُيرونَ إلى جَهَنَّمَ، بِسُوءِ أفعَالِهِم.

وجَوَّزَ الأخفَشُ[٥] في قوله: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ﴾[٦]، كَسْرَ «أنَّما»، ليجعَلَهُ حُجَّةً لأهلِ القدَرِ، ويَجعَلَهُ عَلَى التَّقديمِ، والتَّأخِيرِ. كأنَّهُ قال: ولا يَحسَبنَّ[٧] الَّذينَ كَفَرُوا إنَّما نُملي لَهُم خَيراً[٨] لأنفُسِهِم.

فقال بعضُهُم: فَكَيفَ يكونُ هذا، وإلى جَنبِهِ: ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾[٩].

***

---

(١) مجمع البيان: ١: ٥٤٤.

(٢) في (ك) و(هـ) و(ح): تحسبنَّ. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) (أن) ساقطة من (هـ).

(٤) الأعراف: ١٧٩.

(٥) لم أقف عليه في كتابه (معاني القرآن) وهو في (مختصر في شواذ القرآن) لابن خالويه: ٢٣ معزو إلى يحيى بن وثّاب.

(٦) آل عمران: ١٧٨.

(٧) في (ك): تحسبنَّ. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٨) في (هـ): خير. من دون تنوين النَّصب.

(٩) آل عمران: ١٧٨.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصارُ﴾[(١)].

تأخيرُهُم إمَّا لِقَولِهِ: ﴿لِيَزْدادُوا إِيماناً﴾[(٢)]، أو لِقَولِهِ: ﴿لِيَزْدادُوا إِثْماً﴾[(٣)]، أو يَدفعُ بِهِم عَنِ الأولياءِ، قولهُ: ﴿وَلَوْ لا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ﴾[(٤)]، أو لِيُخرِجَ مِنهُم[(٥)] الولَدَ الصَّالِحَ، أو لِقَولِهِ: ﴿وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(٦)] / ٨٥/ أو أَنَّهُ يُبيِّنُ[(٧)] حِلمَهُ، أو أَنَّهُ إِنَّما يُعَجِّلُ[(٨)] من يَخَافُ الفَوتَ[(٩)].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ﴾ الآية[(١٠)].

قالَ المُفسِّرونَ: «اللَّام»، لَامُ العَاقِبةِ، وليسَتْ بِلَامِ الغَرَضِ. كأَنَّهُ قالَ: إنَّ عاقِبَةَ أمرِهِم، اِزدِيادُ الإثمِ، كما قالَ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ

---

(١) ابراهيم: ٤٢.

(٢) الفتح: ٤.

(٣) آل عمران: ١٧٨.

(٤) البقرة: ٢٥١، الحج: ٤٠.

(٥) في (ك): منه.

(٦) الأنفال: ٣٣.

(٧) في (ك) و(ح): بيَّن. بصيغة الماضي.

(٨) في (ش) و(ك) و(أ): يجعل. بجيم معجمة من تحت بعدها عين مهملة.

(٩) في (ك): الموت. بالميم، وهو تحريف.

(١٠) الأعراف: ١٧٩.

عَدُوًّا﴾[١]، وقالَ: **﴿وَجَعَلُوا للهِ أَنداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾**[٢]، وقال: **﴿لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ...﴾**[٣] إلى قولِهِ **﴿...لِيَجْعَلَ اللهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾**[٤].

وقال الشَّاعرُ[٥]:

لِدُوا للمَوْتِ وابْنُوا لِلْخَرَابِ [فكُلُّكُمُ يَصِيرُ إلى تَبَابِ]

ولا يَجُوزُ أنْ يُحمَلَ ذلِكَ على لَامَ الغَرَضِ، والإرَادَةِ، لِوَجهَينِ:

أحَدهما: إنَّ إرَادَةَ القَبيحِ، قبيحَةٌ. ولا يَجُوزُ[٦] ذلكَ على الله ـ تعالى ـ

والثَّاني: لَو كانَتِ «اللَّامُ» لَامَ الإرَادَةِ[٧]، لَكَانَ الكُفَّارُ مُطِيعِينَ لله مِنْ حيثُ فَعَلوا ما أرَادَهُ. وذلكَ خِلَافُ الإجمَاعِ، وقَد قالَ اللهُ: **﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[٨].

---

(١) القصص: ٨.

(٢) ابراهيم: ٣٠.

(٣) آل عمران: ١٥٦.

(٤) آل عمران: ١٥٦.

(٥) هو أبو العتاهية. انظر شرح ديوان أبي العتاهية: ٢٣. ومنه تمام البيت.

(٦) في (هـ): وذلك لا يجوز على الله ـ تعالى ـ.

(٧) في (أ): إرادة. من دون (أل).

(٨) الذاريات: ٥٦.

بَيتٌ[1]:

وَلَيسَ للإنسانِ إلَّا ما سَعَى وَكُلُّ ساعٍ سَعيُهُ سَوفَ يُرَى



(١) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

فصل [ـ ١٩ ـ]

[الإذن بمعنى العلم أو التخلية]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَـمُوتَ إلّا بِإِذْنِ الله﴾[1].

الإذنُ: العِلمُ. من قَولِهِم: أذِنتُ فُلاناً بِكذَا، وأذِنتُ لِكَذا.

﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلّا بِإِذْنِ الله﴾، أي[2]: بِعِلمِهِ. قولُهُ: ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلى سَواءٍ﴾[3]. والأمرُ: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ الله﴾[4]، أي: يُسهِّلُ السَّبيلَ إليهِ.

وقد جاءَ «الإذنُ» بمعنى: التَّخلِيةِ، والإباحَةِ، لأنَّ الموتَ ليسَ إلى الإنسانِ، فيَكُونُ مأموراً بِهِ، أو مبَاحاً لهُ، وليسَ ذلكَ مِن فِعلهِ. ولا خلافَ بأنَّ الإنسانَ، يموتُ بِأجَلِهِ عِندَ الوَقْتِ الَّذي عَلِمَ الله ـ تعالى ـ.

***

(١) آل عمران: ١٤٥.

(٢) (أي) ساقطة من (ك).

(٣) الأنبياء: ١٠٩.

(٤) البقرة: ٩٧.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾[١].

أي: بِعِلمِ الله. فكأَنَّهُ قالَ: لَا تُصِيبُكم[٢] مُصِيبةٌ، إلَّا واللهُ ـ تعالى ـ[٣] عالمٌ بِها.

قال البَلخيُّ[٤]: معناهُ: إلَّا بتخلِيةِ الله بينكُم، وبينَ من[٥] يُريدُ فعلها.

وسأَلَ محمَّدُ بنُ سُلَيمانَ الهاشِميُّ عُمرَ بن قائدٍ عن قوله: ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾[٦].

فقالَ: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾[٧].

ثمَّ قالَ: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[٨]، أي: الَّذينَ لَمْ يَعلَمُوا ما أوجَبَ عَلَيهم، وصَفَهُم بأنَّهم لا يَعقِلُونَ. كما قالَ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[٩]، أي:

---

(١) التغابن: ١١.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يصيبكم. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) (تعالى) ساقطة من (هـ).

(٤) مجمع البيان: ٥: ٣٠٠.

(٥) في (أ): ما.

(٦) يونس: ١٠٠.

(٧) النساء: ١٧٠.

(٨) يونس: ١٠٠.

(٩) البقرة: ١٨، ١٧١.

أَنَّهُ لا يُمكِنُ أحدٌ أن يُؤمِنَ بإطلاقِ الله لَهُ[١] في الإيمانِ، وتمكِينِهِ[٢] منهُ، ودُعائهِ إليهِ، بما خلقَ فيهِ منَ العَقلِ المُوجِبِ لذلكَ.

وقال الحسن[٣]، وأبو عليٍّ[٤]: إذنُهُ ـ هاهُنا ـ أمرُهُ، كما قالَ اِبنُ قائدٍ.

وحَقِيقَةُ إطلاقِهِ ـ في الفِعلِ ـ بِالأمرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾[٥].

يعني: تخليةَ الله. فكأنَّه أفادَ: أنَّ العِبادَ، لا يُعجِزُونهُ[٦]، وما هُم بِضَارِّينَ بِهِ أحدَاً، إلَّا بأنْ[٧] يُخلِّيَ[٨] اللهُ بَينَهُم، وبَينهُ. ولَو شاءَ، لَمنعَهُم بِالقَهرِ، زائداً علَى مَنعِهِمْ بِالزَّجرِ.

أو تكونُ «إلّا» زيادةً، فيَكونُ المعنى: وما هُم بضَارِّينَ بهِ مِن أحدٍ، بإذنِ

---

(١) في (أ): له ما في الإيمان.

(٢) في (أ): يمكنه. بصيغة المضارع.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٥: ٣٠٠.

(٥) البقرة: ١٠٢.

(٦) في (ش): يعجزوه. من دون نون الرفع.

(٧) في (هـ): باذن.

(٨) في (ش): يخلق. بالقاف المثناة.

الله. كما يقالُ: لَقيتُ زَيداً إلّا أنّي أكرَمتُهُ. أي: لَقِيتُ زيداً، فأكرَمتُهُ.

ويكونُ[1] «الضَّرَرُ» المُضافُ إليهِ، هُوَ ما يَلحقُ المسحورَ[2] مِنَ الأدويةِ الّتي يَطعمُهُ إيّاهَا السَّحرةُ.

والضَّرَرُ الحَاصِلُ نحوَ هذا من فِعلِ الله بالعادةِ، لأنَّ الأَغذِيةَ، لا توجبُ ضَرّاً، ولا نفعاً.

وإن كانَ المُعرِّضُ[3] لِلضَّرَرِ من حَيثُ كانَ الفَاعِلُ لَهُ، هُوَ المُستَحِقّ لِلذَّمِّ. وعليهِ يَجِبُ العِوضُ.

والضَّررُ المَذكُورُ منَ التَّفريقِ بَينَ الأزواجِ أنَّه إذا ارتَدَّ أحدُ الزَّوجَينِ، وكَفَرَ، بَانَتْ مِنهُ زَوجَتهُ، فاستَضَرَّ بذلِكَ، كانُوا ضَارِّينَ لَهُ، ممَّا حسَّنُوهُ لهُ منَ الكُفرِ، إلّا أنَّ الفُرقَةَ، لم تَكُن إلّا بإذنِ الله، وحكمِهِ، لأنَّه ـ تعالى ـ هُو الَّذي حَكَمَ، وأمرَ بِالتَّفريقِ بينَ المُختَلِفي الأديانِ، فلِهذا قال: ﴿وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلّا بِإِذْنِ الله﴾[4].

والمعنى: إنَّه لَو لا حُكمُ الله ـ تعالى ـ وإذنُهُ في الفُرقَةِ بينَ الزَّوجَينِ، باختِلافِ المِلَّةِ، لَم يَكُونُوا ضَارِّينَ لَهُ هذا الضَّربَ منَ الضَّرَرِ الحَاصِل عِندَ الفُرقَةِ.

---

(١) في (هـ): فيكون.

(٢) في (أ): المشحور. بالشين المعجمة.

(٣) في (ش): الغرض.

(٤) البقرة: ١٠٢.

وقد رُوِيَ أنَّه كَانَ مِن دِينِ سُلَيمانَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أنَّه من سُحِرَ[١]، بَانَت مِنه اِمرأتُهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ﴾[٢].

الزَّيغُ: هُو المَيلُ: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ﴾[٣]، ﴿ما زاغَ الْبَصَرُ﴾[٤].

والمَيلُ، يكُونُ عَنِ الحَقِّ، وعنِ البَاطِلِ، وليسَ في الآياتِ ذِكرٌ[٥]، وإنَّما يُعرَفُ ذلكَ بِدَليلٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ / ٨٦/ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٦].

لا يَخلُو من أن يَكُونَ مِنهُم، أو مِنَ الله، فإن كانَ مِنهُم، فَسَدَ مَذهَبُهُم، وكانَ قوله: ﴿أَزاغَ اللهُ﴾ مَصرُوفاً إلى الرَّحمَةِ، والثَّوابِ.

***

(١) في (أ): شحر. بالشين المعجمة.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) سبأ: ١٢.

(٤) النجم: ١٧.

(٥) في (أ): ذكراً. بتنوين النصب.

(٦) الصف: ٥.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا﴾[١].

هذا سؤالٌ. ومِثلُهُ لا يَدُلُّ عَلَى أنَّه أن يَفعلَ خِلَافَهُ.

وبَيَّنا جَوازَ مسألتِهِ أن يَفعلَ ما فَعَلَهُ، لا مَحَالَـةَ، ولا يَفعـلُ خِلافَـهُ كقَولِـهِ: ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْـحَقِّ﴾[٢].

وذلك دُعـاءٌ بالتَّثبيـتِ عَـلَى الهِدَايـةِ، وإمـدَادِهِم بالألطَـافِ، الَّتـي مَعَهَـا يَستَمِرُّونَ عَلى الإيمانِ. ومتَى قَطَعَ إمدادَهُمْ بِألطَافِهِ، وتَوفِيقَاتِهِ، زَاغُوا. كَما يُقالُ: اللَّهُمَّ لا تُسَلِّطْ عَلَينَا من لا يَرحَمُنَا. مَعناهُ: لا تُخلِّ[٣] بَينَنا، وبَينَهُ، فيَتَسَلَّطَ عَلينَا.

﴿لا تُزِغْ قُلُوبَنا﴾[٤]: لا تُشَدِّدْ عَلَينا المِحنَةَ في التَّكليفِ، فَيُفضِي ذلِكَ بِنَا إلى زَيغِ قُلُوبِنا بَعدَ الهِدَايةِ. لا تُزِغ قُلُوبَنَا عَن ثَوَابِكَ، ورَحمَتِكَ بَعـدَ أن دَعوتَنَـا إليـهِ، وَدَللتَنَا عَلَيهِ.

ومعنى هـذا السُّـؤالِ: أنَّهُـم سـألُوا الله ـ تعـالى ـ أن يَلطُـفَ بِهِـم في فِعـلِ الإيمانِ، حتَّى يُقِيمُوا عَلَيـهِ، ولا يَترُكُـوهُ في مُسـتَقبَلِ عُمـرِهِم، فَيَسـتَحِقُّوا بـتركِ الإيمانِ أن تَزِيغَ قُلُوبُهُم عَنِ الثَّوابِ، وأن يَفعلَ بِهِم ـ بَدَلاً مِنهُ ـ العِقابَ، كَقولِـهِ:

---

(١) آل عمران: ٨ وفي (ح) تكملة الآية: ﴿...بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا...﴾.

(٢) الأنبياء: ١١٢.

(٣) في (ك) و(أ): لا تحل. بالحاء المهملة.

(٤) آل عمران: ٨.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾[١]، وقولِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[٢]، وقولِهِ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[٣].

وضِدُّ هذهِ الآياتِ في قُلُوبِ الكافرينَ الآية مَحْمُولَةٌ عَلَى الدُّعَاءِ بأنْ لا يَزيغَ القُلُوبَ عَنِ اليَقِينِ، والإيمانِ.

ولا يَقتَضِي ذلكَ أَنَّهُ ـ تعالى ـ سُئِلَ ما كانَ لا يَجِبُ عَلَيهِ فِعلُهُ، لأَنَّه غيرُ مُمتَنِعٍ أن يَدعُوهُ عَلَى سَبيلِ الانقِطَاعِ إليهِ، والافتِقَارِ إلى ما عِندهُ، بأنْ يَفعَلَ ما يَعلَمُهُ أَنَّه لابُدَّ من أن يَفعَلَهُ بِما أعلَمَ أَنَّه وَاجِبٌ أَلَّا يَفعَلَهُ، إذا تَعَلَّقَ ـ بذلكَ ـ ضَربٌ منَ المَصلَحَةِ، كما قالَ إبرَاهِيمُ: ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[٤]، وقال النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[٥]. بيتٌ[٦]:

ومِنْ بَعدِ مَازَاغُوا أزَاغَ قُلُوبَهُم وغَيَّرَ لَمَّا غَيَّرُوا نِعمَةَ المُثرِي



(١) الأنعام: ١٢٦.

(٢) المائدة: ٤١.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) الشعراء: ٨٧.

(٥) قول النبي (ص) ـ في الأصل ـ مقتبس من الآية: ١١٢ من سورة الأنبياء.

(٦) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

فصل [-٢٠-]

[في نسبة النسيان والخطأ والكفر]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا﴾[1].

النِّسيَانُ مِنْ فِعلِ الله - تعالى - ولا تكليفَ عَلَى النَّاسِي في حَالِ نِسيَانِهِ، فَكيفَ يأمُرُنَا - على سَبِيلِ العَادَةِ لَنَا - بالدُّعَاءِ كذلكَ.

ثُمَّ إِنَّه إمَّا أن يَكُونَ النِّسيَانُ مِنْ فِعلِنَا، أو نَكُونَ[2] مُتَعَبِّدِينَ بِمَسألَتِهِ - تعالى - ما نَعلَمُ أَنَّه واقِعٌ، لأَنَّ مُؤاخذَةَ النَّاسي[3] مأمُونَةٌ مِنهُ - تعالى -.

قال قُطرُبُ[4]: النسيَانُ - هاهنا - التركُ، كَمَا قالَ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[5]، وكقولِهِ: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[6]. أي: تَرَكُوا طَاعَتَهُ، فَتركَهُم مِـن

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) في (ش): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (أ): الناشي. بالشين المعجمة.

(٤) في مجمع البيان: ١: ٤٠٣ هذا القول غير معزو إلى أحد، وكذا في التفسير الكبير: ١٦: ١٢٦.

(٥) طه: ١١٥. وفي (هـ): تكملة الآية: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

(٦) التوبة: ٦٧.

رَحمَتِهِ، كَمَا يُقالُ: لا تَنسَنِي مِن عَطِيَّتِكَ.

قال الشَّاعرُ[١]:

[ولَمْ أكُ عِنْدَ الجُودِ للجُودِ قَالِياً] ولا كُنْتُ - يَومَ الرَّوعِ - للطَّعنِ نَاسِيَاً

أي: تَارِكَاً. وقولِهِ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[٢].

ويُحمَلُ النِّسيَانُ عَلَى السَّهوِ، ويَكونُ وَجهُ الدُّعَاءِ - بذلِكَ - على سَبيلِ الانقِطَاعِ إلى الله - تعالى - وإنْ كَانَ مأمُوناً المؤاخذَةُ بِمِثلِهِ، كقولِهِ: ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[٣]، ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[٤].

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ الآيَةُ[٥].

هذا كما قالَ في قِصَّةِ آلِ فِرعَوْنَ: ﴿وَبَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ﴾[٦].

***

(١) مجمع البيان: ١: ٤٠٢ بلا عزو، ومنه صدر البيت. كنز الفوائد: ٤٠ وفيه: وأنشد أبو عرفة.

(٢) البقرة: ٤٤.

(٣) الأنبياء: ١١٢.

(٤) الشعراء: ٨٧.

(٥) الأنعام: ٤٤.

(٦) الأعراف: ١٦٨.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا﴾[(١)].

الخطأُ: ما وَقَعَ سَهواً، أو عَنْ غَيرِ عَمْدٍ[(٢)].

أمَّا الأوَّلُ، فقَدْ يَجُوزُ أن يُريدَ بِالخطأ مَا يُفعلُ بِالتَّأوِيلِ للشَّيءِ، وعَن جَهلٍ بأنَّها مَعَاصٍ، لأنَّ مَنْ قَصَدَ شيئاً عَلَى اِعتِقَادِ أنَّه يَصفُهُ[(٣)]، فَوَقَعَ بخِلافِ مَا هُوَ مُعتَقدُهُ، يُقَالُ: قَد أخطأ. فكأنَّهُ أمَرَهُم بأنْ يَستغفِرُوا مِمَّا[(٤)] تَرَكُوهُ مُتَعَمِّدِينَ مِن غَيرِ سَهوٍ، ولا تأويلٍ، ومِمَّا أقدَمُوا عَلَيهِ مُتأوِّلِينَ.

ويقال: أخطأنَا: أذنَبنَا. وإنَّ كانُوا لَهُ مُتعَمِّدينَ، وبهِ عالِمِينَ، لأنَّ جَميعَ المَعَاصِي، قَدْ تُوصَفُ بأنَّها خَطأٌ مِن حَيثُ فَارَقَتِ الصَّوَابَ، وإن كَانَ فَاعِلُها مُتَعَمِّداً. وكأنَّهُ أمرَهُم بأنْ يَستَغفِروا مِمَّا تَرَكُوهُ مِنَ الواجبَاتِ، ومِمَّا فَعَلُوهُ مِنَ المُقَبَّحاتِ، لِيَشتَمِلَ الكلامُ عَلى جِهَتَيْ الذُّنُوبِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ...﴾ الآيةُ[(٥)].

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) في (أ): عمداً. بتنوين النصب.

(٣) في (ك): بصفة. بالباء الموحّدة من تحت.

(٤) في (ش) و(هـ): فَمَا. مَعَ الفاء.

(٥) المائدة: ٦٠.

قَدْ[١] وَبَّخَهُمْ على كُفرِهِمْ، فَلا / ٨٧/ مَـدخَلَ لِكوْنِـهِ خَالِقَـاً لِكُفـرِهِمْ في بَابِ ذَمِّهِمْ.

ولا شيءَ أبلَغُ في عُذرِهِمْ مِن أنْ يَكُونَ خَالِقاً لِمَا[٢] ذَمَّهُمْ مِنْ أجْلِـهِ. وهـذا يقتَضِي أنْ يَكُونَ الكَلَامُ مُتَنَاقِضاً.

وإذا أرَدْنا ذَمَّ إنسَانٍ، قُلنَا: ألَا أخبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ: مَنْ فَعَلَ كـذا، وَصَـنَعَ كذا. فَيُعَدِّدُ مِنَ الأفعَالِ، والأحَـوالِ، قَبَائحَهـا، ولا يُـدخِلُ في جُملتِهـا مـا لَـيسَ بِقَبِيحٍ.

وأكثرُ ما فِيهَا أنَّه خَلَقَ، وَجَعَلَ من يَعبُدُ الطَّاغوتَ، كَمَا جَعَلَ مِنهُم القِردَةَ، والخَنَازِيرَ.

ولا شُبهَةَ في أنَّه ـ تعالى ـ خَلَقَ الكافِرَ، غَيرَ أنَّه لا يُوجِبُ أنَّه خَلَـقَ كُفـرَهُ، وَجَعَلَهُ كافِراً.

والدَّلِيلُ قَدْ دَلَّ عَلى أنَّ ما بِهِ يَكُونُ القِردُ قِرداً، والخِنزِيرُ خِنزِيراً، لا يكـونُ إلَّا فِعْلُهُ. وهكذا حُكمُ مَنْ كَفَرَ.

ولا يكُونُ قولهُ ـ تعالى ـ[٣]: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ معطُوفـاً عَـلَى: ﴿الْـقِرَدَةَ

---

(١) في (هـ): وَقَد. مَعَ الواو.

(٢) (لما) ساقطة من (أ).

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

وَالْـخَنازِيرَ﴾، بَلْ مَعطُوفاً عَلَى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾. وتقديرُهُ: مَنْ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَن غَضِبَ عَلَيهِ، ومَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ، ومَنْ جَعَـلَ اللهُ[1] مـنهُم[2] القِـرَدَةَ، والخنَازِيرَ.

وهُوَ الصَّحِيحُ، لأنَّ ﴿عَبَدَ﴾، فِعلٌ، والفِعلُ لا يُعطَفُ عَلَى الاسمِ[3].

وأمَّا جَعلُهُم قِردَةً، وخَنَازِيرَ، عُقُوبةً لَهُمْ على أفعَالِهِم، فَجَرى ذلـكَ مجـرَى أفعَالِهِمْ، كَما ذَمَّهُم بأنْ لَعَنَهُمْ، وغَضِبَ عَلَيهم مِنْ حَيثُ اِستَحَقُّوا ذلِكَ بأفعَالِهِم، وعِبَادَتِهِمْ الطَّاغُوتَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: حِكَايَةً عَنْ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَـلى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْـعَذابَ الأَلِيمَ...﴾[4] إلى قوله: ﴿...دَعْوَتُكُما﴾[5].

الطَّمسُ عَلَى أموَالِهِمْ، لا يُوجِبُ نَفيَ الإيمانِ، لأنَّ مَـعَ ذلـكَ يَصُـحُّ مِـنهُم الإيمانُ. وكذلِكَ يَصُحُّ مَعَ الشَّدَّةِ عَلَى القُلُوبِ، لأنَّ مَعناهُ، يَحتَمِلُ وَجهَينِ:

(١) (الله) ساقطة من (ح).

(٢) في (أ): فيهم.

(٣) اللمع في العربيّة: ١٥٥.

(٤) يونس: ٨٨.

(٥) يونس: ٨٩.

أمَّا: كُنْ شَدِيداً عَلَيهم[١]. والشِّدَّةُ، رَاجِعَةٌ إلى المَسؤولِ دُونَ المَسؤُولِ لَهُ[٢]، لأنَّهُ لَمْ يَقُلْ: اشدُدْهُمْ، أو: أشدُدْ قُلُوبَهُمْ. وأيضاً: إنَّ لَفظَ ﴿الشَّدِّ﴾، يَختَلِفُ بِاختِلافِ مَا يَتعَلَّقُ بِهَا مِن حُرُوفِ الصِّفاتِ، [وَ][٣] بأمَاكِنِهَا. يُقَالُ: شَدَّ كَذَا، وشَدَّ عَلَيهِ كَذَا. إذَا جَعَلَهُ مَشْدُوداً[٤] بِحَبلٍ، أو نَحوِهِ. وشَدَّدَهُ. إذا جَعَلَهُ شَدِيداً. وشَدَّ عَلى فُلانٍ. ـ مُطلَقاً ـ إذا حَمَلَ عَلَيهِ. قال اِبنُ مردَاسٍ[٥]:

أشُدُّ عَلَى الكَتِيبَةِ لا أُبَالي [أَحَتفِي كَانَ فِيهَا أمْ سِوَاهَا][٦]

ويقالُ: شَدُّوا عَلَيهم شَدَّةً واحِدَةً. إذَا حَمَلُوا عَلَيهِم. فَيَحتَمِلُ أن يُرِيدَ: اِحمِلْ[٧] عَلَيهِمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ لا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾[٨].

---

(١) في (ش) ﴿إمَّا أنْ يشدِّد عليهم﴾ بدلاً من ﴿إماكُنْ شديداً عليهم﴾.

(٢) (له): ساقطة من (هـ).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) في (هـ): مشدود. من دون تنوين النصب.

(٥) في (هـ): مرداش. بالشين. المثلثة.

(٦) ديوان العباس بن مرداس السلمي: ١١٠. ومنه تمام البيتِ.

(٧) في (ش): حمل. بصيغة الماضي.

(٨) الإسراء: ٧٤.

أَضَافَ التَّثْبِيتَ إلى نَفسِهِ، والرُّكُونَ إلى النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ، وجَعَلَهُ مِن فِعلِهِ. فإن جَازَ العُدُولُ عَنْ ذلِكَ[١]، جَازَ العُدُولُ عَنِ الأوَّلِ. ثُمَّ إنَّهُ[٢] ثبَّتَهُ، ولَمْ يُبيِّنْ وَجهَهُ. ويَجوزُ أن يُثَبِّتَ العَبدَ عَلى الطَّاعَةِ بِوجُوهِ ألطَافِهِ، ولَيسَ يُوجِبُ ذلك جَبراً.

بَيْتٌ[٣]:

اِســتأثَرَ اللهُ بِالوَفَــاءِ وَبِالعَــدلِ ... ووَلَّى المَـلامَــةَ الرَّجُـــلَا[٤]

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً﴾[٥].

يعني: تشبِيها بتفرِيغِ الإناءِ مِنْ جِهَةِ أنَّه نِهَايةُ ما تُوجِبُهُ[٦] الحِكمَةُ، كَما أنَّهُ نِهَايةُ مَا في الوَاحِدِ مِنَ الآنِيَةِ.

وقوله: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدامَنا﴾[٧]، تثبيتُ الأقدَامِ يَكُونُ بِشَيئينِ:

أحَدِهَما: بِتَقوِيةِ قُلُوبِهِم.

---

(١) العبارة: «عن ذلك جاز العدول عن» ساقطة من (أ).

(٢) (إنّه) ساقطة من (هـ).

(٣) (بيت) ساقطة من (أ).

(٤) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس): ٢٣٣. وفي (أ): ولِّي. بالبناء للمجهول.

(٥) البقرة: ٢٥٠.

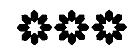
(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يوجبه. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٧) البقرة: ٢٥٠.

والثَّاني: بِإلقاءِ الرُّعبِ في قُلُوبِ أعدَائِهِم، حتَّى يظهَرَ فِيهِم الخَوَرُ[1] في قِتَالِهِم.

وقيلَ: باختِلافِ كَلِمتِهِم، حتَّى يَقَعَ التَّخاذُلُ بَينَهُم.

والصَّبرُ، والثُّبُوتُ من فِعلِ العَبدِ، لأَنَّه يُجازَى عَلَيهَا. وأمَّا النَّصرُ، فَفِعلُ الله ـ تعالى ـ.



(١) في (أ): الجور. بالجيم المعجمة من تحت.

فصل [ـ ٢١ ـ]

[في نسبة الأعمال إلى الله]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ﴾(١).

وَصْفُهُ(٢) بأنَّهم: صُمٌّ، وبُكمٌ. إمَّا أنْ يكونَ حَقِيقَةً، أو تَشبِيهاً.

فإنْ كانَ حَقِيقةً، فَلا يَكونُونَ مَلُومِينَ عَلَيهِ. عَلى أنَّها غَيرُ مَا نِعَةٍ مِنَ الإيمانِ، وكذلكَ كَونُهُم في الظُّلمَةِ. فَلَم يَبقَ إلَّا التَّشبِيهُ.

وقد جَاءَ في موضِعٍ بأنَّهُم: ﴿لا يُبْصِرُونَ﴾(٣)، و﴿لا يَسْمَعُونَ﴾(٤)، وأنَّ ﴿عَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾(٥).

قال أبو مُسلِمٍ(٦): ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لايَعْقِلُونَ﴾(٧)، مَعنَاهُ: لايَسمَعُونَ

---

(١) الأنعام: ٣٩.

(٢) في (ك): وصفهم.

(٣) البقرة: ١٧ . وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٤) الأعراف: ١٠٠ وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٥) البقرة: ٧.

(٦) قول أبي مسلم في مجمع البيان: ٣: ١٩٤ من دون عزو إليه.

(٧) البقرة: ١٧١ .

عَنْ قُدرَةٍ، ولا يَتَدَبَّرُونَ ما يَسمَعُونَ، ولا يعتَبِرُونَ بِمَا يَرَونَ، بَلْ هُم ـ عن ذلِك ـ غَافِلُونَ. فكأنَّ الله ـ تعالى ـ يَقُولُ ـ في الآخِرَةِ ـ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]. والمُرَادُ بِهِ التَّعَجُّبُ مِنْ قُوَّةِ أبصارِهِم وأسماعِهِم في الآخِرَةِ، لقَولِهِ: ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنا﴾، فَيَدُلُّ عَلى أنَّهم عَارِفُونَ بِالله ضَرُورَةً.

وتجرِي هذهِ الآيةُ مَجرَى قوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ / ٨٨/ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2].

وأمَّا الآياتُ الأخرُ، فَفِي حَالِ التَّكلِيفِ، وهيَ الأحوَالُ[3] الَّتي كانَ الكُفَّارُ فِيها ضُلَّالاً عَنِ الدِّينِ.

***

قوله ـ سبحانه[4] ـ: ﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾[5].

---

(١) مريم: ٣٨.

(٢) ق: ٢٢.

(٣) في (أ): الأحول.

(٤) (سبحانه) ساقطة من (هـ).

(٥) هود: ٣٤.

وهذا عَلى سَبيلِ الشَّرطِ. وَلَم يَقُلْ: إنَّه فَعَلَ الغوَايةَ، وأرَادَهَا، وإنَّما أرَادَ: أنَّ نُصحَ النَّبيِّ، لا يَقَعُ إن كان الله يُرِيدُ غوَايتَهُم، ووقُوعُ[1] الإرَادَةِ لـذلكَ، وجَـوازُ وقُوعِهَا، لا دِلالَةَ عَليـهِ في الظَّـاهِرِ. ولا خِـلافَ[2] في أنَّ نَصِـيحَةَ النَّبـيِّ ـ عَلَيـهِ السَّلام ـ لا تنفعُ مَن أرَادَ اللهُ إغوَاءَهُ، ولكن لَيسَ فيها أنَّـه يُريـدُ إغـواءَهُم، أو لا يُريدُ. وهوَ مَحَلُّ النِّزاعِ.

على أنَّ الغَوايَةَ، لَفظٌ، مشتركٌ[3]. يُقَالُ: أصبَحَ فُلانٌ غَاوِيـاً. أي: مَرِيضَـاً. وغَوَى الفَصيلُ. إذا فَقدَ اللَّبَنَ، فَماتَ. وأغوَيتُ فُلاناً.

أهلكتُهُ. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[4]: الخَيبَةَ.

شاعرٌ[5]:

[فمن يَلـقَ خَـيراً يَحمَـدِ النَّـاسُ أمـرَهُ] ومـن يغـوَ لا يعـدَمْ عَـلَى الغَـيِّ لائـمَاً

﴿هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا﴾[6]. هذا الأخيرُ لا يَجُـوزُ عَـلَى اللهِ ـ تعالى ـ.

---

(١) في (هـ): وقوع. من دون واو.

(٢) (في) ساقطة من (أ).

(٣) لسان العرب (غوى).

(٤) مريم: ٥٩.

(٥) مضى ذكر هذا البيت في الصفحة:

(٦) القصص: ٦٣.

فكأنَّهُ قَالَ ـ تَعَالى ـ: إن كانَ اللهُ يُريدُ أن يُعَاقِبَكم بِسُوءِ عَملِكُم، فَلَيسَ يَنفَعُكُم نُصحي ما دُمتُم مُقيمِينَ عَلى ما أنتُم عَليه.

وَمَا قَبْلَ الآيةِ يَدُلُّ عَلَى مَا قُلنا[١]، وإنَّ القومَ إستعجَلُوا عِقابَ الله: ﴿قالُوا يا نُوحُ قَدْ[٢] جادَلْتَنا﴾ الآيات [٣].

وقال جعفرٌ[٤] بنُ حَربٍ: كانَ قَومُ نُوحٍ، جَبرِيَّةً، فقالَ اللهُ ـ تعالى ـ عَلى سَبيلِ الإنكارِ عليهم: إن كانَ القَولُ كما تَقُولُونَ، فَما يَنفعُكم نُصحي.

وقال الحسن[٥]: إنْ كانَ اللهُ، يُريدُ أنْ يُعَذِّبَكمْ، فَلَيسَ يَنفَعُكُمْ نُصحي، عِندَ نُزولِ العذابِ بِكُم، وإنْ آمنتُمْ بِهِ، لأنَّهُ لا يَقبَلُ الإيمانَ عِندَ نزولِ العذابِ.

ولَوْ كانَ مُريداً لإغوَائِهِمْ، لَوَجَبَ أن يَترُكَ نُوحٌ نَصِيحَتَهُم بَعدَ ما إعترفَ بذلكَ، فَلَمّا كانَ نُوحٌ مُجِدّاً في النُّصحِ لَهُم مُجتَهِداً في مجادَلَتِهم، حتَّى قالوا: ﴿يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا...﴾ الآيةُ، صَحَّ أنَّ الله[٦]، لم يَكُنْ مُريداً لإغوائِهِمْ عَنِ الدِّينِ.

***

---

(١) في (ح): قلناه. مع ضمير الغائب (الهاء).

(٢) العبارة: ﴿قَدْ جادَلْتَنا نوح﴾ ساقطة من (أ).

(٣) هما آيتان: ٣٢، ٣٣ من سورة هود.

(٤) مجمع البيان: ٣: ١٥٨. وفي التفسير الكبير: ١٧: ٢١٩ معزو إلى المعتزلة مطلقاً.

(٥) مجمع البيان: ٣: ١٥٨. أيضاً: التفسير الكبير: ١٧: ٢١٩.

(٦) في (أ): الله أنَّ.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ[١]: ﴿يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدا لَهُمْ...﴾ [٢] إلى قولِهِ ﴿...لَكاذِبُونَ﴾[٣].

فقوله: ﴿يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ﴾ على وَجْهِ[٤] التَّمنِّي.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ راجِعٌ إلى الأمرِ الَّذي تَمَنَّوهُ، لأنَّ التَّمنِّي، لا يَكُونُ صِدقاً، ولا كذباً، وَقعَ ما تمنَّاهُ، أو لَم يَقَعْ، فيكونُ قولهُ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ مصروفاً إلى حالِ الدُّنيا.

ويُحمَلُ ـ أيضاً ـ على غَيرِ الكذِبِ الحَقيقيِّ. والمعنى: إنَّهم تَمَنَّوا ما لا سَبيلَ إليهِ، فكذِبَ أمَلُهُم، وتَمَنِّيهِم. يُقالُ: كذبَ أمَلُهُ، وأكدَى رَجاؤُهُ.

قال الشَّاعرُ[٥]:

كَذبتُمْ ـ وبَيْتِ الله ـ لا تأخُذُونَها ... مُرَاغَمَةً مَادَامَ لِلسَّيفِ قَائمُ

وقالوا: ﴿يا لَيْتَنا نُرَدُّ﴾ . هذا هُوَ التَّمَنِّي. ثُمَّ قالَ: ﴿وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، فأخبرُوا بِمَا عَلِمَ اللهُ ـ تعالى ـ أنَّهُمْ فِيه كَاذِبُونَ، وإنْ

---

(١) (سبحانه) ساقطة من (هـ).

(٢) الأنعام: ٢٧.

(٣) الأنعام: ٢٨.

(٤) في (أ): وجهة.

(٥) عيون الأخبار: ١: ٢٣٧ معزواً إلى مالك بن حريم. حقائق التأويل: ٣٢٧. بلا عزو. أمالي المرتضى: ٢: ٢٧٣. التِّبيان في تفسير القرآن: ٤: ١٠١ مجمع البيان: ٢: ٢٩٠ وكلها بلا عزو.

لَمْ يَعلَمُوا[١] مِنْ انفُسِهِم مِثلَ ذلِكَ، فَلِهذا كذَّبَهُم.

الصَّاحبُ[٢]:

قالــــت: فأفعَالُنَـــا مَـــنْ ذَايُكوِّنُهـــا فقُلتُ: نَحنُ. مَقَـالاً، صِـيْنَ عَـنْ خَلَـلِ
قَالَـــتْ: فَلِـــمْ لا يَكُـــونُ اللهُ خَالِقَهـــا فَقُلتُ: لَوْ كُـنَّ خَلقَـاً لَمْ تَكـنْ عَمَـلِي[٣]



(١) في (هـ): يعلمون. باثبات نون الرفع.

(٢) (الصاحب) ساقطة من (هـ).

(٣) ديوان الصَّاحب بن عباد: ٤١. وفيه: فأعمالنا. وقد أشار محققُه إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنـا. وفيه: وَلِمْ. لم يكن.

فصل [ـ ٢٢ ـ]

[في نسبة الأفعال]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾[(١)].

إنَّه[(٢)] إخبَارٌ عَنْ قُدرَتِهِ، فَحَسبُ.

ولم يقُلْ: لَسَلَّطْنُاهُمْ عليكم. وكَيفَ يَتَسَلَّطُ مَنْ لا يقدِرُ، قوله: ﴿وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾[(٣)]؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَنّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[(٤)].

إنَّما جَعَلهُ مُتَعلِّقاً بكونِهِم كُفَّاراً، لأنَّ قوله: ﴿الْكافِرِينَ﴾ ليسَ باسمِ جِنسٍ، وإنَّما هُوَ جَزاءُ كُفرِهِم.

---

(١) النساء: ٩٠.

(٢) في (أ): وكيف أنّه إخبار.

(٣) سبأ: ٢١.

(٤) مريم: ٨٣.

ولم يقُلْ: أرسلناهم على المؤمنينَ، لأنَّهـم مُعتَصِـمُونَ بِحَبلِـهِ. والكَـافرُونَ لَمَّا[١] لم يَستعصِمُوا بِحبلِهِ، ولم يَقبلُوا حجَّةً، أرسَلَ الشَّياطينَ عَلَيهِم، إذ خَلَّاهُـم، وإيَّاهُم، كَما يُقَالُ: أرسلتَ كلبَكَ عَلى النَّاسِ. إذا لم يَمنَعهُ.

والآيَةُ تَدُلُّ[٢] على فَسَادِ مَذهَبِهِم. فإنَّهُ أخبرَ أنَّ الشَّياطين تؤزُّهُم.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَـيْطاناً فَهُـوَ لَـهُ قَرِينٌ﴾[٣].

يعني: في الآخرةِ. بِدِلالَةِ قَوله: **﴿حَتَّى إِذا جاءَنا قالَ يا لَيْتَ بَيْنِـي وَبَيْنَـكَ بُعْدَ الْـمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْـقَرِينُ﴾**[٤].

ثُمَّ قالَ: **﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْـيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾**[٥].

وقد جاءَ في الأخبارِ[٦]: إنَّ كُلَّ آدَميٍّ يَدخُلُ جَهَـنَّمَ يُقـرَنُ بِشَـيطَانِهِ الَّـذي كَانَ يَقبَلُ مِنهُ في دَارِ الدُّنيَا.

***

(١) (لَمَّا) ساقطة من (هـ).

(٢) في (ش): يدل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) الزخرف: ٣٦.

(٤) الزخرف: ٣٨.

(٥) الزخرف: ٣٩.

(٦) جامع البيان: ٢٥: ٧٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤٨. باختلاف اللفظ. فيهما، وكـذا في التفسـير الكبير: ٢٧: ٢١٣.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾[١].

أي: نَكِلُ بَعضَهُم إلى بَعضٍ في الآخرَةِ، فَنكِلُ الَّذينَ كانُوا يَعصُونَ الله، بأمرِ هؤلاءِ الظَّالمينَ، وإتّبَاعِ أهوَائهم، إلَيهِم، لِيُوقِنُوا / ٨٩/ بالإياسِ مِنْ رَحمَةِ الله، إذ كانُوا لا يَملِكُونَ لَهُم في الآخرةِ نَفعاً. ويَدُلُّ عَلى أنّه في الآخِرَةِ قوله: ﴿بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢]، وهوَ مثلُ قوله: ﴿نُوَلِّهِ ما تَوَلّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾[٣]. أي: نَكِلُهُ إلى ما كَانَ عَبَدَهُ في الدُّنيا منَ الآلهَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ﴾[٤].

قالَ[٥] الحسنُ[٦]: مَعناهُ: خَلَّينَا بَينَهُم، وبَينَ الشَّياطينِ، فأغوَوهُم.

وقالَ الجبَّائي[٧]: التَّقييضُ: إحوَاجُ بَعضِ العِبَادِ إلى بَعضٍ، كَحَاجَةِ الرَّجُلِ إلى المَرأةِ، والمرأةِ إلى الرَّجُلِ.

وقال قومٌ: التَّقييضُ[٨]: المُماثَلَةُ، والمُقَايَضَةُ. فالمعنى ـ على هذا ـ: إنّا نَضُمُّ

(١) الأنعام: ١٢٩.

(٢) الأنعام: ١٣٠.

(٣) النساء: ١١٥.

(٤) فصلت: ٢٥.

(٥) في (ش) و(أ): وقال. معَ الواو.

(٦) جامع البيان: ٢٤: ١١١. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٠، ٤٨.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٢٠. أيضاً: التفسير الكبير: ٢٧: ١١٨ ـ ١١٩.

(٨) في (ح): التقيُّض.

إلى كُلِّ كَافِرٍ قَريناً لَهُ منَ الجِنِّ مِثلَهُ في الكُفرِ، في نَارِ جَهَنَّمَ، كما قالَ: ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً﴾[١]، وقولِهِ: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢]. ولَمْ يَقُلْ: لِيزَّيَّنُوا[٣].
وتَزيينُ[٤] الفِعلِ، إنَّما يَصُحُّ عَلَى مذهَبنَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[٥]، وقولـه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ﴾[٦].

كَيفَ[٧] يُزيِّنُ للغَيرِ عَمَلَ[٨] نفسِهِ؟ ومَتَى مَا أحدَثَها، فَسَواءٌ كَانَ مُزيِّناً لهُم ذلكَ، أمْ غَيرَ مُزيِّنٍ.

ولَمَّا قالَ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ اِستغنى عَنْ تَزيينِ[٩] ذلِكَ، وأنَّهُمْ سَيَفعَلُونَها في المُستَقبَلِ. فَالكلامُ مُجمَلٌ.

***

---

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) فصِّلت: ٢٥.

(٣) في (هـ): ليزنوا.

(٤) في النسخ جميعها: تزين. والقياس اللغوي يقتضي ما أثبتنا.

(٥) الأنعام: ١٠٨.

(٦) النمل: ٤.

(٧) في (أ): كيف للغير يزيِّن.

(٨) العبارة: «عمل نفسه... مزين» ساقطة من (أ).

(٩) في (أ): تزين. بياء واحدة.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ﴾[1]، الَّتي كَفَرُوا بِهَا، وعَصَوا اللهَ فيها.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾[2] أي: طَرِيقِ الحقِّ، فَهُم لا يَهتَدُونَ إليهِ، لاتِّباعِهِم دُعَاءَ الشَّيطَانِ، وعُدُولِهِم عَنِ الطَّرِيقِ الوَاضِح.

﴿وَكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾[3]. أي: عُقَلاءَ، يُمكِنُهُم تَمييزُ الحَقِّ مِنَ البَاطِلِ، بإبصَارِهِم لَهُ، وفِكرِهِم فِيهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾[4]، وقولُهُ: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾[5].

قالَ أبو عَلِيٍّ[6]: أي: حَكَمَ بأنَّهُم أعداءٌ.

وقالَ غَيرُهُ[7]: أي: خلَّى بَينَهُم، ولَم يَمنَعْهُم مِنَ العَداوَةِ.

---

(١) العنكبوت: ٣٨.

(٢) العنكبوت: ٣٨.

(٣) العنكبوت: ٣٨.

(٤) الأنعام: ١١٢.

(٥) الفرقان: ٣١.

(٦) هو أبو علي الطبرسيّ: مجمع البيان: ٢: ٣٥٢.

(٧) هو قول الحسن، وقتادة، ومجاهد: مجمع البيان: ٢: ٣٥٢.

وقيلَ: المُرادُ ـ بذلكَ ـ أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ لَمَّا أنعَمَ عَلى أنبِيَائـهِ بِضُرُوبِ الـنِّعَمِ، وشرَّفَهُم بالبِعثَةِ، حَسَدَهُم على ذلكَ خَلقٌ، وعَادَوهُم عَلَيهِ، فَيَجوزُ أن يُقَالَ: بأنَّ اللهَ جَعَلَ لَهُمْ أعداءَ عَلَى وَجْهِ المجاز.

وقيلَ: بَيَّنَّا أنَّهم أعدَاؤهُم، كَمَا يُقَالَ: جَعَلهُ لِصَّاً، أو خائناً.

وقيلَ: أمَرَنا أن يُسَمُّوهُم بذلك.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1].

المَدُّ: هُوَ الإنسَاءُ[2] في الأجَلِ. يُقَالُ: مَـدَّ اللهُ في عُمُـرِهِ. ولا يُقـالُ: مـدَّ في الطُّغيانِ.

ولم يَقُلْ: مَدَّ في طُغيَانِهِم، وإنَّما[3] قال: ﴿يَمُدُّهُمْ﴾. ثُمَّ قـالَ: ﴿فِي طُغْيَـانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

الطُّغيانُ: الفُعْلانُ[4]. مِنْ: طَغى: يَطغَى. إذا تَجَاوَزَ حدَّهُ. ومِنـهُ: ﴿كَـلَّا إِنَّ الْإِنسانَ لَيَطْغى﴾[5]. والطَّاغِيَةُ: الجَبَّارُ، العَنِيدُ.

---

(١) البقرة: ١٥.

(٢) في (أ): الإنسان: وهو تحريف.

(٣) العبارة: «وإنما قال... طغيانهم» ساقطة من (أ).

(٤) في (ح): طغيان. من دون (أل).

(٥) العلق: ٦.

ولَوْ تَعَلَّقَ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ بـ﴿يَمُدُّهُمْ﴾، لَقَالَ: يَعمهُوا[١].

ومعنى الآية: إنَّه تَرَكَهُم في الكُفرِ، فَلَم يَعصِمهم بِالعِصمَةِ، الَّتي عَصَمَ بِها المُؤمِنينَ، لَمَّا عَرَّفَهُم، وبيَّنَ لَهُم الكُفرَ مِنَ الإيمانِ، فاعتَصَمُوا بِما عَرَّفَهُم اللهُ مِن دِينِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتلباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾[٢].

اِستدَلَّ أبو عليٍّ[٣] بهذه الآيةِ أَنَّه مَتَى كَانَ في مَعلُومِ الله أَنَّهُ لو آتاهُم الآياتِ الَّتي طَلَبُوهَا، لآمَنُوا عِندهــا ، وَجَـبَ أن يَفعَلَهَا بِهِم ، ولو لا أنَّ ذلكَ، كـذلكَ، لَمْ يَحتَجَّ عَلَى العِبَادِ في مَنعِهِ آياتِهِم الَّتي طَلَبُوها: أنِّي إنَّما مَنَعتُهُم إيَّاها، لأنَّهُم كـانُوا لا يُؤمِنونَ، ولو آتيتُهُم إيَّاها، لَقَالُوا: ﴿إِنْ هذا إلّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٤]. وهـذا دَليـلٌ عَلَى وُجُوبِ اللُّطفِ.

***

(١) في (ح): يعمه. من دون إسناد إلى واو الجماعة.

(٢) الأنعام: ٧. وفي (أ): تكملة الآية: ﴿لقال الّذين...﴾ .

(٣) مجمع البيان: ٢: ٢٧٦.

(٤) الأنعام: ٧.

فصل [-٢٣-]

[من معاني جعل وكتب]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾[1].

لَمْ يَقُلْ: لأجلِ الإصغَاءِ، أو لأجلِ كذا.

وقوله[2]: ﴿وَلِتَصْغى﴾[3] عطفٌ، ولَيسَ بِجَوابِ لِقَولِـهِ: ﴿جَعَلْنـا﴾. ولا تَعَلُّقَ للخَصمِ فيهِ، إذْ لَيسَ شيءٌ مِنها يَحْدُثُ عَمَّا عَلقَهُ بهِ عَلَى مذهَبِهم، وإنَّما يَصُحُّ عَلَى مذهَبنَا.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

معناهُ: إنَّا حَكمنَا بذلكَ، لأنَّهُم يَتَنَاصَرُونَ عَلى البَاطِلِ.

---

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) في (هـ): ولقولِهِ.

(٣) الأنعام: ١١٣.

(٤) الأعراف: ٢٧.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلُوا الْـمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً﴾[1].

أي: حَكَمُوا ـ بذلكَ ـ حُكْماً بَاطِلاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[2].

«جَعَلَ» عَلَى وُجُوهٍ:

الخَلْقُ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾[3].

والأمرُ: ﴿ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾[4].

والحُكمُ بِالشَّيء: ﴿وَجَعَلُوا الْـمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ...﴾ [5].

والاتِّخَاذُ: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[6].

ومعنى[7] الآية: إنَّه وصَفَهُمْ بذلكَ، وحَكَمَ بِهِ عَلَيهِمْ.

---

(١) الزخرف: ١٩.

(٢) القصص: ٤١.

(٣) الأنعام: ١.

(٤) المائدة: ١٠٣.

(٥) الزخرف: ١٩.

(٦) البقرة: ٣٠.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): بمعنى. معَ حرف الجر (الباء).

أو يعني[١] بِهِ يَومَ القيامَةِ، كقَولِهِ ـ في فرعَـوْنَ ـ[٢]: ﴿فَـأَوْرَدَهُمُ النَّـارَ﴾[٣]، وقولِ النَّبيِّ[٤] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ في اِمـرِئ القَـيسَ ـ: / ٩٠/ بِيَـدِهِ لِـوَاءُ الـشُّعَراءِ يَقُودُهُم إلى النَّار.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً﴾[٥].

قالَ البلخي[٦]: أي: سـمَّيناهُم بـذلكَ، عُقُوبَـةً عَـلَى كُفـرِهَم، ونقـضِ[٧] ميثاقِهِم.

وقالَ في قولِهِ: ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكاءَ الْـجِنَّ﴾[٨]: أرادَ بذلكَ أنَّهم سـمَّوا الله شَرِيكاً[٩].

---

(١) في (أ): بمعنى.

(٢) في (أ): فرعون. بالدال المهملة.

(٣) هود: ٩٨.

(٤) العقد الفريد: ٥: ٢٧٠ باختلاف يسير في اللفظ.

(٥) المائدة: ١٣.

(٦) هذا القول في مجمع البيان: ٢: ١٧٢ منسوب إلى الجبائي. وفي التفسير الكبـير: ١١: ١٨٧ معـزو إلى المعتزلة مطلقاً.

(٧) في (ش): نقيض.

(٨) الأنعام: ١٠٠.

(٩) التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٤٦٩.

ويجوزُ أنْ يَكُونَ المُرادُ: أنَّ الله ـ تعالى ـ بِكُفرِهِم، لَمْ يَفعَلْ بِهِم اللُّطفَ الَّذي تَنشرِحُ[1] بِهِ صُدُورُهُمْ، كَمَا يَفعَلُ بِالمُؤمنِ، وذلكَ مثلُ قولِهِم، أفسَدتَ سَيفَكَ. إذا تَرَكتَ تَعَاهُدَهُ. وجعَلتَ أظَافِيرَكَ سِلَاحَكَ. إذا[2] لم تَقُصَّهَا. وجعلتَهُ بِحَيثُ لا يُفلِحُ أبَدَاً. وجَعَلتَهُ ثوراً، أو حماراً.

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾[3] لا يَدُلُّ على أنّه جَعَل قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً، لِيُحَرِّفُوا، بَلْ يَحتَمِلُ[4] أن يَكُونَ كَلاماً مُستَأنَفاً[5]، ويُمِكنُ أن يَكونَ حالاً لِقولِهِ: ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ... يُحَرِّفُونَ﴾[6]. أي: مُحَرِّفِينَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[7]، وقوله: ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[8].

---

(١) في (ش) و(ك) و(أ): ينشرح. بياء المضارعة المثناة مت تحت.

(٢) في (هـ): (ثُمَّ) بدلاً من (إذا).

(٣) المائدة: ١٣.

(٤) في (أ): يحمل.

(٥) في (أ): مسابقاً.

(٦) المائدة: ١٣.

(٧) الحديد: ٢٧.

(٨) الحشر: ١٠.

لا حُجَّةَ لَهُم فيهِ، لأنَّ «الجَعْلَ» لَفظٌ مُشتركٌ ـ كما بَيَّناهُ ـ وإذا أضيفَ جَعلُ الشَّيءِ إلى الله ـ تعالى ـ إذا وَقَعَ منَ الأرضِ، تَخليتُهُ[١] بَينهُ، وبينهُ، أو بَينَهُ، وبينَ مَا يَحصَلُ عِندَهُ، كَما يَقولُ أحَدُنَا: جَعلتَني ذليلاً. إذا[٢] خلَّى بينهُ، وبَينَ مَن أذَلَّهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ﴾[٣]..

معناهُ: جَعَلَهُ بِحُكمِهِ. فَكأنَّهُ مَكتُوبٌ فِيهِ.

وقالَ الحسنُ[٤]: ثَبَّتَ الإيمانَ في قُلُوبِهِم، بما فعَلَ فيهِم منَ الألطافِ وقيلَ: جَعَلَ فيها كِتَابَةً[٥]، على سَبيلِ العَلامَةِ، للفَرقِ بينَ المؤمنِ، والكافِرِ، كَما فعَلَ الطَّبعَ، والختمَ، لخلقِ الكَافِرِ.

وخَلقُ الإيمانِ في قُلُوبِهِم، لا يسَمَّى كِتَابَةً، حَقيقَةً، ومجازاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إلّا ما كَتَبَ اللهُ لَنا﴾[٦].

---

(١) في (ش): تخلية. من دون إضافته إلى الضمير (الهاء).

(٢) في (هـ): إذْ.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) مجمع البيان: ٥: ٢٥٥.

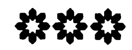
(٥) في (ش): كناية. بنون موحدة من فوق وياء مثناة من تحت بينهما ألف.

(٦) التوبة: ٥١. وفي (أ): تكملة الآية: ﴿... هُوَ مَوْلانَا﴾.

قالَ الحسَنُ[١]: أي: كُلُّ مَا يُصِيبُنا مِن خَيرٍ، أو شَرٍّ، فَهوَ مِمَّا كَتَبهُ[٢] اللهُ في اللَّوحِ المحفوظ، مِنْ أمرِنَا.

وقالَ الجبَّائيُّ[٣]، والزَّجَّاجُ[٤]: أي: لَنْ يُصِيبَنَا في عَاقِبةِ أمرِنَا، إلَّا ما كتَبَ اللهُ لَنَا في القُرآنِ مِنَ النَّصرِ الَّذي وَعَدَنَا[٥].

وقال البلخيُّ[٦]: يجوُزُ أنْ يكونَ «كَتَبَ» بمعنى: عَلِمَ، وَبمعنى: حَكَمَ.



(١) مجمع البيان: ٣: ٣٧.

(٢) في (أ): كتب. من دون الضمير (الهاء).

(٣) مجمع البيان: ٣: ٣٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٥٠١.

(٥) في (ح): وَعَدناه. مَعَ ضمير الغائب (الهاء).

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٢٣٤.

فصل [-٢٤-]

[في خلق الأعمال]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿أَمْ جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾[1].

هذهِ الآيَةُ وَرَدَتْ حُجَّةً علَى الكُفَّارِ، ولَوْ كَانَ الُمرادُ ما قالتِ المجبِرَةُ[2]، لكَانَ فِيها حُجَّةٌ عَلَى الله، لأَنَّهُ إذا كَانَ الخالِقُ - لِعِبَادَتِهِمْ - الأصنَامَ، هُوَ الله، فَلَا يَلحَقُهُم اللَّومُ، بَلْ يكُونُ لَهُمْ أنْ يقُولُوا: إنَّك خَلَقتَ فِينَا ذلكَ، فَلِمَ تُوَبِّخُنَا بِفِعلكَ؟

ثُمَّ إنَّ الخَلْقَ، اِختِرَاعٌ، وأفعَالُنَا - مُبَاشَراً ومُتَوَلِّداً[3] - في محَلِّ القُدرَةِ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[4].

---

(١) الرعد: ١٦.

(٢) الملل والنحل: ١: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣.

(٣) في (هـ): مولداً.

(٤) الرعد: ١٦. الزمر: ٦٢.

أَرَادَ بِهِ المُبَالَغ، كقَولِهِ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾[١]، و﴿يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]، ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣].

ومَنْ زَعَمَ أنَّ الله ـ تعالى ـ تَمَدَّحَ بِالآيَةِ [بأنَّه][٤] أكثَرُ الخَالِقِينَ خَلقاً، وأوسَعُ الفَاعِلِينَ فِعلاً، حتَّى إنَّ أفعالَ العِبادِ، مخلُوقَةٌ لَهُ، أخطأ[٥]، لأنَّه لا مِدحَةَ في خَلقِ الكُفرِ بِهِ، والفِريَةِ عَليهِ، وعلى أنبِيَائِهِ، والظُّلمِ، والجَورِ، وكلِّ قَبيحٍ. بَلِ الذَّمُّ في ذلكَ، والنَّقصُ.

و «الخلقُ» يُعبَّرُ بِهِ عَنِ التَّقدِيرِ، قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾[٦].

فَيَكونُ معنَاهُ: أَنَّهُ خَالِقُ أعمَالِ العِبَادِ، بمعنى: أنَّه مُقَدِّرٌ لَهَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٧].

---

(١) الأحقاف: ٢٥.

(٢) القصص: ٥٧.

(٣) النمل: ٢٣.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) في (ح): فقد أخطأ.

(٦) المائدة: ١١٠.

(٧) الفرقان: ٥٩. السجدة: ٤.

لا مِدْحَةَ[١] في خَلقِ الكُفرِ، والضَّلالِ، وسائرِ القَبَائحِ، فَلَا يَدخُلُ فيهِ أفعَالُ العِبَادِ.

وكانَ يَجبُ أنْ يَكُونَ أفعَالُ العِبادِ، مَفعُولَةً[٢] في سِتَّةِ أيَّامٍ. وقَدْ ذَكَرْنَا[٣] أنَّهُ يَجِيءُ بِمَعنى: التَّقديرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[٤].

لا يَدُلُّ عَلَى أنَّه خَلَقَ الجَزَعَ، والهَلَعَ.

والمُرادُ: أنَّه خَلَقَ الإنسانَ ضَعيفاً عَن تَحمُّلِ الشَّدَائِدِ، والصَّبرِ على تَحمُّلِ المِحَنِ[٥]. وكنَّى ـ عَنْ ذلكَ ـ بِمَا الضَّعفُ سَبَبُهُ، كَمَا قالَ ﴿وَخُلِقَ الإِنْسانُ ضَعِيفاً﴾[٦].

وإذا كانَ ـ تعالى ـ قَد خَلَقَ في الإنسانِ النِّفَارَ عَنِ المضَارِّ، والشَّهوةَ

---

(١) في (ح): لا مدحة له.

(٢) في (ح): مخلوقة.

(٣) في (ح): ذكر. من دون (نا).

(٤) المعارج: ١٩ ـ ٢١.

(٥) في النسخ جميعها: المنن. بنونين متتاليين. وما أثبتناه من (ط).

(٦) النساء: ٢٨.

للمَنَافِعِ، جَازَ أنْ يُقَالَ: إنَّهُ خُلِقَ جَازِعاً مِن تِلكَ، ومَانِعاً[١] مِنْ هذهِ، بمَعنى أنَّه خَلَقَ فيهِ ما يَدعُو إلى ذلك.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ﴾[٢].

لا دَلالَةَ لَهُمْ فِيهِ، لأنَّ حَمْلَ اللِّسَانِ عَلَى الجَارِحَةِ، حَقِيقَةٌ، فَلا يُحمَلُ عَلَى المجازِ.

ويُرِيدُ بِاختلافِ الألسنَةِ ما فيهَا مِن غُنَّةٍ[٣]، ولثغَةٍ[٤]، يَقتَضِيهِمَا[٥] خَلقُ الإنسَانِ، ومَخَارِجُ الحُرُوفِ مِنهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: / ٩١/ ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[٦].

---

(١) في (أ): معاناً. وهو تحريف.

(٢) الروم: ٢٢.

(٣) الغنَّة: صوت يخرج من الخيشوم. (المعجم الوسيط ـ غنن).

(٤) اللثغة: تحوّل اللسان من حرف إلى حرف كقلب السين ثاء، والراء غيناً (المعجم الوسيط ـ لثغ).

(٥) في (أ): يقتضميها.

(٦) الملك: ١٣، ١٤.

معنَاهُ: ألا يَعلَمُ قَوْلَ من خلَقَ، وسِرَّهُ[١]، وأحوَالَهُ.

ولَوْ أرَادَ مَا [ظنَّهُ][٢] المُخَالِفُ، لَقَالَ: ألا يَعلمُ ما خلَقَ. لأنَّ «مَنْ» لِمَنْ[٣] يَعقِلُ.

وإنَّما وَجَبَ أنْ يَكُونَ ـ تعالى ـ عَالِماً بِأسرَارِنا مِن حَيثُ كَانَ خَالِقَنا، لأنَّ الخالِقَ للعِبَادِ، لا يَكونُ إلَّا قَدِيماً عالِماً لِنفسِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[٤].

معناهُ: إنَّ كُلَّ شيءٍ يُطلَقُ عليهِ اِسمُ المَخلُوقِ، فإنَّهُ خلقُهُ، لأنَّ أفعالَنا[٥]، لا يُطلَقُ عَلَيها اِسمُ «الخلقِ» حَقِيقَةً، لأنَّ الخَلَقَ، يُفِيدُ الاختِرَاعَ، وإنَّما يُسمُّونَها ـ بذلك ـ مجَازاً.

عَلَى أنَّه لا يُعتَدُّ بِمَا يَخلقُهُ العِبَادُ في جَنبِ ما خلَقَهُ اللهُ، لكثرَةِ ذلكَ، وقِلَّةِ ما خَلَقَهُ العَبدُ.

---

(١) في (هـ): سرّه. من دون واو.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) في (ك): لمن لم يعقل. وهو وهم من الناسخ.

(٤) الفرقان: ٢.

(٥) في (أ): أفعالها.

أو يكونُ المُرادُ: أنَّه قدَّرَ كُلَّ شَيءٍ. وأفعَالُ العِبَادِ، مُقَدَّرةٌ. لله ـ تعالى ـ مِنْ حَيثُ بَيَّنَ ما يَستَحِقُّ عَلَيها مِنَ الثَّوابِ، والعِقَابِ، أو لا يَستَحِقُّ شيئاً مِنْ ذلكَ. يُقَوِّي ذلكَ قَوله: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾[1].

الخَلقُ ـ في اللِّسَانِ ـ هُوَ: التَّقدِيرُ، والإتقَانُ[2] في الصَّنعَةِ، وفِعلُ الشَّيءِ، لا عَلى وَجهِ السَّهوِ، والمجازَفَةِ، بِدِلالةِ قولِهِ: [[3]﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾[4]، وقوله]: ﴿إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾[5]، وقوله: ﴿أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾[6].

فأعلمَنَا أنَّ غيرَهُ يُسَمَّى خَالقاً، لأنَّه لَوْ لَمْ يَستَحِقَّ اِسمَ «خالِقٍ» غيرُهُ، لما قالَ: ﴿أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾، كَما لا يَجُوزُ أنْ يُقَالَ: إنَّهُ أعظمُ الآلهةِ، لَمَّا لَمْ يَستَحِقَّ الإلهيَّةَ غيرُهُ.

إلَّا أنَّا لا نُطلِقُ هذهِ الصِّفَةَ إلَّا فيهِ ـ تعالى ـ لأنَّ ذلكَ يُوهِمُ.

---

(١) النحل: ١٧.

(٢) في (أ): الاتفاق. وهو تحريف.

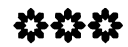
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) العنكبوت: ١٧.

(٥) المائدة: ١١٠.

(٦) المؤمنون: ١٤.

والوَجهُ في الآيةِ: الرَّدُّ عَلى عِبَادةِ الأصنَامِ، والجَمَادَاتِ الَّتي لا تَقدِرُ عَلَى نَفْعٍ، ولا ضَرٍّ. يُقَوِّي ذلكَ قولهُ ـ في آخِرِها ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ﴾[1].



(١) النَّحل: ٢٠، ٢١.

فصل [ـ٢٥ـ]

[من معاني الفتنة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَكَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾[1].

قال أبو عليٍّ[2]: معنى قولِهِ: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، أي: شَدَدْنَا التَّكلِيفَ عَلَى أشرَافِ العَرَبِ، وكُبَرَائِهم، بأنْ أمَرنَاهُمْ بِالإيمَانِ بِرَسُولِ الله ـ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ بِتَقَدِيمِ هؤلاءِ الضُّعفَاءِ على نُفُوسِهِم لِتَقَدُّمِهِمْ إيَّاهُمْ في الإيمَانِ، وكونِهِم أفضَلَ عِندَ الله. وهذا أمرٌ كَانَ شَاقّاً عَلَيهم، فلِذلكَ سَمّاهُ فِتنَةً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾[3].

قالَ الحسنُ[4]: معناهُ: كَما يَقُولُ[5] الأعمى: لَو شاءَ، لَجَعَل لي عَيناً مِثلَ

---

(١) الأنعام: ٥٣.

(٢) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٢: ٣٠٦.

(٣) الفرقان: ٢٠.

(٤) جامع البيان: ١٨: ١٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٦٤.

(٥) في (ك) و(أ): تقول. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

فُلانٍ. ويقُولُ السَّقِيمُ: لو شاء، لأصحَّنِي مثلَ فُلانٍ.

وقال الفَرَّاءُ[١]: كانَ الشَّريفُ إذا أرَادَ أن يُسلِمَ ـ وقد سَبقَ المشرُوفُ إلى الإسلامِ ـ فيقُولُ: [أ][٢] أسلِمُ بَعدَ ذا؟ فكَان ذلِكَ فِتنَةً.

وقيلَ: ﴿وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ للعَداوَاتِ الَّتي كَانَتْ بَينَهُمْ في الدِّينِ.

و«الفِتْنَةُ»: شِدَّةٌ في التَّعَبُّدِ تُظهِرُ ما في نَفسِ العَبدِ[٣] مِنْ خَيرٍ، وشَرٍّ، وهيَ الاختِبارُ[٤].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[٥].

قال مُجاهِدٌ[٦]: أي: يُبلَونَ في أنفُسِهِم، وأموَالِهِم.

وقيلَ: أي: يُصابُونَ بِشدائِدِ الدُّنيا.

***

(١) معاني القرآن: ٢: ٢٦٥.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) في (ح): المتعبِّد.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): الاختيار. بياء مثناة من تحت قبل الألف.

(٥) العنكبوت: ١، ٢.

(٦) جامع البيان: ٢٠: ١٢٨. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٢٧٢. الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣٢٣.

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿ثُـمَّ لَمْ تَكُـنْ فِتْنَـتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَـالُوا وَاللهِ رَبِّنـا مـا كُنَّـا مُشْرِكِينَ﴾[1].

أصلُ «الفِتْنَةِ»: التَّعرِيضُ لِمَا بِهِ يَظهَرُ الخالِصُ منَ الشَّوائبِ، ومتـى صُرِفَ عن ظاهرهِ، سَقَطَ تَعلُّقُهُم بها.

على أنَّ الفتنَةَ، الامتحانُ. يُقَالُ: فتَنْـتُ الـذَّهَبَ في النَّـارِ. ﴿فَإِنَّـا قَـدْ فَتَنَّـا قَوْمَكَ﴾[2]، ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾[3].

والفِتنَةَ ـ أيضاً ـ: الإحرَاقُ. يُقالُ: فَتنتُ الرَّغيفَ في النَّار، قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[4]، ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾[5].

قال الشَّاعرُ[6]:

إذَا جَـاءَ عَبَـسِيٌّ[7] جَرَزْنَـا بِرَأسِـهِ إلى النَّـارِ والعَبَـسِيُّ في النَّـارِ يُفـتَنُ

ولا يُصرَفُ إلى الكُفرِ، إلَّا بِدَليلٍ. ولا دليلَ ـ هاهُنا ـ يجبُ صَرفُهُ إليهِ.

---

(١) الأنعام: ٢٣.

(٢) طه: ٨٥.

(٣) طه: ٤٠.

(٤) الذاريات: ١٣.

(٥) الذاريات: ١٤.

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١: ٥٨١. بلا عزو.

(٧) في (هـ): عبشي. بالشين المعجمة. وفي (أ): عيسى. بالياء المثناة من تحت بعد العين.

وإذا كانت بمعنى الامتحانِ، صحَّ أنَّ الإنسانَ، مُختارٌ. وامتحانُ المجبُـورِ، مُحَالٌ، لأنَّه إنَّما جَرَّبَهُ، لِيَتبيَّنَ فِيهِ ما يكونُ منهُ من طاعَةٍ، أو مَعـصِيَةٍ، ومُـوالاةٍ، أو مُعادَاةٍ. وإذا كانَ المُمتَحِنُ، هُوَ الفَاعِلَ بِجَميعِ ذلكَ، بَطَلَ الامتِحَانُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إلّا مَلائِكَةً وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إلّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1].

فَعِدَّةُ الملائكَةِ، لا تَكُونُ كُفراً للكَافِرِ[2]. ولا خِلافَ أنَّهُم لا يَكفُرُونَ لإجلِ عِدَّتِهِمْ، وإنَّما يَكفُرُونَ لِغيرِ ذلكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً﴾[3]، وقوله: ﴿لا تَفْتِنِّي﴾[4]، سؤالٌ، ولا تَعَلُّقَ بالسُّؤَال، ولا يَدُلُّ عَلَى أنَّ المسؤولَ، يَفعَلُ ما يشَاءُ، أو يَفعَلُ بِخِلافِهِ.

قال أميرُالمؤمنين[5] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: «لايَقولَنَّ أحـدُكُمْ: اللَّهُـمَّ إنِّي/ ٩٢/ أعوذُ بِكَ مِنَ الفِتنَةِ، لأنَّهُ ليسَ أحَدٌ إلَّا وَهوَ مُشتَمِلٌ عَلَى فِتنَةٍ، ولكنْ مَنْ اِستَعَاذَ،

---

(١) المدثر: ٣١.

(٢) في (هـ): كفر الكافر. بالإضافة.

(٣) يونس: ٨٥.

(٤) التوبة: ٤٩.

(٥) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ٤: ٢٠ ـ ٢١.

فَليَستَعِذْ منْ مُضلَّاتِ الفِتَنِ، فإنَّ الله ـ تعالى ـ يُقولُ: ﴿أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1].

ومَعنى الآيةِ: إنَّ الله ـ تعالى ـ يختبِرُهُم بالأموالِ، والأولادِ، لِيَتَبيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ، والرَّاضِي بِقَسَمِهِ. وإنْ كانَ[2] ـ تعالى ـ أعلَمَ بِهِم، ولكنْ لِيُظهِرَ الأفعَالَ الَّتي يَستَحِقُّ بِهَا الثَّوابَ، والعِقَابَ، لأنَّ بَعضَهُم يُحِبُّ الذُّكُورَ[3]، ويَكرَهُ الإنَاثَ، وبَعضَهُم يُحِبُّ تَثمِيرَ[4] المالَ، ويَكرَهُ اِنثِلامَ الحالِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾[5].

أي: عاملنَاهُم مُعَامَلَةَ المُختَبَرِ، بأنْ شَدَدنَا عَلَيهِم في التَّعبُّدِ، بأنْ ألزمناهُم عِندَ إخرَاجِ العِجلِ، إلى أن يَستَدِلُّوا على أنَّه لا يَجُوزُ أن يكُونَ إلهاً، ولا أن يَخلُوَ مِن إلهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾[6].

---

(١) الأنفال: ٢٨.

(٢) في (هـ): وإنَّ الله تعالى...

(٣) في (أ): المذكور.

(٤) في (هـ) و(ح): تمييز.

(٥) طه: ٨٥.

(٦) النور: ٦٣.

لَمْ[١] يَذكُرْ ما فِيها، وجَعَلَهَا مُضافَةً إِلَينَا.

ولا يَجُوزُ بمعنى «الإضْلالِ» من حيثُ تَوَعَّدَهُمْ بِهَا، والتَّوَعُّدُ[٢]، لا يَصُحُّ بِالإضلالِ. وكيفَ يَصُحُّ أنْ يَتَوعَّد بالإضلالِ مَنْ هُوَ ضَالٌّ؟ على أنَّه إنَّما تَوَعَّدَ المُخالِفَ لأمرِهِ، فَلَو كَانَ بَمعنى «الإضلالِ»، لَكَانَ بِمثَابَةِ أنْ لَوْ قالَ: فليَحذرْ مَنْ أضللتُهُ لمخالَفَةِ أمري أن أُضِلَّهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ﴾[٤]، وأمثالُهُما. لايَدُلُّ عَلَى مذهَبِهِم: أنَّ الله ـ تعالى ـ إنَّما يُضِلُّهم بِقُدرَةٍ، مُوجِبَةٍ للضَّلالِ[٥] وإنَّه لا يقَعُ إضلالُهُم بِمِثْلِ ما تَعَلَّقُوا[٦] بِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾[٧].

---

(١) في (هـ): وَلَمْ. مَعَ الواو.

(٢) في النسخ جميعها: التوعيد. وما أثبتناه هو الموافق للقياس اللغويّ.

(٣) الأنبياء: ١١١.

(٤) الأنعام: ٥٣.

(٥) في (أ): للضالّ.

(٦) في (ش٩ و(ك) و(هـ) و(أ): تعلَّق. من دون إِسناد إلى واو الجماعة.

(٧) المائدة: ٤١.

لا خِلافَ أنَّ مَنْ أرَادَ اللهُ فِتنتَهُ، فَلَن يَملكَ أحدٌ لَهُ مِنَ الله شيئاً، على أيِّ[١] وَجهٍ فَسَّرَ «الفِتنَةَ». وإنَّما الخِلافُ في جوَازهِ، لأنَّه لا خِلافَ أنَّه يُريدُ فِتنَةَ العَبدِ، بمعنى: الامتحانِ، والتَّكليفِ، وهاهُنَا: في العَذَابِ، أو نَحوهِ، كما قال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾[٢].

وأنَّه لا يُريدُ تَطهِيرَ قَلبِ مَنْ كَفَرَ، لأنَّ تَطهِيرَهُ، إمَّا أنْ يُرِيدَ بِهِ[٣] أنْ يُطهِّرَهُ جَبراً. وبهذا يَبطُلُ التَّكلِيفُ، أو يُرِيدَ بِهِ الحُكْمَ بِطَهَارَتِهِ. وغَيرُ جَائزٍ أن يَحكُمَ اللهُ بِطَهَارَةِ قَلبِ مَنْ هُوَ كافِرٌ، أو يُرِيدُ إثابتَهُ[٤]، وهوَ لا يُرِيدُ إثَابةَ الكافِرِ.

نظمٌ[٥]:

وكَمْ حَذَّرَ اللهُ العِبَادَ عَدُوَّهُمْ ... وشَيطَانَهُمْ فاسْتَأثَروا التَّرك للحَذرِ
ولكنْ إذا مَا ضَلَّ[٦] قَومٌ عَنِ الهُدى ... أضَلَّهُمُ الرَّحمنُ في السِّرِّ والجَهرِ

❁❁❁

(١) في (هـ): وَأي. معَ الواو.

(٢) الانفطار: ١٩. وفي (أ) تكملة الآية: ﴿...وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

(٣) (به) ساقطة من (أ).

(٤) في (ش): إثباته.

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

(٦) في (هـ): ظلَّ.

فصل [ـ٢٦ـ]

[في معنى المكر]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها وَما يَمْكُرُونَ إلّا بِأَنفُسِهِمْ وَما يَشْعُرُونَ﴾[1].

أي: فَعَلنا بِهؤلاءِ مِثلَ ما فَعَلنَا بأولاءِ، إلَّا أنَّ أولئكَ اهتَدَوا بِحُسنِ اِختِيَارهم[2]، وهؤلاءِ ضَلُّوا بِسُوءِ اِختيَارِهِم[3]، لأنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنهُما «جعَلَ»، بمعنى: صَارَ بِهِ كذا. إلَّا[4] أنَّ الأوَّلَ باللُّطفِ، والثَّاني بِالتَّمكينِ مِنَ المكرِ، فصَارَ كأنَّه جَعَلَ كذا.

وإنَّما خصَّ أكابِرَ المُجرِمِينَ بهذا المعنى، لأنَّ الأكابِرَ، إذا كانُوا في قبضَةِ القَادِرِ، فالأصَاغِرُ ـ بذلكَ ـ أجدَرُ.

وقوله: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيها﴾: «اللَّام» لامُ العَاقِبةِ[5]، كقولِهِ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ

---

(١) الأنعام: ١٢٣.

(٢) في (أ): اِختبارهم. بالباء الموحّدة من تحت بعد التاء المثناة من فوق.

(٣) في (أ): اِختبارهم. بالباء الموحَّدة من تحت بعد التاء المثناة من فوق.

(٤) العبارة: «إلّا أنَّ... كذا» ساقطة من (هـ).

(٥) التفسير الكبير: ١٣: ١٧٤.

فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[١]، وليسَ «لامُ» الغَرَضِ[٢]، لأنَّه ـ تعالى ـ لا يُريدُ أن يَمكُرُوا، وقد قال: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣].

وإرَادَةُ القَبيح، قَبيحَةٌ، فَيَكونُ التَّقديرُ: وكذلكَ جعَلنا ـ في كلِّ قَريَةٍ ـ أكابِرَ مُجرمِيها، لِيُطِيعُوني[٤]، فكان عَاقِبتُهُم أن مَكرُوا بالمؤمنينَ.

﴿وَما يَمْكُرُونَ إِلّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. أي: وبَالُ مَكرِهِم يَعُودُ إلـيهِم، ولا يَصُحُّ أن يَمكُرَ الإنسانُ بِنَفسِهِ عَلى الحَقيقَةِ، لأنَّه لا يَصُحُّ أنْ يُخفِيَ عَنْ نَفْسِهِ ما يَحتالُ[٥] بِهِ عَليها، كَما يَصُحُّ أنْ يُخفِيَ ذلكَ عن غَيرِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾[٦].

المَكرُ: هُوَ إدخَالُ الضَّررِ عَلَى الغَيرِ، حِيَلاً ـ كانَ ـ أو سَلباً مِن جهَةِ الحِيلَـةِ، والتَّورِيَةِ. واللهُ يتَعالَى عَنْ ذلكَ.

ولَيسَ المكرُ مِنَ الإضلالِ بِسَبيلٍ، لأنَّـه يُستَعملُ في الحُروبِ، وفي أمُـورِ

---

(١) القصص: ٨.

(٢) مغني اللبيب:

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) في (هـ): ليطيعوا.

(٥) في (أ): يختال. بالخاء المعجمة من فوق. وهو تصحيف.

(٦) آل عمران: ٥٤.

تُستَعملُ[١] فيها الحِيَلُ.

وقد يُسمَّى قَصدُ الإنسانِ بتَدبيرٍ مَكرَاً[٢]، كَقَولِهِ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٣]، وليسَ ذلك إضلالهُم إيَّاهُ عنِ الدِّينِ، بَلْ هُوَ كَما فَسَّرهُ بِقولِهِ: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾[٤].

والإجماعُ: إنَّ قوله: «يمكُرُونَ» إنَّما هُوَ ما كانُوا يكِيدُونَ بهِ النَّبيَّ -عَلَيهِ السَّلام-[٥] منَ القَصْدِ لإهلاكِهِ.

وأخبرَ: أنَّه مَكرَ لَهُم[٦]. أي: أهلكَهُم مِن حَيثُ لا يَعلمُونَهُ، أوجَازَاهُمْ عَلَى مَكرِهِم، فَسمَّى الجَزَاءَ عَلَى المَكرِ / ٩٣/ مَكراً، كَما سمَّى الجَزَاءَ عَلى الاعتدَاءِ، اِعتِدَاءً. وهذا مِن بَابِ تَسمِيَةِ الابتداءِ باسمِ العَاقِبَةِ، والعَاقِبَةِ بِاسمِ الابتداءِ.

نظمٌ[٧]:

---

(١) في (ش) و(ك) و(أ): يستعمل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) في (ش): مكر. من دون تنوين النَّصب.

(٣) الأنفال: ٣٠.

(٤) الأنفال: ٣٠.

(٥) في (أ): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ.

(٦) في (ك) و(أ) و(ح): بهم. مع حرف الجر (الباء).

(٧) لم نقف على اسم القائل وَلا مورد أخذه. وفي (ح): (شعر). بدلاً من (نظم).

وإنّي لأستحيي[1] مِنَ الله أن أرَى يُخَالِفُ قَولي[3] الفعلَ سِرّاً ولا جَهرَا
أبى ذاكَ خَوفِي[2] الله ـ جلَّ ثناؤُهُ ـ وهَلْ يأمَنُ الإنسَانُ مِن رَبِّهِ المَكرَا

***

قوله ـ سبحانَهُ ـ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[4].

يعني: قولَهُم قبلَ الآيةِ: ﴿قالُوا تَقاسَمُوا بِالله لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾[5].

﴿وَمَكَرْنا مَكْراً﴾، أي: جازَيْناهُم على مَكرِهِم، بأنّا ﴿دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[6]. أي: أهلكنَاهُم عَن آخرِهِمْ.

وقيلَ: إنَّ الله ـ تعالى ـ[7] أرسلَ عَلَيهِم صَخرَةً عَظِيمةً أهلكَهُم بِهَا.

وقيلَ: أي: أبحْنَا المؤمنين المَكرَ بِالكُفَّارِ، بِكُلِّ ما يَقدِرونَ عليهِ مِنَ الإضرَارِ بِهِم، وإلجائهم إلى الإيمانِ. وإنَّما نَسَبهُ إلى نفسهِ، لَمَّا كانَ بأمرهِ.

---

(١) في (أ): لا يستحيي.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ح): خوف. من دون ياء الملك.

(٣) في (هـ): قول. من دون ياء الملك.

(٤) النَّمل: ٥٠.

(٥) النَّمل: ٤٩.

(٦) النَّمل: ٥١.

(٧) (تعالى) ساقطة من (ح).

قال النَّبيُّ[١] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: الحربُ خُدعَةٌ. كما فَعَلَهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٢] بِالْمُشرِكينَ عِندَ اِجتماعِهِمْ عَلَى الإيقَاعِ بِهِ، فأمَرَ عَليّاً ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بالمبيتِ عَلَى فِرَاشِهِ، والهجرَةِ إلى حيثُ أمَرَهُ اللهُ.

فأضافَ ما فعَلَهُ، وَفَعَلَهُ المؤمنونَ إلى نَفسهِ مِن حَيثُ كَانَ ذلك بأمرِهِ، وتَعلِيمِهِ، كما قالَ: ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ...﴾[٣] إلى قولِهِ: ﴿...وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤].

قال الطبريُّ[٥]، والخطيبُ في «تاريخيهِمَا»، والقُزوينيُّ، والثَّعلَبيُّ[٦] في «تفسِيرَيهما»: كَانَ مَكرُ اللهِ، بَيَاتَ عَلِيٍّ عَلَى فِرَاشِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٧].

قال الشَّاعرُ[٨]:

---

(١) صحيح البخاري: ٤: ٧٨. صحيح مسلم: ٥: ١٤٣. سنن أبي داود: ٢: ٤١. سنن ابن ماجة: ٢: ٩٤٥، الجامع الصحيح: ٤: ١٩٤. المعجم الكبير: ٣: ٨٣، ٥: ١٤٩. تاريخ بغداد: ٥: ١١٧. العقد الفريد: ١: ١٢٧.

(٢) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٣) الأنفال: ١٧.

(٤) الأنفال: ٣٠.

(٥) تاريخ الطبري: ٢: ٣٧٣ـ ٣٧٤.

(٦) تفسير الثعلبي من الكتب المفقودة. ثمَّ انظر تفسير الآية في الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٣٩٧.

(٧) في (أ) و(ح): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ.

(٨) (قال الشاعر) ساقطة من (أ). وفي (ح): شاعر. بسقوط (قال) و(أل).

ولَمَّا سَرَى الهادي النَّبيُّ مُهَاجِراً — وقَد مَكَرَ الأعداءُ واللهُ أمكَرُ

ونَامَ عَلِيٌّ في الفِراشِ بِنَفسِهِ — وبَاتَ رَبيطَ الجأشِ ما كانَ يَذعَرُ

فَكَانَ مَكَانَ المَكرِ حَيدَرَةُ الرِّضَى — مِنَ الله لَمَّا كَانَ بِالقَوم يَمْكُرُ[1]

فَيَكُونُ المعنى: أنَّ الله تعالى[2] يَرُدُّ مَكرَكُمْ[3] عَلَيكُمْ، كَمَا يُقَالُ: إنَّ فُلانَاً، أرَادَ أنْ يَخدَعَنِي، فخَدَعتُهُ، وقَصَدَ أنْ يَمكُرَبي[4]، فَمَكرتُ بِهِ. وعَلَى هذا يُؤَوَّلُ: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾[5]، لأنَّ الثَّاني، لا يَكُونُ سيِّئَةً، وإنَّما يكونُ جزَاءً، وهكذا في آيةِ الاستهزاءِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ﴾[6].

أي: علَّمنَا يُوسُفَ مِن جِهَةِ الخَفيَةِ، دُونَ الظَّاهِرِ، وذلكَ أنَّ الحكمَ، كَانَ ـ في أيَّامِ العزيزِ ـ: مَنْ سَرَقَ[7] شيئاً، أُخِذَ بِسَرِقِهِ، ومُلِكَ.

***

(١) لم نقف على اسم القائل ولا مورد أخذه.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (ح): مكرهم عليهم.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): يمكرني. بنون الوقاية.

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) يوسف: ٧٦.

(٧) في (ح): أخذ. وفي هامشها إشارة إلى نسخة أخرى تثبت كلمة (سرق).

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾[1].

الخِدَاعُ: مُشتَقٌّ منَ الخَدْعِ، وهوَ إخفَاءُ الشَّيءِ، مَعَ إيهَامِ غَيرِهِ، وَمِنهُ: المِخدَعُ. والخَدْعُ: التَّغَيُّرُ[2].

أُنشِدَ[3]:

[أبيضَ اللَّونِ لَذيذاً طَعمُهُ] طَيِّبَ الرِّيقِ إذا الرِّيقُ خَدَعْ

أي: تَغَيَّرَ، وفَسَدَ.

قال أبو عُبيدَةَ[4]: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾، بمعنى: يَخدَعُونَ.

قال الشَّاعِرُ[5]:

وخَادَعتُ المَنِيَّةَ عنهُ سِرّاً [فَلا جَزَعَ الأوَانَ ولا رُوَاعَا]

ومِثلُ ذلكَ، قولُهُم: قاتَلَهُ اللهُ. وعافاهُ الله.

---

(١) البقرة: ٩.

(٢) لسان العرب (خَدَعَ).

(٣) قائله: سويد بن أبي كاهل اليشكريّ. انظر، ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكريّ: ٢٤. ومنه صدر البيت.

(٤) مجاز القرآن: ١: ٣١.

(٥) النَّوادر في اللغة: ٣٦٨ في جملة أبيات معزوَّةٍ إلى عُرفُطةَ بن الطَّمَّاح وفيه: عنكَ سِرّاً. التبيان في تفسير القرآن: ١: ٦٨ بلا عزوٍ. لسان العرب: خَدَعَ. ومنها تمام البيت.

ومعناهُ[١]: إنَّ المُنَافِقَ يُخَادِعُ الله بِلِسَانِهِ، خِلافَ ما في قلبِهِ، والله يُخادِعُهُ بِما فيهِ نَجَاةُ نَفسهِ.

قال الحسن[٢]، والزَّجَّاجُ[٣]، والأزهَرِيُّ[٤]: معنى ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾: إنَّهم يَخدَعُونَ نَبِيَّهُ، كَمَا قال: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾[٥].

وقيلَ: إنَّهُم يُنافِقُونَ، والله يُجازِيهِم عَلَى فِعلِهِم، كما قال: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا﴾[٦]، ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[٧].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً﴾[٨].

أي: يحتالُونَ في دَفعِ الحُجَجِ، وإنكارِ الآياتِ.

---

(١) في (هـ): ومعنى.

(٢) قول الحسن هذا في مجمع البيان: ١: ٢٧ من غير عزو إلى أحدٍ، وفي الجامع لأحكام القرآن: ١: ١٩٥ معزو إلى الحسن وغيره.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٥٠، ٢: ٤٦٨.

(٤) تهذيب اللغة: (مادّة ـ خَدَع).

(٥) الأنفال: ٦٢.

(٦) النحل: ١٢٦.

(٧) الشورى: ٤٠.

(٨) الطارق: ١٥.

﴿وَأَكِيدُ كَيْداً﴾[١]. أي: أجازِيهم عَلَى كيدِهِمْ. وسمَّى الجَزَاءَ علَى الكيدِ، باسمِهِ، لا زدِوَاجِ الكلامِ.

وقيلَ: إنَّهمْ يحتَالُونَ لإهلاكِ النَّبيِّ، وأصحابِهِ، وأنَا أسَبِّبُ لَهُم النَّصرَ، والغَلَبَةَ، وأقَوِّي دَوَاعِيَهم إلى القتَالِ، فَسَمَّى ذلكَ كيداً، حيثُ يَخفَى عليهِمْ وَجهُ ذلك.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حاكِياً عَنْ إبلِيسَ ـ: ﴿رَبِّ بِما أَغْوَيْتَني﴾[٢]. إنَّهُ كَلامُ إبليسَ، وإنَّه ليسَ ممَّن يُقبَلُ قوله، إنَّ أبَانَا آدَمَ، هُوَ الصَّدُوقُ، المُعتَمَدَ: ﴿قالَ رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[٣]، فاعترفَ أنَّهُ الظَّالِمُ لِنَفسِهِ، فيما يَتَعاطى مِن تَركِ المَندُوبِ[٤] إليهِ. ولَم يُضِفها إلى رَبِّهِ. فقولهُ أصَحُّ، وكلامُهُ أثبَتُ.

وإنَّ إبلِيسَ، قد اِعترَفَ في الآخِرَةِ، اِضطِراراً في قولِهِ: ﴿وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ﴾[٥]. ثُمَّ إنَّهُ لم يَقُل: إنَّك

---

(١) الطارق: ١٦.

(٢) الحجر: ٣٩.

(٣) القصص: ١٦.

(٤) في (ش): الذنوب. وهو تحريف.

(٥) ابراهيم: ٢٢.

أغويتني عَنِ الحقِّ.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِالله الْغَرُورُ﴾[1]، و﴿لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ﴾[2]، فأخبرَ أنَّنا مُختارونَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾[3].

لا تَعلُّق فِيهِ، لأنَّهُ قالَ: لو فَعَلتُ كذا، لَفَعلتُ. وليسَ يُوجِبُ / ٩٤/ ذلكَ بأنَّهُ يَفعَلُهُ. وقد قال في نَظمِهِ: ﴿لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْناهُ﴾[4]. وليسَ ذلكَ بِمُجَوِّزٍ أن يَفعَلَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ﴾[5].

فتأويلُهُ، مِثلُ ما قُلنَا في الكَيدِ، والمكرِ.

***

(١) لقمان: ٣٣، فاطر: ٥.

(٢) الأعراف: ٢٧.

(٣) الأنعام: ٩.

(٤) الأنبياء: ١٧.

(٥) الرعد: ١٣.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا...﴾ الآية[١].

أبى ذُو الكِلاعِ الحِميَرِيُّ قِتَالَ عَليٍّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فَوَضَعَ عَمرو[٢] ابنُ العَاصِ: إنَّ السَّعيدَ مَنْ سَعَدَ في بَطنِ أمِّهِ، والشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ في بطنِ أمِّهِ. وانتحَلَهُ إلى النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ، وقارَنَهُ بهذهِ الآيةِ، فبَايَعَ ذُو الكِلاعِ مُعاويةَ، فانتَشَرَ ذلكَ في بَني أمَيَّةَ، وأتبَاعِهِم[٣]، إلَّا عُمرَ بنَ عبدِ العزيزِ، فإنَّه لم يَقبَلهُ.

فإن صحَّ الخَبرُ، فتَأويلُهُ، وتأويلُ الآية: أنَّ السَّعيدَ، والشَّقِيَّ، مَنْ يَظهَرُ أمرُهُ في قَبرِهِ، لأنَّ «الأمَّ» كُلُّ ما يُرجَعُ إليهِ، قوله: ﴿فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ﴾[٤]. والأرضُ هُوَ المَرجِعُ، قوله: ﴿مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ﴾[٥]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وَأَمْواتاً﴾[٦]. وقال الضَّحَّاكُ[٧]: المعنى: إنَّ الَّذينَ سَعَدُوا بطَاعاتِ الله يَدخُلُونَ الجَنَّةَ خَالدينَ فِيها، واستثنَى مِن جُملتِهم مَن كَانَ[٨] مُستَحِقّاً للنَّارِ،

---

(١) هود: ١٠٨.

(٢) انظر تفصيل المسألة في التفسير الكبير: ١٨: ٦١.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): تُبَّاعهم.

(٤) القارعة: ٩.

(٥) طه: ٥٥.

(٦) المرسلات: ٢٥، ٢٦.

(٧) جامع البيان: ١٢: ١٢٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٩٦ وفيه بلا عزو إلى أحدٍ.

(٨) في (أ): كلّ، وهو تحريف.

ولَوْ أرَادَ عِقَابَهُم، ثُمَّ إخرَاجَهُمْ مِنها، فكَأنَّهُ[1] قال: خالِدِينَ فِيهَا[2]، إلَّا مُدَّةً. ما كانُوا مُعاقَبِينَ في النَّارِ.

وذلكَ صَحيحٌ، لإجماعِ الأمَّةِ على جَوازِ إخرَاجِ بَعضِ الأشقِياءِ مِنَ النَّارِ بعدَ دُخُولِهِم فيها.

وسَمِعَ الحسن قولَ أبي مَعشَرٍ الكُوفيِّ: إنَّ اللهَ خَلَقَ خَلقاً، وقال: هؤلاءِ للّجَنَّةِ، وهؤلاءِ للنَّارِ. فقال: يا لُكَعُ! أو جَعَلَهُ اللهُ قُرعَةً بَينَ عِبَادِهِ؟

موسى بنُ[3] جَعفرٍ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ليسَ مِنَ العَدلِ أنْ يَشتركَ اِثنَانِ في فعلٍ، فَيُعذَرُ القَويُّ، ويُلامُ الضَّعيفُ.

وحَقِيقَةُ السَّعادَةِ، أنَّهُ يَتأتّى لَهُ مَا يُرِيدُ الوُصُولَ إليهِ مِنَ المَنافِعِ، ودَفعِ المَضارِّ. وهذا لا يُوجِبُ مازَعَمُو[ه][4].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا﴾[5].

---

(١) في (ح): فكان. وهو تحريف.

(٢) في (ش) و(ك): مِنها.

(٣) الاحتجاج: ٢: ١٥٩ بلفظ مختلف، وفي تحف العقول: ٣٠٨ بِلَفْظٍ مختلف قليلاً.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) المؤمنون: ١٠٦.

الغَلَبَةُ إنَّما تَصُحُّ[١] مِنَ القَادِرِ الحَيِّ، ولا وَجهَ لإضافَةِ الغَلَبَةِ إلى الشَّقَاوَةِ. على أنَّ السَّعادَةَ، والشَّقَاوَةَ[٢] إنَّما[٣] تُستَعمَلُ[٤] في إصَابَةِ الخَيرِ، وحِرمانِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾[٥].

الظَّاهِرُ: أنَّه خَلَقَهُم لِجَهَنَّمَ، ولا يُوجِبُ ذلك أنَّه يُريدُ مِنهُمُ الكُفرَ، وأنَّه يُريدُ العِقابَ، وإن لم يُرِد ما يَستحِقُّ بِهِ ذلك، كما يُريدُ التَّوبَةَ مِنَ الفَاسِقِ، وإن لم يُردْ ما لأجلِهِ، تَجِبُ[٦] التَّوبَةُ.

ولامُ[٧] ﴿لِجَهَنَّمَ﴾، «لامُ» العَاقِبَةِ، دُونَ غَرضِ[٨] الفِعلِ، لأنَّه قالَ في آخِرِهِ: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٩].

---

(١) في (أ): يَصحُّ. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) في (هـ): الشّقاوة والسعادة.

(٣) في (هـ): وإنَّما. مَعَ الواو.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يستعمل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) الأعراف: ١٧٩.

(٦) في (ش) و(هـ) و(أ): يجب. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٧) في (هـ): واللام. مَعَ (أل).

(٨) في النسخ جميعها: عرض. بالعين المهملة. وما أثبتناه من (ط).

(٩) الأنعام: ١٧٩.

وكيفَ يَقُولُ[١] ذلكَ، وإنَّما فعَلوا ما لَهُ خُلِقُوا؟ وكيفَ يَذُمُّهُم لِفِعلِ ما خَلَقَهُم لَهُ، وأرَادَهُ مِنهُم؟

ولامُ «كي» الَّتي تَكُونُ لِغَرَضِ[٢] الفِعلِ، تَدْخُلُ[٣] عَلَى الأفعَالِ، دُون الأسمَاءِ.

ويُناقِضُ قولَهُ: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤]، فإذا خَلَقَهُم لِعِبَادتِهِ، فكَيفَ يَخلُقُهُمْ لِجَهَنَّم؟

وإذا كَانَ خَلَقَ جَمِيعَهُم للعبَادَةِ، فقَد شاءَ مِن جَمِيعِهِم العِبَادَةَ.

بَيتٌ[٥]:

ومَا النَّاسُ إلَّا للعِبَادةِ خَلقُهُم ... ولكن تَعَدَّى مَن تَعَدَّى عَلَى خبرِ[٦]

ويدلُّ عَلى أنَّه «لامُ» العاقبةِ، قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[٧]. وآلُ[٨] فِرعَونَ لَم يَلتَقِطُوهُ لِذلك، وإنَّما التَقَطُوهُ لقوله: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ

(١) في (ك): تقول. بتاء المضارعة المثناة من فوق. وفي (هـ): يقولوا. سنداً إلى واو الجماعة.

(٢) في النسخ جميعها: لعرض. بالعين المهملة. وما أثبتناه من (ط).

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يدخل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) الذاريات: ٥٦.

(٥) لم نَقِف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

(٦) في (هـ): حبر. بالحاء المهملة.

(٧) القصص: ٨.

(٨) في (ح): فَآلَ. مع الفاء.

لِي وَلَكَ﴾[١].

قال الشَّاعِرُ[٢]:

فَللمَـوتِ تَغـذُو الوَالِـدَاتُ سِـخَالَهَا ... كَـمَا لِخَـرَابِ الـدُّورِ[٣] تُبنَـى المَـسَاكِنُ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَلا يَزالُونَ مُختَلِفِينَ إلّا مَنْ رَحِمَ رَبُّـكَ وَلِـذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٤].

يعني بِهِ مَنْ[٥] أسلَمَ مِنْ هـؤلاءِ المختَلِفـينَ، لأنَّهـم إذا أسـلمُوا[٦]، اِرتَفَـعَ الخِلافُ بينهُمْ، وصَارُوا[٧] مُتَّفِقينَ عَلَى الخَيرِ.

﴿وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ لأنْ يَرحَمَهُم اِبتداءً، أو أن[٨] يَرحَمَهُم عَلى فِعلٍ. أو خَلَقَ

---

(١) القصص: ٩.

(٢) العقد الفريد: ١: ٢٦٩. بلا عزو فقه اللغة وسرّ العربية: ٣٥١ معزوّاً إلى سابق البربريّ. التبيـان في تفسير القرآن: ٥: ٣٦ بلا عزو. مغني اللبيـب: ١: ٢١٤ بـلا عـزو. خزانـة الأدب: ٤: ١٦٣ منسوباً إلى سابق البربريّ الدّرر اللوامع: ٢: ٣١. كنز الفوائد: ٤٨. بلا عزو أيضاً.

(٣) في (هـ): الدَّهر.

(٤) هود: ١١٨، ١١٩.

(٥) (مَن) ساقطة من (أ).

(٦) في (ش): سلموا. من دون همزة.

(٧) في (هـ): فصاروا. معَ الفاء.

(٨) في (ش): وأن. معَ الواو.

النَّصَارى، لِتُخالِفَ[١] اليَهُودَ، [وخَلَقَ اليهُودَ][٢]، لِتُخالِفَ[٣] النَّصارَى، كَما حَكَى عنهُم: ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ الله﴾[٤].

وقال الحسنُ[٥]: إنَّهم يَختَلِفُونَ بالأرزَاقِ، والأحوالِ، وتَسخِيرِ بعضِهم لِبَعضٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ﴾[٦]. أي: إغراءُ اليَهُودِ بِمُعَادَاةِ النَّصارى؛ في إِدِّعاءِ النَّصارى: أنَّ لله[٧] ولَداً، واعتِقادِهِم[٨] التَّثلِيثَ. وإغرَاءُ النَّصارى بِمُعاداةِ اليَهُودِ، بجَحدِهِم نُبُوَّةَ المسيحِ، وشَتمِهِمْ أُمَّهُ.

---

(١) في (ش) و(ك) و(أ): ليخالف. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): ليخالف. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) التوبة: ٣٠.

(٥) جامع البيان: ١٢: ١٤٢. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٠٣. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ١١٤ ـ ١١٥.

(٦) المائدة: ١٤.

(٧) في (أ): الله. من دون حرف الجر (اللام).

(٨) في (أ): إعتقادهم. من دون (واو) العطف.

وقال البلخيُّ[1]: يَكُونُ الإغرَاءُ بَينَ النَّصارى خاصَّةً، بَعضُهم لِبَعضٍ على ظاهِرِ الآيةِ: وهوَ أنَّ الله ـ تعالى ـ نَصَبَ الأدِلَّة عَلى إبطالِ كُلِّ فِرقَةٍ من فِرَقِ النَّصارى، فإذا عَرَفت طَائفَةٌ مِنها فَسَادَ مَذهَبِ الأخرى، فِيمَا نَصَبَ الله لَهَا منَ الأدِلَّةِ / ٩٥/ ـ وإن جَهِلَتْ فَسَادَ مَقَالَةِ نَفسِهَا، لِتَفريطِهَا في ذلكَ، وسُوءِ إختِيَارِهَا ـ فَجَازَ ـ على هذا ـ إضَافَةُ الإغراءِ إلى الله ـ تعالى ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

معنى ﴿تَتَّقُونَ﴾: لِتَتَّقُوا. لأنَّ «لَعَلَّ» بمعنى «لامِ» كَيْ.

وعندَ المُفَسِّرينَ: «لَعَلَّ» منَ الله، واجبٌ. فإذا كانَ خَلَقَ جَميعَهُم. للتَّقوى، فقَد أرَادَ مِنْ جَميعِهِم التَّقوى.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَهـذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

---

(١) هذا القول في مجمع البيان: ٢: ١٧٣ من دون عزو إلى أحدٍ. وهو في التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٤٧٢ معزو إلى الربيع والزجاج والطبري.

(٢) البقرة: ٢١.

(٣) الأنعام: ١٥٥.

أمرٌ مِنَ الله باتِّقَاءِ مَعَاصِيهِ، واتِّبَاعِ نَبيِّهِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ : لِكَيْ تُرحَمُوا.

وإنَّما قالَ: ﴿وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ﴾ مَعَ أنَّهم إذا اِتَّقَوا رُحِمُوا، لا مَحَالَةَ، لأمرَينِ:

أحَدِهما: اِتَّقُوا عَلى رَجاءِ الرَّحمةِ، لأنَّكم لا تَدرُونَ ما تُوافُونَ في الآخرةِ.

والثَّاني: اِتَّقُوهُ، لِترحَمُوا. ومعناه: لِيكونَ الغَرَضُ بالتَّقوى مِنكُمْ طَلَبَ مَا عِندَ الله مِنَ الرَّحمةِ، والثَّوابِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ...﴾[1].

الآيةُ فيها دلالَةٌ عَلَى أنَّهم كانُوا يَقدِرون عَلى الطَّاعَةِ، فَتمنَّوا الرُّجُوعَ لِيَعملُوا[2] الخَيرَ[3]. بخلافِ ما تَقُولُ المجبِرَةُ[4].

***

(١) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

(٢) في (ش) و(ح) ليعلموا. بلام ثم ميم. وهو تحريف.

(٣) في (هـ): الجبر. بالجيم المعجمة من تحت بعدها باء موحَّدة من تحت.

(٤) الملل والنحل: ١٣٦.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾(١).

يدُلّ عَلَى أنَّهم كانُوا قَادِرِينَ عَلَى الإيمانِ في الدُّنيَا، فَلذلكَ طلبُوا تِلكَ الحَالَ. ولو لَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ، لَمَا طَلَبُوا الرَّدَّ إلى الدُّنيا، وإلى حَالِهِم(٢) الأولَى.

وتدُلُّ ـ أيضاً ـ عَلَى بُطلانِ مَذهبِ الحُسينِ(٣) النَّجَّارِ في تَكليفِ أهلِ الآخرَةِ. وهوَ خِلافُ القُرآنِ والإجمَاعِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٤)، و﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٥)، و﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٦)، و﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٧)، و﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾(٨)،

---

(١) الأعراف: ٥٣.

(٢) في (ش): حالتهم.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٤٢٠.

(٤) البقرة: ٥٣. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٥) ابراهيم: ٣٧.

(٦) آل عمران: ٧٢. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٧) البقرة: ٧٣. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٨) الأنعام: ٦٥.

و﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(١).

فيها دَلالاتٌ عَلَى أنَّ الله ـ تعالى ـ أرَادَ مِنهُم المذكُورَاتِ، لأنَّ كُلَّها لا مَاتُ الغَرَضِ.



(١) الأعراف: ٢٦. الأنفال: ٥٧.

فصل [-٢٧-]

[في الاستقامة وفي معنى (كل) وفي الإرادة]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[١].

قال أكثرُ المفَسِّرينَ: إنَّه لَو اِستَقَامَ العُقَلاءُ عَلَى طَريقَةِ الهُدى، واستَمَرُّوا عليها، وعَمِلُوا بِمُوجَبِها، لجَازَاهُم على ذلك بِأنْ أَسْقَاهُم ماءً غَدَقاً. أي: كثيراً. وفي ذلك تَرغيبٌ في الهدى.

وقال الفَرَّاءُ[٢]: معناهُ: وأن لو اِستقامُوا عَلَى طَريقهِ الكُفرِ، لَفَعَلنا بِهِم ما ذكَرناهُ؛ تَغلِيظاً[٣] لِلمِحنَةِ في التَّكليفِ، ولذلكَ قال: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) الجن: ١٧.

(٢) معاني القرآن: ٣: ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) في (أ): وإن تغليظاً.

حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً﴾[١].

علمنَا ـ في الجُملَةِ ـ أنَّ هـذهِ الآيـاتِ، مَخـصُوصَةٌ، فَـلا نَعتَقِـدُ[٢] فيهـا تخصِيصاً[٣]، وليسَ يَلزَمُنا أكثَرَ مِنْ ذلكَ.

ومـن تَكلَّـفَ، وقـالَ: إنَّـما فَـتَحَ أبـوَابَ كُـلِّ شيءٍ، ليَفرَحُـوا، ويُبطـرُوا فَيستَحِقُّوا العِقابَ.

قُلنا: اِنصَرَفنا عَنهُ بِدَليلٍ، كَما اِنصَرَفنا عَنْ آيـاتِ الجَـبر، والتَّشبيهِ، ثُـمَّ إنَّ لَفظَةَ «كُلِّ»[٤] ـ هاهُنا ـ المُرادُ بِهِ التَّكثيرُ دُونَ العُمُومِ، مِثلَ قولـه: ﴿وَأُوتِيَـتْ مِـنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها﴾[٦].

ويُقَالُ: هذا قَولُ أهلِ العِراقِ، وأهلِ الحِجازِ. ويُرَادُ بِهِ: قَولُ أكثَرِهِم.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ﴾[٧].

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) في (ك) و(أ): تعتقد. بتاء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ح): يُعتَقد، بالبناء للمجهول.

(٣) في النسخ جميعها: تخصيص. بالرفع، وحقّه النَّصب كما ثبّتناه.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الكلّ. مع (أل).

(٥) النَّمل: ٢٣.

(٦) طه: ٥٦.

(٧) آل عمران: ١٧٦.

الإِرَادَةُ لا تَتَعَلَّقُ بألّا يَكونَ الشَّيءُ، وإِنَّما تتعَلقُ بِمَا يَصُحُّ حُدُوثُهُ.

قال اِبنُ اِسحَاقَ(١): يُرِيدُ اللهُ أن يَحبِطَ أعمَالَهُم بِمَا اِستَحَقُّوهُ مِنَ المَعَاصِي، والكَبَائِرِ.

وقال غَيرُهُ: إنَّ الله يُريدُ أن يَحكُمَ بِحِرمَانِ ثَوَابِ الَّذينَ عُوِّضُوا(٢)، بِتكلِيفِهِم. وهوَ لائقٌ بِمَذهَبِنَا، لأنَّ الإحبَاطَ، بَاطلٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾(٣).

يعني: إنَّه ـ تعالى ـ لَو يُؤَاخِذُ الكُفَّارَ، والعُصَاةَ، بِذُنُوبِهِم، ويُعَاجِلُهُم بِعُقُوبَاتِهِم، لما تَركَ عَلَى الأرضِ أحَداً منَ الظَّالمينَ، وإِنَّما يُؤَخِّرهُم تَفَضُّلاً مِنهُ، لِيَتُوبُوا لِمَا(٤) في ذلكَ مِن المصلحَةِ لِبَاقي المُكلَّفِينَ، لَيعتَبِرُوا بِهِم.

والوَجهُ في تَعميمِهِم بِالإهلاكِ ـ مَعَ أنَّ فِيهِم مُؤمِنينَ ـ: أنَّ الإهلاكَ ـ وإن عَمَّهُم ـ فَهوَ عِقَابُ الظَّالِمِ، دُونَ المُؤمِنِ، لإنَّ المُؤمِنَ، يُعوَّضُ عليهِ.

(١) جامع البيان: ٤: ١٨٥.

(٢) في (أ): عوصوا. بالصّاد المهملة.

(٣) النّحل: ٦١.

(٤) في (ح): أو لِمَا.

عَلَى أنَّ ذلكَ يَكُونُ خَاصَّةً. والتَّقدِيرُ: ما تَـرَكَ عَلَيهـا مِـن دَابَّـةٍ مِـنْ أهـلِ الظُّلمِ.

ثُمَّ إنَّه لَو هَلَكَ الآباءُ بِكُفرِهِم، لِمَ يُؤاخَذُ[1] الأبناءُ؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أيُّهَا الَّذِينَ أُوتُـوا الْـكِتابَ آمِنُـوا...﴾[2] إلى قولـه: ﴿...فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها﴾[3].

قالَ اِبنُ عَبَّاسٍ[4]: المعنيُّ: عَبدُالله بنُ سَلّامٍ، وغَـيرُهُ. فَلَـمَّا أسـلَمُوا / ٩٦/ دُوفِعَ عَنهُم.

وقال أبيُّ بنُ[5] كَعبٍ: الطَّمسُ: أن تُرَدَّ عَنْ بَصَائِرِ الهُدى، وَتُحوَّلَ الوُجُـوهُ إلى الأقفَاءِ. ويَكُونُ المعنى: أن يُحَوَّلَ بِالَمعصيَةِ، وتُسمَّى بِالضَّلالِ.

---

(١) في (ك): يُؤخذ.

(٢) النساء: ٤٧.

(٣) النساء: ٤٧.

(٤) قول ابن عباس هذا في جامع البيان: ٥: ١٢٤ غير معزوٍّ إلى أحَدٍ، وذُكِرَ مَـعَ عبـدالله بـن سـلام آخرون. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥ ـ ٥٦ معزو إلى ابن عباس، وكذا في الـدر المنثور: ٢: ٥٥٥. الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٢٤٥ من دون عزو إليه.

(٥) قول أبي هذا في مجمع البيان: ٢: ٥٥. من دون عـزو إليـه وهـو معـزوّ إليـه في الجـامع لأحكـام القرآن: ٥: ٢٤٤.

وقالَ الحسنُ[١]، ومُجَاهِـدُ[٢]، والـضَّحَّاكُ[٣]، [والـسُّدِّيُّ[٤]: نَطمِـسُها عَـنِ الهُدى، فنَرُدُّها عَلَى أدبارِهَا في ضَلالَتِها؛ ذَمّاً لَهَا: بأنَّها لا تَنصَلِحُ][٥] أبَدَاً.

وإن كَانُوا[٦] في الضَّلالَةِ ـ في الحَالِ ـ فتَوعَّدَهُم: بأنَّهم مَتَى لَم يُؤمِنوا بِـالنَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ اِزدَادُوا ـ بذلكَ ـ ضَلالاً إلى ضَلالَتِهِم وإمَّا أن يَسألَهُم: أن يُؤمِنوا مِن بَعدُ. وهوَ المَرويُّ عَن أبي جَعفَرٍ[٧] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

ويُقَالُ[٨]: يَكُونُ في القِيَامَةِ، تُقلَبُ وجُوهُهُم إلى أدبَارِهِم.



(١) جامع البيان: ٥: ١٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥. الدر المنثور: ٢: ٥٥٦. التفسير الكبير: ١٠: ١٢١.

(٢) جامع البيان: ٥: ١٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥. الدر المنثور: ٢: ٥٥٦.

(٣) جامع البيان: ٥: ١٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥. الدر المنثور: ٢: ٥٥٦.

(٤) جامع البيان: ٥: ١٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٥.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٦) في (ش): كان. من دون إسناد إلى واو الجماعة.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٥٥ نور الثقلين: ١: ٤٨٧. التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢١٥.

(٨) التفسير الكبير: ١٠: ١٢١.

فصل [ـ ٢٨ ـ]

[في نسبة الأفعال]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً﴾[1].

الإهلاكُ عَلَى سَبيلِ الامتحانِ، أو الاستحقاقِ حَسَنٌ، وإنَّما يقبُحُ إذا كانَ ظُلْماً. والله ـ تعالى ـ مُنَزَّهٌ عَن ذلكَ، ولا ظَاهِرٌ للآيَةِ يقتَضِي ذلكَ.

وإذا قَامَتِ الدِّلالةُ عَلَى أنَّه ـ تعالى ـ مُنَزَّهٌ عَنِ القَبَائحِ، عَلِمْنا أنَّ هذهِ الآيَةَ، لَمْ تتَعَلَّقْ إلَّا بالإهلاكِ الحَسَنِ.

قوله: ﴿أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾: المأمُورُ بِهِ محذُوفٌ، ولَيسَ يجِبُ أنْ يكُونَ المأمُورُ بِهِ، هُوَ الفِسقَ، وإن وَقَعَ ـ بعدَهُ ـ الفِسقُ. وهذا كما يَقُولُ: أمَرتُهُ، فَعَصَى، ودَعَوتُهُ، فَأَبَى. والمرادُ: أمَرتُهُ بِالطَّاعَةِ، ودَعوتُهُ إلى الإجابَةِ.

وإنَّه ـ تعالى ـ لَم يُعَلِّقِ الإرَادَةَ، إلَّا بِإهلاكٍ[2] مُستَحَقٍّ بِمَا تَقدَّمَ مِنَ الذُّنُوبِ.

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) في (ش): الإهلاك. مَعَ الألف واللام.

والَّذي حَسَّنَ قولهُ: ﴿إذا أَرَدْنا﴾ هُوَ أنَّ في تَكرَارِ الأمرِ بالطَّاعَةِ، والإيمانِ، إعذاراً إلى العُصَاةِ، وإنذاراً لَهُم، وإثبَاتاً لِلحُجَّةِ عَلَيهِم، حتَّى يُكونُوا ـ مَتَى خَالَفُوا بَعدَ تَكرَارِ الإنذارِ ـ مِمَّنْ يَحُقُّ القَولُ، وتَجِبُ[١] عَلَيهِ الحُجَّةُ. يُوضِحُ ـ ذلكَ ـ قوله[٢] قَبلَ الآيَةِ: ﴿وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٣]. ويكونُ: ﴿أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾ مِن صِفَةِ القَريَةِ، وصِلَتَها، ولا يَكُونُ جَوَاباً لِقَولِهِ: ﴿إذا أَرَدْنا﴾. ويَكُونُ تَقدِيرُ الكلامِ: وإذا أَرَدنا أن نُهلِك قَريَةً مِن صِفَتِها: أنَّا إذا أمَرنا مُتَرَفِيهَا، فَسَقُوا فِيها. ولم يأتِ لَهَا جَوَابٌ ظَاهِرٌ في الآيَةِ، لِلاستِغناءِ عَنهُ بِمَا في الكلامِ مِنَ الدَّلالَةِ عَلَيهِ، نَحوُ: ﴿حَتَّى إذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ وَقالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ﴾ الآية[٤]. ولم يأتِ لـ﴿إذا﴾، جَوَابٌ في طُولِ الكلامِ، للاستغناءِ عنهُ.

قالَ الهُذَلِيُّ[٥]:

حتَّى إذَا سَلَكُوهُم في قُتَائِدِهِ ... شَلّاً كَمَا تَطرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرَدَا

حَذفَ جَوابَ «إذا»، والبَيتُ آخِرُ القَصِيدَةِ.

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يجب. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) (قوله) ساقطة من (ك) و(ح).

(٣) الإسراء: ١٥.

(٤) الزُّمر: ٧٣، ٧٤.

(٥) ديوان الهذليين: ق ٢: ٤٢ منسوباً إلى عبد مناف بن ربع الهُذَليّ.

ويَكُونُ ذِكرُ الإرَادَةِ ـ في الآيةِ ـ مجَازَاً، وإنَّهُم مَتَى أمِرُوا، فَسقُوا[١] ويجري ذِكرُ الإرَادَةِ في الآيةِ ـ هاهنا ـ مجَرَى قَولِهِم: إذَا أرَادَ التَّاجِرُ أن يَفتقِرَ، أتَتهُ النَّوائبُ مِن كُلِّ جِهَةٍ، والخُسرَانُ مِن كُلِّ طَريقٍ، وقَولِهِم: إذَا أرَادَ العَليلُ أن يَموتَ، خَلَطَ في مأكَلِهِ، وتَسَرَّعَ إلى ما تَتُوقُ إليهِ نَفسُهُ.

وهذا كقَولِهِ: ﴿فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ﴾[٢].

ويُحمَلُ[٣] الآيةُ عَلَى التَّقدِيمِ، والتَّأخِيرِ، فَيَكونُ تَلخيصُها: إذا أمرنَا مُترَفِي قَريةٍ بالطَّاعَةِ[٤] فَعَصَوا واستَحقُّوا العِقَابَ، أرَدنا إهلاكَهُم. ويَشهَد ـ بذلِك ـ قوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[٥].

وقوله: ﴿وَإِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾[٦]. الطَّهارَةُ قَبلَ القِيَامِ إلى الصَّلاةِ، وقِيامُ الطَّائفةِ مَعَهُ يكونُ قَبلَ إقَامَةِ الصَّلاةِ.

ويَحتَمِلُ: كأنَّه قال ـ تعالى ـ: وإذا أَرَدنا أن نُهلِك قَريةً مأمُوراً مُترَفُوهَا،

---

(١) في (هـ): ففسقوا.

(٢) الكهف: ٧٧.

(٣) في (ح): تحمل. بتاء المضارعة المثناة فوق.

(٤) في (ح): الطاعة. بسقوط حرف الجر (الباء).

(٥) المائدة: ٦.

(٦) النساء: ١٠٢.

كَرَّرنا الأمْرَ عَلَيهم، أو[١] أعدنَا، لِلوَعظِ لهُم، أو[٢] أمرنَاهُم ثَانِيَاً، ففَسَقُوا فِيهـا، فَحَقَّ عَلَيها القَولُ.

ويُمِكنُ أن يُتَمحَّلَ لـ﴿إذا﴾ في الآيةِ جَوَابٌ، وهوَ أن يُجعَلَ الفَاءُ في قوله: ﴿فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً﴾ زَائدةً، ويُجعَلُ ﴿فَدَمَّرْناها﴾ جَوَاباً: لـ﴿إذا﴾. لقَولِهِم: أخوكَ فَمجِّدْهُ، وزَيداً فاضرِبْ، وعَمْراً فأكرِمهُ. ومِنهُ: ﴿وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[٣].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

لا يَقتَضِي أكثَرَ من أنَّه يَستَدرِجُ من كَذَّبَ بآياتِهِ، ولم يَذكُرما يَستَدرِجُهُ إليهِ.

وأصلُهُ[٥] مِنَ «الدُّرُوج»، وهوَ الهَلاكُ. ويُقالُ: مِن دَبَّ، ودَرَجَ. و«سِـينُهُ» لا يُمكِنُ إجرَاؤها عَلى[٦] السُّؤالِ[٧] في أوصَافِهِ.

---

(١) في (ح): وأعدنا. مَعَ الواو.

(٢) في (هـ) و(ح): وأمرناهم. مَعَ الواو.

(٣) المدثر: ٤، ٥.

(٤) القلم: ٤٤.

(٥) في (ك): أضله. بالضاد المعجمة.

(٦) في (ش): عن.

(٧) في (ش): الشؤال. بالشين المعجمة.

قال اِبنُ عَبَّاسٍ[١]: إنَّهم كُلَّما أحدَثوا خطيئةً، جَدَّدَ لهُم نِعمَةً، وإنَّما يَستَدرِجُهُم إلى الضَّررِ، والعقَابِ الَّذي اِستَحَقُّوهُ بِما تَقدَّمَ من كُفرِهِم، ولله ـ تعالى ـ أن يُعاقِبَ المُستَحِقَّ بِما شَاءَ، أيَّ وقتٍ / ٩٧/ شاءَ، فَكأنَّهُ[٢] ـ تعالى ـ[٣] لَمَّا كَفَرُوا، وبدَّلُوا نِعَمَهُ، وعانَدُوا رُسُلَهُ، لَم يُغيِّر نِعَمَهُ[٤] في الدُّنيا، بَل أمهَلَهُم إلى وَقتٍ أرَادَ[هُ][٥].

ولو جازَ أنْ يَستَدرِجَهُم إلى الكُفرِ، ثُمَّ يُعذِّبَهُم عَلَيهِ، لجَازَ أن يُعذِّبَهُم اِبتِداءً.

ولو جازَ أنْ يَأمُرَهُم بِالفِسقِ، لَكَانُوا بِفعلِهِ مُطِيعينَ.

﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾[٦] دَالٌّ عَلَى أنَّه إنَّما أمَرَهُم بِالطَّاعَةِ، فَصَارُوا بِمُفَارَقَةِ أمرِهِ فَاسِقِينَ. ولو كان أمَرَهُم بِالفِسقِ، فَفَعَلُوا ذلك، لَكَانُوا ـ بذلكَ ـ مُطِيعينَ.

والإرَادَةُ لإهلاكِ قَومٍ، قَد يكُونُ [حَسَنًا، إذا كانُوا][٧] مُستَحِقِّينَ.

---

(١) هذا القول منسوب في مجمع البيان: ٥: ٣٤ إلى جعفر الصادق (ع).

(٢) في (ح): كأنّهم.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) في (أ): نعمة. بتاء مربوطة منقوطة.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ) و(ح).

(٦) الإسراء: ١٦.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

وقد بَيَّنَ أَنَّه لا يُهلِكُ أحَداً إلَّا بالاستِحقاق، قوله: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْـقُرى﴾[١]، ﴿وَما كُنَّا مُهْلِكِي الْـقُرى﴾[٢].



(١) هود: ١١٧. وتمامها: ﴿بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾.

(٢) القصص: ٥٩. وتمامها: ﴿إلّا وَأَهْلُها ظالِمُونَ﴾.

فصل [ـ ٢٩ ـ]

[في مسائل متفرِّقة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْـحَياةِ الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ﴾[١].

اِبنُ عبَّاس[٢]، وقتَادةُ[٣]: في الكَلَامِ تَقديمٌ، وتأخِيرٌ: فَلا يُعجِبكَ ـ يامُحَمَّدُ ـ ولا يُعجِبِ المُؤمنِينَ معَكَ أموَالُ هؤلاءِ الكُفَّارِ، والمُنافقينَ، ولا أولادُهم في الحَيَاةِ الدُّنيا، إنَّما يُريدُ الله لِيُعَذِّبَهم بِها في الآخِرَةِ، عُقُوبَةً لَهُم عَلَى[٤] مَنعِهِم حُقُوقَها.

ومثلهُ: ﴿فَالْـقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ﴾[٥]. المعنى:

---

(١) التوبة: ٥٥.

(٢) جامع البيان: ١٠: ١٥٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣٩. الدر المنثور: ٤: ٢١٨. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ١٦٤.

(٣) جامع البيان: ١٠: ١٥٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣٩. الدر المنثور: ٤: ٢١٨. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ١٦٤.

(٤) (على) ساقطة من (هـ).

(٥) النّمل: ٢٨.

فألقِهِ إليهم، فانظُر ماذَا يَرجِعُونَ، ثُمَّ تَولَّ عَنهم.

ومعنى التَّعذِيبِ بالأموالِ، والأولادِ في الدُّنيَا، ما هوَ جَعَلَهُ للمؤمنينَ مِن قتالِهِم، وغَنيمةِ أموَالِهم، وسَبي أولادِهم، وفي ذلك إيلامٌ لَهُم.

وقد أخبَرَ اللهُ ـ تعالى ـ نَبِيَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أنَّه يَرزُقُ الكُفَّارَ الأولادَ ـ والأموالَ[1]، لا لِكَرَامةٍ لَهُم، بَل للمَصلَحَةِ الدَّاعِيَةِ إلى ذلك، وإنَّهُم ـ مع هذهِ الحالِ ـ مُعذَّبونَ بِهَا ـ بِالوَجهِ المَذكُورِ.

والمرادُ ـ بذلكَ ـ كُلُّ ما يَدخُلُ عَلَيهِم في الدُّنيا مِن الغُمُومِ، والمَصَائبِ، بأموَالِهم، [وأولادِهم][2]، عِقَابٌ، وجَزَاءٌ، وهوَ للمؤمنينَ مِحنَةٌ، وجالِبَةٌ لِلعِوَضِ.

ويجُوزُ ـ أيضاً ـ أن يُرَادَ بهِ: ما يُنذَرُ بِهِ الكَافِرُ ـ قَبلَ مَوتِهِ، وعِندَ اِحتِضَارِهِ، وعندَ اِنقِطَاعِ التَّكليفِ عنهُ، مَعَ أنَّه حَيٌّ ـ مِنَ العَذَابِ الدَّائمِ، الَّذي قد أُعِدَّ لَهُ، وإعلامُهُ أنَّه صَائرٌ إليهِ، ومُنتَقِلٌ إلى قَرَارِهِ.

الحسنُ[3]، والطَّبريُّ[4]: المُرَادُ ـ بِذلِكَ ـ: ما ألزَمَهُ هؤلاءِ الكُفَّارِ مِنَ

(١) في (هـ): الأموال والأولاد.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) جامع البيان: ١٠: ١٥٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣٩. أيضاً: أمالي المرتضى: ١: ٥١٦. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ١٦٤.

(٤) جامع البيان: ١٠: ١٥٣.

الفَرَائضِ، والحُقُوقِ في أموالِهِم، لأنَّ ذلك يُؤخَذُ مِنهُم على كَرْهٍ، وهُمْ إذا أنفَقُوا، أنفقُوا بِغَيرِ نِيَّةٍ، فَتَصِيرُ نَفَقَتُهُم غَرَامَةً، وعذَاباً من حيثُ لا يَستَحِقُّونَ عليها أجراً. وهذا غَيرُ صَحيحٍ.

وقال المرتضَى[1]: تَقديرُ الآيةِ: إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بأموالِهِم، وأولادِهِم، [بِفِعلِهِم][2] الواقِعِ ذلك مِنهُم في الحَيَاةِ الدُّنيا مِنْ إنفَاقِهِمْ الأموالَ في وجُوهِ المَعاصِي، وحَمْلِهِم الأولادَ عَلَى الكُفرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾[3].

أيْ: يَمُوتُونَ[4] عَلَى الكُفرِ. وليسَ يَجِبُ إن كانَ مُرِيداً، لا تَزهقُ أنفُسُهُم، وهُم على هذهِ الحَالِ، أن يَكُونَ مُرِيداً لِلحَالِ نَفسِهَا عَلى ما ظَنُّوهُ لأنَّ الوَاحِدَ مِنَّا قَد يأمُرُ غَيرَهُ، ويُرِيدُ مِنهُ أن يُقَاتِلَ أهلَ البَغي، وهُم مُحارِبُونَ، ولا يُقاتِلُهُم، وهم مُنهَزِمُونَ، ولايَكُونُ مُرِيداً لِحربِ أهلِ البَغي لِلمؤمِنينَ، وإن أرَادَ قِتَالَهُم عَلى هذهِ الحالِ. وكذلِكَ قَد يَقُولُ لِغُلامِهِ: أُرِيدُ أن تُواظِبَ إليَّ في السِّجنِ، وأنَا مَحبُوسٌ. ولِلطَّبيبِ: صِر إليَّ، ولازِمْني. وأنا مَرِيضٌ. ولا يُرِيدُ الحَبسَ، ولا المَرَضَ، وإن

---

(١) أمالي المرتضى: ١: ٥١٧.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق من أمالي المرتضى: ١: ٥١٧.

(٣) التوبة: ٥٥.

(٤) في (أ): تموتمون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

كَانَ قد أرَادَ ما هُو مُتعَلِّقٌ بِهاتَينِ الحَالتين.

ولا يَكُونُ قولهُ: ﴿وَهُمْ كافِرُونَ﴾ [١] حالاً لِزُهُوقِ أنفسُهِم، بَل يكونُ كأنَّهُ كلامٌ مُستأنَفٌ. والتَّقدِيرُ: فَلا تُعجِبكَ أموالهُم ولا أولادُهُم، إنَّما يُريدُ الله لِيُعَذِّبَهم بِها في الحَيَاةِ الدُّنيا، وتَزهَقَ أنفُسُهُم وهم - معَ ذلِكَ - كُلُّهم كافِرونَ، صَائرُونَ إلى النَّارِ.

وتكونُ[٢] الفَائدةُ: أنَّهم - معَ عَذابِ الدُّنيا - قَد اجتَمعَ عَلَيهم عَذابُ الآخِرَةِ، ويَكونُ معنى ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ - على هذا الجَوابِ - غَيرَ المَوتِ، بَلِ المَشقَّةَ الشَّدِيدَةَ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إلّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [٣].

لَم يَقُل: إلَّا وقَد آمَنَ بِهِ. في المَاضي، وإنَّما قَالَ: ﴿إلّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾. في مُستَقبَلِ مِنَ الزَّمانِ، فَيَجُوزُ أن يَكُونَ ذلكَ عِندَ نُزُولِ عِيسى، وخُرُوجِ المهدِيِّ - عَلَيهِ السَّلام -[٤].

---

(١) التوبة: ٥٥.

(٢) في (هـ): فيكون. مَعَ الفاء وبياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) النساء: ١٥٩.

(٤) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (هـ).

ويجُوزُ أن يُريدَ بِقولِهِ: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ إذا عَايَنَ حالَهُ[١]، لأنَّ المُعَايِنَ، لَم يَمُت إلَّا وقد عَرَفَ مَا كانَ عَلَيهِ من هُدَىً، أو ضَلالٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾[٢].

لَمَّا سَمِعَ أبُو لَهَبٍ هذهِ السُّورَةَ، لو كانَ آمنَ، لَكَانَ فِيهِ تَكذِيبُ الله ـ تعالى ـ وَإن لَم يَجِب عَلَيهِ الإيمانُ، فَهوَ خِلافُ الإجماعِ.

الجوابُ: خَبَرُ الله ـ تعالى ـ[٣] مَشرُوطٌ بأنَّه سَيَصلى / ٩٦/ نَارَاً، إن لَم يُؤمِنْ. ويَجِبُ عَلَيهِ أن يَعلَمْ[٤] ذلك. وإنَّه[٥] يَدُلُّ عَلى صِدقِ مُعجِزَةِ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٦]، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا

---

(١) في (ش): حالة. بالتاء المربوطة المنقوطة. وفي (ك): خالة. بالخاء المعجمة من فوق والتاء المربوطة المنقوطة.

(٢) المسد: ٣.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) في (هـ): نعلم. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٥) في (ح): مَعَ إنَّه.

(٦) الأنعام: ٩٢.

وَيَلْعَبُوا﴾[١].

إجماعٌ: أنَّ الله ـ تعالى ـ لا يُطلِقُ[٢] الكُفرَ بـهِ، والـشَّتمَ لَـهُ، والفِريـةَ عَلَيـهِ. بالمُجَوِّزُ لَهُ، خَارِجٌ عَنِ الإجماعِ.

وقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾، لَيسَ بِجَوَابِ: ﴿ذَرْهُمْ﴾.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[٣].

أخبَرَ أنَّه مَنَعهُم منَ الخُرُوجِ، فَلَيسُوا يَخلُونَ مـن أن يَكُونُـوا قَـادِرِينَ عَـلَى الخُرُوجِ، أو غَيرَ قَادِرِينَ.

فَمَنعُ غَيرِ قَادِرِينَ، مُحَالٌ[٤]. وإن كَانُوا قَادِرِينَ، وقَد مَنَعَهُم الله، فَقَـد صَـحَّ مَذهَبُنَا.

وبَعدُ: فَقَولُهُ: ﴿ وَلكِنْ كَرِهَ اللهُ ﴾، فالله ـ تعالى ـ[٥] غَيرُ كَارِهٍ، عَلَى قَاعِدَتِكُم.

***

(١) الزخرف: ٨٣.

(٢) في النُّسخ جميعاً (يطق) ولعلَّه: يخلق.

(٣) التوبة: ٤٦.

(٤) في (ش): محل.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

فصل [ـ٣٠ـ]

[في نسبة الأفعال]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

قوله: ﴿وَفِي ذلِكُمْ﴾ إشَارَةٌ إلى المُقَدَّمِ ذِكْرُهُ مِن إنجَائِهِ لَهُم مِنَ المكروهَاتِ.

وقَالوا: إنَّه مَعطُوفٌ عَلَى ما تَقَدَّمَ مِن قولِهِ: ﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾. الآيةُ[2].

والبَلاءُ، مُشتَرَكٌ بينَ الخَيرِ، والشَّرِّ[3]. قوله: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[4]، ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً﴾[5]. وهوَ الاختِبارُ. قوله:

---

(١) البقرة: ٤٩.

(٢) البقرة: ٤٧.

(٣) في (هـ): بين الشرّ والخير.

(٤) الأنبياء: ٣٥.

(٥) الأنفال: ١٧.

﴿وَبَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ﴾[1]. ومَصدَرُ: بَلِيَ الثَّوبُ: يَبلَى.

قالَ الرَّاجِزُ[2]:

المَــرْءُ يَبلِيــهِ بَــلَاءَ السِّرْ بــالْ [مَرُّ اللَّيالِي وَانِتقَــالُ الأحــوالْ]

ويُقالُ: قَد أبلَى فُلانٌ في الحَربِ.

وإذا وقَعَا عَلَى الأمرينِ، لَم يَكنِ الخَصمُ في رَدِّهِ إلى المِحنَةِ، بأسعَدَ مِنَّا في رَدِّهِ إلى النِّعمَةِ. عَلَى أنَّه في الإنعامِ، أولى لِقَولِهِ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْناكُمْ﴾ فَبيَّنَ أنَّه أنجاهُم مِن قَتلِهِم الأبناءَ، واستِحيائِهِمْ النِّسَاءَ. ثُمَّ قال: ﴿وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ﴾ . أي: نِعمةٌ.

ولو كَانَ كَما زَعمُوا، لَم يَكُن ذلِكَ امتِنَاناً عَلَيهم، ولَكَانَ[3] مُوجِباً إسقَاطُ اللَّائمَةِ مِن فِرعَونَ فِيما كانَ يَفعَلُهُ.

وأمَّا إضَافَةُ «النَّجاةِ» إليهِ ـ تعالى ـ وإنْ كَانَتْ واقِعَةً بِسَيرِهِم[4] ـ لو دَلَّ عَلَى ما ظَنُّوهُ، لَوَجَبَ ـ إذا قُلنا: إنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أَنقَذَنا مِنَ الشِّركِ، وأخرَجَنا مِنَ الضَّلالةِ، ونَجانَا مِنَ الكُفرِ ـ أن يكُونَ فَاعِلاً لأفعَالِنَا.

---

(١) الأعراف: ١٦٨.

(٢) هو العَّجاج. انظر ديوان العّجاج: ٨٦ ط. لا يبزك ومنه الشطر الثاني. وقد أخلَّ به ديوانه بتحقيق عزَّة حسن.

(٣) في (هـ): لكن. وهو تحريف.

(٤) أي: سير بني إسرائيل، وانتقالهم، وخلاصهم من فرعون.

ويُقَالُ: أَنَا نَجَّيتُكَ من كَذا، وكَذا، وخَلَّصتُكَ. ولا يُرِيدُ: أَنّه فَعَلَ فِعلَهُ.

ولهذا[1] صَحَّ أنَّ ما وَقَعَ بِتوفِيقِ الله ـ تعالى ـ ودِلالَتِهِ، ومَعُونتِـهِ، وألطَافِـهِ، قَدْ يَصُحُّ إضَافَتُهُ إليهِ ـ تعالى ـ.

وقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، يُخاطِـبُ بـذلكَ مَـنْ لَمْ يُـدرِكْ فِرعَونَ، فَلا نَجَا[2] مِنْ شَرِّهِ هذا. كَمَا يُقَالُ: قَتَلناكُم يَومَ عُكَاظٍ.

المعنى: وإذا أنجَينَا[3] آباءَكُم، وأسلافَكم. والنِّعمةُ عَلَى السَّلَفِ، نِعمَةٌ عَلَى الخَلَفِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[4].

الاستِهزَاءُ: ما[5] يُقصَدُ بِهِ إلى عَيبِ المُستَهزَأ بِهِ، والإزرَاءِ عَلَيه.

وإذا تَضَمَّنَتِ[6] التَّخطِئةُ، والتَّجهيلُ، والتَّبكيتُ هـذا المعنـى، جَـازَ أن

---

(١) في (ح): فلهذا. مَعَ الفاء.

(٢) في (أ): نجاء. بالهمز.

(٣) في (ك): نَجَّينا.

(٤) البقرة: ١٥.

(٥) في (ش): أما.

(٦) في (هـ): تظمنت. بالظَّاء المعجمة.

يَجرِيَ عَلَيهِ اِسمُ الاستِهزَاءِ، ويَشهَدُ ـ بذلِكَ ـ قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ الله يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها﴾(١).

والآيَاتُ لا يَصُحُّ(٢) عَلَيها الاستِهزَاءُ، والسُّخرِيةُ، وإنَّما المعنى: إذا سَمِعتُم آيَاتِ الله، يُكفَرُ بِها، ويُزرَى عَلَيها. وقد يُقَامُ الشَّيءُ مَقَامَ ما قَارَبهُ في مَعناهُ، لِيجرِيَ عَلَيهِ اِسمُهُ.

قال الشَّاعرُ(٣):

سَكَتَ الدَّهرُ زَمَاناً عَنهُمُ ... ثُمَّ أَبكاهُمْ دَماً حِينَ نَطَقَ

وإنَّه ـ تعالى ـ يُجازِيهِم عَلى اِستِهزائهم، فَسَمَّى الجزاءَ عَلَى الذَّنبِ [بِاسمِ الذَّنبِ](٤)، كَما قالَ: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾(٥).

وقال: ﴿فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾(٦).

وقال: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾(٧).

---

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) في (ح): يصلح.

(٣) عيون الأخبار: ٢: ٣٠٣ بلا عزو. أمالي المرتضى: ٢: ١٤٥ بلا عزو.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) البقرة: ١٩٤.

(٧) النَّحل: ١٢٦.

وقالَ عَمرُو بنُ كُلثُومٍ[١]:

أَلَا لَا يَجْهَلَـــنْ أَحَـــدٌ عَلَيْنَـــا فَنَجهَـلَ فَـوقَ جَهـلِ الجاهِلِينَـا

والعَرَبُ تَقولُ: الجَزَاءُ بِالجَزَاءِ. والأَوَّلُ لَيسَ بِجَزَاء.

ولا شَكَّ أَنَّ ما وَقَعَ مِنهُ ـ تعالى ـ ليسَ باستِهزَاءٍ عَلَى الحَقِيقَـةِ، ولكنَّـهُ[٢] سمّاهُ بذلكَ، لِيَزدَوِجَ اللَّفظُ، ويَخِفَّ عَلَى اللِّسَانِ.

وقيلَ: اِستِهزَاؤُهُم: لَمَّا رَجَعَ ضَرَرُهُ عَلَيهِم، جَازَ أَن يَقولَ ـ عُقِيبَ ذلـك ـ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٣]. واللهُ ـ تعالى ـ هُوَ الّذي يَـرُدُّ[٤] اِستِهزَاءَهُم عَلَـيهِمْ، وإنَّ ضَرَرَ مَا فَعَلُوهُ، لَمْ يَتعدَّهم، كما يُقالُ: أَرَادَ فُلانٌ أن يَخدَعَني، فخَدَعتُهُ. المعنـى: إنَّ ضَرَرَ خِدَاعِهِ، عَادَ إليهِ، ولَم يَضرُرني.

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٤٢٦ وفيه يقول أبـو بكـر الأنبـاريّ: «فنجهـل فـوق جهل الجاهلين. معناه: فنهلكه، ونعاقبه بما هو أعظم من جهله، فنسب الجهـل إلى نفسـه، وهـو يريد الإهلاك والمعاقبة ليزدوج اللفظان، فتكون الثانية على مثل الأولى وهي تخالفهـا في المعنـى، لأنَّ ذلك أخفُّ على اللسان، وأخصرُ من اِختلافهما».

انظر البيت أيضاً في: شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر النحـاس: ق ٢: ٦٧٩.

شرح القصائد العشر. صنعة الخطيب التبريزي: ٣٦٦.

(٢) في (ح): لكن. بإسقاط الضمير (الهاء) وبالنون المخفَّفة.

(٣) البقرة: ١٥.

(٤) في (ش): يراد.

وقيل: الاستهزَاءُ مِنَ الله، هُوَ الإملاءُ الَّذي يَظُنُّونَـهُ إغفَـالاً[١]. ورُوِيَ: أنَّ ذلكَ يَكُونُ في القِيَامَةِ، كَمَا جَاءَ ـ في التَّفسيرِ ـ قوله: ﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها﴾[٢].

واسـتِهزَاءُ الله ـ تعـالى ـ الإهـلاكُ، والتَّـدمِيرُ، واسـتِهزَاءُ / ٩٩/ الخَلـقِ، السَّفَهُ، والعُنفُ.

ولا خِلافَ أنَّ المُبتَدَأ[٣]، لَيسَ بِعُقُوبَةٍ، ولا جَزَاءٍ. ويَجري هذا مَجرى قولـه: ﴿يُخادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ﴾[٤]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾[٥]، ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ﴾[٦].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٧].

ما لَامَ هؤلاءِ عَلَى ما لَمْ يَفعَلُوا، ولم يُدرِكوا، وإنَّما ذلكَ كقَـولِهم: هزَمنَـاكُم

---

(١) في (ح): إغفال. من دون تنوين النَّصب.

(٢) السجدة: ٢٠.

(٣) في (ح): المتدي. بصيغة اسم الفاعل وبتخفيف الهمز.

(٤) النساء: ١٤٢.

(٥) الأنفال: ٣٠.

(٦) هود: ٣٨.

(٧) البقرة: ٩١.

يَومَ الجِفَارِ[1]، وفَضَحنَاكُم يَومَ السَتَار[2]. أي: قَتَلَتْ آباؤُنا آباءَكُم.

ثُمَّ إنَّه لَمَّا كانَتِ الأبنَاءُ راضيةً بِمَا صَنَعَتِ الآباءُ، دَخَلُوا مَعَهُم في الغَضَبِ، وشَارَكُوهُم فيهِ.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾[3].

إنَّ الله لا يُؤاخِذُ أحَدَاً بِذَنبِ غَيرِهِ[4]، كَمَا قال: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[5].

وليسَ ذلك بمَنزِلةِ تَحَمُّلِ الدِّيَةِ عَن غَيرِهِ، لأنَّ الغَرَضَ في الدِّيةِ، أداءُ المَالِ عَنْ نَفسِ المَقتُولِ، فَلَا فَصلَ[6] بينَ أن يُؤدِّيهُ زَيدٌ عَنْ نَفسهِ، وبَينَ أنْ يُؤدِّيهُ عَمرٌو عنه، لأنَّه بِمَنزِلَةِ قَضَاءِ الدِّينِ.

***

(١) لعلّه يوم الفجار، أيام عدّة أوّلها بين كنانة وهوازن. وثانيها بين قريش وهوازن، وثالثها بين كنانة وهوازن، وآخرها بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن. (العقد الفريد: ٥: ٢٥١ ـ ٢٥٦).

(٢) هو يوم بين بكر بن وائل وبين تميم. (معجم البلدان: ٣: ١٨٨) كذلك في جميع النسخ.

(٣) العنكبوت: ١٢.

(٤) في (ح) زيادة: (فلا يصحُّ إذنْ أنْ يتحمَّلَ أحدٌ ذَنبَ غيرهِ) قبل: (كما قال...).

(٥) فاطر: ١٨.

(٦) في (هـ): فضل. بالضاد المعجمة.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ﴾ (١).

معناهُ: إنَّهُم يَحمِلُونَ خَطَايَاهُم في أنفُسِهِم الَّتي لا يَعملُونَهَا لِغيرِهم، ويَحمِلونَ الخطايَا الَّتي ظَلَمُوا بِهَا غيرَهُم، فَحَسُنَ ـ لذلكَ ـ فِيهِم التَّفصِيلُ الَّذي ذكر (٢) اللهُ ـ تعالى ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٣)، وقوله: ﴿أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا﴾ (٤)، وقوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ (٥)، وأشبَاهُهَا، إذا عُرِضَ عَلَى العَقلِ، والكتَابِ، والسُّنَّةِ، والإجماعِ، بَطَلَ ذلكَ.

ولا يَجُوزُ ـ في العَقلِ ـ أن يَفعلَ ما هُوَ ظُلمٌ، والأخذُ بِغَيرِ الجُرمِ ظُلمٌ، فَهوَ غَيرُ فَاعلٍ لَهُ.

والحَملُ المَعقُولُ إنَّما هُوَ حَملُ شَيءٍ (٦) بِهِ ثِقلٌ. والوِزرُ ـ في اللُّغَةِ ـ (٧) الثِّقلُ.

---

(١) العنكبوت: ١٣.

(٢) في (ح): ذكره. مع ضمير الغائب (الهاء).

(٣) النحل: ٢٥.

(٤) الأعراف: ١٥٥.

(٥) المائدة: ٢٩.

(٦) في (ح): الشَّيء. مَعَ (أل).

(٧) لسان العرب: (وَزَرَ).

ومَن نَقَلَ «الحِملَ»، و«الوِزرَ» عَنْ ذلكَ، كَانَ تَارِكاً للظَّاهِرِ.

والمَعلُومُ أنَّ مَنْ حَمَلَ مِن ثِقلِ غَيرِهِ، يَكونُ ذلك تَخفِيفاً عَنهُ. ولا خِلافَ أنَّه لا يُخَفَّفُ عَنْ المَحمُولِ مِنْ أوزَارِهِمْ، لأنَّهُم يَقُولُونَ: إنَّ هـؤلاءِ، لا يَحمِلُونَ مِـن أوزَارِهِم مِن غَيرِ أن يُخَفَّفَ عَنهم.

﴿وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. أي: مِـنْ أوزَارِ إضـلالِ الَّـذينَ يُضِلُّونَهُم. مِثلُ قولِهِ: ﴿وَسْئَلِ الْـقَرْيَةَ﴾[1].

وفي القُرآنِ: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي﴾[2]، ﴿وَلا تَكْسِبُ كُـلُّ نَفْسٍ إِلّا عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[3]، وأشباهُهَا.

وبِالإجماعِ: لا يَجُوزُ ذلك مِنْ حَيثُ أنَّ ذلك يُوجِبُ التَّخفِيفَ عَنهُ. فَمعنَاهُ: إنَّهم يَحمِلُونَ مِثلَ أوزارِهِم لإغوَائِهِم، وذلك أنَّهم فَعَلُوا فِعلَينِ: ضَلُّوا، وأضَلُّوا. فاستَحَقُّوا حَظَّينِ مِنَ العَذابِ، وتَحَمَّلُوا حِملَينِ من الوِزرِ. بيتٌ[4]:

بِذَنبِهـا تُؤخَـذُ كـلُّ وازِرَةْ[5]



(١) يوسف: ٨٢.

(٢) سبأ: ٥٠.

(٣) الأنعام: ١٦٤.

(٤) (بيت) ساقطة من (أ).

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

فصل [-٣١-]

[في مسائل متفرِّقة]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1].

النُّورُ، والظُّلْمَةُ المَذكُورَانِ في الآيـةِ، جَـائزٌ[2] أنْ يكـونَ المُـرادُ بِهِـما الجنَّـةُ، والنَّارُ، والثَّوَابُ، والعِقَابُ. وقَد تَصُحُّ الكِنايةُ عَنِ الثَّـوابِ، والنَّعِـيمِ في الجنَّـةِ، بأنَّهُ نُورٌ، وعَنِ العِقَابِ في النَّارِ، بأنَّهُ ظُلمَةٌ.

وإذا كانَ المُرادُ بِهِما الجنَّةَ، والنَّارَ، سَاغَ إضَافَةُ إخـرَاجِهِم مِـنَ الظُّلُـماتِ إلى النُّورِ، لأنَّهُ لا شُبهَةَ في أنَّهُ - تعالى - هُوَ المُدخِلُ المؤمِنَ الجنَّةَ، والعَادِلُ بهِ مِنْ طَرِيقِ النَّارِ.

فَلَو حُمِلَ عَلَى الإيمانِ، لَتَنَاقَضَ المعنى، ولـصَارَ تقـديرُ الكـلامِ: أنَّـهُ يُخـرِجُ المُؤمِنَ منَ الكُفرِ، إلى الإيمانِ.

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) في (ح): جاز. بصيغة الماضي.

وإذا كَانَ الكلامُ يَقتَضي الاستِقبالَ في إخراجِ المُـؤمِنِ مِـنَ الظُّلُـماتِ، كـانَ حَمْلُهُ عَلَى ذِكرِ طَريقِ الجنَّةِ، والعُدُولِ بِهِم عَنْ طَرِيقِ[1] النَّارِ، أشبَهَ بالظَّاهِرِ.

وبَعدُ: فَلَو كَانَ الأمرُ عَلَى ما ظَنُّوهُ، لِمَ صَـارَ الله ـ تعـالى ـ وليّـاً للمُـؤمنينَ، وناصِرَاً لَهُم، عَلَى ما اقتَضَتْهُ الآيةُ، والإيمانُ مِنْ فِعلِهِ، لَا مِنْ فِعلِهِم؟

ولِمَ كَانَ خاذِلاً لِلكُفَّارِ، ومُضِيفاً لِولا يَتِهِمْ إلى الطَّاغُوتِ إذا كانَ من فِعلِهِ؟

ولِمَ فَصَلَ بينَ الكافِرِ، والمؤمِنِ في بابِ الولايَةِ، وهوَ المُتوَلِّي لِلأمرينِ فِيهِمَا؟

وفيهِ كلامٌ كَثيرٌ.

***

قَـوْلُهُ ـ سُبْحَـانَهُ ـ : ﴿قالَ أَتَعْبُدُونَ مـا تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمـا تَعْمَلُونَ﴾[2].

أي: ما تَعملُونَ في الحِجَارَةِ، والخَشَبِ، وغَير هِمَـا، مِمَّـا[3] كـانُوا يَتَّخذونَـهُ آلِهَةً، ويَعبُدُونَها.

ولَمْ يُرِدْ: أَنّكم تَعبُدونَ نَحتكُمْ، الَّذي هُوَ فِعلٌ لَكمْ. بَـلْ أرَادَ: مـا تَفعَلُـونَ

---

(١) في (أ): الطريق. مع (أل).

(٢) الصافات: ٩٥: ٩٦.

(٣) في (ك): فما. مَعَ الفاء.

فِيهِ النَّحتَ، كَمَا قال: ﴿فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ﴾[(١)].

ومثلُهُ: ﴿وَأَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا﴾[(٢)]. وعَصَا مُوسى لَمْ تَكُنْ تَلقَفُ إفكَهُم، وإنَّما / ١٠٠/ كَانَ تَلقَفُ الأجسَامَ الَّتي هِيَ العِصيُّ[(٣)]، والحِبَالُ.

ثُمَّ إنَّهُ أخرَجَ الكَلامَ مَخرَجَ التَّوبيخِ لَهُم، لِعِبادَتِهم الأصنامَ. فَلَو كانَ ذلكَ مِن فِعلِهِ ـ تعالى ـ لَمَا تَوَجَّهَ عَلَيهم العَتَبُ. بَلْ يَكونُ لَهُم الحُجَّةُ، لا عَلَيهم.

ومتى لَم يَكُنِ المُرادُ: ما تَعمَلُونَ فيهِ، لِيَصِيرَ تَقدِيرُ الكَلَامِ: ما تَعبُدُونَ الأصنامَ الَّتي تَنحَتُونَهَا، واللهُ خَلَقَكُم، وخَلَقَ هذهِ الأصنامَ الَّتي تَفعلُونَ فِيهَا التَّخطيطَ، والتَّصويرَ، لَمْ يَكنْ لِلكلامِ مَعنىً.

عَلَى أنَّ إضافَةَ العَمَلِ إليهِمْ بِقَولِهِ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ يُبطِلُ تأويلَهُم الآيةَ، لأنَّه لَو كانَ خَالِقاً لَهَا[(٤)]، لَم يَكُن عَمَلاً لَهُم، لأنَّ العَمَلَ إنَّما يَكُونُ عَمَلاً، لِمَن أحدَثَهُ، فَكيفَ يَكُونَ عَملاً لَهُم، واللهُ خَلَقَهُ؟

وإنَّ قوله: ﴿وَما تَعْمَلُونَ﴾ يقتَضِي الاستِقبالَ. وكُلُّ فِعلٍ، لم يُوجَدْ فَهوَ معدُومٌ. ومُحَالٌ أن يَقولَ ـ تعالى ـ[(٥)]: إنِّي خَالِقٌ للمَعدُوم. ولَوْ كَانَ كَمَا ظَنُّوهُ،

---

(١) الأعراف: ١١٧. الشعراء: ٤٥.

(٢) طه: ٦٩.

(٣) في (هـ): العصا. بصيغة المفرد.

(٤) (لها) ساقطة من (هـ).

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

لَقَالَ: والله خَلَقَكُم، وخَلَقَ عِبَادَتَكُم لِلأصنامِ، فَيَكُونُ عَاذِرَاً، ومُزِيلاً للَّومِ[١] عَنهُم، لأنَّ الإنسَانَ، لا يُذَمُّ عَلَى ما خُلِقَ فِيهِ. والخَلْقُ إذا كانَ بمعنى: التَّقديرِ، فَقَد[٢] يَكُونُ الخالِقُ، خَالِقاً لِفِعلِ غيرِهِ، إذا كانَ مُقَدِّراً. يُقال: خَلَقَ الأدِيمَ، إذا قَدَّرَ[هُ][٣]. وإنَّ الله ـ تعالى ـ قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[٤]. وهذهِ[٥] الآية تَدُلُّ عَلَى بُطلانِ الجبرِ، وأنَّ الله ـ تعالى ـ[٦] لا يُريدُ مِنَ الكُفَّارِ، الكُفرَ، لأنَّه صَرَّحَ ـ هاهُنا ـ: أنَّه يُريدُ مِن جَميعِ المُكلَّفينَ الإيمانَ، والطَّاعَةَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[٧].

هذهِ الآية تَدُلُّ عَلَى أربَعَةِ أشياءَ:

(١) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): اللوم. من دون حرف الجر (اللام).

(٢) في (هـ): وقد. مَعَ الواو.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) الفتح: ٨، ٩.

(٥) سقطت الواو من (وهذه) من (ح).

(٦) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٧) النساء: ٨٢.

أَحَدِهَا[١]: على بُطلانِ التَّقليدِ، وصِحَّةِ الاستِدلالِ في أصولِ الـدِّينِ، لأنَّـه حَثَّ، ودَعا[٢] إلى التَّدَبُّرِ[٣]، وذلك لا يكُونُ إلَّا بالفِكرِ، والنَّظَرِ.

والثَّاني: يدُلُّ عَلَى فَسَادِ مَذهَبِ الجبرِيَّةِ[٤]، والحشَوِيَّةِ[٥]: أنَّ القُرآنَ لا يُفهَمُ معناهُ إلَّا بتَفسيرِ الرَّسُولِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ، لأنَّـه ـ تعالى ـ حَثَّ عَلَى تَدَبُّرِهِ[٦]، لِيَعملُوا[٧] بِهِ.

والثَّالثُ: يدُلُّ[٨] عَلَى أنَّه لَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ الله، لَكَانَ عَلَى قِيَاسِ كلامِ الخَلقِ مِنْ وُجُوهِ الاختِلافِ فِيهِ[٩].

والرَّابعُ: يدُلُّ[١٠] عَلَى أنَّ المُتَنَاقِضَ مِنَ الكلامِ، ليسَ مِن فعلِ الله، لأنَّـه لـو كانَ مِن فِعلِهِ، لَكَانَ مِنْ عِندِهِ، لا مِنْ عِندِ غَيرِهِ.

---

(١) في (أ): أحدهما. وهو تحريف.

(٢) في (ح): حثٌّ ودعاءٌ. بصيغة المصدر في الموضعين.

(٣) في (ش): المتدبر. وهو تحريف.

(٤) مجمع البيان: ٢: ٨١.

(٥) مجمع البيان: ٢: ٨١.

(٦) في (أ): تدبيره.

(٧) في (ك) و(أ) و(ح): ليعلموا. باللام ثُمَّ الميم.

(٨) (يدلّ) ساقطة من (ح).

(٩) (فيه) ساقطة من (ح).

(١٠) (يدل) ساقطة من (ح).

منصورُ الفَقيهُ[١]:

لِيَ جَارٌ جُمِعَتْ فيهِ مِنَ الشَّرِّ أُمُورُ
كلَّما أبصَرَ شَخصي ظَلَّ يَغلي ويَفُورُ
لا لِجُرمٍ[٢] غَيرَ أنِّي قُلتُ رَبِّي لا يَجُورُ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾[٣].

اللَّامُ، لامُ[٤] العَاقِبَةِ. والمعنى: إنَّه خَلَقَ الخَلقَ كُلَّهُم، وتَصِيرُ عاقِبَةُ كَثيرٍ مِنهُم إلى جَهَنَّم بِسُوءِ اِختِيارِهِم مِنَ الكُفرِ بالله، وارتِكَابِ مَعَاصيهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥].

---

(١) أخلَّ بها ديوانه المطبوع بتحقيق عبدالمحسن فرّاج القحطاني. وكذلك شعرهُ بجمع مقتدى حسن المنشور في مجلة المجمع العلمي الهندي العدد المزدوج ١ ـ ٢ المجلد الثاني ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م وكذلك ما استدرك عليهما مجاهد مصطفى بهجت في مجلة آداب المستنصرية العدد ١٦ في ١٩٨٨.

(٢) في (أ): يجزم. بياء المضارعة والزاي المعجمة.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

(٤) (لام) ساقطة من (أ).

(٥) الذاريات: ٥٦.

دليلٌ عَلَى أَنَّه لَم يَخلُقِ الثَّقَلَينِ إلَّا لِعَبَادَتِهِ. فاللَّامُ، لَامُ الغَرَضِ، ولا يَجُوزُ أن يَكُونَ، لَامَ العَاقِبةِ، لِحُصُولِ[١] العِلمِ بأنَّ عَالمًا لا يَعبُدُونَ الله ـ تعالى ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ﴾[٢].

هذا التَّعَوُّذُ إنَّما هُوَ مِن شَرِّ ما خَلَقَ من أنواعِ خَلقِهِ مِنَ السِّبَاعِ، والهَوامِ، وما أشبَهَ ذلكَ، مِمَّا[٣] يؤذِي النَّاسَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَاذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٤].

دَلالةٌ[٥] عَلَى بُطلانِ قَولِ المجبِرَةِ[٦] في أنَّ الكافِرَ لا يَقدِرُ على الإيمانِ، لأنَّ الآيَةَ، نَزَلَتْ عَلَى أنَّه لا عُذرَ لِلكافِرِ في تَركِ الإيمانِ، ولَو كانُوا [غيرَ][٧] قَادِرِينَ،

---

(١) في (ش): بحصول. مَعَ الباء.

(٢) الفلق: ١، ٢.

(٣) في (أ): فَمَا. معَ الفاء.

(٤) النساء: ٣٩.

(٥) في (ح): فيها دلالة.

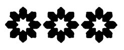
(٦) الملل والنحل: ١: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

لَكَانَ فيهِ أوضَحُ العُذرِ لَهُم، ولَمَا جازَ أن يُقالَ: ﴿**وَما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ**﴾ وإنَّهُم لا يَقدَرُونَ عَلَيهِ، ولا يَجِدُونَ السَّبيلَ إليهِ: ولذلكَ لا يَجُوزُ أن يُقالَ لأهلِ النَّارِ: ماذا عَلَيهم لَوْ خَرجُوا مِنها إلى الجنَّةِ؟ مِن حَيثُ لا يَقدِرُونَ عَلَيه، ولا يَجِدُونَ السبيلَ إليهِ. وكذلكَ لا يَجُوزُ أن يُقَالَ لِلمَرِيضِ: ماذا عَلَيه لَو كانَ صحيحاً؟ ولا لِلفَقيرِ: ماذا عَلَيهِ لَو كانَ غَنِيّاً؟

اِبنُ الصُّوفِيّ[1]:

مَنْ رَأى الظُّلمَ قَبِيحاً فِعلُهُ	لا لِنَهيِ الآمِرِ المُقتَدِرِ
ثُمَّ لا يَأمَنُ مِنْ مُوبِقَةٍ	يَزدَرِيها وهيَ إحدَى الكِبَرِ[2]
قالَ: مِثلُهُ بِشَيْءٍ بَيِّنٍ	قُلتُ: في التَّحصِيلِ[3] كَسبُ الأشعَرِيّ



(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) في (هـ): الكبري. بالياء.

(٣) في (ش): تحصيل. من دون (أل).

فصل [-٣٢-]

[تنزيه الله عن فعل الظلم]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ﴾(١).

اِعلم: أنَّ الله - تعالى - قَد نَفَى الظُّلمَ عَنْ نَفسِهِ في الدُّنيَا، والآخِرَةِ. فأمَّا في الدُّنيا، فَقَولُهُ: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾(٢)، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾(٣)، ﴿وَما كانَ اللهُ/ ١٠١/ لِيَظْلِمَهُمْ﴾(٤)، ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾(٥)، ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾(٦)، ﴿وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كانُوا...﴾(٧)، ﴿وَما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى...﴾(٨)، ﴿وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى...﴾(٩)، ونَحوُها.

---

(١) النساء: ٤٠.

(٢) غافر: ٣١.

(٣) يونس: ٤٤.

(٤) العنكبوت: ٤٠.

(٥) هود: ١٠٠ وفي (ح): (ذلك من أنباء القرى نتلوها عليك بالحقِّ).

(٦) التوبة: ٧٠.

(٧) النحل: ١١٨. الزخرف: ٧٦.

(٨) القصص: ٥٩.

(٩) هود: ١١٧.

وأمَّا في الآخرةِ، فقولهُ: ﴿ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[1]، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ﴾[2]، ﴿وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[3]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾[4]، ﴿الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[5]، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ﴾[6].

دَخَلَ يَزيدُ بنُ مُعاويةَ الشَّاميُّ عَلَى الرِّضا ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بمروَ، وسأَلَ عَنْ قَولِ الصَّادقِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: لا جَبرَ، ولا تَفويضَ، [بَلْ][7] أمرٌ بينَ الأمرَينِ.

فقال ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: مَن زَعَمَ أنَّ الله، فَعَلَ أفعالَنَا، ثُمَّ يُعَذِّبُنا عَلَيها، فَقَد قالَ بِالجَبرِ، ومَن زَعَمَ أنَّ الله فَوَّضَ أمرَ الخَلقِ[8]، والرِّزقِ إلى حُجَجِه، فَقَدْ قالَ بالتَّفويضِ. والقائلُ[9] بالجَبرِ، كافِرٌ، والقَائلُ بِالتَّفويضِ، مُشرِكٌ.

قالَ: فَما أمرٌ بَينَ أمرينِ؟

---

(١) ق: ٢٩.

(٢) النحل: ١١١.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) الزمر: ٦٩.

(٥) غافر: ١٧.

(٦) النساء: ٤٠.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(هـ) و(ح).

(٨) في (أ): الخالق.

(٩) في (ش): القابل. بالباء الموحدة من تحت.

فقال ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: وُجُودُ السَّبيلِ إلى إتيانِ ما نُهُوا عنهُ؟

قالَ: فَهَل لله إرَادةٌ ومَشِيئَةٌ في ذلكَ؟

فقال: أمَّا الطَّاعَاتُ، فَإرَادَةُ الله، ومَشِيئتُهُ فِيها، الأمرُ بِهَا، والرِّضَا بِهَا، والمَعاونةُ عَلَيها. وَإرَادتُهُ، ومَشِيئَتُهُ في المعاصي، النَّهيُ عَنها، والسُّخطُ لَهَا، والعُقُوبَةُ عَلَيها، والخِذلانُ بِهَا.

قال: فَلله فيهِ القَضَاءُ؟

قال: نَعَم. ما مِنْ فِعلٍ، فَعَلَهُ العِبَادُ مِنْ خَيرٍ، وشَرٍّ، إلَّا ولله فيهِ القَضَاءُ.

قال: فَمَا معنى هذا القَضَاءِ؟

قال: الحُكمُ عَلَيهم بِمَا يَستَحِقُّونَهُ عَلَى أفعَالِهم مِنَ الثَّوابِ، والعِقَابِ في الدُّنيا والآخرةِ[١].

الفَقِيهُ[٢] الاصفهاني[٣]:

أيُكلِّفُ الذَّنبَ العظيمَ عِبَادَهُ ... وبِهِ يُعذِّبُهُم فَذَا ظُلمانِ

واللهُ لَيسَ بِظَالِمٍ[٤] لِعِبَادِهِ ... وبِذاكَ[٥] أنطَقَ مُحكَمَ القُرآنِ

***

(١) الخبر بلفظه في عيون أخبار الرضا: ١: ١٢٤.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): ألفيَّة.

(٣) لم نقف على مورد أخذه.

(٤) في (أ): بظلَّام.

(٥) في (ك): فذاك.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١].

وإذا لَمْ يُحِبَّ الظَّالِمَ، لَم يُحِبَّ فِعلَ الظُّلمِ، لأنَّه إنَّما [لَمْ][٢] يُحِبَّ فِعلَ[٣] الظَّالِمِ، لِظُلمِهِ. والمَحَبَّةُ هِيَ الإرَادَةُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ﴾[٤].

رَدٌّ عَلَى المُجبِرَةِ، لأنَّه لَوْ أرَادَ ظُلمَ بَعضِهِم لِبعضٍ، لكانَ قَدْ أرَادَ ظُلمَهُم.

وكذلك لَوْ أرَادَ ظُلمَ الإنسانِ لِغَيرِهِ، لجَازَ أن يُريدَ أنْ يَظلِمَهُ هُوَ، لأنَّهُ لا يَفعَلُ ما لا يُريدُهُ.

وقوله[٥]: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ﴾ نَفيٌ لِإرَادَةِ ظُلمِهِم عَلَى كُلِّ حَالٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ﴾[٦].

---

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) (فعل) ساقطة من (ح).

(٤) آل عمران: ١٠٨.

(٥) في (أ): ولقولهِ.

(٦) هود: ١١٧.

أي: بظُلمٍ صَغيرٍ، يَكُونُ مِنهُم، لأنَّه[١] يَقعُ مُكفَّراً بِـما مَعَهـم مِـنَ الثَّـوابِ الكثير.

وقيلَ: بِظُلمٍ كثيرٍ، مـن قَليـلٍ مِـنهُم، مَـعَ أنَّ أكثـرَهُم[٢] المُـصلِحونَ، لأنَّ القليلَ، لا يُعتَدُّ بِهِ في جَنبِ[٣] الكثير.

وقيلَ: إنَّ المعنى: بِظُلمٍ مِنَّا. كَما قالَ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾[٤].

بَيتٌ[٥]:

جـلَّ إلــهُ الخَلــقِ مِــنْ ظُلــمِ البَشَــرْ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٦].

ذَكَرَهُ بِلَفظِ المُبَالَغةِ في نَفيِ الظُّلمِ عن نَفسِهِ، وإن كانَ لا يَفعلُ القليلَ مِنـهُ، لأنَّه خَرَجَ جَوَاباً للمُجبِرَة[٧]، وَرَدّاً عَلَيهِمْ، لأنَّهُم يَنسِبُونَ[٨] كلَّ ظُلمٍ ـ في العـالَمِ ـ

---

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): لأنهم.

(٢) في (هـ): أكثر. بسقوط الضمير (هم).

(٣) في (أ): جنت. بالتاء المبسوطة المثناة من فوق. وهو تصحيف.

(٤) يونس: ٤٤.

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مظنَّة وروده.

(٦) فصلت: ٤٦.

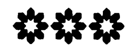
(٧) في (هـ): الجبرة.

(٨) الملل والنحل: ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣.

إليه ـ تعالى ـ. فبيَّنَ أنَّه لو كانَ كَما قالوا، لَكَانَ ظَلَّاماً، وأنَّه لَيسَ بِظالِمٍ.

وسُئِلَ مُتكلِّمٌ[١]: لِمَ وَرَدَ عَلَى وَزنِ «فَعَّالٍ»[٢] الَّذي صِيغَ للكثيرِ[٣]، وهوَ مُتَنَزِّهٌ عَنِ الظُّلمِ اليَسيرِ؟

فقالَ: لأَنَّهُ لَوْ فعَلَ أقَلَّ قَليلِ[٤] الظُّلمِ، لَكَانَ عَظِيماً مِنهُ، لأَنَّه غَيرُ مُحتَاجٍ إليهِ، مَعَ عِلمِهِ بِقُبحِهِ[٥]، وبأنَّهُ غَنِيٌّ عَنهُ. والقَبيحُ لا يَتَأَتَّى إلَّا مِنْ جاهِلٍ، أو مُحتَاجٍ. فَلَو فَعَلَهُ مِنْ غَيرِ حَاجَةٍ إليهِ، فَهوَ أعظَمُ مِنْ كُلِّ ظُلمٍ، فَعَلَهُ فَاعِلٌ، لِحَاجَتِهِ إليهِ.



(١) لم نقف على اسمه ولا مظنَّة أخذ الرواية.

(٢) في (أ): الفعَّال. مع (أل).

(٣) في (أ): المكثير.

(٤) في (ش): القليل. مَعَ (أل).

(٥) في (ك) و(هـ): بقيحه. بالياء المثناة من تحت بعد القاف وهو تصحيف.

فصل [-٣٣-]

[في معنى الحسنة والسيئة ومصدرهما]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[1].

قَال اِبنُ عبَّاسٍ[2]، والحسنُ[3]: الحسَنَةُ مَا أَصَابَ النَّبيَّ - عَلَيهِ السَّلام - يَومَ بَدرٍ مِنَ الظَّفَرِ[4]، والغَنِيمَةِ. والسَّيئَةُ ما أَصَابَهُ يَومَ أُحُدٍ[5] مِن كَسرِ رُباعيَّتِهِ.

وقال أبو العالِيةِ[6]، وأَبُو القَاسِمِ[7]: إِنَّ الحَسَنَةَ، والسَّيِّئَةَ: الطَّاعَةُ، والمَعصِيَةُ. ويكُونُ المعنى: إنَّ الحَسَنَةَ الَّتي هيَ الطَّاعَةُ مِن أمرِ الله، وتَرغِيبِهِ فِيها،

---

(١) النساء: ٧٩.

(٢) جامع البيان: ٥: ١٧٥. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٧٩. الدر المنثور: ٢: ٥٩٧.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٧٩. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٥.

(٤) في (أ): الطغر. بالطاء المهملة بعدها غين معجمة.

(٥) (أحد) ساقطة من (هـ).

(٦) جامع البيان: ٥: ١٧٥. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٧٩. التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٥. الدر المنثور: ٢: ٥٩٦.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٧٩. التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٥.

ولُطفِهِ[١] لَهَا، والسَّيئَةَ بخُذْلانِهِ عَلَى وَجهِ العُقُوبَةِ عَلَى المَعاصي المُتَقَدِّمَةِ. وسَمّاهُ ﴿سَيِّئَةٍ﴾ كَمَا قال: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[٢].

والتَّقدِيرُ: مَا أصَابَكَ مِنْ ثَوَابِ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله، لأَنَّـهُ الَّـذي عَرَّضَـكَ لِلثَّوابِ، وأعَانَكَ عَلَيهِ، وما أصَابَكَ مِن عِقَابِ سَيِّئَةٍ، فَمِن نَفسِكَ، لأَنَّه ـ تعالى ـ نَهَاكَ عَنها، وزَجَرَكَ عَنْ فِعلِهَا، فَلَمّا اِرتَكَبتَهَا، كُنتَ الجانِيَ عَلَى نَفسِكَ.

ويَجوزُ أن يكونَ المُرادُ بالسَّيِّئةِ، ما يُصِيبُهُم في دَارِ الدُّنيا منَ المَصَائبِ، لأَنَّـهُ يَجُوزُ أن يَكُونَ ذلكَ عِقَاباً، أو بعضَ ما يَستحقُّونَهُ.

وقوله: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، قالَ / ١٠٢/ الحسنُ[٣]، وقتادةُ[٤]، والسُّديُّ[٥]، وابنُ جُرَيجَ[٦]، والضَّحَّاكُ[٧]: أي: فَبِذَنبِكَ[٨]. أضَافَ المَعصِيَةَ إلى العَبدِ ـ في هذهِ الآيةِ ـ ونَفَاهَا عَنْ نَفسِهِ.

---

(١) في (ش): أو لطفه.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٧٩. نسبه إلى (الحسن) وجماعة من المفسرين.

(٤) جامع البيان: ٥: ١٧٥. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن، ٣: ٢٦٦. الدر المنثور: ٢: ٥٩٧.

(٥) في(هـ): السَّيدي. وقوله هذا في:جامع البيان:٥: ١٧٥. أيضاً:التبيان في تفسير القرآن:٣: ٢٦٦.

(٦) جامع البيان: ٥: ٧٥. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٦.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٦.

(٨) في (ح). بذنبك، بسقوط الفاء.

ولَوْ كَانَتْ مِن خَلقِهِ[١]، لَكَانَتْ مِنهُ عَلَى أوْ كَدِ الوُجُوهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ الله وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله﴾[٢].

قال الحسَنُ[٣]، وأَبُو القَاسِمِ[٤]، وأَبُو عَلِيٍّ[٥]: هـذهِ حِكَايَـةٌ عَـنِ المُنـافِقِينَ. وقال الزَّجَّاجُ[٦]، والفَرَّاءُ[٧]:

إنَّ اليهُودَ ـ لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ المَدينَةَ، فَكَانتْ إذَا زَكَتْ ثِمَارُهُـمْ، وأخصَبُوا، قَالُوا: هذهِ مِنْ عندِ الله، وإذا أجدَبُوا، وجَاسَتْ[٨] ثِمَارُهُمْ، قالوا: هذا لِشُؤْمِ[٩] محمَّدٍ ـ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ.

---

(١) (من خلقه) ساقطة من (هـ).

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٧٨ بلا عزو إلى أحد. وهو معزوٌّ لَهُ في التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(٤) مجمع البيان: ٢: ٧٨ بلا عزو إلى أحد. وهو معزو لَهُ في التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(٥) هو أبو علي الطبرسي: أنظر: مجمع البيان: ٢: ٧٨. وَفي التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤ منسوب إلى أبي علي الجبائي.

(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٨٤.

(٧) (الفرّاء) ساقطة من (هـ). وفي (أ): القرآن. وقوله هذا في معاني القرآن: ١: ٢٧٨.

(٨) في (أ): حاست. بالحاء المهملة.

(٩) في (ش): الشؤم. مَعَ (أل).

وقال ابنُ عبَّاسٍ[١]، وقتادةُ[٢]: الحسنةُ، والسَّيئةُ، هُوَ السَّرَّاءُ، والضَّرَّاءُ، والبُؤسُ، والرَّخاءُ، والنِّعمَةُ[٣]، والمُصِيبَةُ، والخِصبُ، والجَدبُ[٤].

وقال الحسن[٥]، وابنُ زَيدٍ[٦]: هُوَ النَّصرُ، والهَزِيمةُ.

وقال اِبنُ زَيدٍ[٧]: قولهُ: ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾، معناهُ: بِسُوءِ تَدبِيرِكَ.

وقال الجَبَّائيُّ[٨]، والبلخيُّ[٩]، والزَّجَّاجُ[١٠]: أي: بِشُؤمِكَ الَّذي يَلحَقُنَا بِكَ. كَمَا حَكى عَنْ مُوسى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ﴾[١١].

فأمَرَ الله ـ تعالى ـ نَبِيَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أن يَقُولَ: إنَّ جَمِيعَ ذلكَ، مِنْ عِندِ الله.

---

(١) مجمع البيان: ٢: ٧٨. أيضاً التبيان: ٣: ٢٦٤.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٧٨. أيضاً التبيان: ٣: ٢٦٤. الدر المنثور: ٢: ٥٩٦.

(٣) في (ش): النقمة. بالقاف المثناة.

(٤) في (ش): الجذب. بالذال المعجمة.

(٥) مجمع البيان: ٢: ٧٨.

(٦) جامع البيان: ٥: ١٧٤. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٧٨. الدر المنثور: ٢: ٥٩٧.

(٧) جامع البيان: ٥: ١٧٤، أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(٨) مجمع البيان: ٢: ٧٨. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(٩) مجمع البيان: ٢: ٧٨. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٢٦٤.

(١٠) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٨٤. باختلاف اللفظ.

(١١) الأعراف: ١٣١.

والآيةُ، مُعَارَضَةٌ بِقَوْلِهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ الله وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ الله وَيَقُولُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

نَظمٌ(٢):

ولَيسَ بِمُجزِي كَاسِبٍ(٣) غَيرَ مَا جَنَى	إذا مَا سَوَاهُ كَانَ مُحتَقِبِ الوِزْرِ
وماذا عَلَيهِم؟ قال: لَوْ آمَنُوا. ولَمْ يَقُلْ	لِمَريضٍ: لِمَ مَرِضتَ؟ وَذِي قَبرِ
ولكنَّهُ أبدَى الخِطَابَ لِعَاقِلٍ	تَبَايَنَ عَنْ جِنسٍ(٤) المُسيئِينَ بِالقَهْرِ



(١) آل عمران: ٧٨.

(٢) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه. وفي (ح): (شعر) بدلاً من (نظم).

(٣) في (ح): بمجزٍ كاسباً.

(٤) في (ك) و(أ): حبس. بالحاء المهملة بعدها الباء الموحدة من تحت. وفي (هـ): جبس. بالجيم المعجمة من تحت والباء الموحدة من تحت.

فصل [-٣٤-]

[من معاني قضى]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾[(١)].

القَضَاءُ لَهُ أرْبَعَةَ عَشَرَ وَجهاً:

﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ﴾[(٢)]: خَلَقَ.

﴿إذا قَضى أَمْراً﴾[(٣)]: فَعَلَ.

﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾[(٤)]: يَفعَلُ. ومِنهُ سُمِّيَ القَاضي لِلحَاكِمِ.

﴿وَقَضى رَبُّكَ﴾[(٥)]: أمَرَ.

﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ﴾[(٦)]: أعلَمنَا. فَهذا يأتي مَقرُوناً بـ«إلى».

---

(١) الأنفال: ٤٢، ٤٤.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) آل عمران: ٤٧.

(٤) غافر: ٢٠.

(٥) الإسراء: ٢٣.

(٦) الإسراء: ٤.

﴿إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الأَمْرَ﴾[1]: عَهِدنَا.

﴿فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ﴾[2]: فَرِغتُمْ.

﴿فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ﴾[3]: مَاتَ.

﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾[4]: وَجَبَ.

﴿أَمْراً مَقْضِيًّا﴾[5]: كِتاباً.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى﴾[6]: إتمام.[7].

﴿فَلَمَّا قَضى مُوسَى الأَجَلَ﴾[8]: وَفَى.

﴿فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ﴾[9]: فاصْنَعْ.

﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً﴾[10]: يُقَدِّرَ.

---

(١) القصص: ٤٤.

(٢) البقرة: ٢٠٠.

(٣) القصص: ١٥.

(٤) يوسف: ٤١.

(٥) مريم: ٢١.

(٦) طه: ١١٤.

(٧) في (ح): يتمّ. بصيغة الفعل المضارع.

(٨) القصص: ٢٩.

(٩) طه: ٧٢.

(١٠) الأنفال: ٤٢، ٤٤.

النَّبيُّ[1] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: يَقُولُ الله ـ تعالى: مَنْ لَمْ يَرضَ بِقَضَائي، وَلَمْ يَشكُرْ نَعمَائي، ولم يَصبِرْ عَلَى بَلائي، فَليَتَّخِذْ رَبّاً سِوَائي.

زُرَارَةُ بنُ أعيُنٍ: قال الصَّادِقُ[2] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: إذا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ وجَمَعَ اللهُ الخَلَائقَ، سألَهُمْ عَمَّا عَهِدَ إلَيهِمْ، ولمْ يَسألهُم عَمَّا قضى عَلَيهم.

النَّبيُّ[3] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: سَيَكُونُ في آخِرِ هذهِ الأمَّةِ، قَومٌ يَعمَلُونَ[4] بِالمعاصي، ثُمَّ يَقُولونَ: هذهِ[5] مِنَ الله، قَضَاءً، وقَدَرَاً. فإذا لَقِيتمُوهُم، فأعلِمُوهُم أنِّي مِنهُم بَرِيءٌ.

وأُتِيَ أمِيرُالمؤمنين[6] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِمفتري[7]، قاذِفٍ، فقال لَهُ: يا هذا لِمَ قَذَفتَ هذا المؤمِنَ؟

فقالَ: يا أميرالمؤمنين كان[8] مِنْ قَضَاءِ الله، وقَدَرِهِ!

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ١: ١٤١. باختلاف في اللفظ يسير. التوحيد: ٣٧١.

(٢) التوحيد: ٣٦٥. الهداية: ٥. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١١ الإرشاد: ٣١٧.

(٣) إنقاذ البشر من الجبر والقدر (ضمن رسائل الشريف المرتضى): ١١٧ ط. الحسيني.

(٤) في (أ): يعلمون. بلام ثُمَّ ميم. وهو تحريف.

(٥) في (ك) و(ح): هذه من عند الله.

(٦) في (أ): أميرالمؤمنين علي.

(٧) في (ح): بمفترٍ. بالتنوين.

(٨) (كان) ساقط من (ك) و(هـ).

فقال: كَذِبتَ يا عَدُوَّ الله عَلَى الله، والله يَقضِي بِالحقِّ، وهذا هُوَ البَاطِلُ.

فأمَرَ بِحَدِّ الفريةِ، ثُمَّ أمَرَ ـ ثانِياً ـ حتَّى أقِيمَ عَلَيه حدُّ[1] الافترَاءِ، فَلَمَّا أفاقَ، وقَامَ، قال: يا أميرَ المؤمنينَ، جَمَعتَ عَلَيَّ بينَ ما لم يجمَعِ اللهُ عَلَيَّ؟

فقال ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: كذِبتَ يـا عـدُوَّ الله. مـا ضَربتُـكَ إلَّا حَـدَّاً لله. أمَّـا الأربَعُونَ[2]، فَلإفكِكَ عَلَى الله [حِـينَ][3] نَـسَبتَ إليـهِ قَـضَاءَ المعـصِيَةِ[4]، وأمَّـا الثَّمانونَ[5]، فَهوَ حَدُّ القَذفِ.

وقال جَميعُ الحشَويَّةِ، ومُعظَمُ رُوَاةِ[6] العَامَّةِ، ونَقَلَهُ أحمدُ بنُ حَنبَلَ: إنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ، أُتِيَ بِسَارِقٍ، فقالَ: ما حَمَلَكَ عَلَى هذا؟

فقال: قضَاءُ الله، وقَدَرُهُ.

فَضَربَهُ عُمرُ ثلاثينَ سَوطَاً، ثُمَّ قَطَعَ يَـدَهُ، فقـال: قطَعْـتُ يَـدَكَ بِـسَرِقَتِكَ، وضَربتُكَ بِكذِبِكَ عَلَى الله.

وقال أبُو مَريمَ الثَّنَوِيُّ لأبي مُوسى الأسوَارِيِّ: مـا أحـسَنَ دِيـنَكُم! لـولا

---

(١) في (أ): أحد.

(٢) في النسخ جميعاً: الأربعين ـ بالياء. والوجه ما أثبتناه.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (ح): القضاء بالمعصية.

(٥) في النسخ جميعها: الثمانين ـ بالياء. والوجه ما أثبتناه.

(٦) فرق وطبقات المعتزلة: ٢٥.

أَنَّكم تَقُولونَ: إنَّ الله يَقضِي هذهِ الفَوَاحِشَ، ثُمَّ يُعذِّبُ عَلَيها.

فقال الحسنُ: هذهِ حُجَّةُ الله، قامَت عَلَى لِسَانِ أبي مريمَ. أعلِمُوهُ أَنَّنا لا نَقُولُ هذا، إنَّما يَقُولُهُ(١) السُّفَهَاءُ مِنَّا. فأسْلَمَ أبُو مريمَ.

وقال أبُو محمَّدٍ المدَائنيُّ: أقُولُ ـ إذا أعطِيتُ الكتابَ: يا ربّ إنِّي مُعترفٌ بِمَا فِيهِ، ولكنْ خبِّرني: أهوَ شَيءٌ / ١٠٣ / [رُكِّبتُهُ](٢)، أمْ شَيءٌ قُضِيَ عَلَيَّ(٣)؟

فَإنْ كُنتُ فَعَلتُ، فَعَبدُكَ أخطَأ، وأسَاءَ، فَإنْ تَعْفُ فَبِفَضلِكَ، وإن تُعَذِّبْ، فَبِعَدلِكَ(٤). وإن كانَ قُضِيَ عَلَيَّ، قُلتُ: يَا معشَرَ الخَلائقِ! أينَ العَدْلُ الَّذي كُنَّا نَسمَعُ بِهِ في دَارِ الدُّنيا؟ لَيسَ ـ هاهنا ـ مِنهُ قَلِيلٌ، ولا كثيرٌ.

وقالَ بَعضُ النَّاسِ: لو كانَ الزِّنا، كَمَا قَضَى الله، لكَانَ الرِّضا بِهِ، خِيَرَةً، لإجمَاعِ النَّاسِ عَلَى قَولِهِم: الخِيَرَةُ فِيمَا يَصنعُ اللهُ.

نظمٌ(٥):

---

(١) في (هـ): تقوله. بتاء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٢) في (هـ): زكيته. بالزاي المعجمه والياء المثناة من تحت بعد الكاف. وهي مطموسة في (ش).

(٣) في (هـ): عليَّ بِهِ.

(٤) في (أ): فبعدك. وهو تحريف.

(٥) لم نقف على اسم قائله ولا مورد أخذه.

إصفع المُجبرَ الّذي بِقَضاءِ السُّوءِ[١] قَد رَضي
فإذا قال : لِمْ فَعَلْتَ؟ فَقُلْ : هكذا قُضي

الملكُ[٢] الصَّالِحُ:

ولَوَ قَدْ قَضَى اللهُ المَعَاصي بِقَولِكُمْ لَمَهَّدَ لِلاّتي بِهَا أوسعَ العُذرِ
ولَمْ يَعذُرِ الأعمَى بِما قَدْ قَضَى بِهِ عَلَيهِ ولا أهلَ الزمَانَةِ والضُّرِّ
ولكنَّه لم يَعذُرِ السَّارقَ الَّذي تَعَدَّى، ولا الزَّاني ولا شَارِبَ الخَمرِ
تكونُ[٣] مَعَاصي الخَلقِ جوراً وباطِلاً ونِسبَةُ بَارِينَا لِذاكَ مِنَ النُّكرِ
وحَاشاهُ يَبدُو بَاطِلاً[٤] في قَضَائهِ وقد قال: يقضي الحَقَّ. في مُحكَمِ الذِّكرِ
ولكِنْ قَضَاءُ الله فيهَا عِقَابُهُ[٥] عَلَيها، وتَعجِيلُ النّكالِ الَّذي يَجري
أيغضَبُ ممَّا قَد قَضاهُ مُقدِّراً[٦] لَهُ؟ إنَّ هذا ليسَ مِن قَولِ ذي حجرِ
فَكيفَ يكُونُ الحَمدُ والذَّمُّ لامرِىءٍ عَلَى فِعلَةٍ يُلجَا إليها ولا يَدري؟

❁❁❁

(١) في (هـ): السويّ.

(٢) هو ابن رزّيك. وقَدْ أخلَّ بها ديوانه بطبعة محمد هادي الأميني.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (ح): باطل. من دون تنوين النَّصب.

(٥) في (ك) و(ح): عقوبة.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): مقدّر. من دون تنوين النَّصب.

فصل [ـ٣٥ـ]

[في القضاء]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ﴾[1].

لَمْ يَقُلْ: قَضَينا عَلَيهِم، أو: قَضينا فَسَادَهُم، وإِنَّما قال: قَضَينا إِليهم في الكتابِ. فهَذا القَضاءُ ممَّا حَصَل في التَّوراةِ. والقَضاءُ بِمَعنى «الخَلقِ» لا يَحصُلُ فِيها. ولا خِلافَ أَنَّه لا يَأْمُرُهُ.

وقال: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾[2]. فَأَضافَ إِليهم، وأخبَرَ أَنَّهم يَفعَلُونَ في المُستَقبَلِ.

ومعناهُ: أَنَّه أخبَرَهُم فِيها بِفَسَادِهِم مَرَّتينِ. يَدُلُّ عَلَيه: ﴿وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[3].

الأصبَغُ[4] بنُ نباتَة، والحسنُ البَصريُّ: لَمَّا قَدِمَ أميرُالمؤمنينَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ

---

(١) الإسراء: ٤.

(٢) الإسراء: ٤.

(٣) الحجر: ٦٦.

(٤) الكافي: ١: ١٥٥ تُحفُ العقول: ٣٤٩ ـ ٣٥٠. عيون أخبار الرِّضا: ١: ١٣٩ ـ ١٤٠ باختلاف يسير في اللفظ. التوحيد: ٣٨٠ ـ ٣٨١، ٣٨٢. الإرشاد: ١٣٣. إنقاذ البشر: ١١٨ ـ ١١٩. فرق وطبقات المعتزلة: ٢٣، ٢٤. الاحتجاج: ١: ٣١٠ ـ ٣١١.

مِنْ صِفِّينَ، قامَ إليهِ شَيخٌ مِمَّنْ شَهِدَ الوَقعَةَ، فقالَ: يا أميرالمؤمنين أخبرنا عَنْ مَسيرِنَا هذا إلى الشَّامِ، أكَانَ بِقَضَاءٍ، مِنَ الله، وقَدَرٍ؟

قال: نَعَم! يا أهلَ[١] الشَّامِ! والَّذي فَلَقَ الحبَّةَ، وبَرَأَ النَّسمَةَ مَا وطئنَا مَوطِئاً، ولا هَبَطنَا وادِياً، ولا عَلَونَا تَلعَةً، إلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ الله، وقَدَرٍ.

فقالَ الشَّامِيُّ[٢]: عِندَ الله أحتَسِبُ عَنَايَ يا أميرالمؤمنين! وما أظُنُّ أنَّ لِيَ أجرَاً في سَعيي[٣]، إذا كانَ قَضَاءَ الله عَلَيَّ، وقَدَرَهُ.

فقالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: إنَّ الله قَدْ أعظَمَ[٤] لَكُمْ الأجرَ في مَسِيرِكِم، وأنتُم سَائِرُونَ، وفي مُنصَرَفِكُمْ، وأنتُم مُنصَرِفُونَ، ولَمْ تكُونوا في شيءٍ مِن رِحَالاتِكم[٥] مُكرَهِينَ، ولا إليهَا مُضطَرِّينَ، ولا عَلَيها مُجبَرِينَ.

فقالَ الشَّاميُّ[٦]: كيفَ ذَاكَ، والقَضاءُ، والقَدَرُ، سَاقَانَا، وعَنهُمَا كَانَ مَسِيرُنَا، وانصِرَافُنَا؟

فقال ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: يا أخا أهلِ[٧] الشَّامِ! لَعَلَّكَ ظَنَنتَ قَضَاءً لازِماً،

---

(١) (أهل الشام) ساقطة من (ح).

(٢) في (ح): الشيخ.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): سعي. من دون إضافة إلى ياء المتكلم.

(٤) في (أ): أعظكم.

(٥) في (ش): رجالاتكم. بالجيم المعجمة. وهو تصحيف.

(٦) في (ح): الشيخ.

(٧) في (ح): يا شيخُ.

وقَدَراً حَتماً! ولو كانَ كذلكَ، لَبطَلَ الثَّوابُ، والعِقَابُ، وسَقَطَ الوَعدُ، والوَعيدُ، والأمرُ، والنَّهي مِنَ الله. وما كانَ المُحسِنُ بِثوابِ الإحسَانِ، أولى مِنَ المُسيءِ، ولا المُسيءُ، أولى بِعُقُوبَةِ المُذنِبِ مِنَ المُحسِنِ. تِلكَ مَقَالَةُ عَبَدةِ الأوثَانِ، وخُصَماءِ الرَّحمنِ، وحِزبِ الشَّيطانِ، وشُهداءِ الزُّورِ، وأهلِ العَمَى عَنِ الصَّوابِ، وَهُم قَدَرِيَّةُ هذهِ الأمَّةِ، ومَجُوسُها . إنَّ الله أمَرَ عِبَادهُ تَخييراً ، ونَهَاهُم تَحذِيراً، وكَلَّفَ يَسيرَاً، ولَمْ يُكلِّفْ عَسِيرَاً، وأعطَى عَلَى القَليلِ كثيرَاً، ولَمْ يُطعْ مُكرَهاً، ولَمْ يُعصَ مَغلُوباً ، ولَمْ يُرسِلِ الأنبياءَ لَعِبَاً ، ولَم يُنزِّلِ الكُتُبَ إلى عِبَادِهِ عَبَثاً ، ولَم يَخلُقِ السَّمواتِ ، والأرضَ ، وما بينهُما باطِلاً ﴿ **ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا...** ﴾ الآيةُ[1].

فقالَ الشَّاميُّ[2]: فَما القَضاءُ، والقَدرُ، اللَّذانِ كانَ مَسِيرُنَا بِهِما؟ فقال ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: الأمرُ مِنَ الله بذلكَ، والحُكمُ بهِ. ثُمَّ تَلا:

﴿**وَكانَ أَمْرُ الله قَدراً مَقْدُوراً**﴾[3].

ثُمَّ قَرأَ: ﴿**وَقَضى رَبُّكَ إلّا تَعْبُدُوا إلّا إيَّاهُ**﴾[4].

---

(١) ص: ٢٧.

(٢) في (ح): الشَّيخ.

(٣) الأحزاب: ٣٨.

(٤) الإسراء: ٢٣.

فقامَ الشَّاميُّ [١] فَرِحاً، مَسرُوراً، لَمَّا سَمِعَ هذا المَقَالَ، وقال: فَرَّجتَ[٢] عَنِّي، فرَّجَ اللهُ عَنكَ يا أميرَ المؤمنينَ!



(١) في (ح): الشَّيخ.

(٢) العبارة في (ح): فَرَّجتَ عنِّي يا أمير المؤمنين فَرَّجَ اللهُ عَنكَ!.

فصل [-٣٦-]

[في القضاء]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[1].

لا يَجُوزُ بمعنى: الخَلقِ. إذْ لَوْ عَنَى بهِ، جَازَ[2] أنْ يُوجَدَ في النَّاسِ مَنْ يَعبُدُ سِواهُ.

ولَمْ يَقُلْ: إنَّه قَضَى عِبَادتَهُمْ، وإنَّما قال: ﴿وَقَضَى... أَلَّا تَعْبُدُوا﴾. ولا يَصُحُّ أنْ يُقَالَ: خَلَقَ أَلَّا يَفعَلُوا كَذا، وإنَّما يَصُحُّ ذلكَ، إذا أَردتَ بِهِ الأمرَ، أوِ الحُكمَ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾[3].

إنَّهُ قَادِرٌ عَلَى ما يَشَاءُ / ١٠٤/ غَيرُ مُحتَاجٍ إلى الاستِعَانَةِ بِشَيءٍ مِنَ الأشيَاءِ مِن جُرْأَةٍ، أو تَقلِيلٍ[4] للفَرِيقَينِ.

---

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) في (ك): لجاز.

(٣) الأنفال: ٤٤.

(٤) في (ك): وتقليل. معَ الواو.

وكَيفَ يَقضِي ما هُوَ مَفعُولٌ، والمَفعولُ المَوجُودُ، لا يَصُحُّ فِعلُهُ ثانِياً؟ وإنَّما قَلَّلَ الكُفَّارَ في أعينِ المُسلِمينَ لِلجُرأةِ، وقَلَّلَ المُسلِمينَ في أعيُنِ الكُفَّارِ لِلتَّحَرُّزِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي...﴾[1].

إنَّه فِعلٌ مَجهُولٌ، ولا حُكمَ لَلمَجهُولِ، لأنَّه إمَّا أنْ[2] يَكُونَ فاعِلُهُ مَعلُوماً، ولا فَاعِلَ لَهُ، كقولِهِ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾[3]، وقولِه: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ...﴾[4].

وإمَّا أنْ يأتِيَ اللَّفظُ عَلَى هذهِ الصِّيغَةِ فَقَط، نحوُ: أُعجِبَ بِكذا. وسُرَّ بِهِ. وأشرِبَ قَلبُهُ مَعَ زَيدٍ.

وإنْ أرَادَ بِهِ: خُلِقَ. فَمَعلُومٌ أنَّ الأمرَ، لَمْ يَكُنْ مَخلُوقاً وقتَئِذٍ، وإنَّما خُلِقَ ذلك بَعدَ[5] مُدَّةٍ.

فالمُرادُ بِهِ: حُكِمَ.

***

(١) يوسف: ٤١.

(٢) (أن) ساقطة من (هـ).

(٣) الأعراف: ١٤٩.

(٤) الشعراء: ٤٦.

(٥) في (ح): وإنَّما خلق بعد ذلك بُمدَّةٍ.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنا...﴾ (١).

ظَاهِرُهُ: أَنَّه لا يُصِيبُهُم إلَّا ما كَتَبَ لَهم.

ولَم يَقُل: عَلَيهم. فَلَيس هُوَ مِنَ القَضَاءِ في شَيءٍ، وإنَّما هُوَ في الثَّوابِ، وذلكَ أنَّ بَعدَهُ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا﴾ (٢).

فالله تعالى أمَرَهم ألَّا يَجتَنِبُوهُم (٣) أنَّه لَنْ يُصِيبَهُمْ (٤) إلَّا ما كَتَبَ لَهُم مِن الثَّوابِ، لأنَّ في الخَيرِ يقُولُ: ﴿ لَهَا ما كَسَبَتْ ﴾ (٥) وفي الشَّرِّ: ﴿وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٦).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ﴾ (٧).

كُتِبَ بمعنى: فُرِضَ. القَتلُ لا يُفرَضُ عَلَى المَقتُولِ. وبمعنى: حُكِمَ.

---

(١) التوبة: ٥١.

(٢) التوبة: ٥٢.

(٣) في (ش) و(ح): تجتبنوهم. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): لا يصيبهم.

(٥) البقرة: ٢٨٦.

(٦) البقرة: ٢٨٦.

(٧) آل عمران: ١٥٤.

والحُكم إنَّما يَكونُ عَلَى سَبيلِ الوُجُوبِ. ولَم يَكنْ هؤلاءِ مُستَحِقِّينَ للقَتلِ، ولا[١] كانَ قَتلُهُمْ وَاجِباً، فَيُحكَمُ عَلَيهم بذلك.

وبمعنى الخَبَر، والعِلمِ، فَيَكونُ مَعناهُ: إنَّ مَنْ أخبَرَ اللهُ بأنَّه يُقتَلُ، أو مَنْ عَلِمَ أنَّه سَيُقتَلُ. إلَّا أنَّهما لا يَكُونانِ قَضاءً، ولا جَبراً، ولا يُوجِبانِ الأفعَالَ. والفِعْلُ لا يَتعَلَّقُ بِوَاحِدٍ مِنهُما.

ولو كانَ خَبَرُهُ، وعِلمُهُ مُوجِباً لِلأفعَالِ، لأوجَبَ ما أخبَرَ بِهِ عَن أفعَالِ نَفسِهِ، وذلك يُوجِبُ أنَّه مجنُونٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾[٢].

لَم يَقُل: إنَّ ذلِكَ بِقَضائي.

فأمَّا «البعثُ» فَيَجُوزُ أنْ أرسلَهُم عَلَيهم بأنْ أمَرَهُم بذلكَ عَلَى لِسَانِ بعضِ الأنبياءِ، وذلكَ أنَّ بَني إسرائيلَ، لَمَّا أرسَلَ عَلَيهِم مَنْ عاقَبَهُم عَلَى مَعَاصِيهِم. ولَمْ يَذكُرِ اللهُ أنَّ ذلكَ كانَ مَعصيَةً[٣]، ولا ذَمَّهم، بَلْ هُوَ كَما أمَرَ مِنَ الجِهَادِ،

---

(١) في (أ): وَلَو.

(٢) الإسراء: ٥.

(٣) في (أ): كان مفعولاً معصية.

والسَّبيِ، والهدمِ، والإحرَاقِ. وَكلُّ ذلكَ يَجرِي مجرَى واحداً.

و«البَعثُ» بمعنى: الإرسَالِ بِالأمرِ، والتَّخلِيةِ، والتَّمكِينِ. يُقَالُ: بَعَثَ فُلانٌ أعذارَهُ عَلَى مُكَارَهةٍ.

ولَمْ يأتِ بمعنى: الجبرِ، والقضَاءِ، والقَدَرِ. اِبنُ علّويهِ[1] الاصفهانيُّ[2]:

وقَضَى وقَدَّرَ كُلَّ شَيءٍ بِالَّذي ... قَدْ كَانَ مِنهُ بِهِ عَلَى عِرفَانِ

فَقَضاؤُهُ يَجرِي بِسَابِقِ عِلمِهِ ... مِنْ غَيرِ إجبَارٍ[3] عَلَى العِصيَانِ

قَدَراً قَضَاهُ مُقَدَّراً بِخِلَافِ مَا ... أوَّلتَهُ بالحِدسِ والخَيلَانِ[4]

وكَذَاكُمُ يَومَ الحِسَابِ بِعَدلِهِ ... يَجزِيهُمُ بِالقِسطِ فِي الميزانِ

لا يُظلَمُونَ ولا يُجارُ عَلَيهِمِ ... وكَفَى لَهُمْ بِالله ذا حُسبَانِ[5]

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْـخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[6].

---

(١) في (ش): علوية. بالتاء المربوطة المنقوطة.

(٢) لم نقف على مورد أخذه.

(٣) في (ش): إخبار. بالخاء المعجمة بعدها الباء الموحّدة من تحت.

(٤) الخيلان: الظنّ.

(٥) في (أ): حسّان. وهو تحريف.

(٦) الأحزاب: ٣٦.

دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّه لَوْ كانَ الله ـ تعالى ـ قـضى المَعَـاصِيَ، لَمْ يَكُـنْ لِأَحَـدٍ الخِـيَرَةُ، ولوجَبَ عَلَيهِ الوَفَاءُ بهِ. ومَنْ خَالَفَ ذلكَ، كانَ عَاصِياً. وذلكَ خِلافُ الإجْمَاعِ.

محمّدُ بنُ البَرقيِّ[١]:

وزَعَمـتُمْ أنَّ القَـضَاءَ إقَامَـةٌ ... لا ذَنـبَ لِلعَـدَوِيِّ فـيما جَـاءَا[٢]

فكَذا اليَهُـودُ معَ النَّصَارى فـاعلَمُوا ... لُعِنُـوا بِـمَا فَعَلُـوا وَكـانَ قَـضَاءَا

وكَـذاكَ إبلـيسُ اللَّعِـينُ فَقَايِـسُوا ... تجِـدُوا القِيَـاسَ مَـعَ القِيـاسِ سَـوَاءَا



(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) في (ش): جاءَ. قضاء. سواءَ. من دون ألف الإطلاق.

فصل [-٣٧-]

[في القدر]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها﴾[١].

القَدَرُ لَهُ خَمسَةُ مَعَانٍ:

الإحدَاثُ: ﴿وَقَدَّرَ فِيها﴾[٢].

الكِتَابَةُ، والإعلامُ: ﴿قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْـغابِرِينَ﴾[٣].

وبَيَانُ حَالِ الشَّيءِ، وما يَجِيءُ مِنهُ. يُقالُ: قدَّرَ الخيَّاطُ الثَّوبَ.

وقَدْ يُستَعملُ بمعنى: التَّقديرِ. ورُوِيَ عَنِ الـصَّادِقِ - عَلَيـهِ الـسَّلام -: أنَّ التَّقدِيرَ، هُوَ العِلمُ.

أميرُالمؤمنين - عَلَيهِ السَّلام - وقَدْ سُئلَ[٤] عَنِ القَدَرِ، فقـالَ: بَحـرٌ عَمِيـقٌ،

---

(١) فُصِّلت: ١٠.

(٢) فُصِّلت: ١٠.

(٣) الحجر: ٦٠.

(٤) في (هـ): سألَ.

فَلا تَلِجُوهُ، وطَرِيقٌ مُظلِمٌ، فَلَا تَسلِكُوهُ[١]، وسِرُّ الله، فَـلَا تتكَلَّفُـوهُ[٢]، ورُوِيَ أنَّ النَّبيَّ[٣] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٤] كَانَ إذَا [مَرَّ][٥] بِصَدَفٍ[٦] مائلٍ أسرَعَ المَشيَ.

اِبنُ بَابَويهِ[٧]: إنَّ عَلِيَّاً ـ عَلَيهِ السَّلام ـ عَدَلَ مِنْ عِندِ حَائطٍ مَائلٍ إلى مَكَـانٍ آخَرَ، فَقِيلَ[٨] لَهُ: يا أميرالمؤمنينَ تَفِرُّ مِنْ قَضَاءِ الله؟

فقال ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: أفِرُّ مِنْ قَضَاءِ الله، إلى قَدَرِ الله.

/ ١٠٥/ وكَتَبَ الحسنُ[٩] البصريُّ إلى الحَسَنِ بنِ عليٍّ ـ عليهما السلام ـ: يا بني هاشمٍ أنتُمُ اللُّجَجُ الزَّاخِرَةُ ، والأفلاكُ الدَّائرةُ ، مثلُكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا، نَجَا ، وقَدْ اِختَلَفنا في القَضَاءِ ، والقَدَرِ ، وتَحَيَّرنَا في الكَسبِ ، والاستِطَاعَةِ، فاكتُبْ إلينَا ما عَليهِ مَذهَبُ آبائكَ.

---

(١) في (أ): تشاكوه.

(٢) التوحيد: ٣٦٥. الهداية: ٥. نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ٤: ٦٩.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهَروي: ١: ٢٠٨. الفائق في غريب الحديث ٤: ٩٥. النهاية في غريب الحديث: ٣: ١٧.

(٤) في (ح): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (أ): بصدق. بالقاف المثناة.

(٧) التوحيد: ٣٦٩.

(٨) في (هـ): فقالَ. بصيغة المبني للمعلوم.

(٩) فرق وطبقات المعتزلة: ٢٩. باختلاف الرواية، تُحَفُ العقول عن آل الرسول: ١٦٢.

فَكَتَبَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ. مَنْ لَمْ يُؤمِنْ بِقَضاءِ الله، وقَدَرِهِ، فَقَد كَفَرَ، ومَنْ حَمَلَ عَلَى الله ذَنبَهُ، فَقَدْ فَجَرَ، إنَّ الله لا يُطَاعُ إستِكراهاً، ولا يُعصَى بِغَلَبَةٍ. وهوَ القَادِرُ عَلَى ما أقدَرَهُم عَلَيه. فإنْ إئتَمَرُوا بالطَّاعَةِ، فَلا حَاجَزَ بَينَهُم، وبَينَها، فَهُم لَهَا مُستَطِيعُونَ، ولِمَا نُهُوا عَنهُ مُستَطِيعُونَ. فَلَو أجبَرَ الله ـ تعالى ـ عِبَادَهُ عَلَى الطَّاعَةِ، لَسَقَطَ عَنهُم التَّكليفُ، ولَوْ أجبَرَهُمْ[1] عَلَى المعصِيَةِ، لَسَقطَ عَنهُم العِقَابُ. فَلَهُ المِنَّةُ عَلَى المُطِيعِ، ولَهُ الحُجَّةُ عَلَى العَاصِي ﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

وجَاءَ رَجُلٌ بَصرِيٌّ إلى البَاقِرِ[3] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وَهوَ صَبِيٌّ، وقال: قَدْ فَشَا فِينَا القَدَرُ، فَهَرَبنَا إليكَ.

فقال ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: سَلْ!

قالَ: ما تَقُولُونَ في الخَيرِ؟

فقالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: اكتُبْ: عَلِمَ، وقَضَى[4]، وقَدَّرَ، وشَاءَ، وأرادَ، ورَضِيَ، وأحَبَّ.

---

(١) في (هـ): جَرَّهم. وفي (ح): جَبَرَهم. بسقوط همزة التَّعدية.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) الكافي: ١: ١٥٠ وفيه: عن الصادق (ع).

(٤) في (ك): قضاء.

قالَ[١]: زِدنِي!

فقالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: هذا خَرَجَ إلينا.

قال: فَالشَّرُّ؟

قال: عَلِمَ، وقَضَى، وقَدَّرَ. ولَمْ يَشَأ، ولَمْ يُرِدْ، وَلَمْ يَرضَ، ولَم يُحِبَّ.

فقال: زِدْني!

فقال ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٢]: هكذَا خَرَجَ إلينا.

قال: فَخَرَجَ الرَّجُلُ إلى البَصرَةِ، فَنُصِبَ لَهُ مِنبَرٌ[٣]، وخَطَبَ عَلَيهم بِمَا أفتى. فَرَجَعَ أكثَرُ النَّاسِ.

أَبُو عَبدِالله الحُسينُ القطَّانُ، قال:

جَمَعَ الحَجَّاجُ أهلَ العِلمِ، وسألَهُم عَنِ القَضَاءِ، والقَدَرِ.

فقالَ الشِّعبيُّ: قال عَليٌّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: يا ابنَ آدَمَ! مَنْ وَسَّعَ عَلَيكَ الطَّرِيقَ، لَمْ يأخُذْ عَلَيكَ المَضِيقَ.

وقال عَمرُو بنُ عُبيدٍ: قال عَلِيٌّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: إذا كانَتِ الخَطِيئَةُ عَلَى

---

(١) في (ك): فقال. مَعَ الفاء.

(٢) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٣) في (ح): فنصبَ لَهُ مِنبَراً. بصيغة المعلوم.

الخَاطِيءِ حَتماً، كانَ القِصَاصُ في القَضِيَّةِ ظُلماً.

وقال واصِلُ بنُ عَطَاءٍ: قال عَلِيٌّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ما كَانَ مِـنْ خَـيرٍ، فَبِـأمرِ اللهِ، ومَا كَانَ مِنْ شَرٍّ، فَبِعِلمِ اللهِ، لَا بأمرِهِ.

وقال بِشرٌ: قال عَلِيٌّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ما تَحمَدِ[1] اللهَ عَلَيهِ، فَهـوَ مِنـهُ، ومـا تَستَغفِرِ[2] اللهَ مِنهُ، فَهوَ مِنكَ.

وقال الحَسَنُ: قالَ عَلِيٌّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: أتظُنُّ أنَّ الَّذي نَهَاكَ، دَهَـاكَ. إنَّـما دَهَاكَ أسفَلُكَ، وأعلَاكَ. ورَبُّكَ البَرِيءُ مِنْ ذَاكَ.

فقالَ الحَجَّاجُ: لَمْ يَجِدُوا مَا أخَذُوا إلَّا مِن أبي تُرَابٍ.

وقال عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ لِرَجُلٍ، سأَلَهُ عَـنِ القَـدَرِ: إنَّ اللهَ لَا يُطَالِـبُ بِـما قَضَى، وقَدَّرَ، وإنَّما يُطَالِبُ بِمَا نَهَى، وأمَرَ.

المُستَرْشِدُ[3] باللهِ:

إذَا كَـانَ القَـضَاءُ عَـلَيَّ حَـتماً	وكَـانَ الأمـرُ يَجـرِي بِالقَـضَاءِ
فَكَيفَ أُلَامُ[4] في خَطَئِي وسَهوِي[5]	وتَـدْبيرُ الأمـورِ إلى سِـوَائي

(١) في (ح): يحمد. بياء المضارعة المثناة من تحت وبصيغة المبني للمجهول.

(٢) في (ح): يستغفر. بياء المضارعة المثناة من تحت وبصيغة المبني للمجهول.

(٣) لم نقف على مورد أخذه.

(٤) في (ش): الأمر.

(٥) في (ح): في خَطأ وسَهْو... سواءِ. من دون إضافة إلى ياء المتكلم.

اِبنُ رُزِّيك(١):

يـا أمَّـةً سَـلَكَتْ ضَـلالاً بَيِّنـاً حَتَّـى اِسـتَوَى إقرَارُهَـا وَجُحُودُهـا

مِلـتُمْ إلى أنَّ المَعَـاصيَ لَمْ تكُـنْ [إلَّا](٢) بِتَقـدِيرِ الإلـهِ وُجُودُهَـا

لَـوْ صَـحَّ ذَا كَـانَ الإلـهُ بِـزَعمِكُم مَنَـعَ الـشَّرِيعَةَ أن تُقَـامَ حُـدُودُها

حَاشَـا، وكَـلَّا! أن يَكُـونَ إلهُنـا يَنهَـى عَـنِ الفَحـشَاءِ ثُـمَّ يُرِيـدُها



(١) ديوان طلائع بن رزِّيك (الملك الصالح): ٧٢.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

فصل [-٣٨-]

[في القدر]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

لَا خِلَافَ أَنَّ كُلَّ شيءٍ خَلَقَهُ بِقَدَرٍ، وإنَّما الخِلَافُ فِيمَا خَلَقَهُ.

وإنَّما يعني: أنَّ جَمِيعَ ما خَلَقَهُ بِقَدَرٍ مَعلُومٍ، بِلَا تَفَاوُتٍ، وأَنَّـهُ خَلَـقَ الجَـزَاءَ عَلَى الأعمَالِ، بِمِقدَارِ ما يَستَحِقُّونَهُ؛ لِمَا قَبلَهَا قوله: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[2].

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾[3].

لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ قَدَّرَ ذلِكَ. وإنَّما يُرِيدُ: بِمِقدَارِ مَا يَجِبُ. وبَينَهُما بَونٌ بَعِيدٌ.

ولَمْ يَقُلْ: إنَّه قَدَّرَ جَمِيعَهُ. وإنَّما قالَ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ﴾ مَعَ أَنَّ جَمِيعَ الأشيَاءِ

---

(١) القمر: ٤٩.

(٢) القمر: ٤٨.

(٣) الرعد: ٨.

ـ في حُكمِهِ، وعِلمِهِ ـ ﴿بِمِقْدارٍ﴾، لَيسَ فيهِ زِيادةٌ، وَلَا نُقصَانٌ عَمَّا يَجِبُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[1].

القَدَرُ المَقدُورُ، هُوَ[2] ما كَانَ عَلَى مِقدَارِ ما تَقَدَّمَ مِنْ غَيرِ زِيَادَةٍ، ولا نُقصَانٍ.

جَابِرٌ: عَنِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[3] قال[4]: يَكُونُ في آخرِ الزَّمانِ، قَومٌ، يَعمَلُونَ بِالمَعَاصِي، ثُمَّ يَقولُونَ: اللهُ قَدَّرَها عَلَينَا. الرَّادُّ[5] عَلَيهِمْ ـ يَومئذٍ ـ كالشَّاهِرِ ـ سَيفَهُ في سَبِيلِ اللهِ.

حُذَيفَةُ: قال النَّبيُّ[6] ـ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ: لُعِنَتِ القَدَرِيَّةُ، والمُرجِئةُ عَلَى لِسَانِ سَبعِينَ نَبِيّاً.

قِيلَ: ومَا القَدَرِيَّةُ؟

---

(١) الأحزاب: ٣٨.

(٢) في (هـ): وهو. مَعَ الواو.

(٣) في (أ): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ.

(٤) إنقاذ البشر مِنَ الجبر والقَدَر (رَسَائل الشريف المرتضى): ١١٩.

(٥) العبارة (الرادّ... النبي عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (أ).

(٦) شرح الأصول الخمسة: ٧٧٥.

قال: قَومٌ يَفعَلُونَ المَعَاصِي، ثُمَّ يَقُولُونَ: اللهُ قَدَّرَها / ١٠٦/ عَلَيهِمْ.

النَّبيُّ[(١)] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: نُودِيَ في القِيَامَةِ: أينَ القَدَرِيَّةُ خُصَمَاءُ الله، وشُهَدَاءُ إبليسَ؟

فَتَقومُ طائفةٌ مِنْ أمَّتي، يَخْرُجُ مِنْ أفوَاهِهِمْ النَّارُ[(٢)]، ودُخَانٌ أسوَدُ[(٣)].

وحكى أبُو القاسِمِ البَلخِيُّ: إنَّ عَبدَ الله بنَ الحسنِ[(٤)] قالَ لابنِهِ مُحَمَّدٍ: كُلُّ خِصَالِكَ مَحْمُودَةٌ، إلَّا قَولُك بالقَدَرِ.

فقال: يا أبَه، فَشَيءٌ أقدِرُ عَلَى تَركِهِ، أولَا أقدِرُ؟

مَعنَاهُ: إن كُنتُ أقدِرُ عَلَى تَرْكِهِ، فَهوَ قَولي، وإنْ كُنتُ لا أقدِرُ، فَلَا عَتَبَ عَلَيَّ.

فقالَ عَبدُ الله: لَا أُعَاتِبُكَ عَلَيهِ أبَداً.

[و][(٥)] نَازَعَ رَجُلٌ عَمرَو بنَ عُبيدٍ في القَدَرِ، فقالَ لَهُ عَمرٌو: إنَّ الله ـ تعالى ـ

(١) شرح الأصول الخمسة: ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٦. باختلاف يسير في اللفظ والرواية. فردوس الأخبار: ١: ٢١١، ٣١٨/ ٢: ٢٤٢ بلفظ: القدريّة خصماء الله.

(٢) (النار) ساقطة من (ك) و(هـ).

(٣) (أسود) ساقطة من (أ).

(٤) في (ح): الحسن ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ) و(أ) و(ح).

قالَ في كِتَابِـهِ: ﴿فَوَرَبِّـكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِـينَ عَـمَّا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ﴾[١]، ولَمْ يَقُـلْ: لِنَسْأَلَنَّهُمْ عَمَّا قَضيتُ[٢] عَلَيهِمْ، أو قَدَّرتُهُ فِيهِمْ، أو سَـبَّبْتُهُ لَهُـمْ، أو أَرَدْتُـهُ مِـنهُم. ولَيسَ بَعدَ هذا إلَّا الإقرارُ[٣] بالعَدلِ، والسُّكُوتُ[٤] عَـنِ الجَـورِ ﴿لا يُـسْئَلُ عَـمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[٥].

ومَرَّ الحسنُ[٦] البصرِيُّ بِفُضَيلِ بن بَرجَان، وهوَ مَصلُوبٌ، فقالَ: ما حَمَلَك عَلَى السَّرِقَةِ؟

قال: قَضَاءُ الله، وقَدَرُهُ!

قال: كَذِبتَ يا لُكَعُ! أيَقضِي اللهُ [عَلَيكَ أنْ تَسرِقَ ثُمَّ يَقـضي عَلَيـكَ][٧] أن تُصلَبَ؟

النَّجاشِيُّ[٨]:

---

(١) الحجر: ٩٢، ٩٣.

(٢) في (ح): قضيته. مَعَ ضمير الغائب (الهاء).

(٣) في (ك) و(أ): إقرار. من دون (أل).

(٤) في (أ): أو السكوت.

(٥) الأنبياء: ٢٣.

(٦) فرق وطبقات المعتزلة: ٣٥.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٨) الشعر والشعراء: ١: ٣٣٠. شعر النّجاشي الحارثي (مجلة المجمع العلمي العراقي) المجلد: ١٣: ١٨٠.

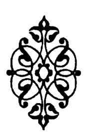
ضَرَبُوني ثُمَّ قالوا: قَدَرٌ! قَدَّرَ اللهُ لَهُمْ شَرَّ القَدَرْ

واختَصَمَ(١) ذُو الرُّمَّةِ، ورُؤْبَةُ عِندَ بِلَالِ بنِ أبي بُردَةَ في القَدَرِ، فقالَ رُؤبَةُ: ما فَحَصَ طَائرٌ أُفحُوصاً(٢)، ولَا تَقَرمَصَ سَبعٌ قُرمُوصاً(٣)، إلَّا بِقَضاءٍ مِنَ الله، وقَدَرِهِ.

فقالَ [لَهُ](٤) ذُو الرُّمَّةِ: والله! ما قَدَّرَ الله(٥) عَلَى الذِّئبِ أنْ يأكُلَ حَلُوبَةَ عِيالِكَ(٦)، ضُرّاً بِكَ(٧).

فقال رُؤبةُ: أفَبِقُدْرَتِهِ(٨) أكلَها؟ هذا كَذِبٌ عَلَى الذِّئبِ ثَانٍ.

فقال ذُو الرُّمَّةِ: الكَذِبُ على الذِّئبِ، أولَى مِنَ الكَذِبِ عَلَى رَبِّ الذِّئبِ.



(١) أمالي الشيخ المفيد: ٦٢. مجالس العلماء: ١٦١.

(٢) فَحَصَتِ القطاةُ: اتخذت أفحوصاً تفرخ فيه (المعجم الوسيط: فحص).

(٣) القُرموص: حُفْرَة الصائد (المعجم الوسيط: قرمص).

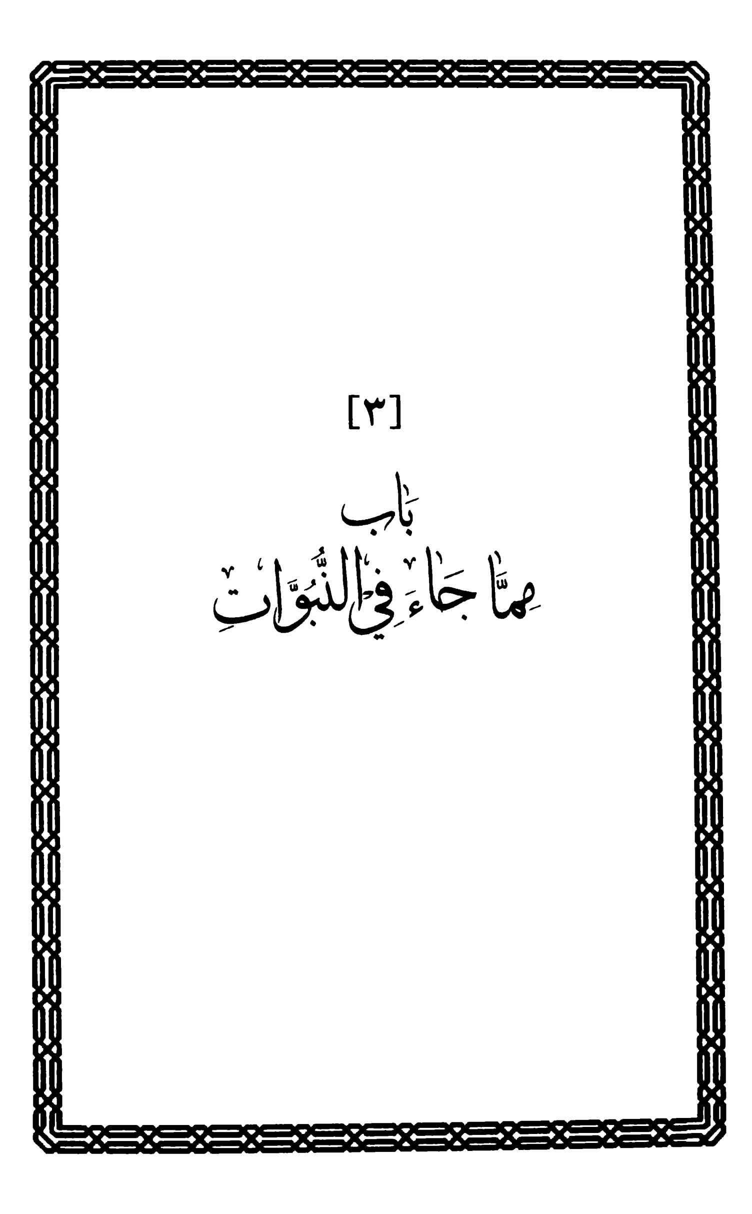
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) العبارة: «الله... أنْ» ساقطة من (أ).

(٦) في (ك) و(أ) و(ح): عيايل.

(٧) في (ك) و(ح): ضرايك.

(٨) في (هـ) و(ح): أبقدرته. من دون (فاء).



[٣]

بَابُ
مَا جَاءَ فِي النُّبُوَّاتِ

فصل [ـ١ـ]

[في تفضيل الأنبياء على الملائكة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾[2].

أجْمَعَتِ الإماميَّةُ[3] عَلَى تَفضِيلِ الأنبِيَاءِ عَلَى المَلَائكةِ، ويَقُولُونَ: إنَّ الأئمَّةَ أفضَلُ مِنها[4] أيضاً.

وإجمَاعُهُم حُجَّةٌ، لأنَّ المعصُومينَ مِنْ جُملَتِهِم.

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الأنعام: ٥٠.

(٣) أنظر رسالة: «تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام» ورسالة: «المنع من تفضيل الملائكة على الأنبياء» ضمن «رسائل الشريف المرتضى».

(٤) في (ش) و(ك) و(ح): منهما.

وتَستَدِلُّ[١] عَلَى ذلِكَ - أيضاً - بِقَولِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾[٢] لأنَّهُ يقتضي تَعظِيمَهُ عَلَيهم، وتَقدِيمَهُ، وإكرَامَهُم.

وإذا كَانَ المَفضُولُ لا يَجوزُ تَعظِيمُهُ، وتَقدِيمُهُ عَلَى الفَاضِلِ، عَلِمنا[٣] أنَّـهُ - عَلَيهِ السَّلام - أفضَلُ مِنَ الملائكةِ.

وكلُّ مَنْ قال: إنَّ آدَمَ، أفضَلُ مِنَ الملائكةِ، قالَ: إنَّ جميعَ الأنبياءِ، أفضَلُ مِن جَماعَةِ الملائكَةِ.

والدَّلِيلُ عَلَى أنَّ تَعَبُّدَهُم بِالسُّجُودِ، كَانَ للتَّعظِيمِ، والتَّقدِيمِ، أنَفَةُ إبلِيسَ مِنَ السُّجُودِ، وتَكَبُّرُهُ عَنهُ، قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٤]، وقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[٥].

ثُمَّ إنَّ مَنْ أرادَ تَعظِيمَ آدَمَ، نَعَتَهُ بِإسجَادِ الملائكةِ لَهُ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ

(١) في (هـ): يستدلّ. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) البقرة: ٣٤.

(٣) في (ح): فقد علمنا.

(٤) الأعراف: ١٢.

(٥) الإسراء: ٦٢.

تكُونا مِنَ الْـخالِدِينَ﴾[1].

المعنى[2]: إنَّ المنْهِـيَّ عَـنْ تَنَـاوُلِ الـشَّجَرَةِ، غـيرُ كُـما، وإنَّ النَّهـيَ يَخْـتصُّ الملائكةَ، والخالِدِينَ، دُونَكُما. وليسَ فِيهِ تَفضيلُ الملائكةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْـمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لله وَلاَ الْـمَلاَئِكَةُ الْـمُقَرَّبُونَ﴾[3].

إنَّ هذا القَولَ، مُتَوَجِّهٌ إلى قَومٍ، إعتَقَدُوا أنَّ الملائكةَ، أفـضَلُ مِـنَ الأنبِيَـاءِ، فأجرِيَ الكَلَامُ عَلَى اعتِقَادِهِم. كَمَا يَقُـولُ القَائـلُ لِغَـيرِه: لا يَـستَنِكفُ[4] أبي مِـنْ كذا، ولَا أَبُوكَ. وإنْ كَانَ القَائلُ يَعتَقِدُ أنَّ أبَاهُ أفضلُ.

ثُمَّ إنَّه إنَّما أخَّرَ ذِكرَ المَلَائكَةِ عَنْ ذِكْرِ المَسِيحِ، لأنَّ جَمِيعَ الملائكَةِ، أكثَرُ ثَوابـاً ـ لَا مَحَالَةَ ـ مِنَ المَسِيحِ مُنفَرِداً. وهذا[5] لا يَقتضِي أنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُم، أفضَلُ مِنـهُ. والخِلَافُ في ذلكَ.

***

(١) الأعراف: ٢٠.

(٢) (المعنى) ساقط من (أ).

(٣) النساء: ١٧٢.

(٤) في (أ): يستكلف.

(٥) في (أ): وهذه.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْـغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (١).

لَا يَدُلُّ على أنَّ حَالَ الملائكةِ، أفضَلُ مِنْ حَالِ النَّبيِّ ـ عَلَيـهِ السَّلام ـ لأنَّ الغَرَضَ في الكلامِ، هُوَ نَفيُ ما لَمْ يَكُنْ (٢) عَليهِ، لا التَّفـضِيلُ لـذلك عَـلَى مَـا هُـوَ عَليهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا تَبَرَّأَ عَنِ عِلْمِ الغَيبِ، وكَونِ خَزَائنِ الله عِندَهُ، لا يَكُـونُ فِيـهِ فَضلٌ. يُوضِحُ ـ ذلكَ ـ آخِرُ الآيةِ: ﴿وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَـنْ يُـؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً﴾ (٣). وهذهِ مَنزِلَةٌ حَطِيطَةٌ، وهوَ عَلَى أحوَالٍ أرفَعُ مِنهَا، فَمَا الْمُنكَـرُ (٤) مِـنْ أنْ يَكُونَ نَفيُ الملائكةِ (٥) عَنهُ في أنَّه لا يَقتضِي أنَّ حالَـهُ دُونَ حَـالِ المَلـكِ بِمَنزِلَـةِ نَفْيِ (٦) هذهِ المنزِلة.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لله ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٧).

---

(١) هود: ٣١.

(٢) في (أ): يمكن.

(٣) هود: ٣١.

(٤) في (أ): فما أن المنكر.

(٥) أمالي المرتضى: ٢: ٩٣٩: المَلَكيَّة. والعبارة: «فما المنكر... المنزلة» بلفظها فيه.

(٦) في (هـ): ففي. بفاءٍ ثُمَّ فاءٍ. وهو تحريف.

(٧) يوسف: ٣١.

اِستَدَلَّ الجُبَّائيُّ[١] بِذلِكَ عَلَى تَفضِيلِ المَلائكـةِ عَـلَى البَـشَرِ، لأنَّـه /١٠٧/ خَرَجَ مَخرَجَ التَّعظِيمِ، ولَمْ يُنكِرهُ اللهُ ـ تعالى ـ.

وهذا لَيسَ بِشَيءٍ، لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ حَكَى عَنِ النِّساءِ: أنَّهُنَّ أعظَمنَ يُوسُفَ لِمَا رَأينَ مِنْ وقَارِهِ، وسُكُونِهِ، وبُعدِهِ عَنِ السُّوءِ، وقُلْنَ: لَيسَ هذا بَـشَراً، بَـلْ هُـوَ مَلَكٌ. يَعْنِينَ: أنَّ المَلَكَ، لَا يَأكُلُ، ولا يَشتَهي النِّسَاءَ، ولَمْ يَقْصُدْنَ كَثرةَ ثَوابِهِ عَـلَى ثَوابِ البَشَرِ. وكيفَ يَقْصُدْنَهُ، وَهُنَّ لَا طَرِيقَ لَهُنَّ إلى معَرِفَةِ ذلـكَ؟ عَـلَى أنَّ هـذا مِنْ قَولِ المائلاتِ إليهِ، بِمَا لَا يَجُوزُ، فَكَيفَ يُحتَجُّ بِقَولِهِنَّ؟

وإنَّما لَمْ يُنكِرهُ اللهُ، لأنَّهُ ـ تعالى ـ عَلِمَ أنَّهُنَّ لَمْ يَقْصُدْنَ ما قال الجُبَّـائي، ولَـوْ كُنَّ قَصَدْنَهُ، لأنْكَرَ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُـبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَنِـي آدَمَ...﴾[٢] إلى قولـهِ: ﴿...تَفْضِيلاً﴾[٣].

فالمُرادُ[٤] بِقَولِهِ: ﴿عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا﴾[٥]: إنَّا فَضَّلنَاهُم عَلَى مَـنْ خَلَقنـا،

---

(١) مجمع البيان: ٣: ٢٣١.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) الإسراء: ٧٠.

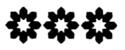
(٤) في (هـ): المراد. من دون الفاء. وفي (أ): ها المراد. وهو تحريف في الموضعين.

(٥) الإسراء: ٧٠.

وهُمْ كَثِيرٌ، ولَمْ يُرِدِ التَّبعِيضَ، كَمَا قالَ: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾[1]. المعنى: لا تَشتروا بِها ثَمَناً[2]، فكُلُّ ثَمَنٍ تأخذُونَهُ عَنها قَلِيلٌ. ولَمْ يُرِدِ التَّخصِيصَ، والمَنعَ مِنَ الثَّمَنِ القَليلِ خَاصَّةً.

وغَيرُ مُمتَنِعٍ أن يَكُونَ جَمِيعُ الملائكَةِ، أفضَلَ مِن جَمِيعِ بَنـي آدَمَ، وإن كَـانَ في جُملَةِ بَني آدَمَ، الأنبِيَاءُ ـ عليهم السلام ـ مِنْ تَفضيلِ كُـلِّ واحِـدٍ مِـنهُم عَـلَى كُـلِّ واحِدٍ مِنَ الملائكةِ.

وقال الطُّوسِيُّ[3]: المُرَادُ ـ بالآيةِ ـ تَفضِيلُهُم بِـالنِّعَمِ الدنيويَّـة، وضُرُوبِ[4] المَلاذِ، والألطَافِ[5]. وليسَ المُرادُ ـ بذلكَ ـ الثَّوابَ. بِدِلَالَةِ جوَازِ اِبتِـدَائهِم بِهـذا التَّفضِيلِ. والثَّوَابُ لَا يجوزُ الابتداءُ بِهِ.



(١) المائدة: ٤٤.

(٢) في (ش): ثمن. من دون تنوين النَّصب.

(٣) التِّبيان في تفسير القرآن: ٦: ٥٠٣.

(٤) في (ح): ضرب. بصيغة المفرد.

(٥) في (أ): ولا ألطاف.

فصل [-٢-]

[في عصمة الأنبياء والأئمة]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (١).

اِتَّفقَتِ الإمَامِيَّةُ (٢) عَلَى أنَّ الأنبياءَ، والأئمَّةَ - عليهم السلام - معصُومُونَ مِنَ الكبَائرِ، والصَّغَائرِ، قَبلَ النبُّوةِ، وبَعدَها. وخالَفَهُم الأُمَّةُ بأسرِهَا في ذلكَ.

دَلِيلُنا (٣): إنَّ جَميعَ ما تنَزَّهُ الأنبياءُ - عليهم السلام - عنهُ، يَستَنِدُ إلى دَلَالَةِ العِلمِ المُعجِزِ: إمَّا بِنَفسِهِ، أو بِوَاسِطَةٍ.

والعِلمُ المُعجِزُ بِمنزِلَةِ قولِهِ - تعالى - لَهُ: صَدَقتَ في أَنَّكَ رَسُولي. فَلَابُدَّ مِنْ أن يكونَ هذا المُعجِزُ مانِعاً مِنْ كَذِبِهِ، فيما يُؤدِّيهِ من الوَحيِ، لأنَّ تَصدِيقَ (٤)

---

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) أوائل المقالات: ٧٠، ٧٦. تنزيه الأنبياء: ١.

(٣) في (ح): ودليلنا. مَعَ الواو.

(٤) في (ش): تطيق. بالطاء المهملة. وهو تحريف.

الكَذَّابِ، قَبِيحٌ، كَمَا أَنَّ الكَذِبَ[١]، قَبِيحٌ.

فأمَّا الكَذِبُ في غَيرِ ما يُؤدِّيهِ، وسَائرُ الكبَائرِ، فإنَّما دَلَّ المُعجِزُ عَلَى نفيِهَا مِنْ حَيثُ كانَ دَالًّا على وُجُوبِ اِتِّبَاعِ الرَّسولِ، وتَصدِيقهِ، فِيمَا يُؤدِّيهِ، لأنَّ الغَرَضَ في البِعثَةِ، والتَّصديقَ، هُوَ أن يمتَثِلَ ما يَأتُونَ بِهِ، فَمَا قَدَحَ في الامتِثالِ، والقَبُولِ، يَجِبُ أن يُمنَعَ[٢] المُعجِزُ مِنهُ.

والدَّليلُ عَلَى أنَّ تَجويزَ الكَبَائِرِ، يَقدحُ[٣] فِيمَا هُوَ الغَرَضُ بِالبِعثَةِ مِنَ القَبُولِ، والامتِثالِ، ويَنفِرُ عَنِ القُبُولِ: أنَّ مَنْ يَجُوزُ عَلَيهِ الكبَائرُ، لا نَأْمَنُ مِنهُ الإقدَامَ عَلَى الذُّنُوبِ، ولا تَكُونُ أنفُسُنا سَاكِنَةً إلى قَبُولِ قولِهِ، واستِمَاعِ وَعظِهِ.

وسُكُونُها إلى منْ لا يَجُوزُ عَلَيه شَيءٌ[٤] مِنْ ذلِكَ، عَلَى[٥] حَدِّ سُكُونِها إلى من يَجُوزُ عَلَيهِ الاختيارُ، يُوضِحُ [ذلك].

ولا يَختَلِفُ[٦] أنْ يَكُونَ ذلكَ في حَالِ النُّبوَّةِ، أوْ قَبلَهَا، وسَوَاءٌ كَانَتْ كبِيرَةً،

---

(١) في (ش): الكذّاب.

(٢) في (ش): يمتنع.

(٣) في (هـ): تقدح. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) في (ك) و(ح): لا يجوِّز عليه شيئاً.

(٥) العبارة: «على حدِّ... يوضح ذلك» ساقطة من (هـ). و«ذلك» ساقطة من (ش). و «إلى» ساقطة من (ح).

(٦) في (ك) و(هـ): تختلف. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

أو صَغِيرَةً، لأنَّ الطَّرِيقَةَ ـ في الأمرَينِ ـ واحدَةٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[1].

وقالَ: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[2]، وقال ـ في جَمَاعَةٍ مِنهُم ـ: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ﴾[3].

تَدُلُّ[4] عَلَى عِصمَتِهِمْ أجمعِينَ، لأنَّهُ لا يُختَارُ، ولا يُصطَفَى إلَّا مَنْ كَانَ مَرضِيّاً، مَعصُوماً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ...﴾ الآيةُ[5].

لا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ عامّاً، لأنّنَا نَجِدُ الطَّيِّبِينَ للطَّيِّبَاتِ، مِثلُ آدمَ، وحوَّاءَ. قوله: ﴿يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[6].

ونَجِدُ الخَبِيثَاتِ للخَبيثِينَ، مِثلُ أبي لَهَبٍ، وأمِّ جَمِيلٍ، قولهُ[7]: ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الدخان: ٣٢.

(٣) ص: ٤٧.

(٤) في (ح): هذه تدلُّ.

(٥) النور: ٢٦.

(٦) البقرة: ٣٥.

(٧) في (ش): وقوله.

لَهَبٍ وَتَبَّ...﴾[1] السُّورَةُ.

ونَجِدُ الخَبِيثَاتِ للطَّيِّبِينَ، مِثْلَ ﴿امْـرَأَتَ نُـوحٍ وَامْـرَأَتَ لُـوطٍ كانَتـا تَحْـتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ﴾[2].

ونَجِدُ الطَّيِّبَاتِ للخَبيثِينَ، مِثْلَ آسِيةَ اِمـرَأةِ فِرعَـونَ، قولـه: ﴿رَبِّ ابْـنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْـجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾[3].

وكذلكَ الحُكمُ إنْ حَمَلنَاهُ عَلَى الأولَادِ، فَلَـمْ نَحكُـمْ بِهَـا إلَّا بِـدَليلٍ، نَحـوُ قولِهِ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْـبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[4].

وبَعدُ: فَإنَّ كُلَّ مُنَفِّرٍ[5]، لَا يَجوزُ عَلَى الأنبِيَاءِ، والأئمَّةِ[6] ـ عليهم السلام ـ مِثْلُ: كُفرِ الوَالِدَينِ، وفِسقِ الأزوَاجِ، لأنَّهُما[7] يَتَعدَّيَانِ / ١٠٨/ إليهِم.

وما لَا يكونُ مُنَفِّـرَاً، جَـازَ فِـيهِم، مِثْـلُ: كُفْـرِ أولادِهِـم، وأزوَاجِهِـم، أو فِسقِهِم. إلَّا أنَّ الفَاحِشَةَ، لا تَجُوزُ[8] عَلَى أزواجِهِم، فإنَّها لَازِمَةٌ لَهُـم، قولـه: ﴿إِنَّ

---

(١) اللهب: ١.

(٢) التحريم: ١٠.

(٣) التحريم: ١١.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٥) في (ش): منفيٌّ. بالياء. وهو تحريف.

(٦) (الأئمَّة) ساقطة من (ح).

(٧) في (ش): كأنَّهما.

(٨) في (ش) و(ك) و(أ): يجوز. بياء المضارعة المثناة من تحت.

ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [١]، فقالَ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [٢]. وقوله: ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾ [٣] في المُتظَاهِرَتَينِ [٤].

ثُمَّ إنَّه رُوِيَ عِنِ اِبـنِ عَبَّـاسٍ [٥]، ومُجَاهِـدٍ [٦]، والحَسَنِ [٧]، والـضَّحَّاك [٨]، وعَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ، وأَهْلِ [٩] البيتِ ـ عليهم السلام ـ: أَنَّهُم قَالُوا: المُرادُ بِهِ: الكَلِـماتُ الطَّيِّباتُ للطَّيِّبِينَ مِنَ النَّاسِ، والكَلِماتُ الخَبِيثَاتُ، للخَبيثِينَ مِنَ النَّاسِ. يَدُلُّ عليهِ قولهُ: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ...﴾ [١٠] وقوله: ﴿مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [١١].

❁❁❁

---

(١) هود: ٤٥.

(٢) هود: ٤٦.

(٣) التحريم: ٤.

(٤) في (هـ): المتضاهرتين. بالضاد المعجمة.

(٥) جامع البيان: ١٨: ١٠٦. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٣٥. الدر المنثور: ٦: ١٦٧.

(٦) جامع البيان: ١٨: ١٠٧. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٣٥. الدر المنثور: ٦: ١٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ١٢: ٢١١.

(٧) جامع البيان: ١٨: ١٠٧. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٣٥. الدر المنثور: ٦: ١٦٧.

(٨) جامع البيان: ١٨: ١٠٧. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٣٥. الدر المنثور: ٦: ١٦٧.

(٩) مجمع البيان: ٤: ١٣٥. تفسير نور الثقلين: ٣: ٥٨٥.

(١٠) إبراهيم: ٢٤.

(١١) إبراهيم: ٢٦.

فصل [ـ٣ـ]

[في مسائل متفرقة في النبوَّة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿قُلْ آمَنَّا بِـالله وَمـا أُنْـزِلَ عَلَيْنـا وَمـا أُنْـزِلَ عَـلى إِبْـراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ﴾[1].

فقوله: ﴿الأَسْباطِ﴾، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهم كَانُوا أنبِيَاءَ، لأنَّ الإنـزَالَ، يَجُـوزُ أن يُكونَ عَلَى بَعضِهِم مِمَّنْ كانَ نَبِيَّاً، ولَمْ تَقَعْ مِنهُ الأفعَالُ القَبيحَةُ، والمَعصِيةُ، مِثلَ مـا فَعَلُوهُ مَعَ يوسُفَ، وليسَ في ظَاهِرِ القُرآنِ، أنَّهُم كَانُوا أنبِيَاءَ.

ويُحمَلُ قوله: ﴿وَالأَسْباطِ﴾ عَلَى أنْ يكُونَ المُرَادُ أنَّهم أمِرُوا باتِّباعـه، كَـما[2] يُقَالُ: أنزَلَ اللهُ إلى أمَّةِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ القُرآنَ، كَمَا قالَ: ﴿وَما أُنزِلَ عَلَيْنا﴾، إنْ كانَ المُنزَلَ على النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لكنْ لَمَّا كَانُوا مأمُورينَ بِـمَا فِيـهِ، وُصِـفَ بأَنَّهُ أُنزِلَ إليهم.

***

(١) آل عمران: ٨٤.

(٢) في (ح): وكما. مَعَ الواو.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[١].

الإصطِفَاءُ، لا يَلِيقُ إلَّا بِمَنْ هُوَ مَعصُومٌ كالأنبياءِ، والأئمَّةِ ـ عليهم السلام ـ: فكيفَ قالَ بَعدَ ذلكَ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾[٢]؟

فنَقُولُ: ﴿فَمِنْهُمْ﴾[٣] يُرجَعُ بِالكِنَايَةِ فيهِ إلى العِبَادِ، لَا إلى الَّذين اصطفَوا، لأنَّهُ أقربُ إليهِ في الذِّكرِ، فكَأنَّهُ قالَ ـ تعالى ـ[٤]: وَمِنْ عِبَادِنَا ظَالِمٌ لِنَفسِهِ، وَمُقْتَصِدٌ، وسَابِقٌ بِالخَيرَاتِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ﴾[٥]، وقوله: ﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[٦].

يعني: عَالَمِي[٧] زَمَانِهِم. وتَفضِيلُهُ إيَّاهُمْ بأنْ جَعَلَ فيهِم النُّبُوةَ، والحِكمةَ.

***

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٥) الإسراء: ٥٥.

(٦) البقرة: ٤٧، ١٢٢.

(٧) في (ش): عاملي. بميم ثم لام.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾[١].

إنَّما ذَكَرَ تَفضِيلَ الرُّسُلِ بَعضِهم عَلَى بَعضٍ، لأُمُورٍ:

مِنها: أَلَّا يُغَالِطَ[٢] مُغَالِطٌ، فَيُسَوِّيَ بَينَهُم في الفِعلِ، كَما اِستَوَوا في الرِّسَالةِ.

والثَّاني[٣]: أنْ يُبيِّنَ أنَّ تَفضِيلَ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كتَفضِيلِ مَنْ مَضَى مِنَ الأنبِيَاءِ، بَعضِهم عَلَى بَعضٍ.

والثَّالِثُ[٤]: أنَّ الفَضِيلَةَ قَدْ تَكُونُ بَعدَ أَدَاءِ الفَرِيضَةِ. والمُرَادُ بالفَضِيلَةِ ـ هاهُنَا ـ مَا خُصَّ بِهِ بَعضُهُم منَ المَنَازِلِ الجَلِيلَةِ، مِثلُ مُوسى [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ][٥] بِالكلامِ، وعِيسَى [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ][٦] بِإحيَاءِ المَوتى، وَمُحَمَّدٍ ـ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ بِإرسَالِهِ إلى كافَّةِ الخَلقِ.

والرَّابِعُ[٧]: فَضَّلناهُمْ بِأعمَالِهم الَّتي اِستَحَقُّوا بِهَا الفَضِيلَةَ عَلَى غَيرِهِمْ.

***

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) في (ش): نغالط. بنون المضارعة الموحّدة من فوق.

(٣) في (ح): ومنها.

(٤) في (ح): ومنها.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٧) في (ح): ومنها.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[١].

دَالَّةٌ عَلَى أنَّ النُّبُوَّةَ، لَيسَتْ مُسْتَحَقَّةً بِالأفعَالِ، لأنَّهُ لَوْ كانَ جزَاءً[٢]، لَمَا جَازَ أنْ يَقُولَ: يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ. كَمَا لَا يَجُوزُ أنْ يَخْتَصَّ بِعِقَابِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

أمَّا اللُّطفُ ـ وإنْ كانَ مُستَحَقّاً وهوَ يَختَصُّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ـ فإنَّهُ يكُونُ لُطفاً عَلَى وَجهِ الاختِصَاصِ، دُونَ الاشتِرَاكِ، ولَيسَ كذلِكَ الثَّوابُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا﴾[٣].

قالَ الضَّحَّاكُ[٤]: ذلكَ يَدُلُّ عَلَى أنَّهُ ـ تعالى ـ أرسَلَ رُسُلاً مِنَ الجِنِّ. وبِهِ قالَ الطَّبَرِيُّ[٥]، واختارَهُ البلخيُّ[٦].

---

(١) آل عمران: ٧٤.

(٢) في (ش): جز.

(٣) الأنعام: ١٣٠.

(٤) جامع البيان: ٨: ٣٦. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٣٦٧. والتبيان في تفسير القرآن: ٤: ٢٧٧، الدر المنثور: ٣: ٣٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٨٦.

(٥) جامع البيان: ٨: ٣٦.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٢٧٧.

وقال ابنُ عبَّاسٍ[١]: هُمْ رُسُلُ الإنسِ إلى غيرِهِمْ مِنَ الجنِّ، كَمَا قالَ: ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾[٢].

والأوّلُ أقوَى.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[٣].

قال الحسنُ[٤]: ما أرسَلَ الله ـ تعالى ـ[٥] اِمرَأَةً، ولَا رَسُولاً مِنَ الجِنِّ، ولا مِنْ أهلِ البَادِيَةِ.

ووَجهُ اللُّطفِ في إرسَالِ الرِّجالِ مِنَ البَشَرِ، [أنَّ][٦] الشَّكلَ إلى شَكلِهِ، آنَسُ، وعَنهُ أفهَمُ، والأنَفَةُ مِنهُ أبعَدُ، لأنَّه يَجرِي مجرَى النَّفْسِ. والإنسَانُ لا يأنَفُ

(١) جامع البيان: ٨: ٣٦. وفي مجمع البيان: ٢: ٣٦٧: وقال ابن عبّاس: إنّما بعث الرسول من الأنس، ثم كان يرسل هو إلى الجن رسولاً من الجنّ. والعبارة بلفظها في التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٢٧٧، ومثلها في الدر المنثور: ٣: ٣٥٩ منسوبة إلى مجاهد، وفي الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٨٦: رسل الجن هم الذين بلَّغوا قومهم ما سمعوه من الوحي.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

(٣) الأنبياء: ٧.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٧: ٢٣٢ بلفظه.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

مِنْ نَفْسِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ...﴾[١].

قال ابنُ عبَّاسٍ[٢]، والحسنُ[٣]، والجُبَّائيُّ[٤]: إنَّهم كانُوا عَلَى الكُفرِ.

وقال قَتَادَةُ[٥]، والضَّحَّاكُ[٦]: كانُوا عَلَى الحَقِّ، فاختَلَفُوا. وإنَّما أخبرَ اللهُ ـ تعالى ـ عَلَى الغَالِبِ مِنَ الحالِ.

/ ١٠٩/ وإذا قِيلَ: إذا[٧] كانُوا مُختَلِفينَ في الحقِّ عَلَى إصَابَةِ بَعضِهِمْ[٨]،

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) مجمع البيان: ١: ٣٠٦. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤. الدرّ المنثور: ١: ٥٨٣. الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٣١ في أحد القولين المنسوبين إليه.

(٣) مجمع البيان: ١: ٣٠٦. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٠٦. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤.

(٥) جامع البيان: ٢: ٣٣٤. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٣٠٦. والتبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤. الدر المنثور: ١: ٥٨٣. الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٣٠.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٠٦. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٢: ١٩٤.

(٧) في (هـ): إذْ.

(٨) في (ح): إصابة بعضهم لَهُ.

فَكَيفَ يَعُمُّهُمْ الكُفرُ؟

قُلنَا: لَا يَمتَنِعُ أنْ يكُونَ الكُلُّ كُفَّاراً. بَعضُهُمْ يَكفُرُ مِن جِهَةِ الغُلُوِّ، وبَعضُهُم مِنْ جِهَةِ التَّقصِيرِ، كَمَا كَفَرَتِ اليَهُودُ والنَّصارَى في المسِيحِ.

وعَلَى هذهِ الآيةِ سُؤالَاتٌ كَثيرَةٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾[1].

أي: مِنْ قُرُونٍ سَلَفَتْ. ولَيسَ يَعنِي[2] بِهِ غَيرَ النَّاسِ، لأنَّ التَّكليفَ، مقصُورٌ عَلَى الجِنِّ، والإنسِ، لِقَولِهِ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ﴾[3]. ولَمْ يُخاطِبْ غَيرَهُما.

وأوَّلُ الآيةِ يَدُلُّ[4] عَلَى أنَّهُ خَاصٌّ، قولـه: ﴿وَما مِنْ دابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ﴾[5].

المعنى فِيهِ: وإن مِنْ أمَّةٍ مِنَ البَشرِ المُكَلَّفِينِ، إلَّا خَلَا فِيهَا نَذيرٌ. ولأنَّ

---

(١) فاطر: ٢٤.

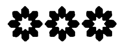
(٢) في (أ): بمعنى.

(٣) الرحمن: ٣١.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): تدلّ. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) الأنعام: ٣٨.

شَرَائطَ التَّكليفِ، لَا يَصُحُّ[١] حُصُولُها لِلبَهائمِ، والطُّيُورِ، ولذلكَ[٢] شَبَّهَ الجُهَّالَ بالأنعَامِ. ولَو كانَتِ الأَنعَامُ، مُكَلَّفَةً، لَكَانَ فِيها المؤمِنُ، والكافِرُ.



(١) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): تصحّ. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) في (هـ): فلذلك. مَعَ الفاء.

فصل [ـ ٤ ـ]

[مسائل متفرقة في النبوَّة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[1].

قِيلَ: كتَبَ اللهُ في اللَّوحِ المَحفُوظِ: أَنَا وَرُسُلي. أجرَاهُ مجرَى القَسَمِ، فأجابَهُ بِجَوَابِهِ.

الحَسَنُ[2]: ما أمَرَ اللهُ نَبِيّاً ـ قَطُّ ـ بِحَربٍ إلَّا غَلَبَ، إمَّا في الحالِ، أو في الاستِقبَالِ.

ويُقالُ: ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بِالحُجَجِ، والبَرَاهِينِ.

وقِيلَ: في يومِ القيامَةِ[3].

***

(١) المجادلة: ٢١.

(٢) مجمع البيان: ٥: ٢٥٥. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٩: ٥٥٦.

(٣) في (ح): وقيل: بالقيامة.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ﴾[١].

وقَدْ خَذَلَهُمْ، حتَّى قُتِلُوا.

فَنَقُولُ: النَّصرُ، الغَلَبَةُ عَلَى العَدُوِّ، وهوَ عَلَى ضَربينِ:

نصرٌ بالحُجَّةِ، ونَصرٌ بِالغَلَبَةِ في المُحَارَبَةِ، بِحَسَبِ المَصلَحةِ، وما تَقتَضِيهِ الحِكمَةُ. هذا إذا كانَ في دَارِ التَّكليفِ.

وأمَّا نَصرُهُ إيَّاهُمْ ـ يومَ القِيامةِ ـ فَهوَ عُلُوُّ كَلِمَتِهِم، وظهُورُ[٢] حَقِّهِمْ، بِجَزِيلِ الثَّوابِ، وإذلَالُ عَدُوِّهِمْ بِعَظِيمِ العِقَابِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ﴾[٣].

معناهُ: إمَّا بِالغَلَبَةِ، وإمَّا بأخذِ الحقِّ لَهُ.

فَالنُّصرَةُ[٤] مِنَ اللهِ لِلمَبغيِّ عَلَيهِ، واقِعَةٌ لَا مَحَالَةَ، والخِذلانُ، لَا يَكُونُ إلَّا

---

(١) غافر: ٥١.

(٢) في (هـ): أو ظهور.

(٣) الحج: ٦٠.

(٤) في (هـ): بالنصرة. وفي (ش): فالنَّصر.

للظَّالِمِينَ، لأنَّ الله، لَا يَخذُلُ أهلَ طاعَتِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ﴾[1].

إنَّ الله ـ تعالى ـ قَدْ نَصَرَ رُسُلَهُ بِإقَامَةِ الأدِلَّةِ، ونَصبِ البَرَاهِينِ، والأمرِ بِطَاعَتِهِم، والنَّهيِ عَنْ مُخالَفتِهِم، ولا يجوزُ أنْ يَنصُرَهُم بِمَا أدّى إلى الإلجاءِ[2]، ويُنَافِي[3] الاختِيَارَ[4]، فإنَّ مَعَهَا يَزُولُ التَّكليفُ، والأمرُ، والنَّهيُ، والثَّوابُ، والعِقَابُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[5].

إخبَارٌ بأَنَّهُ نَصَرَهُم دُفُعَاتٍ كَثيرَةً، ولَا يَدُلُّ عَلَى أنَّه لَمْ يَنصُرْهُمْ في مَوضِعٍ آخَرَ.

وقال البلخيُّ[6]: إنَّهُم لَمَّا انهزَمُوا، لَمْ يَكُونُوا مَنصُورِينَ، وكَانَ ذلِكَ مِنهُم

---

(١) آل عمران: ١٦٠.

(٢) في (ش): الإنجاء. بالنون الموحّدة من فوق. وهو تحريف.

(٣) في (ح): نافى. بصيغة الماضي.

(٤) (الاختيار) مطموسة في (أ).

(٥) التوبة: ٢٥.

(٦) قول البلخي هذا بلفظه في التبيان في تفسير القرآن: ٥: ١٩٨ من دون عزو إلى أحد.

خَطأً، وإن وَقَعَ مُكَفَّراً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْـمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْـغالِبُونَ﴾ [١].

نَزَلَ العَذَابُ عَلَى الأُمَمِ في أيَّامِ نُوحٍ، وهُودٍ، وموسى، وعيسَى [٢] ـ عليهم السلام ـ، [ونَالَ نَبِيُّنَا ـ عَلَيهِ السَّلام ـ] [٣] ما نَالَ [٤]، ولَمْ يَنزِلْ عَلَيهِمْ، لأَنَّهُ [٥] خصَّ أمَّتَهُ بأمَانٍ إلى يَومِ القيامَةِ، قوله: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٦].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [٧].

سُمِّيَ «وَحياً»، لأنَّ الملَكَ، سَترهُ عَنْ جَمِيعِ الخَلقِ، وخَصَّ بِهِ النَّبيَّ

---

(١) الصافات: ١٧٢، ١٧٣.

(٢) (وعيسى) ساقطة من (ح).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (ش): قال. وهو تحريف.

(٥) في (ش): لأنَّ.

(٦) الأنفال: ٣٣.

(٧) الجنّ: ١.

المبعُوثَ، قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾[١]. هذا هُوَ الأصلُ. ثُمَّ يُستَعمَلُ بِمعنى الإلهَامِ، قوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾[٢].

وبمعنى الأمرِ، قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ...﴾[٣].

وبمعنى الإشَارَةِ، قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٤].

وبمعنى الكِتَابَةِ.

قالَ الشَّاعِرُ[٥]:

كَوَحْيِ صَحَائفِ في عَهْدِ كِسرَى فأهدَاهَا[٦] لأعجَمَ[٧] طُمطُميّ

وأمّا[٨] قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ﴾[٩]. أي: ألهَمتُهُمْ.

وَقِيلَ: أمَرتُهُم.

---

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) النَّحل: ٦٨.

(٣) المائدة: ١١١.

(٤) مريم: ١١.

(٥) الزاهر: ٢: ٣٥٤. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٥١٩ بلا عزو فيهما. والطمطميّ: الأعجم الذي لا يُفصح.

(٦) في (ش): فاهدها.

(٧) في (أ): الأعجمي.

(٨) في (ح): فأمّا. معَ الفاء.

(٩) المائدة: ١١١.

وَقِيلَ: ألقَيتُ إليهِم الآيَاتِ الَّتي أرَيتُهُم.

وَقَال أبُو عَلِيٍّ[١]: أي: أوحَيتُ إليكَ أن تُبَلِّغَهُم، أو إلى رسُولٍ مُتَقَدِّمٍ. والقرآنُ كُلُّهُ وَحيٌ. ويَجيءُ وحيٌ غيرُ قُرآنٍ، مِثلُ قولِهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٢]: أمَرَني رَبِّي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ، كَمَا أمَرَني بأدَاءَ الفَرَائضِ.

وَمِثلُ قَولِ جبريلَ ـ حينَ فَرَغَ مِن غَزَاةِ الخَندَقِ ـ: يا مُحَمَّدُ! إنَّ اللهَ يَأمُرُكَ ألّا تُصَلِّيَ العَصرَ إلّا في بَنِي قُرَيظَةَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلّا وَحْياً﴾[٣].

قالَ[٤] مُجاهِدٌ[٥]: ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلّا وَحْياً﴾: هُوَ دَاودُ، أوحى في صَدرِهِ، فَزَبَرَ الزَّبُورَ[٦].

---

(١) هو أبو عليّ الجبّائي كما في التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٥٨.

(٢) في (ح): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ.

(٣) الشورى: ٥١.

(٤) العبارة «قال مجاهد... هو داود» ساقطة من (أ): وفي (ح): قال مجاهد: الذي كلّمة الله وحياً هو داود ـ ع ـ.

(٥) قول مجاهد بتمامه في أمالي المرتضى: ٢: ٢٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٥٣.

(٦) في (ح): فزبَرَ زبوراً.

﴿أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾[(١)] / ١١٠/ : هُوَ مُوسَى [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ][(٢)].

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾[(٣)] : هُوَ جِبريـلُ ، أُرسِـلَ إلى مُحَمَّـدٍ ـ صـلى الله عليـه وَسَلّم ـ[(٤)].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا إِبْلِيسُ ما لَكَ أَلّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[(٥)].

اِختَلَفُوا في كَيفيَّةِ هذا الخِطَابِ:

فقال الجُبَّائيُّ[(٦)]: قالَ[(٧)] اللهُ ـ تعالى ـ لَهُ ذلكَ عَلَى لِسَانِ بَعضِ رُسُلِهِ.

وهوَ الأليَقُ، لأنَّه لَا يَصُحُّ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ بِلَا وَاسِطَةٍ في زَمَانِ التّكليفِ.

وقالَ آخَرُونَ: كلَّمَهُ بالإنكَارِ عَلَيهِ، والإهانةِ لَهُ، كَمَا قـالَ: ﴿اخْـسَؤُا فِيهـا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[(٨)].

---

(١) الشورى: ٥١.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) الشورى: ٥١.

(٤) في (ح): عَلَيهِ السَّلام.

(٥) الحجر: ٣٢.

(٦) مجمع البيان: ٣: ٣٣٦.

(٧) في (هـ): فقال.

(٨) المؤمنون: ١٠٨.

وهذا يَنبَغي أنْ يَكُونَ حِكَايَةً عَمَّا يَقُولُ لَهُ في الآخِرَةِ. فقالَ إبليسُ[١] مُجِيباً لِهذا الكَلَامِ: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[٢].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[٣].

قالُوا: إنَّ كَلبَ أصحابِ الكَهفِ، خاطَبَهُمْ بالتَّوحيدِ، والاعترافِ، بِمَا[٤] اِعترفُوا بِهِ، ولذلِكَ تَبِعَهُمْ. وهذا خَرقُ عَادَةٍ يَجُوزُ أن يكونَ الله ـ تعالى ـ فَعَلَهُ لُطفاً لَهُم، أو مُعجِزَةً لِبَعضِهِمْ عَلَى ما حُكِيَ: إنَّ بَعضَهُمْ كانَ نَبِيَّاً، وهوَ رئيسُهُمْ، فيكُونُ ذلِكَ مُعجِزَةً[٥] لَهُ، غيرَ أنَّهُ غيرُ مَقطُوعٍ بِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾[٦].

معنى ذلِكَ ـ بالتَّخفِيفِ ـ أنَّ الرُّسُلَ ظَنَّتْ أنَّ القَومَ كَذَبُوهُم. ويَكُونُ

---

(١) في (أ): يا إبليس.

(٢) الحجر: ٣٣.

(٣) الكهف: ٢٢.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): مَا. من دون حرف الجر (الباء).

(٥) (معجزةً لَهُ) ساقطة من (أ).

(٦) يوسف: ١١٠.

الظَّنُّ غيرَ العِلمِ. وبالتَّشدِيدِ: أي: ظنَّتِ الرُّسُلُ أنَّ القَومَ قَدْ كَذَّبُوا. أي: كَفَـرُوا. والظَّنُّ ـ هاهُنا ـ العِلمُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ﴾[١].

تقريرٌ لِلرُّسُلِ في صُورَةِ الاستِفهامِ، عَـلَى وَجـهِ التَّـوبيخِ للمُنَـافِقينَ، عِنـدَ إظهَارِ فَضِيَحتِهِمْ، وَهَتكِ أستَارِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الأشهَادِ.

وقـال الحسنُ[٢] والـسُّدِّيُّ[٣] في قَـولِهم: ﴿لا عِلْـمَ لَنـا﴾[٤]، قـالوا ذلـكَ لِذهُولِهِمْ مِن هَوْلِ ذلِكَ المَقَامِ.

فإنْ قِيلَ: إنَّهُم آمِنُونَ، لِقَولِهِ: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْـفَزَعُ الأكْبَرُ﴾[٥]، ولِقَولِهِ: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦].

---

(١) المائدة: ١٠٩.

(٢) جامع البيان: ٧: ١٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٠. الدر المنثـور: ٣: ٢٢٧. الجـامع لأحكـام القرآن: ٦: ٣٦١.

(٣) جامع البيان: ٧: ١٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٠. الدر المنثـور: ٣: ٢٢٧. الجـامع لأحكـام القرآن: ٦: ٣٦١.

(٤) المائدة: ١٠٩.

(٥) الأنبياء: ١٠٣.

(٦) يونس: ٦٢.

فقالوا: ﴿الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ : دُخُولُ جَهَنَّمَ. وقَولُهُ: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ : كَقَولِكَ لِلمَرِيضِ: لَا خَوفَ عَلَيكَ، ولا بَأسَ عليكَ. ما يَدُلُّ عَلَى النَّجَاةِ مِنْ تِلكَ الحَالِ.

وقالَ اِبنُ عَبَّاسٍ[١]: إنَّ مَعنَاهُ: لَا عِلمَ لَنَا إلَّا مَا عَلَّمتَنَا. فَحُذِفَ ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنا﴾ لِدِلَالَةِ الكَلَامِ عَلَيهِ.

وقال الجُبَّائِيُّ[٢]: مَعنَاهُ[٣]: لَا عِلمَ لَنَا مَعَ عِلمِكَ. أي: لَيسَ عِندَنا شَيءٌ مِمَّا نَعلَمُهُ، إلَّا وأنتَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا غابَ، وحَضَرَ، بِدِلَالَةِ قولِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٤].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[٥]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٦].

---

(١) جامع البيان: ٧: ١٢٦. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٠. الدر المنثور: ٣: ٢٢٧. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٣٦١ في أحد القولين المرويين عنه.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٢١١.

(٣) (معناه) ساقطة من (ح).

(٤) المائدة: ١٠٩.

(٥) الأنعام: ٥٠.

(٦) البقرة: ٣.

النَّبيُّ، والإمامُ يَجِبُ أنْ يَعلَمَا عُلُومَ الدِّينِ، والشَّرِيعَةِ، ولَا يَجِبُ أنْ يَعْلَمَا الغَيبَ، ومَا كَانَ، [وَ][1] مَا يَكُونُ، لأنَّ[2] ذلِكَ يُؤدِّي إلى أنَّهُما مُشارِكَانِ للقَديمِ ـ تعالى ـ في جَمِيعِ مَعلُومَاتِهِ. و مَعلُوماتُهُ لَا تَتَنَاهَى.

وإنَّما يَجِبُ أن يَكُونَا عَالِمَينِ لأنفُسِهِمَا. وقَد ثَبَتَ أنَّهُما عَالِمَانِ بِعِلمٍ مُحدَثٍ. و العِلمُ لا يَتَعَلَّقُ ـ عَلَى التَّفصِيلِ ـ إلَّا بِمَعلُومٍ واحِدٍ. ولَو عَلِمَا مَا لَا يَتَنَاهَى، لَوَجَبَ أنْ يَعلَمَا وُجُودَ ما لَا يَتَنَاهَى مِنَ المعلُوماتِ، وذلكَ مُحَالٌ.

ويَجُوزُ أن يَعلَمَا الغَائبَاتِ، والكَائنَاتِ المَاضِيَاتِ، أوِ المُستَقبَلَاتِ، بإعلَامِ اللهِ ـ تعالى ـ لَهُمَا شَيئاً مِنها[3].

وما رُوِيَ: أنَّ أميرَ المُؤمِنينَ[4] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كَانَ يَعلَمُ أنَّهُ مَقتُولٌ، وأنَّ قَاتِلَهُ، اِبنُ مُلجَمٍ، فَلَا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ عَالِماً بِالوَقتِ الَّذي يَقتُلُهُ فِيهِ عَلَى التَّعيِينِ، لأنَّهُ لَوْ عَلِمَ ذلِكَ، لَوَجَبَ[5] عَلَيهِ أنْ يَدفَعهُ عَنْ نَفسِهِ، ولَا يُلقِي بِيَدِهِ إلى التَّهلُكَةِ. وإنَّ هذا ـ في عِلمِ الجُملَةِ ـ غَيرُ واجِبٍ.

❀❀❀

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) في (ك): لا أنْ. وفي (ش): إلّا أنَّ.

(٣) في (أ): أشياء منهما.

(٤) في (أ): أمير المؤمنين علي.

(٥) في (أ): فَوَجب. مَعَ الفاء.

فصل [ـ ٥ ـ]

[في قصَّة آدم ـ ع ـ]

قوله ـ تعالى ـ في قِصَّةِ آدَمَ ـ: ﴿وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ﴾(١)، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُما الشَّجَرَةِ﴾(٢).

الأمرُ، والنَّهيُ، لَا صِيغَةَ لَهُما، وقَد يُؤمَرُ بِلَفظِ النَّهي، ويُنهَى بِلَفظِ الأمرِ. يُقَالُ: أمَرتُهُ(٣) بألَّا يَلقَى الأميرَ. مَعنَاهُ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ لَقَائهِ. ويُقَالُ: نَهيتُكَ عَنْ هَجرِ أخِيكَ. مَعنَاهُ: أمَرتُكَ بِمُوَاصَلَتِهِ. قالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ﴾(٤). أي: لا تَفعَلُوا. فَيَكُونُ قولُهُ: ﴿وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، إرَادَةً لذلك التَّنَاوُلِ، فَيَكُونُ أمراً، لأنَّ الأمرَ، والنَّهيَ، لَا يَصِيرَانِ أمراً، ونَهياً، إلَّا بالإرَادَةِ، والكَرَاهَةِ.

ثُمَّ إنَّ الأمرَ، والنَّهيَ، يَشترِكَانِ في الوُجُوبِ، والنَّدبِ(٥). وقَد ثَبَتَ أنَّ

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) الأعراف: ٢٢.

(٣) في (أ): أنه. وهو تحريف.

(٤) فُصّلت: ٤٠.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): الندوب.

الأنبِيَاءَ، لا يُخِلُّونَ بِالوَاجِبَاتِ، فَلَم يَبقَ إلَّا النَّدبُ، وهُوَ: ما الأولَى تَركُهُ.

ولا تَقُولُ: إنَّهُ نَهيٌ عَنْ جِنسِها، لأنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أنَّه فَعَلَ القَبيحَ، وأنَّهُ أخطَأَ [في][1] الاستِدلَالِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَكَلا مِنْها﴾[2].

ثِقَةٌ بيَمِينِهِ بِالله ـ تعالى ـ، قوله: ﴿وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3]، ولَمْ يَظُنَّا أنَّهُ يَجسُرُ أحَدٌ أنْ يَحلِفَ[4] بِالله كَاذِباً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَدَلَّاهُما بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ﴾[5].

قالَ الرُّمَّانيُّ: لَمْ/ ١١١/ يَقصُدْ آدَمُ، وحَوَّاءُ بِالتَّنَاوُلِ مِنَ الشَّجَرَةِ، القَبُولَ مِنْ إبليسَ، والطَّاعَةَ لَهُ، بَلْ إنَّما قَصَدَا[6] عِندَ دُعَائِهِ شَهوَةَ نُفُوسِهِمَا. ولَو قَصَدَا[7]

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) طه: ١٢١.

(٣) الأعراف: ٢١.

(٤) في (أ): يخلف. بالخاء المعجمه من فوق. وهو تصحيف.

(٥) الأعراف: ٢٢.

(٦) في (هـ): قصد. من دون ألف التثنية.

(٧) في (هـ): قصد. من دون ألف التثنية.

القَبُولَ، لَكَانَ ذلكَ قَبِيحاً لَا مَحَالَةَ.

قالَ الحسنُ(١): لَو قَصَدَا ذلِكَ. لَكَانَا كَافرَينِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ﴾(٢).

وكَانَ آدَمُ، وحَوَّاءُ في الجَنَّةِ، وإبليسُ في الأرضِ.

[و](٣) الوَجهُ في ذلِكَ: إنَّهُ وَصَلَتْ وسوَسَتُهُ بِالقُوَّةِ الَّتي خَلَقَها اللهُ لَهُ.

وقالَ أَبُو عَلِيٍّ(٤): إنَّهُمَا كَانَا يَخرُجَانِ إلى السَّماءِ، فَيَلقَاهُما هُنَاكَ.

وقالَ اِبنُ الاخشِيدِ(٥): إنَّهُ خاطَبَهُمَا مِنْ بابِ الجَنَّةِ، وهُمَا فِيهَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾(٦).

---

(١) تنزيه الأنبياء: ١٧. التفسير الكبير: ١٤: ٤٨.

(٢) الأعراف: ٢٠.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) قول أبي عليٍّ هذا في التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٦٢ من دون عزو إلى أحد.

(٥) في (ك) و(هـ): الاخشيذ. بالذال المعجمة. وقول ابن الاخشيد هذا في التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٦٢ من دون عزو إلى أحد.

(٦) طه: ١٢١.

المعـصِيَةُ: مُخَالَفَـةُ الأمِـر. والأمـرُ مِـنَ الله ـ تعـالى ـ يَقَـعُ بَـينَ الوَاجِـبِ، والمَندُوبِ. يُقَالُ: أمَرتُ فُلَانَاً بِكَذا، وكَذَا مِنَ الخَيرِ، فَعَصَانِي[١] [سَوَاءٌ[٢] كَانَ مَـا أمَرَ بِهِ وَاجِبَاً، أو مَندُوباً. وتَركُ النَّفلِ، غيرُ قَبِيحٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَغَوى﴾[٣]].

أي: خَابَ مِنْ حُصُولِ عَظِيمِ الثَّوَابِ، لأكلِ الشَّجَرَةِ.

شاعِرٌ[٤]:

[فَمَنْ يَلْـقَ خَـيْرَاً يَحْمَـدِ النَّـاسُ أمـرَهُ] ومَـنْ يَغـوَلَا يَعـدِم عَـلَى الغـيِّ لَائـمَا

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اهْبِطُوا مِنْها﴾[٥].

عَلَى سَبِيلِ المَصلَحَةِ، لَا الإهَانَةِ. والهُبُوطُ هُوَ النُّزُولُ مِنْ فَـوق إلى أسـفَل، والحُلُولُ مِنَ المَكَانِ، والنُّزُولُ بِهِ، قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْـتُمْ﴾[٦].

---

(١) في (أ): فعصيان.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) طه: ١٢١.

(٤) مضى ذكر هذا البيت و تخريجه في:

(٥) البقرة: ٣٨.

(٦) البقرة: ٦١.

ويُقَالُ: هَبَطنَا بَلَدَ كَذَا. قَالَ زُهَيرٌ[١]:

مازِلــتُ أَرمُقُهُــمْ حَتَّـى إذَا هَبَطَـتْ أَيـدِي المَطِيِّ بِهِـمْ مِـنْ رَاكِـسٍ فَلَقَـا

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[٢].

عَدَاوَةُ إبلِيسَ لآدَمَ، وذُرِّيَّتِهِ، مَشهُورَةٌ. وأمَّـا عَـدَاوَةُ آدَمَ، و المـؤمنينَ مِـنْ ذُرِّيَّتِهِ لإبلِيسَ، فَهيَ وَاجِبَةٌ، لِمَا يَجِبُ عَلَى المؤمنينَ مِنْ مُعادَاةِ الكُفَّارِ المَارِقِينَ عَنْ[٣] طَاعَةِ الله.

وأمَّا إذَا حُمِـلَ الخِطَـابُ عَـلَى آدَمَ، وحَـوَّاءَ، دُونَ غَـيرِ هِمَـا، يُحمَـلُ قولـه: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عَلَى أنَّ المُرَادَ بِهِ الذُّرِّيَّةُ. كَأَنَّهُ قالَ: اِهبِطُوا، وقَـدْ عَلِمـتُ مِنْ أحوَالِ ذُرِّيَّتِكُمْ أنَّ بَعضَهُمْ يُعَادِي بَعضاً.

وعَلَّقَ الخِطَابَ بِهِمَا عَلَى الاختِصَاصِ بَينَ الذُّرِّيَّةِ، وبَينَ أصلِهِم.

***

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب: ٣٧. وفيه: أيـدي الركـاب. ارمقهـم: أنظرهم. راكس: موضع. الفلق: المكان المطمئنّ بين ربوتين.

(٢) البقرة: ٣٦.

(٣) في(ك): مِنْ.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ﴾[1].

قِيلَ: أي: بِأنْ يَغوِيَكُما، لِتُخَالِفَا مَا أَمَرَ اللهُ ـ تعالى ـ بِهِ، وبِعصيَانِهِ، فَتَقتَضِي المَصلَحَةُ ـ حِينَئِذٍ ـ إخرَاجَكُما.

نَسَبَ الإخرَاجَ إلى إبلِيسَ، إذْ كَانَ بِدُعَائِهِ، وإغوَائِهِ.

ومعنى ﴿فَتَشْقى﴾[2]: تَتعَبُ؛ بِأنْ تَأكُلَ مِنْ كَدِّ يَدِكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ﴾[3]، ﴿فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما﴾[4]، ﴿ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما﴾[5].

نَفسُ الإخرَاجِ، وَتَقلِيبُ اللِّبَاسِ، لا يكُونُ عِقَاباً، لأنَّ العُقُوبَةَ، هِيَ الضَّرَرُ، والألَمُ، الوَاقِعَانِ عَلَى سَبيلِ الاستِخفَافِ، والإهَانَةِ ومَنْ تَعَبَّدَ اللهُ ـ تعالى ـ فيهِ بِنِهَايَةِ التَّعظِيمِ، لَا يكونُ مِنَّا، وَمِنهُ ـ تعالى ـ الاستِخفافُ، والإهَانَةُ. وأيُّ

---

(١) طه: ١١٧.

(٢) طه: ١١٧.

(٣) البقرة: ٣٦.

(٤) طه: ١٢١.

(٥) الأعراف: ٢٠.

نَفسٍ تَسكُنُ إلى أنَّ والِدَيها، مُستَخَفٌّ[١]، مُهَانٌ[٢]؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْـجَنَّةِ﴾[٣].

يعني: أغوَى أبَوَيكُمْ آدَمَ، وحَوَّاءَ.

نَسَبَ الإخرَاجَ إليهِ، لَمَّا كانَ بإغوَائهِ. وجَرَى ذلِكَ مجرَى ذَمِّ الله فِرعَونَ، بِأَنَّهُ يُذَبِّحُ أبناءَهُم، والذَّمُّ فِيها رَاجِعٌ إلى فِعلِ المَذمُومِ.

وأكَّدَ بِذِكرِ هذِهِ الصِّفَةِ، لِبَيَانِ مَنزِلَةِ فِعلِهِ في عِظَمِ الفَاحِشَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا﴾[٤].

أي: بَخَسنَا حَقَّنَا مَا كُنَّا نَستَحِقُّهُ مِنَ الثَّوَابِ، بِفِعلِ مَا أُرِيدَ مِنَّا، وهوَ مَعنى قَولِهِ: ﴿فتكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥].

---

(١) الصواب أن يقال: مستخفٌّ بهما. لأنه اسم مفعول من فعل لازم.

(٢) في (ش): يهان. بصيغة المضارعة المبني للمجهول. والصَّوابُ أنْ يقول: مُهَانَان.

(٣) الأعراف: ٢٧.

(٤) الأعراف: ٢٣.

(٥) البقرة: ٣٥.

فالمعنى: الرُّجُوعُ إلى الله، والاعترَافُ بِالتَّقصِيرِ عَنْ حُقُوقِهِ، أوْ بِمعنى: أنَّـهُ حُرِمَ الثَّوابَ المُستَحِقَّ بِفِعلِ الذَّنبِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَتابَ عَلَيْهِ﴾(١).

أي: قَبِلَ تَوبَتَهُ، وضَمِنَ الثَّوَابَ، لأنَّ التَّوبَةَ، غَيرُ مُوجِبَةٍ لإسقاطِ العِقَابِ، وإنَّما يُسقِطُ اللهُ ـ تعالى ـ(٢) العِقَابَ ـ عِندهَا ـ تَفَضُّلاً(٣).

والتَّوبَةُ، هِيَ الرُّجُوعُ، فيجُوزُ أنْ تَقَعَ مِمَّنْ لا يَعهَدُ مِنْ نَفسِهِ قَبيحَاً.

ووَجهُ حُسنِهَا ـ في هذا المَوضعِ ـ إستِحقَاقُ الثَّوابِ بِهَا، أو كَونُها لُطفاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾(٤)، وقولهُ: ﴿أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ﴾(٥).

---

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (أ): تفضيلاً.

(٤) البقرة: ٣١.

(٥) البقرة: ٣٣.

الإِشَارَةُ بِهذِهِ[١] الأَسمَاءِ إِلى جَمِيعِ الأجناسِ مِنَ العُقَلاءِ، وغَيرِهِم. وعَليهِ إِجمَاعُ المُفَسِّرِينَ. ويَشهَدُ بِهِ قَولُهُ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾.

وقوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾، لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالمُسَمَّيَاتِ، لِأَجلِ الكِنَايَةِ[٢].

وقالَ قَومٌ: أَرَادَ أَسمَاءَ المَلائكَةِ خاصَّةً.

وقالَ آخَرونَ: أَرَادَ أَسمَاءَ ذُرِّيَّتِهِ.

وقالَ اِبنُ الاخشيد[٣]: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَالِماً بِسَائِرِ الأَسمَاءِ حَتَّى القَصعَةِ. والقَصِيعَةِ.

وقالَ اِبنُ عَبَّاسٍ[٤]: لَقَدْ تَكَلَّمَ آدمُ بِسَبعَةِ مائةِ / ١١٢/ لُغَةٍ.

يَعني بذلِكَ: حَتَّى مَنطِقِ الطَّيرِ، والحِيتَانِ، والدَّوَابِّ.

وقالَ: في هذهِ الآياتِ سُؤالَاتٌ كَثيرَةٌ، إِلَّا أَنَّ النُّكتَةَ فيها، أَنَّ أَصلَ اللُّغَاتِ، المُوَاضَعَةُ، ثُمَّ التَّوقِيفُ.



(١) في (أ): بهذا.

(٢) في (هـ): الكتابة. بالتاء المثناة من فوق والباء الموحدة من تحت بينهما ألف.

(٣) التّبيان في تفسير القرآن: ١: ١٣٨.

(٤) الدر المنثور: ١: ١٢٠ ـ ١٢١ بلفظ مختلف.

فصل [-٦-]

[في قصة آدم - ع -]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿فتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتابَ عَلَيْهِ﴾[1].

إنَّ آدَمَ - عَلَيهِ السَّلام - رَأى مَكتُوباً عَلَى العَرشِ، فَسَأَلَ عَنهُ، فَقِيلَ لَهُ: هذهِ أسَماءُ مُحَمَّدٍ[2]، وعَلِيٍّ، وفَاطِمَةَ، والحَسَنِ، والحُسَينِ - صَلَوَاتُ الله عَلَيهِم - فَسَأَلَ بِهِمْ رَبَّهُ، وجَعَلَهُم الوَسِيلَةَ في قَبُولِ تَوبَتِهِ، ورَفعِ دَرَجَتِهِ.

والكتَابَةُ تُسمَّى كَلِمَاتٍ عَلَى ضَربٍ مِنَ التَّوَسُّعِ. وإذَا كُنَّا قَد ذَكرنَا أنَّ آدَمَ رَأى كِتَابَةً يَتَضَمَّنُ أنَّها قَومٌ، فَجَائِزٌ أن يُقالَ: إنَّها كَلِمَاتٌ تَلَقَّاهَا، ورَغِبَ إلى الله[3] بِهَا[4].

ويَجُوزُ - أيضاً - أن يكونَ آدَمُ لَمَّا رَأى تِلكَ الكِتابَةَ، سَأَلَ عنها، فقالَ اللهُ لَهُ:

---

(١) البقرة: ٣٧. وفي (أ): تكملة الآية: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٢) (محمّد) ساقطة من (هـ).

(٣) في (ح): الله تعالى.

(٤) في (ك): بهما.

هذهِ أسماءُ مَنْ أكرَمتُهُ، وعَظَّمتُهُ، ورَفعتُ مَنزِلتَهُ، ومن لَا أُسألُ بِهَا إلَّا أَعطيتُ.
وكَانَت هِيَ الكَلِمَاتِ الَّتي تَلقَّاهَا، وانتَفعَ بِهَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾[1].

الأمرُ إنَّما كَانَ لِقَومٍ، لَيسُوا مِنْ نَسلِ آدَمَ، بَلْ للجِنِّ، وغَيرِهِم[2].

وقوله: ﴿خَلَقْناكُمْ﴾: لَمْ يُرِدْ بِهِ الإيجادَ، والإحدَاثَ، وإنْ كَانَ الخِطَابُ لِبَني آدَمَ، وإنَّما أرَادَ ـ تعالى ـ التَّقدِيرَ.

وعَلَى هذا حَمَلُوا قوله: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾[3] يَعني أنَّهُ قَدَّرَها وعَلِمَ كيفيَّتَها، وأحْوَالَهَا. وقَد يَسبِقُ الخَلقُ الإيجادَ والإحدَاثَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4].

والخليفَةُ مَنْ قَامَ مَقَامَ الأوَّلِ في أمرِهِ، مِنْ بَعدِهِ.

---

(١) الأعراف: ١١.

(٢) في (هـ): وغيره. بإضافته إلى الضمير المفرد الغائب.

(٣) الصافَّات: ٩٦.

(٤) البقرة: ٣٠.

ولا يُريدُ بمعنى الإبقَاءِ، بَعدَ مَنْ مَضَى، قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[1] لأنَّ هذا مَنفيٌّ عَنهُ.

سَمَّى آدَمَ خَلِيفَةً، لأنَّه جَعَلَ آدَمَ، وذُرِّيَّتَهُ، خُلَفَاءَ الملائكـةِ، لأنَّ الملائكـةَ، كَانُوا مِنْ سُكَّانِ الأرضِ.

وقال اِبنُ عبَّاسٍ[2]: إنَّه كَـانَ في الأرضِ الجِـنُّ، فَأفسَدُوا فِيها، وسَفَكُوا الدِّمَاءَ، فأهلكَوا، فَجَعَلَ آدَمَ، وذُرِّيَّتَهُ بَدَلهُم.

وقالَ الحسنُ[3]: أرَادَ بذلِكَ قَوماً يَخلُفُ بَعْضُهُم بَعضاً مِـنْ وِلـدِهِ الَّـذينَ يَخلُفُونَهُ في إقَامَةِ الحَقِّ، وعِمَارَةِ الأرضِ.

وقال اِبنُ مَسعُودٍ[4]: أي: مَنْ يَخلُفُني في الحُكمِ بَينَ الخَلقِ، وهوَ آدَمُ، ومَـنْ قَامَ مَقَامَهُ.

وقيلَ: إنَّهُ يَخلُفُني في إثبَاتِ الزَّرعِ، وشَقِّ الأنهَارِ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِـنْ قَبْـلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَـهُ

---

(١) يونس: ١٤.

(٢) جامع البيان: ١: ١٩٩. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٧٤. الدر المنثور: ١: ١١١.

(٣) جامع البيان: ١: ٢٠٠ وفيه: «وهذا قول حُكِيَ عن الحسن البصريّ». أيضاً: مجمع البيان: ١: ٧٤.

(٤) جامع البيان: ١: ٢٠٠.

عَزْماً﴾ (١).

قال اِبنُ عَبَّاسٍ(٢)، ومُجَاهِدٌ(٣): مَعنَاهُ عَهِدَ اللهُ [إليهِ](٤) بأن أمَرَهُ بِهِ، وَوَصَّاهُ.

ونَسِيَ: أي: تَرَكَ.

وقيلَ: إنَّما أُخِذَ «الإنسانُ» مِنْ أنَّهُ عُهِدَ إلَيهِ، فَنَسِيَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (٥).

أي: عَقداً ثابِتاً عَلَى المَعصِيَةِ.

وقالَ قَتَادَةُ(٦): صَبراً.

وقالَ عَطِيَّةُ(٧): أي: لَمْ نَجِدْ لَهُ(٨) حِفظاً.

***

(١) طه: ١١٥.

(٢) جامع البيان: ١٦: ٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣٣.

(٣) جامع البيان: ١٦: ٢٢. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٥١.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) طه: ١١٥.

(٦) جامع البيان: ١٦: ٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣٢. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٥١.

(٧) جامع البيان: ١٦: ٢٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣٢. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٥١.

(٨) العبارة: (أي لم نجد له) ساقطة من (ح).

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما﴾[(١)].

غَيرُ رَاجِعَةٍ إلى آدَمَ، وحَوَّاءَ، بَلْ إلى الذُّكُورِ، والإنَاثِ مِنْ أولَادِ هِمَا، أو إلى جِنسَينِ، مِمَّنْ اِشتركَ مِنْ نَسلِهِمَا، وإن كانَتِ الكِنَايَةُ الأولى، تَتَعَلَّقُ بِهِمَا، ويكُونُ تَقديرُ الكَلامِ: فَلَمَّا آتَاهُمَا الوَلَدَ الصَّالِحَ الَّذي تَمَنَّيَاهُ[(٢)]. جَعَلَ شِركَ أولِادِهِمَا إلى غَيرِ الله[(٣)].

يؤيِّدُ ذلكَ قولُهُ: ﴿فَتَعالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٤)]، ويَدُلُّ ـ أيضاً ـ عَلَى ذلِكَ ما تَقدَّمَ مِنْ قولهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[(٥)].

ثُمَّ أنَّ الكِنَايَةَ[(٦)] ـ في جَميعِهَا ـ مُتَعَلِّقَةٌ بِآدَمَ، وَحَوَّاءَ، ويُجعَلُ «الهَا» في: ﴿تَغَشَّاها﴾[(٧)]، والكِنَايَةُ في: ﴿اللهَ رَبَّهُما﴾[(٨)]، و﴿آتاهُما صالِحاً﴾[(٩)]، راجِعَتينِ إلى مَنْ أشرَكَ.

---

(١) الأعراف: ١٩٠.

(٢) في (أ): تمنَّيا. من دون الضمير (الهاء).

(٣) في (ح): الله تعالى.

(٤) الأعراف: ١٩٠.

(٥) الأعراف: ١٨٩.

(٦) في (هـ): الكتابة. بتاء مثناة من فوق وباء موحدة من تحت بينها ألف.

(٧) الأعراف: ١٨٩.

(٨) الأعراف: ١٨٩.

(٩) الأعراف: ١٩٠.

ولَمْ يَتَعلَّقْ بِآدَمَ مِنَ الخِطَابِ إلَّا قَولُهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾[1]. ثُمَّ خَصَّ مِنهَا بَعضَهُمْ[2]، لِقولِهِ[3]: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[4].

و«الهاءُ» في قَولِهِ: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ﴾[5] راجعَةٌ إلى الوَلَدِ لَا إلى الله ـ تعالى ـ[6]. ويَكُونُ المَعنى: إنَّهما طَلَبَا[7] مِنَ الله أمثالاً لِلوَلَدِ الصَّالِحِ، فَأشركَا بَينَ الطَّلَبِ اِثنَينِ، كقولِكَ: طَلَبتَ[8] مِنِّي دِرهَماً، فَلَمَّا أعطَيتُهُ، شَرِكتَهُ بِآخَرَ. أي: طَلَبتَ آخَرَ مُضَافاً إليهِ، وتكونُ الكِنَاياتُ[9]، رَاجِعَةً إلى آدمَ.

وقيلَ: ﴿فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً﴾[10] مُضَافاً إلى الوَجهِ المُقَدَّمِ، الَّذي هُوَ: أرَادَ بِالصَّلَاحِ: الاستِوَاءَ في الخِلقَةِ، والاعتِدَالَ في الأعضاءِ.

***

---

(١) الأعراف: ١٨٩.

(٢) في (أ): بعضكم.

(٣) في النسخ جميعها: كقولِهِ. وما أثبتناه هو الموافق للصواب.

(٤) يونس: ٢٢.

(٥) الأعراف: ١٩٠.

(٦) (تعالى) ساقطة من (هـ).

(٧) في (ح): طلبا له.

(٨) في (هـ): طلب. من دون تاء المخاطب.

(٩) في (هـ): الكناية. بصيغة المفرد.

(١٠) الأعراف: ١٩٠.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ [١].

إنَّ «هَابِيلَ»، لَمْ يُرِدْ مِنْ أخِيهِ قَبِيحاً، ولَا أرَادَ أنْ يَقتُلَهُ، وإنَّما أرَادَ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾ [٢] بِجَزَاءِ مَا أقدَمتَ عَلَيهِ مِنَ القَبيحِ، وعِقَابِهِ[٣].

وقولهُ: ﴿بِإِثْمِي﴾ [٤] أي: عُقُوبَةِ إثمِي، الَّذي هُوَ قَتلِي، كقولِ القَائلِ للمُجرِمِ: هذا مَا كَسَبَتْ يَدَاكَ. والمعنى: هذا جَزَاءُ مَا كَسَبَتْ يَدَاكَ. وقَولِهِمْ: لَقَّاكَ اللهُ عَمَلَكَ، وسَتَلقى عَمَلَكَ يومَ القِيامَةِ. المعنى: جَزَاءُ عَمَلِكَ.

﴿بِإِثْمِي﴾: عِقَابُ قَتلِكَ لي. ﴿وَإِثْمِكَ﴾ [٥]: أي: عِقَابِ المَعصِيَةِ، الَّتي أقدَمتَ عَلَيها مِنْ قَبلُ، فَلَمْ يُتَقَبَّلْ قُربانُكَ لِسَبَبِهَا.

أي: أرِيدُ: زَوالَ[٦] أنْ تَبُوءَ بِإثمي، وإثمِكَ. لأنَّهُ لَمْ يُرِدْ لَهُ إلَّا الرُّشدَ، والخَيرَ.

فَحَذَفَ «الزَّوَالَ»، وأقَامَ «أنْ» ومَا اتَّصَلَ بِهِ مُقَامَهُ، كقَولِهِ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي

---

(١) المائدة: ٢٨.

(٢) المائدة: ٢٩.

(٣) في (أ): عقايد. وهو تحريف.

(٤) المائدة: ٢٩.

(٥) المائدة: ٢٩.

(٦) في (ك) و(أ): زوالي.

قُلُوبِهِمُ الْـعِجْلَ بِكُفْـرِهِمْ﴾(١). أرَادَ: حُـبَّ العِجـلِ، فَحَـذَفَ «الحُـبَّ»، وأقَـامَ ﴿الْـعِجْلَ﴾ مُقَامَهُ، كَقَولِهِ: ﴿وَسْئَلِ الْـقَرْيَةَ﴾(٢).

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾(٣). أي: أريدُ ألَّا تَقتُلَني، وَلَا تَبُوءَ بِإثمي. فَحَذَفَ «لا»، واكتَفَى بِمَا في الكَلامِ، كَمَا قالَ: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾(٤). مَعنَاهُ: لِئلَّا تَضِلُّوا. كَقَولِهِ: ﴿وَأَلْـقى فِي الأَرْضِ رواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾(٥). معنَاهُ: لِئلَّا تَمِيدَ بِكُمْ.

خَنسَاءُ(٦):

فَأقْسَمْتُ آسَى عَلَى هَالِكٍ وَاسْأَلُ نَائحَةً مَا لَهَا

أرَادَتْ: لَا آسَى(٧).

❁❁❁

---

(١) البقرة: ٩٣.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) المائدة: ٢٩.

(٤) النساء: ١٧٦.

(٥) النحل: ١٥.

(٦) ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ٨٠. وفيه: «يَدَ الدَّهْرِ آسى...» وفيه إشارة إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا.

(٧) ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ٨١.

فصل [-٧-]

[في قصة ادريس وعيسى ونوح -ع-]

قَوْلُهُ - تَعالى -: ﴿وَرَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا﴾ (١).

اِستَدَلَّ بَعضُهُمْ في رَفعِ إدريسَ - عَلَيهِ السَّلام - بِهذِهِ الآيةِ، وفي [رفعِ](٢) عِيسَى - عَلَيهِ السَّلام - بِقَولِهِ: ﴿وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ (٣) والله أعلَمُ بذلِكَ.

إلَّا أنَّهُ لا يُقَالُ(٤): رَفعتُ فُلاناً السَّطحَ. أو: رَفعتُهُ مَكَاناً عالِياً. وإنَّما يُقَالُ: رَفَعتُهُ إلى السَّطحِ، وإلى مكانٍ عَالٍ.

ولأنَّ رَفعَ الشَّيءَ إلى العُلُوِّ، لَيسَ بِمَدحٍ، ولَا شَرَفٍ. ولَو كانَ كذلِكَ لَكَانَ مَنْ عَلَا جَبَلاً، أرْفَعَ حَالاً مِمَّنْ هُوَ في الحَضِيضِ.

وإنَّما المُرَادُ(٥) بِهِ المَوْتُ، لِقَولِهِمْ في وَفَاةِ الرَّجُلِ: دَعَاهُ اللهُ فأجَابَه.

---

(١) مريم: ٥٧.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) النساء: ١٥٧، ١٥٨.

(٤) في (هـ): يقول. بصيغة المبني للمعلوم.

(٥) في (هـ): أرَادَ.

قَـضَى[١] نَحبَهُ. رَفَعَهُ[٢] اللهُ إليهِ.

يَدُلُّ عَـلَى ذلِـكَ قولُـهُ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيـكَ وَرافِعُـكَ إِلَيَّ﴾[٣]، وقَـدْ جَمَـعَ بـينَ اللَّفظَتين، كَقَولِهِ: ﴿بِالْـمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾[٤].

قال المُرتَضَى: مَعنَاهُ أَنَّهُ تَوَفَّاهُ في الأرضِ[٥]، ثُمَّ رَفَعَهُ إلى السَّماءِ، وقَالُوا: إنَّهُ مِنَ المُقَدَّمِ، والمؤَخَّرِ. والمعنى: رَافِعُكَ إلى السَّماءِ، ثُـمَّ أَتَوَفَّـاكَ بَعـدَ ذلِـكَ. يَعنـي عِيسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

وَكَـانَ الجُبَّائي[٦] يَستَدِلُّ بِقَولِـهِ ـ حِكَـايَةً عَـنْ عِيسـى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٧]: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[٨]. أنَّ[٩] فِيها دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُ ـ تعالى ـ أَمَاتَ عِيسى، وتَوَفَّاهُ إليهِ عِندَ مَا رَفَعَهُ إليهِ، لأَنَّهُ بَيَّنَ أَنَّهُ كانَ شَهِيَداً عَلَيهِم مَـا دامَ فِـيهِمْ، فَلَـمَّا تَوَفَّـاهُ اللهُ، كَـانَ اللهُ، هُـوَ الرَّقِيـبَ

(١) في (ح): وقضى. مَعَ الواو.

(٢) في (ح): وَرفَعهُ. مَعَ الواو.

(٣) آل عمران: ٥٥.

(٤) التوبة: ١٢٨.

(٥) في (ش): أرض.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٢٦٩. أيضاً التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٦٩.

(٧) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٨) المائدة: ١١٧.

(٩) في (ح): فإنَّ. مَعَ الفاء.

الشَّهيدَ عَلَيهم.

وأجابَهُ الطُّوسيُّ[١]: إنَّ الَّذي ذَكَرَهُ، لَا يَدُلُّ عَلَى أنَّهُ أمَاتَهُ، لِأنَّ «التَّوفِّي»[٢] هُوَ القَبْضُ إليهِ، ولا يُستَفَادُ مِنهُ المَوتُ إلَّا بِشَاهَدِ الحالِ، ولذلكَ قالَ: ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها**﴾[٣]. فَنفسُ «التَّوَفِّي» لا يُفيدُ المَوتَ بِحَالٍ، والصَّحيح ـ في موتِهِ ـ ما تَقَدَّمَ ذِكرُهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ في قِصَّةِ نُوحٍ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿**إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ**﴾[٤].

الجَمعُ بينَهُ، وبَينَ قولِهِ: ﴿**إِنَّهُ لَيسَ مِنْ أَهْلِكَ**﴾[٥] لَمْ يَتَنَاوَلْ نَفيَ النَّسَبِ، وإنَّما نَفَى أنْ يَكُونَ مِنْ أهلِهِ الَّذينَ كَانَ وَعَدَهُ بِنَجَاتِهِم، كَقَولِهِ: ﴿**احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...**﴾ الآيةُ[٦].

يُوضِحُهُ قوله: ﴿**وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ**﴾[٧].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) في (ك) و(أ): التَّوفِّي التَّفوي. وهو تحريف.

(٣) الزُّمر: ٤٢.

(٤) هود: ٤٥.

(٥) هود: ٤٦. والعبارة في (ح): الجمع بين (إنَّهُ ليس مِنْ أهلِكَ وبينه أنَّهُ لم يتناول...

(٦) هود: ٤٠.

(٧) هود: ٤٥.

وقَولٌ آخَرُ: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[١] أي: عَلَى دِينِكَ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيهِ السَّلام-[٢]: سلمَانُ مِنَّا أهلَ البَيتِ[٣].

يَدُلُّ عَلَى ذلكَ قولُهُ عَلَى سَبيلِ التَّعلِيلِ: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾[٤]. ويُقالُ: إنَّهُ قالَ[٥] -عَلَى الظَّاهِرِ-: «إنَّه ابني». وإنَّما كانَ وُلِدَ عَلَى فِراشِهِ[٦]، والله -تعالى- أطلَعَ نَبِيَّهُ عَلَى خِيانَةِ امرَأتِهِ.

ذَكَرَهُ الحَسَنُ[٧]، ومُجاهِدُ[٨]، وابنُ جُرَيجٍ[٩]. وهذا سَقِيمٌ.

***

قَوْلُهُ -سُبْحانَهُ-: ﴿فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾[١٠]. ثُمَّ قالَ نُوحٌ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ

---

(١) هود: ٤٦.

(٢) في (أ): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وسلَّم.

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢: ٦٤ بلفظه. أمالي الصدوق: ٢٢٤. باختلاف في اللفظ يسير.

(٤) هود: ٤٦.

(٥) (قال) ساقطة من (أ).

(٦) في (أ): من اشه. وهو تحريف.

(٧) جامع البيان: ١٢: ٤٩ - ٥٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٤٦.

(٨) جامع البيان: ١٢: ٥٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٤٦.

(٩) جامع البيان: ١٢: ٥٠. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٤٦.

(١٠) هود: ٤٦.

وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْـخاسِرِينَ﴾[1]. ولَيسَ بِمُمتَنِعٍ أن يَكُونَ نَهى عَن سُؤالِ ما لَيسَ لي بِهِ عِلمٌ، ويُتَعَوَّذُ[2] مِنهُ، وإِنْ لَمْ يَقَع مِنهُ، كَمَا قال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْـتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[3]. ولَا شَكَّ في أنَّ وعظَهُ، هُوَ الصَّارِفُ عَنِ الجَهلِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾[4].

مَعَ وُقوعِ هذا النُّـصحِ اِستِظهَاراً في الحُجَّـةِ، لأنَّهُـم ذَهبُـوا إلى أَنَّـهُ لـيسَ بِنُصحٍ، فقالوا: لَوْ كَانَ نُصحاً مَا نَفَـعَ مَـنْ لَا يَقبَلُـهُ. وكـانَ نُـصحُ نُـوحٍ لِقَومِـهِ، إعلامَهُم مَوضِعَ الغَيِّ، لِيَتَّقُوهُ، وموَضِعَ الرُّشدِ، لِيَتَّبِعُوهُ.

وقال البلخيُّ[5]: إنَّ قَومَ نُوحٍ، كانُوا جَبرِيَّةً، ولَولا ذلكَ لَغَيَّرَهُ، فقالَ نُـوحٌ ـ عَلَى وَجهِ الإنكارِ عَلَيهم، والتَّعَجُّبِ مِـنْ قَـولِهِم ـ: إنَّ نُـصحي لا يَـنفَعُكُمْ، إنْ كانَ القَولُ كَمَا تَعتَقِدُونهُ: إنَّ المَعَاصيَ يُريدُها الله ـ تعالى ـ.

***

---

(١) هود: ٤٧.

(٢) في (أ): يتعوَّد. بالدال المهملة.

(٣) الزُّمر: ٦٥.

(٤) هود: ٣٤.

(٥) قول البلخيِّ هذا منسوب في مجمع البيان: ٣: ١٥٨ إلى جعفر بن حرب أحدِ شيوخ المعتزلة.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[١].

أي: نَذُمُّكُم عَلَى سُخرِيَتِكم. أطلَقَ عَلَيهم لَفظَ[٢] «السُّخرِيَة» عَلَى وَجهِ الازدِوَاجِ، كَمَا قال: ﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾[٣].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قالَ رَبِّ / ١١٤/ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلّا فِراراً﴾[٤].

أي: لَمْ يَزدادُوا بِدُعائي إلَّا فِرَاراً مِنْ قَبولِهِ، وبَعدَ اِستِماعِهِ.

وإنَّما سمَّى كفرَهُم ـ عِندَ دُعَائِهِ ـ زيادَةً في الكُفرِ، لأنَّهم عَلَى كُفرٍ[٥] بالله، وضَلَالٍ عَنْ حَقِّهِ، فَلَمَّا دَعَاهُم نُوحٌ إلى الحَقِّ، ولَمْ[٦] يَقبَلُوهُ، كانَ زِيادَةً في الكُفرِ.

وقيلَ: إنَّما جَازَ أن يَكُونَ الدُّعاءُ إلى الحَقِّ، يَزيدُ النَّاسَ فِرَاراً مِنهُ، الجَهلَ الغَالِبَ عَلَى النَّفسِ، فَتَارَةً تَدعُوهُ[٧] إلى الفِرارِ مِمَّا يُنافِرُهُ، وتارَةً يَدعُو إلى الفَسَادِ

(١) هود: ٣٨.

(٢) في (ح): اسم السخرية.

(٣) التوبة: ٧٩.

(٤) نوح: ٥، ٦.

(٥) في (ش) و(هـ) و(أ): كفرهم. مَعَ الضمير (هم).

(٦) في (ش): فلم. مَعَ الفاء.

(٧) في (أ): تدعوا. من دون الضمير (الهاء).

الَّذي يُشاكِلُهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً...﴾ [1] إلى قوله: ﴿...كَفَّاراً﴾ [2].

ولَمْ يَكُنْ نُوحٌ يَعلَمُ الغَيبَ.

قال قَتَادةُ[3]: مَا دَعَا عَلَيهِم إلَّا بَعدَ أن أنزَلَ اللهُ عَلَيه[4]: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [5] فَلِذلِكَ قالَ: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ﴾ [6]، يعني: إن تَرَكتَهم، ولا تُهلِكْهُم ﴿يُضِلُّوا عِبادَكَ﴾ [7] عَنِ الدِّينِ، بالإغوَاءِ [عَنهُ، والدُّعَاءِ إلى] [8] خِلَافِهِ ﴿وَلا يَلِدُوا إِلّا فاجِراً كَفَّاراً﴾ [9].

---

(١) نوح: ٢٦.

(٢) نوح: ٢٧.

(٣) جامع البيان: ٢٩: ١٠١. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٢٦٥. الدر المنثور: ٨: ٢٩٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣١٢.

(٤) في (ش) و(ك): عليهم. وهي مشطوبة في (أ).

(٥) هود: ٣٦.

(٦) نوح: ٢٧.

(٧) نوح: ٢٧.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٩) نوح: ٢٧.

[إنّما][١] قالَ ذلِكَ بَعدَ أنْ جازَ تَسميتُهُمْ بِالكُفرِ، والفُجُورِ، لِوَجهِ الحِكايةِ، والإخبَارِ بِمَا[٢] يَكُونُ مِنهُمْ عَلَى ما أوحَى إليهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تُخاطِبْني فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[٣].

نَهاهُ[٤] أنْ يُخاطِبَهُ، ويَسألَهُ في أمرِهِمْ، لأنَّهُ حَكَمَ بِإهلَاكِهِمْ، وأخبَرَ أنَّهُ سَيُغرِقُهُم، ولا يَكُونُ الأمرُ عَلَى ما أخبَرَ بِهِ. ولَا يَجُوزُ أنْ يَدعُوَ بِمَا يَعلَمُ أنَّهُ لا يَكُونُ، ولَا أنْ يَرضَى بِاختِيَارِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا﴾[٥].

قالَ الطُّوسيُّ[٦]: إنَّما دَعَاهُ إلى الرُّكُوبِ مَعَ أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ نَهَاهُ[٧] أنْ يَركَبَ

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) في (ش) و(أ): فمّا.

(٣) هود: ٣٧.

(٤) في (ش): نَهَى. من دون الضمير (الهاء).

(٥) هود: ٤٢.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٩١.

(٧) في (أ): بها. وهو تحريف.

فِيها كَافِرٌ، بِشَرطِ أنْ يُؤمِنَ.

وقالَ الجُبَّائيُّ[1]، والحسنُ[2]: إنَّهُ كَانَ يُنَافِقُ بِإظهَارِ الإيمانِ.



(١) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٩١.

(٢) مجمع البيان: ٣: ١٦٤. أيضاً: التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٩١. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٤٥.

فصل [ـ ٨ ـ]

[في قصة إبراهيم ـ ع ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ في قصَّةِ إِبرَاهيمَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْـلُ رَأى كَوْكَباً﴾ (١).

أي: الزُّهْرَةَ.

﴿قالَ هذا رَبِّي﴾ (٢) عَلَى وَجهِ الاستِخبَارِ، وكذلكَ في الشَّمسِ: والقَمرِ، لأَنَّه وَجَدَ قَومَهُ يَعبُدُونَها. فلَمَّا رأى أفُولَهَا قَطعَ عَلَى حُدُوثِها، فقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٣) مِنْ بُطلانِ دِينِهِم.

وإنَّما قالَ: ﴿هذا رَبِّي﴾ فَارِضاً، ومُقَدِّراً عَلَى سَبيلِ الكُفرِ، لَا مُخبِراً، وأنَّهُ أخبَرَ عَنْ ظَنِّهِ، كَما يَظُنُّ المُتأمِّلُ في حالِ نَظَرِهِ ذِكرَ مَا لَا أصلَ لَهُ، ثُمَّ يَرجِعُ عَنهُ بِالأدِلَّةِ، ولا يَكُونُ ذلكَ مِنهُ قَبيحاً.

---

(١) الأنعام: ٧٦.

(٢) الأنعام: ٧٦.

(٣) الإنعام: ٧٨.

وإنَّما قالَ عَلَى سَبيلِ الإنكارِ عَلَى قَومِهِ، والتَّنبيهِ لَهُم، فَقَولُهُ: ﴿هذا رَبِّي﴾. أي: هُوَ كذلِكَ عِندَكُم. كَما تَقُولُ للمُشَبِّهَةِ: هذا رَبُّهُ جِسمٌ يَتَحَرَّكُ، ويَسكُنُ.

﴿هذا رَبِّي﴾ : قالَ ذلِكَ مُستَفهِماً ، وأسقَطَ حَرفَ الاستِفهَامِ . قالَ الأخطَلُ(١):

كَذَبَتكَ عَينُكَ أمْ رَأيتَ بِواسِطٍ غَلَسَ الظَّلامِ مِنَ الرَّبابِ خيَالَا

قالَ اِبنُ عَبَّاسٍ(٢): ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾(٣) هُوَ: أفَلَا اِقتَحَمَ العَقَبَةَ؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾(٤).

هذا الخَبَرُ مَشرُوطٌ، غَيرُ مُطلَقٍ، لِقَولِهِ: ﴿إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾(٥)، والنُّطقُ، مُستَحِيلٌ عَلَى الأصنَامِ، فَما عُلِّقَ بِهذا المُستَحيلِ مِنَ الفِعلِ ـ أيضاً ـ [فهوَ](٦)

---

(١) شرح ديوان الأخطل التَّغلبي: ٣٨٥.

(٢) قول ابن عباس هذا مروي في جامع البيان: ٣٠: ٢٠٢ عن ابن زيد، وكذا في الدر المنثور: ٨: ٥٢٣. وهو في مجمع البيان: ٥: ٤٩٤ مروي عن ابن زيد والجبائي وأبي مسلم. وفي الجامع لأحكام القرآن: ٢٠: ٦٦ عن ابن زيد وجماعة من المفسِّرين.

(٣) البلد: ١١.

(٤) الأنبياء: ٦٢، ٦٣.

(٥) الأنبياء: ٦٣.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

مُستَحيلٌ.

﴿فَسْئَلُوهُمْ﴾ [١]: إنَّما هُوَ أمرٌ بِسُؤالِهِمْ عَلَى شَرطٍ، والنُّطقُ مِنهُم شرطٌ في الأمرَينِ. فكأنَّهُ قالَ: إن كانُوا يَنطقُونَ، فاسألوهُم. فإنَّهُ لا يَمتَنِعُ أن يَكُونَ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم. كَقَولِ القَائلِ لِغَيرِهِ: مَنْ فَعَلَ هذا الفِعلَ؟ فيَقُولُ: زَيدٌ إن كَانَ فَعَلَ كذا، وكذا. يُضِيفُهُ إلى زَيدٍ مِن غَيرِ حَقِيقَةٍ، ويَكُونُ غَرَضُ [٢] المسؤُولِ نَفيَ الأمرَينِ عَن زَيدٍ، وتَنبِيهَ السَّائلِ عَلَى خَطِيئتِهِ في إضَافَةِ مَا أضافَهُ [٣] إلى زَيدٍ.

وقَرَأ بَعضُهُمْ [٤]: فَعَلَّهُ [٥]. أي: فَلَعَلَّهُ.

شَاعِرٌ [٦]:

يَـا أبَتَـا عَلَّـكَ أوْ عَسَـاكَا

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [٧].

---

(١) الأنبياء: ٦٣.

(٢) في (أ): عرض. بالعين المهملة.

(٣) في (أ): أضاف. من دون الضمير (الهاء).

(٤) (بعضهم) تكررت في (هـ).

(٥) تنزيه الأنبياء: ٢٦ وقد نسب هذه القراءة إلى محمد بن علي السهيفع اليمانيّ. وفي الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٣٠٠ منسوبة إلى إبن السميقع.

(٦) هو رُؤبة بن العَّجاج. انظر ديوان رؤبة بن العجّاج: ١٨١.

(٧) الصّافّات: ٨٨، ٨٩.

يَحتَمِلُ أَنَّهُ شَخَصَ بِبَصَرِهِ إلى السَّماءِ، أو إلى الأرضِ ـ لأنَّ النُّجومَ، تَكُونُ الكواكِبَ، والنَّباتَ ـ كَالمُفَكِّرِ، المُتَأَمِّلِ.

وقِيلَ: أي: نَظَرَ، وفَكَّرَ[1].

ثُمَّ أَنَّهُ قالَ: ﴿فِي النُّجُومِ﴾ ولَمْ يَقُل: في عِلمِ النُّجُومِ

وقيلَ: أرَادَ مَا نَجَمَ مِنْ رَأيِهِ.

وقيلَ: أرَادَ الشَّمسَ، والقَمَرَ، لَمَّا ظَنَّ أَنَّهُمَا آلِهَةٌ في حَالِ مُهلَةِ النَّظَرِ، ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ حَدُوثَهُ بِالدِّلالَةِ. قالَ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: لَستُ عَلَى يَقينٍ منَ[2] الأمرِ. وهذا كَلامٌ ضَعيفٌ.

وقولهُ: ﴿سَقِيمٌ﴾ يَحتَمِلُ أَنَّهُ كَانَتْ بِهِ عِلَّةٌ تَأتيهِ في أوقاتٍ مَخصُوصَةٍ، فَلَمَّا دَعوهُ إلى الخُرُوجِ مَعَهُم. نَظَرَ إلى النُّجُومِ، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: مُشَارِفٌ. كَما يُقَالُ: هُوَ مَيِّتٌ. أي: مُشَارِفٌ. قالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[3].

ويَجوزُ أنْ يكونَ اللهُ ـ تعالى ـ[4] أوحَى إليهِ أَنَّهُ سَيَمتحِنُهُ بِالمَرَضِ في وقتٍ مُستَقبَلٍ، وجَعَلَ لَهُ بِالنُّجُومِ، فَلَمَّا وَجَدَهَا في النُّجُومِ، قالَ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ تَصدِيقاً لِلوَحي.

---

(١) في (أ): فكرهم. مَعَ الضمير (هم).

(٢) (مِنْ) ساقطة من (ح).

(٣) الزّمر: ٣٠.

(٤) (تعالى) ساقطة من (ح).

ويُقَالُ: إنَّ مَنْ كانَ آخِرَه المَوتُ، فَهوَ / ١١٥/ سَقِيمٌ.

ويُقَالُ: إنِّي[١] سَقِيمُ القَلبِ، والرَّأي[٢] مِنْ كُفرِ القَومِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٣].

«مَنْ»[٤] بِمَعنى: «مَا»، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا في النَّارِ. أي: بُورِكَتِ النَّارُ. مِثلُ قولِهِ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ﴾[٥]، وقولِهِ: ﴿وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ﴾[٦]. أي: البَهَائمَ.

ومعنىً آخَرُ: إنَّهُ عَنَى[٧] الدُّنُوَّ. يُقَالُ: وَرَدنَا بَلَدَ كَذَا. ولَم نَدخُلها. [وَقَد صَارَ فُلَانٌ في المَاءِ][٨]، وقَد صَارَ في النَّارَ. أي: قَرُبَ.

***

(١) في (أ): أين. وهو تحريف.

(٢) في (أ): أو الرأي.

(٣) النَّمل: ٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ١٥٩.

(٥) النور: ٤٥.

(٦) الحجر: ٢٠.

(٧) في (هـ): أغنى. بالهمزة بعدها غين معجمة.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فما لَبِثَ أنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ (١).

العَقلُ لَمْ يَكُنْ مانِعاً مِنْ أكلِ الملائكَةِ الطَّعَامَ، وإنَّما عُلِمَ ذلكَ بِالإجْماعِ، و إلّا كَانَ يجوزُ أنْ يَكُونَ قَدَّمَ إليهِم الطَّعَامَ، وَمَعَ عِلْمِهِ بأنَّهُم مَلَائكَةٌ. وَيَجوزُ أنْ يَأكُلوهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً﴾ (٢).

وَصَفَ دِينَ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِأنَّهُ مِلَّةُ إِبراهِيمَ تَرغِيباً فيهِ لِلعَرَبِ لِجَلالَةِ إبراهيمَ في نُفُوسِهِم.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾ (٣) .

عَيَّرَ قَومَهُ بِعَبَادَةِ الأصنَامِ، وإنَّما أرَادَ المَنحُوتَ دونَ عَمَلِهِمْ، لأنَّهم إنَّما كَانُوا يَعبُدُونَ الأصنَامَ، ولَمْ يكُونُوا يَعبُدُونَ النَّحتَ الَّذيْ هُوَ فِعلُهُم. وقَد

---

(١) هود: ٦٩، ٧٠.

(٢) الأنعام: ١٦١.

(٣) الصَّافات: ٩٥، ٩٦.

شَرَحناهُ في باب العَدلِ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِي حَـاجَّ إِبْـراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتـاهُ اللهُ الْـمُلْكَ...﴾ الآيةُ[1].

لَيسَ انتِقالُ إبراهيمَ مِنْ حُجَّةٍ إلى حُجَّةٍ، لِعَجـزِهِ، وإنَّـما عَـدَلَ عَـنْ ذلِـكَ لِكَيلا يَلتَبِسَ عَلَى الحاضِرينَ، ولَمْ تَقوَ الشُّبهَةُ.

ويُقَالُ: إنَّهُ دَعَا بِرَجُلَينِ[2]، فَقَتَلَ أحدَهُمَا، واستَحيَا الآخَرَ، فَقَـالَ ـ عِنـدَ ذلِكَ ـ: أنَا أُحيي، وأُميتُ. ومَوَّهَ بِذلِكَ عَلَى مَنْ بِحَـضرَتِهِ، فَعَـدَلَ إبـراهيمُ عَـنْ ذلكَ إلى مَا هُوَ أبعَدُ مِنَ الشُّبهَةِ.



(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) في (ح): بِرَحلينِ.

فصل [ـ ٩ ـ]

[في قصَّة إبراهيم ـ ع ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْـمَوْتى﴾[1].

إنَّما سَأَلَ ذلكَ، لِيَعلَمَ على وَجهٍ يَبعُدُ مِنَ الشُّبهَةِ، وإن كانَ قَد عَلِمَ ذلكَ بِالدَّليلِ. يُوضِحُهُ قَولُه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2].

وإنَّما سَأَلَ ذلِكَ لِقَومِهِ، لِتَزُولَ شبَهتُهم[3]، كَما سَأَلَ مُوسَى الرُّؤيَةَ لِقَومِهِ. وقالَ الرِّضا[4] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أوحَى إلى إِبراهيمَ: أَنِّي مُتَّخِذٌ مِنْ عِبَادي خَلِيلاً إن سألَني إحيَاءَ المَوتَى، أجَبتُهُ. فَوقَعَ في نَفسِ إِبراهيمَ أَنَّهُ ذلِكَ الخَليلُ، فقالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْـمَوْتى﴾.

وقالَ لَهُ نَمرُودُ: أنتَ تَزعُمُ أنَّ ربَّكَ يُحيي الموتى، وأنَّهُ أرسلَكَ لتَدعُوني إلى

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) في (ك) و(أ) و(ح): شُبَهُهم. بصيغة جمع التكسير.

(٤) عيون أخبار الرِّضا: ١: ١٩٨.

عِبَادتِهِ، فَاسأَلهُ أن يُحيِيَ لَنَا [مَيتاً إنْ كانَ عَلَى ذلِكَ قَادِراً، فَإنْ لَم يَفعَلْ، قَتَلْتُكَ.

فَقَالَ إبراهيمُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ] [1] الْمَوْتَى﴾.

ما قَالَ: أولَمْ تكُنْ قَدْ آمَنتَ؟ بَلْ قَالَ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ [2]؟ إنْ كَانَ اللَّفظُ، لَفظَ الاستِقبَالِ، فَإنَّهُ يُرِيدُ بِهِ المَاضي، كَمَا يَقُولُ [3] الوَاحِدُ مِنَّا لِصَاحِبِهِ: أَوَلَم تُعَاهِدني عَلَى كذَا، وتُعَاقِدني عَلَى أنْ تَفعَلَ كَذا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [4]، وقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [5].

وَجهُ اِستِثنَائهِ لأبيهِ مِنْ جُملَةِ مَا أمَرَ اللهُ ـ تعالى ـ بالتَّأسِّي فيهِ، أَنَّهُ لَوْ أطلَقَ الكَلَامَ، لَأَوْهَمَ الأمْرُ بِالتَّأسِّي بِهِ في ظَاهِرِ الاستِغفَارِ، لِلكُفَّارِ. واستِثناءُ الاستِغفَارِ مِنْ جُملَةِ الكَلَامِ لِهذا الوَجهِ.

ولأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا أظهَرَهُ لإبراهِيمَ مِنَ الإيمانِ ووَعدُهُ بِهِ، مَعلُوماً لِكُلِّ أحَدٍ،

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) في (ش): تقول. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) مريم: ٤٧.

(٥) الممتحنة: ٤.

يَزُولُ الإشكَالُ في أنَّهُ اِستَغفَرَ لِكَافِرٍ، وأنَّهُ اِستِثناءٌ مِنَ التَّأسِّي مِنَ الجُملَةِ الثَّانيةِ، الَّتي يَعقِبُها هذا القَولِ بِلَا فَصلٍ، وهيَ قولُهُ: ﴿إِنَّا بُرَآؤُا مِنكُمْ﴾[1].

وإنَّهُ إنَّما وَعَدَهُ[2] بالاستِغفَارِ عَلَى مُقتَضَى العَقلِ، ولَمْ يَكُنْ قَدْ اِستَقَرَّ ـ بَعدُ ـ قُبحُ[3] الاستِغفَارِ لِلمُشرِكِينَ.

وإنَّ مَعنى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ إذَا تَرَكتَ عِبَادَةَ الأوثَانِ، وأخلصتَ العِبَادَةَ لله ـ تعالى ـ[4].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لأَبِيهِ إِلّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ﴾[5].

معنى الآيةِ: إنَّ أبَاهُ، كَانَ وَعَدَهُ أنْ يُؤمِنَ، وأظهَرَ لَهُ الإيمَانَ عَلَى سَبِيل النِّفَاقِ، حتَّى ظَنَّ بِهِ الخَيرَ، فاستَغفَرَ اللهَ ـ تعالى ـ عَلَى هذا، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أنَّهُ مُقِيمٌ عَلَى الكُفرِ، رَجَعَ عَنِ الاستِغفَارِ لَهُ، وتَبَرَّأَ مِنهُ، وقَد عَذَرَهُ اللهُ ـ تعالى ـ في هذهِ الآيَةِ.

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) في (هـ): أوعده.

(٣) في (ش): فتح. بالفاء الموحدة بعدها تاء مثناة من فوق. وهو تصحيف.

(٤) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٥) التوبة: ١١٤.

وقوله: ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ﴾. قِيلَ: كَانَتْ مِنَ الابنِ بالاستغفَارِ، ومِنَ الأبِ بالإيمَانِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ...﴾[١] إلى قولِهِ: ﴿...لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[٢].

وجهُ اِستِثْنَائِهِ لأبيهِ مِن جُملَةِ مَا أمَرَ اللهُ ـ تعالى ـ بِالتَّأسِّي فيهِ أنَّهُ لَوْ أطلَقَ الكلامَ ، لأوهَمَ الأمرُ بِالتَّأسِّي بِهِ في ظَاهِرِ الاستِغفَارِ لِلكُفَّارِ . فاستِثْنَاءُ الاستِغفَارِ، مِنْ جُملَةِ الكَلامِ لِهذا الوَجهِ[٣].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ...﴾[٤] إلى خَمسِ آياتٍ.

هذهِ المُخاطَبَةُ، كَانَتِ لِجَدِّهِ مِنْ أمِّهِ، وهوَ الصَّحيحُ عِندَ أصحَابِنَا[٥].

***

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٣) تكرّرت هذه الفقرة: ((سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي... لهذا الوجه)) فيما قبلها.

(٤) مريم: ٤٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٧: ١٢٩.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾[١].

قالَ الزَّجّاجُ[٢]: أجمَعَ النَّسَّابَةُ أنَّ اِسمَ أبي إِبراهِيمَ، «تَارَخُ»، والَّذي هُوَ في القُرآنِ، يَدُلُّ عَلَى أنَّ اِسمَهُ، «آزَرُ».

وقال مُجَاهِدٌ[٣]: إنَّ «آزَرَ»، اِسمُ صَنَمٍ. كَأَنَّهُ قالَ لأبيهِ: / ١١٦/ أَتَتَّخِذُ آزَرَ إِلَهاً؟ أتتَّخِذُ أصناماً آلِهَةً؟

وقيلَ: إنَّ «آزَرَ»، هُوَ سَبٌّ[٤]، وعَيبٌ بِكَلَامِهِمْ، ومعنَاهُ: مُعوَجٌّ. وقيلَ: معناهُ: مُخطِئٌ.

وقَالُوا: إنَّ العَرَبَ، تُسَمِّي العَمَّ، أباً، للاحترَامِ. قالَ اللهُ ـ تعالى ـ حِكَايَةً عَنْ يَعقُوبَ ـ: ﴿ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ﴾[٥]. وإسمَاعِيلُ، كانَ عَمَّهُ.

وقالَ النَّبيُّ[٦] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: العَمُّ وَالِدٌ.

---

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٢٩٠. وفيه: (آذر) بالذال المعجمة، و(تارح) بالحاء المهملة.

(٣) جامع البيان: ٧: ٢٤٣. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٣٢١. الدر المنثور: ٣: ٣٠١. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٢٢.

(٤) في (ك): سبب. وفي (هـ): فحسب. وهو تحريف.

(٥) البقرة: ١٣٣.

(٦) الخصال: ١: ٥٨.

وقالَ[١]: رُدُّوا عَلَيَّ أبي. يَعنِي: عَبَّاساً.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ﴾[٢].

فِيها دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّهُ سَأَلَ المَغفِرَةَ لَهُمَا[٣] يومَ القِيامَةِ، فَلَو كَانَا[٤] كَافِرِينِ، لَمَا[٥] سَأَلَ ذلِكَ، لأَنَّهُ قالَ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[٦].

فَدَلَّ ذلِكَ عَلَى أنَّ أبَاهُ ـ الَّذي كانَ كافِراً ـ جَدُّهُ لأُمِّهِ، أوْ عَمُّهُ ـ عَلَى الخِلَافِ ـ.

قال البلخِيُّ[٧]: إنَّ أمَّهُ كانت مُؤمِنَةً، لأَنَّهُ سَأَلَ أنْ يَغفِرَ لِأَبويهِ.



(١) الكامل في اللغة والأدب: ٢: ١٠٦.

(٢) إبراهيم: ٤١.

(٣) في (أ): لها.

(٤) في (هـ): كانوا. بإسناده إلى واو الجماعة.

(٥) في (هـ): لَمْ.

(٦) التوبة: ١١٤.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٣٠٢.

فصل [-١٠-]

[في قصة إبراهيم -ع-]

قَوْلُهُ - تَعَالى -: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ﴾(١).

هذا الدُّعاءُ - عَلَى الخُصُوصِ - مُتَنَاوِلٌ لِلمَعصُومِينَ، حتَّى يَكُونَ مُستَجَاباً. والعُدُولُ عَن ظَاهِرِ المُقتَضِي للعُمُومِ إلى الخُصُوصِ - بالدَّلالَةِ - واجِبٌ.

ويَجوزُ أنَّه يُريدُ: اِفعَلْ بي، وبِهِمْ مِنَ الألطَافِ، مَا يُباعِدُنا مِنْ عِبَادَةِ الأصنَامِ، ويَصرِفُ دَوَاعِينَا عَنها. والوالِدُ يَقُولُ لِوَلَدِهِ - إذا حَذَّرَهُ مِنْ شَيءٍ، وبَيَّنَ لَهُ ضَرَرَهُ -: إنِّي جَنبتُكَ كذَا، وكذا.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾(٢).

ظَاهِرُ الكَلَامِ يَقتَضِي الخُصُوصَ، وفي ذُرِّيَّتِهِ الكَثيرُ مِمَّنْ أقامَ الصَّلاةَ.

***

(١) إبراهيم: ٣٥.

(٢) إبراهيم: ٤٠.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾[1].

لا يجوزُ أنْ يُوحِيَ اللهُ ـ تعالى ـ إليهِ قبلَ إسلَامِهِ بأَنَّهُ نَبيٌّ[2]، لأنَّ النُّبوَّةَ حالُ إعظَامٍ، وإجلالٍ، ولَا يكُونُ ذلِكَ قَبلَ الإسلامِ، وتَقدِيرُهُ: ولَقَد اِصطَفيناهُ [حينَ قالَ لَهُ رَبُّهُ: أسلِمْ.

وقالَ الحَسَنُ[3]: إنَّما قالَ ذلكَ][4] حِينَ أفَلَتِ الشَّمسُ، فقالَ: يا قَومُ! إنِّي بَرِئٌ مِمَّا تُشرِكُونَ إنِّي وَجَّهتُ وَجهي ـ حِينئذٍ ـ.

وهذا يَدُلُّ عَلَى أنَّهُ كانَ قَبلَ النُّبُوَّةِ، وأنَّهُ قالَ ذلِكَ إلهَاماً، اِستَدعاهُ بِهِ إلى الإسلامِ، فَأسلَمَ ـ حِينَئذٍ ـ لَمَّا أوضَحَ لَهُ طَرِيقَ الاستِدلالِ بِما رَأى مِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على تَوحِيدِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[5].

---

(١) البقرة: ١٣٠، ١٣١.

(٢) في (ش): بأنه يا نبي نبي الله. وهو كلام مضطرب. وفي (ح): بأَنَّهُ نبيّ الله.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢١٢. وهو في جامع البيان: ١: ٥٦ غير معزو إلى أحد. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ٢: ١٣٤.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) هود: ٦٩.

إنَّما جاءَ بِالطَّعامِ، لأنَّهُ كانَ مِضيَافاً، وقَد حَسِبَهُم الضَّيفَ[(١)]، لأنَّهُم كَانُوا عَلَى صُورَةِ البَشَرِ. ﴿فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾[(٢)]، أنكَرَ ذلِكَ مِنهُم. وَخافَ، وظَنَّ أنَّ الامتِنَاعَ، لِسُوءٍ يريدُونَهُ حَتَّى خَبَّروهُ بأنَّهُم رُسُلُ الله، أنفَذَهُم اللهُ لإهلاكِ قَومِ لُوطٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾[(٣)].

إنَّما وَصفَهُ بِأنَّهُ عَلِيمٌ ـ قَبلَ ـ كَونِهِ ـ لِدَلَالَةِ البِشَارَةِ على أنَّهُ سَيَكونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، فَقَالَ إبراهيمُ: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[(٤)].

إنَّما عَجِبَ مِنْ ذلِكَ لِكبرِهِ، فاستَفهَمَ[(٥)]، فقالَ: أبِأمرِ الله تبشِّرُونَني؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[(٦)].

---

(١) في (ش): الضعيف. بعين مهملة بين الضاد والياء. وهو تحريف.

(٢) هود: ٧٠.

(٣) الحجر: ٥٢، ٥٣.

(٤) الحجر: ٥٤.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): أو إستفهم.

(٦) هود: ٧٤.

قالَ الحَسنُ(١): أي: يُجادِلُ رُسُلَنا. وعَلّقَ المُجادَلةَ بِهِ ـ تعالى ـ مِنْ حَيثُ كَانَتْ لِرُسُلِهِ. وإنَّما جَادَلَهُم مُستَفِهماً مِنهُم: هَلِ العَذَابُ نازِلٌ عَلَى سَبيلِ الاستِئصَالِ، أو على سَبيلِ التَّخويفِ؟ وهَلْ هُوَ عامٌّ للقَومِ، أو خاصٌّ، وعَن طريقِ نَجاةِ لُوطٍ، وأهلِهِ مِنَ المؤمنينَ مِمَّا لَحِقَ القَومَ؟ وسَمَّى ذلكَ جِدالاً لِمَا كانَ فِيهِ مِنَ المُرَاجَعَةِ.

وقيلَ: جَادَلَنَا. أي: سَألَنَا في قَومِ لُوطٍ، وأنّهُ يُؤخِّرُ عذَابُهُم، رَجاءَ أن يُؤمِنُوا. فَخَبَّرَهُ اللهُ ـ تعالى ـ(٢) بِأنَّ المصلَحَةَ، في إهلاكِهِم.

وقيلَ: ﴿يُجادِلُنا﴾ أي: يُكَلِّمُنا، ويُخاطِبُنا، كقولِهِ: ﴿قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّها الْمُرْسَلُونَ﴾(٣) وقَد ذَكَرَ قَبلَ الآيةِ كَلاماً ومُخاطَبَةً.

وقالَ أبو عَلِيٍّ(٤): جادَ لَهُم بِأيِّ شَيءٍ اِستَحَقُّوا عَذَابَ الاستِئصَالِ؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حِكَايةً عَنْ سَارَةَ ـ: ﴿قالَتْ يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنا عَجُوزٌ وَهذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾(٥).

---

(١) قول الحسن هذا في جامع البيان: ٣: ١٨٠ ـ ١٨١ منسوب إلى قتادة. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٧٢.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) الحجر: ٥٧.

(٤) المقصود به الجبائي: مجمع البيان: ٣: ١٨١.

(٥) هود: ٧٢، ٧٣.

وَلَا يَجُوزُ العَجَبُ مِنَ الله، لأَنَّهُ[١] ـ تعالى ـ قَادِرٌ عَلَى سَائِرِ أجنَاسِ المَقدُوراتِ، مِمَّا يَصُحُّ أنْ يكونَ مَقدُوراً لَهُ، لا يُعجِزُهُ شَيءٌ. وَمَا عُرِفَ سَبَبُهُ[٢] لا يُتَعَجَّبُ مِنهُ، إنَّما كانَ مِنهَا التَّعَجُّبُ بِطَبعِ البَشَرِيَّةِ، إذ وَرَدَ عَلَيها مَا لَمْ تَجرِ[٣] بِهِ العَادَةُ، قَبْلُ؛ أنْ تَفَكَّرَتْ في ذلكَ، لأنَّها كَانَت عَارِفَةً بِأنَّ الله ـ تعالى ـ يَقدِرُ عَلَى ذلِكَ، كَمَا ولَّى مُوسَى مُدبِراً، حِينَ اِنقَلَبَتِ العَصَا، حَتَّى قِيلَ لَهُ: ﴿أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ﴾[٤].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾[٥].

قيلَ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أحدَثَ فِيها بَرداً مِنْ شِدَّةِ الحَرَارَةِ الَّتي فِيها فَلَم تُؤذِهِ.

وقِيلَ: / ١١٧/ إنَّهُ ـ تعالى ـ[٦] حَالَ بَينَها، وبَينَ جِسمِهِ، فَلَم تَصِل إليهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً﴾[٧].

---

(١) (لأنَّهُ) ساقطة من (أ).

(٢) في (أ): شبيه. بالشين المعجمة. وهو تصحيف.

(٣) في (ش): يجر. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) القصص: ٣١.

(٥) الأنبياء: ٦٩.

(٦) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٧) الحج: ٢٧.

قالُوا: إنَّ أذَانَهُ بِالحَجِّ هُوَ: إذْ وَقَفَ في المَقَامِ، فَنَادَى[١]: أَيُّهَا النَّاسُ! أجِيبُوا دَاعِيَ الله. فَأَجَابَهُ مِنَ الأصلابِ مَنْ كُتِبَ لَهُ الحَجُّ، فَكُلُّ مَنْ حَجَّ[٢]، فَهوَ مِمَّنْ[٣] أجابَ إِبراهيمَ.

وَهذا غَيرُ صَحيحٍ، لأنَّهُ لَمْ يكُنْ مَبعُوثاً إلى أمَّةِ مُحَمَّدٍ ـ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ[٤].

والصَّحيحُ: إنَّ المُخاطَبَ، والمأمُورَ بِهذِهِ الآيَةِ، مُحَمَّدٌ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٥] وهذا غَيرُ مُمتَنِعٍ أنْ يَنفَصِلَ هذا التَّكليفُ مِنَ الأوَّلِ، وإن كانَ مُقَارِناً[٦] [لَهُ][٧]، ويَتَوَجَّهُ إلى غَيرِ مَنْ تَوَجَّهَ التَّكليفُ الأوَّلُ إليهِ.



(١) في (ح): ونادى. مع واو العطف.

(٢) في (هـ): أحج.

(٣) في (هـ): مَنْ.

(٤) في (ح): عَلَيهِ السَّلام.

(٥) في (ح): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ.

(٦) في (ش): مقارفاً. بالفاء الموحدة بعد الراء المهملة.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(هـ). والعبارة في (ح): وإن كان له مقارناً.

فصل [-١١-]

[في قصة إبراهيم وإسماعيل -ع-]

قوله - تعالى - حِكَايةً عَنْ إِبراهيمَ، وإسماعيلَ -: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[1].

إنَّما سَألَا الله - تعالى - أنْ يَجعلَهُما مُسلِمَينِ، بمعنى: أنْ يفعَلَ لَهُما[2] مِنَ الألطافِ، ما يَتَمَسَّكانِ مَعَهُ بالإسلامِ في مُستَقبَلِ عُمرِ هِما، لأنَّ الإسلامَ، كانَ حاصِلاً في وقتِ دُعائهِما. ويجري ذلكَ مجرَى أحَدِنا إذا أدَّبَ[3] وَلَدَهُ حتَّى صَارَ أدِيباً، جازَ أنْ يُقالَ: جَعَلَ وَلَدَهُ أديباً. وعلى عَكسِ ذلكَ إذا عَرَّضَهُ للفَسَادِ، جازَ أنْ يُقالَ: جَعَلَهُ ظَالِماً، فاسِداً.

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ ذلك تَعَبُّدَاً، كَما قالَ: ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[4]. وإنَّما

---

(١) البقرة: ١٢٨.

(٢) في (ح): بهما.

(٣) في (أ): أردت. وهو تحريف.

(٤) الأنبياء: ١١٢.

خَصًّا بالدعوة ـ بَعْضَ ـ الذُّرِّيَّةِ[1] في قولِهِ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا﴾، لأنَّ «مِنْ» للتَّبعِيضِ، مِنْ حَيثُ أنَّ الله ـ تعالى ـ كَانَ أعلَمَهُ أنَّ في ذُرِّيَّتِهِما مَنْ لا يَنالُ العَهدُ، لِكَونِهِ ظَالِماً. وهو قولُ أكثرِ المُفَسِّرينَ.

وقال السُّدِّيُّ[2]: إنَّما عَنَى ـ بذلِكَ ـ العَرَبَ.

والأوَّلُ، هُوَ الصَّحِيحُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَتُبْ عَلَيْنا﴾[3].

أي: اِرجِعْ عَلَينا بالرَّحمَةِ، والمَغْفِرَةِ.

ولَيسَ فِيهِ دَلالَةٌ عَلَى جَوازِ الصَّغيرَةِ، أوْ فِعلِ القَبيحِ عَلَيهِم. ومَنْ اِدَّعَى ذلِكَ، فقَد أبطَلَ.

وقيلَ: معناهُ: تُبْ عَلَى ظَلَمَةِ ذُرِّيَّتِنا.

والصَّحيحُ: أنَّهُما قَالاَ ذلِكَ اِنقِطَاعاً إلى الله ـ تعالى ـ وتَعَبُّداً، لِيُقتَدَى بِهِما فِيهِ.

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ) و(ط): خصًّا بعد الذريَّة. وهو تحريف.

(٢) جامع البيان: ١ : ٥٥٣. أيضاً: مجمع البيان: ١ : ٢١٠. الدر المنثور: ١ : ٣٣١.

(٣) البقرة: ١٢٨.

وعَلَى مَذهَبِنَا(١): إذا قُلنَا قَبِلَ اللهُ توبتَهُ، أو تابَ عليهِ، مَعنـاهُ: أنَّـهُ اِستَحَقَّ الثَّوابَ. وإذا قُلنَا: تابَ العَبدُ مِنْ كَبيرَةٍ، مَعَ الإقَامَةِ عَلَى كَبِـيرَةٍ أخـرَى، مَعنَـاهُ ـ عِندَ مَنْ أجازَ ذلكَ ـ أنَّهُ رَفَعَ العِقَابَ بِهَا عَنهُ. وعِندَنَا: أنَّـهُ يَستَحِقُّ بِهـا الثَّـوابَ أيضاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ﴾(٢).

وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بيتٌ(٣) بَعدُ.

قالَ السُّدِّيُّ(٤): مَعناهُ: اِبنِيَا لي بَيتاً مُطَهَّراً.

وقالَ عَطَاء(٥): طَهِّرَا مَكَانَ البَيتِ الَّذي يُبنَى فِيمَا بَعدُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾(٦).

---

(١) أوائل المقالات: ٧٥، ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) البقرة: ١٢٥.

(٣) (بيت) ساقطة من (أ).

(٤) جامع البيان: ١: ٥٣٨ الجامع لأحكام القرآن: ٢: ١١٤.

(٥) جامع البيان: ١: ٥٣٩.

(٦) الصَّافات: ١٠٢.

اِختَلَفَ النَّاسُ في الذَّبيحِ؛ فَقَالَ جَمَاعَةٌ: إنَّهُ إسحَاقُ. والصَّحيحُ: أنَّهُ إسماعيلُ . رُوِيَ ذلِكَ عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ[١] ، وابنِ عُمَرَ[٢] ، وابنِ المُسَيَّبِ[٣] ، والحَسَنِ[٤]، والقُرَظِيِّ[٥]، والشَّعبيِّ[٦]. وهوَ المرويُّ عَنِ البَاقِرِ[٧]، والصَّادقِ[٨]، والرِّضَا[٩] ـ عليهم السلام ـ.

يُؤيِّدُ ذلِكَ قولُهُ ـ بَعدَ هذهِ القِصَّةِ ـ: ﴿وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا﴾[١٠]. فَكَيفَ يُبَشِّرُهُ بِذُرِّيَّةِ إِسحَاقَ، ثُمَّ يَأمُرُ بِذَبحِهِ؟

ومن قالَ: إنَّهُ بَشَّرَ بِنُبُوَّةِ إِسحَاقَ دُونَ مَولِدِهِ، فقَدْ تَرَكَ الظَّاهِرَ، لأنَّ

(١) جامع البيان: ٢٣: ٨٣. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الدرّ المنثور: ٧: ١٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠.

(٢) جامع البيان: ٢٣: ٨٣. أيضا: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الجامع لأحكام. القرآن: ٥: ١٠٠.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠.

(٤) جامع البيان: ٢٣: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الدر المنثور: ٧: ١٠٥،١٠٦.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الدر المنثور: ٧: ١٠٥،١٠٦ الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠ والقرظي هو محمد بن كعب.

(٦) جامع البيان: ٢٣: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الدر المنثور: ٧: ١٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠.

(٧) أمالي الطوسي: ٣٣٨.

(٨) أمالي الطوسي: ٣٣٨.

(٩) أمالي الطوسي: ٣٣٨، عيون أخبار الرضا (ع): ١: ٢١٠.

(١٠) الصّافّات: ١١٢.

الظَّاهِرَ، يَقتَضِي البِشَارَةَ بِإسحَاقَ دُونَ نُبُوَّتِهِ. ويَدُلُّ عَلَيهِ - أيضاً - قوله: ﴿فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾(١)، ولَمْ يَذكُرْ إِسماعيلَ، فَدَلَّ على أنَّهُ كَانَ مَولُوداً قَبلَهُ.

وقَولُ النَّبيِّ(٢) - عَلَيهِ السَّلام -(٣): أنا اِبنُ الذَّبيحينِ. عَنَى - بذلكَ - عَبدَ الله أباهُ، وإِسماعِيلَ.

وسَأَلَ الأصمعيُّ(٤) أبا عَمرِ وبنَ العَلَاءِ عَنْ ذلكَ، فَقَالَ: يا أُصَيمِعُ! ومَتَى كَانَ إِسحَاقُ بِمَكَّةَ؟ وإنَّما كانَ بِهَا إِسماعيلُ. وهوَ بَنَّاءُ البيتِ. والمنحَرُ بِمَكَّةَ. يَعني مَسجِدَ الكَبشِ، وهوَ بِالمُزدَلِفَةِ.

وقالَ اِبنُ عبَّاسٍ(٥). كَانَ قِرنَا الكَبشِ مُعَلَّقينِ فِيها. ولَمْ يَزالَا فِيها إلى أنْ حَرَّقَ الحَجَّاجُ البَيتَ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ

---

(١) هود: ٧١.

(٢) في عيون أخبار الرضا: ١: ٢١٠ وفسَّره الرضا (ع) بقوله: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل (ع) وعبد الله بن المطلب. الخصال: ١: ٥٦ بتفسير الرضا أيضاً. كنز الفوائد: ١٠٦.

(٣) في (أ): صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ.

(٤) مجمع البيان: ٤: ٤٥٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٠٠.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ٨٧.

وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً﴾[١].

قالَ اِبنُ دُرَيدٍ[٢]: إنَّما قَدَّمَ إِسماعِيلَ عَلَى إِسحاقَ، لأنَّهُ كانَ أكبَرَ مِنهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾[٣].

يُقَالُ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أمَرَ إِبراهيمَ بِمُقَدَّماتِ الذَّبحِ: يَقعُدُ مَقعَدَ الذَّابِحِ، ويَشُدُّ يَدَيهِ، وَرِجليهِ، ويَترُكُ المُديةَ عَلَى حَلقِهِ[٤]، ويَنتَظِرُ[٥] الأمرَ بِإمضاءِ الذَّبحِ، على ما رَأى في مَنَامِهِ. وأسبَابُ الموتِ، هُوَ الموتُ بِعَينِهِ.

ويُقَالُ: إنَّهُ أمَرَهُ بِالذَّبحِ، وذَبَحَ[٦]، وكُلَّما فَرَى جُزءاً مِنْ حَلقِهِ[٧]، وصَلَهُ اللهُ، بِلَا وَاصِلٍ[٨]، حتَّى اِنتَهَى إلى آخِرِهِ، فاتَّصَلَ بِهِ وَصلُ[٩] الله ـ تعالى ـ فقَدْ

---

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) قول ابن دريد بلفظه في مجمع البيان: ١: ٢١٤ من دون عزو إلى أحد.

(٣) الصافّات: ١٠٣ ـ ١٠٥.

(٤) في (أ): خلقه. بالخاء المعجمة من فوق.

(٥) في (ك): ينظر.

(٦) في (ح): ذبحه: مَعَ ضمير الغائب (الهاء).

(٧) في (أ): خلقه. بالخاء المعجمة من فوق.

(٨) في (ش) و(ك) و(أ): وصل. من دون الف بين الواو والصّاد. وفي (ح): فَصل.

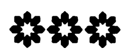
(٩) في (أ): وصلّى. وهو تحريف.

فَعَل ما أمَرَ بِهِ، ولَمْ يَبِنِ[١] الرَّأسُ، ولَا اِنتفَتِ الرُّوحُ.

وأمَّا مَنْ قالَ: إنَّهُ أمَرَهُ بالـذَّبحِ، بِـشَرطِ التَّخليـةِ[٢]، والتَّمكـينِ، وانقلبـتِ الشَّفرَةُ، وجَعَل على حَلقِهِ صفيحةَ /١١٨/ نُحَاسٍ، فَمُحَالٌ[٣]، لأنَّ اللهَ، لَا يَأمُرُ بِشَرطٍ، لأنَّهُ عالِمٌ بِالعَواقِبِ، وأنَّهُ أمَرَ بِمَا مَنَعَ مِنهُ. وهذا عَبَثٌ.

وأمَّا جَزَعُ إبراهيمَ، فَلأنَّهُ أشفَقَ أنْ يُؤمَرَ بالذَّبحِ نَفسِهِ، لَمَّا أُمِرَ بِالمُقَدَّماتِ.

ومَنْ قالَ: إنَّ الفِديَةَ، دالَّةٌ على أنَّهُ كانَ مَأمُوراً بِالذَّبحِ، لأنَّ الفِدَاءَ، يَكُـونُ مِنْ جِنسِ المُفدِي، أخطَأَ، لأنَّ مَنْ حَلَقَ رَأسَهُ، وهوَ مُحرِمٌ، يَلزَمُهُ دَمٌ، وكـذلكَ إذا لَبِسَ ثَوباً مَخِيطَاً، أو شَمَّ طِيباً، أو جَامَعَ. وإن لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنسِ المُفدِي.



(١) في (هـ): لم يبين. وفي (ش): ولا بين.

(٢) في (هـ): التحلية. بالحاء المهملة.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): محال. من دون الفاء الرابطة.

فصل [ـ ١٢ ـ]

[في قصّة زكريّا ـ ع ـ]

قولهُ ـ تعالى ـ في قِصّة زكريّا ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿قالَ رَبِّ أَنّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عاقِرٌ قالَ كَذلِكَ اللهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾[1].

مُراجعتُهُ مَعَ مَا بَشَّرَهُ اللهُ[2] ـ تعالى ـ بِأَنَّهُ يَهَبُ لَهُ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، وبَعدَ سُؤالِهِ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ﴾[3]. قالَ[4] الحسنُ[5]: إنّما كانَ ذلِكَ لِيَعرِفَ عَلَى أيِّ حَالٍ يَكُونُ ذلِكَ؛ أَيَرُدُّهُ إلى حَالِ الشَّبابِ، وامرَأتُهُ مَعَ الكِبَرِ؟ فَقَالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿كَذلِكَ اللهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾. أي: عَلَى هذِهِ الحَالِ.

وقِيلَ: إنَّهُ كَأَنَّهُ[6] أَرَادَ: كيفَ يكونُ لي غُلامٌ مِنها، وَهيَ عاقِرٌ؟ أيكُونُ

(١) آل عمران: ٤٠.

(٢) لفظ الجلالة (الله) ساقط من (هـ).

(٣) آل عمران: ٣٨.

(٤) في (ح): وقال. مَعَ الواو.

(٥) مجمع البيان: ١: ٤٣٩.

(٦) في (ش): كان. وهو تحريف.

بِإصلَاحِكَ لَهَا، فَإِنَّهُ قالَ: ﴿وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ﴾[١]؟

وقيلَ: إِنَّهُ كَانَ عَلَى وَجهِ الاستِعظامِ لِمَقدُورِ الله، والتَّعَجُّبِ الَّذي يَحدُثُ للإنسانِ، عِندَ ظُهُورِ آيَةٍ عَظِيمةٍ مِنْ آيَاتِ الله، كَمَا يَقُولُ القَائلُ: كيفَ سَمَحَتْ نَفسُكَ بِإِخرَاجِ ذلكَ المِلكِ النَّفيسِ مِنْ يَدِكَ؟ تَعَجُّباً مِنْ جُودِهِ، واعتِرَافاً بِعَظِيمِهِ[٢].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً...﴾[٣] إلى قولِهِ: ﴿...أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾[٤].

قالَ ابنُ عَبَّاسٍ[٥]، ومُجاهِدُ[٦]، وقتَادةُ[٧]، والسُّدِّيُّ[٨]: كانَ فاكهةَ الصَّيفِ في الشِّتاءِ، وفَاكِهةَ الشِّتاءِ في الصَّيفِ. فزَكَرِيَّا ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كانَ عَالِماً بِأَنَّهُ ـ

(١) الأنبياء: ٩٠.

(٢) في (ك) و(أ) و(ح): بِعِظَمِهِ.

(٣) آل عمران: ٣٧.

(٤) آل عمران: ٤٠.

(٥) جامع البيان: ٣: ٢٤٨. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٣٦. الدر المنثور: ٢: ١٨٧.

(٦) مجمع البيان: ١: ٤٣٦.

(٧) مجمع البيان: ١: ٤٣٦.

(٨) جامع البيان: ٣: ٢٤٧ ـ ٢٤٨. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٣٦.

تعالى - يَقدِرُ عَلَى خَلقِ الوَلَدِ مِنَ العَاقِرِ، وإنْ لَمْ تَجرِ بِهِ العَادَةُ، فَإِنَّهُ كَانَ لا يَجُوزُ أنْ يَفعَلَ ذلِكَ لِبَعضِ التَّدبيرِ، فَلَمّا رأى خَرقَ العَادَةِ بِخَلقِ الفَوَاكِهِ - في غَير وقتها - قَوِيَ ظَنُّهُ أنَّهُ يَفعَلُ ذلكَ إذا اِقتَضَتِ المَصلحةُ، وقَوِيَ في نَفسِهِ مَا كانَ عَلِمَهُ. كَمَا أنَّ إبراهيمَ[١] - وإن كَانَ عَالِماً بِأَنَّهُ - تعالى - قادِرٌ عَلَى إحياءِ الأمواتِ - سأَلَ ذلِكَ مُشَاهَدَةً، لِتتأكَّدَ مَعرِفتُهُ، وتَزُولُ عَنهُ خَوَاطِرُهُ.

وقالَ الجُبَّائيُّ[٢]: إنَّ اللهَ - تعالى - كانَ أذِنَ لَهُ في المَسألَةِ، وَجَعَلَ وقتَهُ الَّذي أذِنَ لَهُ الوَقتَ الَّذي رَأى فيهِ المُعجِزةَ[٣] الظَّاهِرَةَ، فَلِذلِكَ دَعَا.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾[٤].

الخَوفُ لا يَكونُ مِنَ الأعيَانِ، وإنَّما يَكُونُ مِنْ مَعَانٍ فِيْهَا، فَقَولُهُمْ: خِفتُ اللهَ. أي: خِفتُ عِقَابَهُ. و﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾: خِفتُ تَضييعَهُم[٥] مَاليَ، وإنفَاقَهُ في مَعصيةِ اللهِ - تعالى -.

***

(١) في (ح): إبراهيمَ - عَلَيهِ السَّلام -.

(٢) مجمع البيان: ١: ٤٣٧.

(٣) في (أ): المعجزات. بصيغة الجمع.

(٤) مريم: ٥.

(٥) في (أ): تضييب فهم. وهو تحريف.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[١].

قالَ مُخالِفُونَا: أي: يَرِثُ العِلمَ والنُّبُوَّةَ. ونَحنُ نَقُولُ: إنَّ زَكرِيَّا[٢] صَرَّحَ بِدُعائِهِ، وطَلَبَ مَنْ يَرِثُهُ، ويَحجُبُ بَنِي عَمِّهِ، وعُصبتَهُ مِنَ الوَلَدِ.

وحقيقةُ المِيرَاثِ: اِنتِقَالُ[٣] مِلكِ المَورُوثِ إلى وَرَثَتِهِ ـ بَعدَ مَوتِهِ ـ بِحُكمِ اللهِ. وحَمْلُ ذلِكَ عَلَى العِلمِ، والنُّبُوَّةَ، خِلَافُ الظَّاهِرِ.

[عَلَى][٤] أنَّ العِلمَ والنُّبُوَّةَ، لا يُوَرَّثَانِ، لأنَّ النُّبُوَّةَ، تابِعَةٌ لِلمَصلَحَةِ، لا مَدخَلَ للنَّسَبِ فيها، والعِلمَ مَوقوفٌ عَلَى مَنْ يَتَعرَّضُ لَهُ ويَتَعَلَّمَهُ.

عَلَى أنَّ زَكَرِيَّا، سَأَلَ وَلِيّاً مِنْ وِلْدِهِ، يَحجُبُ[٥] مَوَالِيَهُ مِنْ بَنِي عَمِّه، وعُصبتَهُ مِنَ المِيرَاثِ، وذلكَ لا يَليقُ إلَّا بِالمَالِ، لأنَّ النُّبُوَّةَ، والعِلمَ، لا يُحجَبُ الوَلَدُ[٦] عَنهُما بِحَالٍ، حَتَّى إنَّ اِشتِرَاطَهُ أنْ يَجعَلَهُ رَضِيّاً، لا يَليقُ إلَّا بِالنُّبُوَّةِ، لأنَّ النَّبِيَّ[٧]،

(١) مريم: ٥ـ٦.

(٢) في (ح): زكريا ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

(٣) في (أ): انفعال. وهو تحريف.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) في (ك): يجب. وهو تحريف.

(٦) في (ش): الوالد. بألف بين الواو واللام.

(٧) في (ش): الشيء.

لا يَكُونُ[١] إلَّا رَضيَّاً، مَعصُوماً، فَلَا[٢] [مَعنَى][٣] لِمسألَتِهِ ذلِكَ، وليسَ كذلِكَ المَالَ، لأَنَّهُ يَرِثُهُ الرَّضِيُّ، وغَيرُ الرَّضِيِّ.



(١) في (ش): لأن يكون. وهو تحريف.

(٢) في (أ): ولا. مَعَ الواو.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(أ).

فصل [ـ١٣ـ]

[في قصة لوط ـ ع ـ]

قوله ـ تعالى ـ في قصَّة لُوطٍ ـ عَلَيـهِ الـسَّلام ـ: ﴿هـؤُلاءِ بَنـاتِي هُـنَّ أَطْهَـرُ لَكُمْ﴾[1].

قالَ الحسنُ[2]، وقتادةُ[3]: المعنى: أُحِلَّ لكم عَلَى التَّزويجِ. وكانَ المُشرِكونَ، يَتَزَوَّجونَ في صَدرِ الإسلامِ، المُسلِماتِ، زَوَّجَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ الـسَّلام ـ بِنتَـهُ مِـنْ أبي العَاصِ بنِ الرَّبيعِ، والأُخرَى مِنْ عُتبَةَ بنِ أبي لَهَـبٍ، قبلَ أن يُسلِمَا، ثُمَّ نُسِخَ بِقَولِهِ: ﴿وَلا تُنكِحُوا الـمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾[4].

وقال الزَّجاجُ[5]: إنَّ ذلِكَ عَرَضٌ، بِشَرطِ أنْ يُسلِمُوا، كَمَا هُوَ شَرطُ النِّكَاحِ الصَّحيحِ.

---

(١) هود: ٧٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٤٠ ـ ٤١.

(٣) جامع البيان: ١٢: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٨٤. الدر المنثور: ٤: ٤٥٩.

(٤) البقرة: ٢٢١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٢٨٨.

وقالَ مُجاهِدٌ(١): كُلُّ نَبِيٍّ يُرسَلُ إلى قَومٍ، فَهوَ أَبُو الَّذينَ / ١١٩/ يُرسَلُ إليهم، فَيَكُونُ المعنى في ﴿هؤُلاءِ بَناتِي﴾ : بناتَ أُمَّتِهِ. يقولُ: تَزَوَّجُوا نِسَاءَكُم. وهذا كَقَولِ النَّبيِّ(٢) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: أنَا، وعليٌّ، أبَوَا هذهِ الأُمَّةِ.

وقالَ الجُبَّائيُّ(٣): هذا القَولُ، كانَ مِنْ لُوطٍ لِقَومِهِ، قَبلَ أنْ يَعلَمَ أنَّهُمْ مَلَائكَةٌ، بُعِثُوا لأهلاكِ قَومِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلّا اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(٤).

قولُ هُودٍ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿أَنِّي بَرِيءٌ﴾ إخبارٌ عَمَّا أجابَهُم بِهِ هُودٌ بِأنْ قالَ: أُشهِدُ اللهَ عَلَى أدائي إليكم. ونَصِيحَتي إيَّاكُمْ، وتَكذِيبِكُم إيَّايَ(٥).

﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ : وإنَّما أشهَدَهُم على ذلكَ، وإن لَمْ يَكُونُوا أهلَ الشَّهادةِ مِنْ حَيثُ كانُوا كُفَّاراً فُسَّاقاً ـ إقامَةً للحُجَّةِ عَلَيهم، لا لِتَقُومَ

(١) جامع البيان: ١٢: ٨٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٨٤. الدر المنثور: ٤: ٤٥٧. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٧٦.

(٢) علل الشّرائع: ١٢٧ في جملة حديث.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٨٤.

(٤) هود: ٥٤.

(٥) في (أ): وإيَّاي. مع الواو.

الحُجَّةُ بِهِم.

ويَجوزُ أنْ يَكُونَ أرَادَ بِذَلِكَ: واعلَمُوا. كَمَا قالَ: ﴿شَهِدَ اللهُ﴾[1]. بمعنى: عَلِمَ اللهُ.



(١) آل عمران: ١٨.

فصل [ـ ١٤ ـ]

[في قصة يعقوب ـ ع ـ]

قوله ـ تعالى ـ في قِصَّةِ يَعقوبَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلّاً لِبَني إِسْرائِيلَ إلّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ﴾[١].

وذلكَ أنَّ اليَهُودَ، أنكَرُوا تَحليلَ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لُحُومَ الإبِلِ، وألبانَها، فَبَيَّنَ[٢] اللهُ أنَّها كَانَتْ حَلَالاً، إلى أنْ حَرَّمَها يَعقُوبُ عَلَى نَفسِهِ، بَعدَ أنْ بَرِئَ مِنَ النسا[٣] أنْ يُحَرِّمَ أحَبَّ الطَّعَامِ، والشَّرَابِ إليهِ، وهوَ لُحُومُ الإبِلِ، وألبَانُها، فَلَمَّا بَرِئَ وفَى بِنَذرِهِ[٤].

فَإنْ قيلَ: كيفَ يَجُوزُ للإنسَانِ أنْ يُحَرِّمَ عَلَى نَفسِهِ شَيئاً، وهوَ لا يَعلَمُ مَا لَهُ فيهِ مِنَ المصلَحةِ، وما لَهُ فيهِ مِنَ المَفسَدَةِ؟

---

(١) آل عمران: ٩٣.

(٢) في (ك) و(أ): فيبيّن. بصيغة المضارع.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): النساء بالمدّ والهمزة.

(٤) العبارة: «بعد أن بَرِئ...» مضطربة في النسخ جميعها والوجه أن تكون: ذلك إنَّه نَذَرَ إنْ بَرِئ من النِّسا...

قُلنا: يَجُوزُ ذلِكَ إذا أذِنَ اللهُ لَهُ في ذلِكَ، وأعلَمَهُ. وأذِنَ لِيَعقُوبَ في هذا النَّذرِ، فَلِذلِكَ[1] نَذَرَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[2].

حقيقةُ الحَسَدِ: إرادَةُ الحاسِدِ لِزَوَالِ[3] نِعمَةِ المحسُودِ إليهِ، أو كراهَةُ النِّعمةِ، الَّتي هُوَ فِيها، وإرادَةُ أن تصيرَ تِلكَ النِّعمةُ بِعينِها لَهُ بِخلافِ الغِبطَةِ.

فَإذَنْ لا يكونُ قَولُهُ: ﴿يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ﴾ دَلالَةً عَلى أنَّهُ أرادَ بِهِ الحَسَدَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حِكايةً عَنْ إخوةِ يُوسُفَ ـ: ﴿إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[4].

---

(١) في (ش) و(هـ): فكذلك، مَعَ حرف الجرِّ (الكاف).

(٢) يوسف: ٤، ٥.

(٣) في (ح): زوال. من دون حرف الجرِّ (اللام).

(٤) يوسف: ٨.

المحبَّةُ مِنْ مَيلِ الطِّباعِ[١] لَا مِنَ الكَسبِ، وذلكَ مِنْ فِعلِ الله ـ تعالى ـ فإذَنْ لا يَكونُ حَسَدَاً لِتفضيلِ يُوسُفَ عَلَى إخوَتِهِ بالبِرِّ، والمحبَّةِ، ويَكونُ للرَّجُلِ عَشرَةُ أولادٍ، فيُحِبُّ واحِداً مِنهُم. وعلى هذا قَولُهُ: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾[٢]. يَعني: في المحبَّةِ، لا في النَّفقَةِ، ويَجوزُ أن يَكُونَ يَعقُوبُ مُفَضِّلاً لِيُوسُفَ بِالبِرِّ، والتَّقريبِ. ولَيسَ ذلكَ بِقَبيحٍ، لأنَّهُ لا يَمتنِعُ أنْ [يَكُونَ][٣] يَعقُوبُ، لَمْ يَعلَمْ أنَّ ذلِكَ يُؤدِّيَ إلى ما[٤] أدَّى إليهِ.

ويَجُوزُ أن يَكُونَ رَأى مِن سِيرَةِ إخوتِهِ، وجَميلِ ظَاهِرِهِم. ما غَلَبَهُ[٥] في ظَنِّهِ أنَّهُم[٦] لا يَحسُدُونَهُ، فَإنَّ الحَسَدَ ـ وإن كانَ في الطِّبَاعِ ـ فَإنَّ كَثيرا[٧] مِنَ[٨] النَّاسِ يَجتنبُونَهُ[٩].

***

(١) في (ك): الطبايع.

(٢) النساء: ١٢٩.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٤) (ما) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ح): غلب. من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٦) في (هـ): أنْ، من دون الضمير (هم).

(٧) في (هـ): كثير، من دون تنوين النصب.

(٨) في (أ): لمن. وهو تحريف.

(٩) ف (هـ): يجتنبوانه. وهو تحريف.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[١].

أي: الذَّهَابِ عَنْ التَّسوِيَةِ بَينَهُم في العَطِيَّةِ.

وأصلُ «الضَّلالِ»[٢]: العُدُولُ، أوِ الغُمُورُ[٣] في الشَّيءِ. ولَوْ أرادُوا الضَّلالَ[٤] في الدِّينِ، لَكَانُوا كُفَّاراً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قالُوا يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ﴾[٥].

قالَ أكثَرُ المُفَسِّرينَ: إنَّ إخوَةَ يُوسُفَ، كَانُوا أنبياءَ.

وقالَ قَومٌ: لَمْ يَكونُوا كذلِكَ. وهوَ مَذهَبُنا، لأَنَّهُ وَقَعَ مِنهُم[٦] القَبَائحُ: مِن طَرحِهِمْ يُوسُفَ في الجُبِّ، وبَيعِهِمْ إيَّاهُ بِالثَّمَنِ البَخسِ[٧]، وقَولِهِم: ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾[٨]، وإدخالِهِمْ الغَمَّ عَلَى أبِيهِم.

***

---

(١) يوسف: ٨.

(٢) في (هـ): الظلال. بالظاء المعجمة.

(٣) في (أ): المعمور. بالميم بعدها عين مهملة.

(٤) في (هـ): الظلال. بالظاء المعجمة.

(٥) يوسف: ٩٧.

(٦) في (أ): فيهم.

(٧) في (أ): بالبخس. مع حرف الجر (الباء).

(٨) يوسف: ١٤.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ﴾[(١)].

لَيسَ بِتَغرِير[(٢)] بِهِ، لأَنَّهُ لَمَّا رَأى مِنْ[(٣)] بَنيهِ مِنَ الأيمانِ، والاجتهادِ في الحِفظ، ظَنَّ ـ مَعَ ذلكَ ـ السَّلامَةَ، وقَوِيَ في نَفسِهِ أن يُرسِلَهُ مَعَهُم، إشفَاقاً مِنْ إيقَاعِ الوَحشَةِ بَينهُم، ويكونُ مُزِيلاً للتُّهمَةِ لكَثرَةِ حُبِّهِ إيَّاهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ﴾[(٤)].

لَمَّا عَلِمُوا شِدَّةَ تُهمَةِ أبيهِ لَهُم، وخوفَهُ عَلَى أخِيهِم، مِنهُم، لِمَا كانَ يَظهَرُ مِنْ أمَارَاتِ الحَسَدِ، أيقَنُوا بِأنَّه يُكَذِّبُهم فيما أخبَرَوا بِهِ مِنْ أكلِ الذِّئبِ أخاهُم[(٥)]، فقالُوا: إنَّكَ لا تُصَدِّقُنا في هذا الخَبَرِ، لِمَا سَبَقَ إلى قَلبِكَ مِنْ تُهمَتِنا، وإنْ كُنَّا صَادِقِينَ. كما يَقُولُ المخادِعُ: أنا أعلَمُ أنَّكَ لا تُصَدِّقُني في كذَا، وإنْ كُنتُ صَادِقاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجاؤُوا عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ

---

(١) يوسف: ١٣.

(٢) في (ك): بتغريرهم بِهِ.

(٣) في (أ): منه من بنيه.

(٤) يوسف: ١٧.

(٥) في (أ): أخافهم.

أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[(١)].

وصَفَ الدَّمَ بِأَنَّهُ «كَذِبٌ». والكَذِبُ مِنْ صِفَاتِ الأقوَالِ، لا مِنْ صِفَاتِ الأجسَامِ. أمَّا «كَذْبٌ» فَإِنَّ مَعناهُ[(٢)]: / ١٢٠/ مَكذُوبٌ عَلَيهِ[(٣)]. مِثلُ قَولهم: هذا مَاءٌ سَكْبٌ[(٤)]، ورَجلٌ صَوْم، وامرأةٌ نوْحٌ.

ويُقالُ: ما لِفُلانٍ مَعقُولٌ، ومَا لَهُ في هذا الأمرِ مَجلُودٌ.

وأمَّا وَصفُ «الصَّبرِ» بِـ«الجَميلِ»، لأنَّ الصَّبرَ، صَبرانِ: جَميلٌ ـ إذا قُصِدَ بِهِ وَجهُ اللهِ ـ وقَبيحٌ عَلَى غَيرِ ذلِكَ الوَجهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْـحُزْنِ﴾[(٥)].

لِكَونِ يُوسُفَ في غايةِ الجَمَالِ، والعِلمِ، والعَفَافِ. ثُمَّ أُصِيبَ بِهِ، أعجَبَ مُصيبَةٍ. وقَد يَرِدُ عَلَى الإنسانِ مِنَ الحُزنِ ما لا يُمكِنُ رَدُّهُ، ولِهذا لا يُنهَى عَنْ مُجَرَّدِ الحُزنِ، وإنَّما نُهِيَ عَنِ النَّوحِ، واللَّطمِ، والجَزَعِ.

---

(١) يوسف: ١٨.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): فمعناه.

(٣) (عليه) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) ماء سَكْبٌ: سريع الجريان. «المعجم الوسيط: سكب».

(٥) يوسف: ٨٤.

ثُمَّ أنَّ التَّجلُّدَ عَلَى المَصَائبِ، وكَظْمَ[١] الحُزْنِ مِنَ المَنْدُوبِ، ولَيسَ بِوَاجِبٍ. قالَ النَّبيُّ[٢] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: العَينُ تَدمَعُ، والقَلبُ يَحزَنُ.

ولَمْ يَسْأَلْ[٣] يَعقُوبُ عَنْ[٤] رُؤيا اِبنِـهِ يُوسُـفَ، لأنَّ يُوسُـفَ، رَآهـا، وهـوَ صَبِيٌّ، غَيرُ نَبيٍّ، ولا مُوحَى إليهِ. فَلَا قَطْعَ على صِحَّتها.

عَلَى أنَّ يَعقُوبَ ـ وإن كانَ قاطِعاً على بَقَاءِ اِبنِهِ، وأنَّ الأمرَ، سَيؤولُ فِيهِ عَلَى ما تَضَمنتْهُ[٥] الرُّؤيا ـ لا يُوجِبُ نَفيَ الحُزنِ، لأنَّ طَولَ المُفارَقةِ يَقتَـضِيهِ[٦] لِـسائرِ النَّاسِ.



---

(١) في (هـ): كضم. بالضَّاد المعجمة.

(٢) صحيح البخاري: ٢: ١٠٥. صحيح مسلم: ٧: ٧٦. باختلاف يسير. سنن أبي داود: ٢: ١٧٢. باختلاف يسير.

(٣) في (أ): لَمْ يَسَلْ.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): مِنْ.

(٥) في (ش): تضمّنه. من دون تاء التأنيث الساكنة.

(٦) في (هـ): تقتضيه. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

فصل [ـ١٥ـ]

[في قصَّة يوسف ـ ع ـ]

قوله ـ تعالى ـ في قصَّةِ يوسف ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[1].

إنَّما كانَ صَبرُهُ، عَلَى العُبُوديَّةِ، لأنَّ الله ـ تعالى ـ لا يمتَنِعُ أن يكونَ أمَرَهُ بِكُتمانِ أمرِهِ، والصَّبرِ على مَشَقَّةِ[2] العُبُوديَّةِ، إمتحاناً، وتَشدِيداً في التَّكليفِ، كامتِحانِ إبراهيمَ بِنَمرُودَ، وإسماعِيلَ بِالذَّبحِ.

ويجُوزُ أن يكونَ قَدْ خَبَّرَهُم[3] بِأنَّهُ حُرٌّ[4]، إلَّا أنَّهُم لَمْ يَسمَعُوا مِنهُ. وقَالوا: إنَّهُ[5] لم يَكُن ـ في تِلكَ الحالِ ـ نَبِيّاً، ولَمَّا خافَ عَلَى نَفسِهِ القَتلَ، جازَ أنْ يَصبِرَ[6]

---

(١) يوسف: ٢٠.

(٢) في (ح): المشقَّة. مَعَ (أل).

(٣) في (ش) و(ك): خيَّرهم. بياء مثناة من تحت. وفي (أ): حيّرهم: بحاء مهملة وياء مثناة من تحت.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): حرّاً. بتنوين النصب.

(٥) (إنَّهُ): ساقطة من (هـ).

(٦) في (ك): يصير. بياء مثناة من تحت. بعد الصاد المهملة.

على الاسترقاقِ.

وقالوا: إنَّهُ خافَ القَتلَ، فكَتَمَ أمرَ نُبَوّتِهِ، وصَبَرَ عَلَى العُبُوديَّةِ. وهذا باطِلٌ، [لأنَّهُ][(١)] يَعلَمُ أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ عاصِمٌ للنَّبيِّ، حَتَّى يُؤدِّيَ، و إلَّا كَانَ نَقضاً للغَرَضِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها﴾[(٢)].

الهَمُّ، لَفظٌ مُشتركٌ:

أمَّا قولهُ: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا...﴾[(٣)] [أي][(٤)]: عَزمُوا.

وقالَ شَاعِرٌ[(٥)]:

هَمَمْتُ وَلَمْ أفعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِي ... تَركْتُ عَلَى عُثمانَ تَبكي حَلَائِلُهْ[(٦)]

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) المائدة: ١١.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) في (ح): الشاعر. مَعَ (أل). وهو ضابيء البرجمي. أنظر: الكامل في اللغة والأدب: ١: ٣٨٢، الشعر والشعراء: ١: ٣٥١. الاشتقاق: ١: ٢١٨. الأضداد: ٩٧. جامع البيان: ١٦: ١٥٢. أمالي المرتضى: ١: ٣٣٣. نكت الانتصار لنقل القرآن: ١٥٥. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٢٠. مجمع البيان: ٣: ٢٢٣. خزانة الأدب: ٤: ٨٠. الكشاف: ٢: ٦١٥ من دون عزو.

(٦) عثمان: هو عثمان بن عفَّان. الحلائل: جمع حليلة. وهي الزَّوج.

وأمّا قَولُهُ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ﴾[١]. أي: خَطَرَ بِبَالِهِمْ الفَشَلُ مِنْ غَيرِ عَـزمٍ. يَدُلُّ عَلَيهِ: ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُما﴾[٢] لأنّهُ قالَ: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتـالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾[٣].

وإرادَةُ المَعصيةِ، والعَزمُ عَلَيها، مَعصِيةٌ. قالَ كَعبُ بنُ زُهيرٍ[٤]:

فَكَـمْ فِـيهُمُ مِـنْ سَـيِّدٍ مُتَوَسِّـعٍ ... وَمِـنْ فاعِـلٍ للخَـيرِ إن هَـمَّ أو عَـزَمْ

فَرَّقَ بَينَ «الهَمِّ»، و«العَـزْم»، لأنَّ الهَـمَّ بـالأمرِ، حَـدِيثُ الـنَّفسِ بِفعلِـهِ، والعَزمُ، نِهايةُ القُوَّةِ في النَّفسِ، وهوَ مُقَدِّمةُ النِّـيَّةِ.

وبِمعنى: المُقارَبةِ. يُقالُ: هَمَّ بِكَذا. أي: كادَ يَفعَلُهُ. وليسَ هـذا مِـنْ هَمِّـي. وهـذا أهَـمُّ الأشـياءِ إليَّ مِـنْ مَيـلِ الطِّبـاعِ. وقـالَ ـ تعـالى ـ: ﴿جِداراً يُرِيـدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[٥].

فالعَزمُ عَلَى القَبيحِ لا يَجُوزُ. ويَجُوزُ عَـلَى الوُجُـوهِ الأخَـرِ: ولَقَـد هَمَّـتْ بِـهِ بِالفَحشَاءِ، وهَمَّ بِها بالدَّفعِ عَنْ نَفسِهِ.

---

(١) آل عمران: ١٢٢.

(٢) آل عمران: ١٢٢.

(٣) الأنفال: ١٦.

(٤) شرح ديوان كعب بن زهير: ٦٩.

(٥) الكهف: ٧٧.

وقالُوا: يُحملُ الكَلَامُ على التَّقديمِ، والتَّأخِيرِ. ويكونُ تَلخيصُهُ: ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، ولَولَا أن رَأى بُرهانَ رَبِّهِ، لَهَمَّ بِهَا. كَقَولِهِ: ﴿وَلَوْ لا فَضْلُ الله عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾[1].

والهَمُّ لَمْ يَقَعْ لِمَكانِ فَضلِ الله، وَرَحمتِهِ. يُقالُ: قَد كُنتَ هَلَكتَ، لَولَا أنِّي تَدارَكتُكَ[2]، وقُتِلتَ لَولَا أنِّي خَلَّصتُكَ. المعنى: لَولا تُدارِكُنِي[3]، هَلَكتُ، ولَولَا تُخَلِّصُني[4]، لَقُتِلتُ.

قالَ الجُبَّائيُّ[5]: «هَمَّ بِها»: اِشتَهاها، ومالَ طَبعُهُ إلى مَا دَعَتهُ إليهِ.

وتُستعمَلُ «الشَّهوَةُ» هَمّاً ـ في مَجَازِ اللُّغَةِ ـ يُقَالُ: لَيسَ هذا مِن هَمِّي، وهذا أهَمُّ الأشيَاءِ إليَّ. ولا قُبحَ في الشَّهوَةِ، فَإنَّها من فِعلِ الله ـ تعالى ـ فيهِ وإنَّما يُتعَلَّقُ القُبحُ بِتَنَاوِلِ المُشتَهَى.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ﴾[6].

---

(١) النِّساء: ١١٣.

(٢) في (أ): تداركت.

(٣) في (ك): تداركتي، بتاء مثناة من فوق بين الكاف والياء، وهو تصحيف.

(٤) في (ك): تخلصي. من دون نون الوقاية.

(٥) قول الجبائي هذا منسوب إلى الحسن في مجمع البيان: ٣: ٢٢٥.

(٦) يوسف: ٢٤.

يجوزُ أنَّهُ ـ لَمَّا هَمَّ بِدفعِها ـ أَرَاهُ اللهُ ـ تعالى ـ بُرهاناً عَلَى أنَّهُ إن أقدَمَ عَلَى مَا هَمَّ بِهِ، قَتَلُوهُ. أو أنَّها تَقرِفُهُ[1] بِأنَّهُ دَعَاها إلى نَفسِهِ، وضَرَبَهَا، لامتِنَاعِها مِنهُ، كَما قالَ تعالى: ﴿وَقالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[2]، وقالَ: ﴿وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ﴾[3]، وقالَ: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4]، وقالَ: ﴿فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾[5]، وقالَ: ﴿كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[6]، وقالَ: ﴿ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[7]، وقال: ﴿قُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾[8]، وقالَ: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ /١٢١/ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ

---

(١) في (ش): تفرقة. بفاء موحدة وقاف مثناة ثم تاء مربوطة متحركة. وفي (ك) و(هـ) و(أ): تفرقه. بفاء موحدة وقاف مثناة. وما أثبتناهُ من (ط). ومعنى تقرفه: تنسب إليه وتعيبه و تتّهمه.

(٢) يوسف: ٣٠.

(٣) يوسف: ٢٣.

(٤) يوسف: ٥١.

(٥) يوسف: ٣٢.

(٦) يوسف: ٢٤.

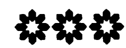
(٧) يوسف: ٥٢.

(٨) يوسف: ٥١.

الْـخاطِئِينَ﴾[(١)].

أمّا البُرهانُ، فإنَّهُ لُطفٌ ـ لَطُفَ اللهُ بِـهِ، في تِلـكَ الحَـالِ، أو قَبلَهـا ـ اِختـارَ عِندَهُ الامتِناعَ مِنَ المَعَاصي. وتَكُونُ[(٢)] الرُّؤيَا ـ هَاهُنَا ـ بِمعنى: العِلمِ.

وقَالُوا: البُرهانُ: دَلَالَةُ الله ـ تعالى ـ[(٣)] لِيُوسُفَ على تَحريم الفاحِشَةِ، وعَـلَى أنَّ مَنْ فَعَلها، اِستَحَقَّ العِقَابَ.



(١) يوسف: ٢٨، ٢٩.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

فصل [ـ ١٦ ـ]

[في قصَّة يوسف ـ ع ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ (١).

مُتَعَلِّقةٌ ـ في ظَاهِرِ الكـلامِ ـ بِـمَا لا يَـصُحُّ في الحَقيقَـةِ أنْ يَكُـونَ(٢) محبُوبـاً، مُرَاداً، لأنَّ السِّجنَ، إنَّما هُوَ الجِسمُ. والأجسَامُ. لا يجُوزُ أنْ يُريدَها(٣)، وإنَّما يُريـدُ الفِعلَ فيها، والمُتَعَلِّقَ بِها.

والسِّجنُ نَفسُهُ، لَيسَ بِطَاعَةٍ، ولا مَعصيةٍ، وإنَّما الأفعـالُ فيـهِ، قَـد تَكُـونُ طَاعاتٍ، مَعَاصِيَ، بِحَسَبِ الوُجُوهِ، الَّتي تَقَعُ عَلَيها.

والظَّالِمُ إذا أكرَهَ مُؤمِناً عَلَى مُلازَمَةِ مَوضِعٍ، وتَركِ التَّصرُّفِ في غَـيرِه، كـانَ فِعلُ المُكرَهِ، حَسَناً، وإن كَانَ فِعلُ المكرِهِ، قَبيحاً. فَلَيسَ في الآيَةِ مَا يَـدُلُّ عَـلَى مـا

---

(١) يوسف: ٣٣.

(٢) في (ش): تكون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (ش): نريدها. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

يَقرفُونَهُ بِهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

ثُمَّ أَنَّهُ أَرَادَ: تَوطِيني نَفسِي، وتَصبيرِي[١] لَهَا عَلَى السِّجنِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُوَاقَعَةِ المَعصِيةِ، والسِّجنُ أَخفُّ عَلَيَّ، وأسهَلُ. كَمَا يَختَارُ بَعضُنَا أَحَدَ الشَّرَّينِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[٢].

إِنَّما أَرَادَ الدُّعَاءَ، والمُنَازَعَةَ، والشَّهوَةَ، ولَمْ يُرِدِ العَزمَ عَلَى المَعصِيةِ. وهوَ[٣] لا يُبرِّئُ نَفسهُ، ممَّا يَعتري مِثلَهُ طِبَاعَ البَشَرِ.

ثُمَّ أَنَّ هذا الكلامَ مِنْ كَلَامِ المَرأةِ، لَا مِنَ[٤] كَلَامِ يُوسُفَ، وأَنَّهُ مَنسُوقٌ عَلَى الكَلَامِ المحكِيِّ عَنها، قوله ـ تعالى ـ[٥]: ﴿قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ...﴾[٦] إلى قولِهِ: ﴿...بِالسُّوءِ﴾[٧].

***

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): تصبُّري.

(٢) يوسف: ٥٣.

(٣) في (هـ) و(أ): وهؤلاء.

(٤) (مِنْ) ساقطة من (ك).

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) يوسف: ٥١.

(٧) يوسف: ٥٣.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَراني أَعْصِرُ خَمْراً وَقالَ الآخَرُ إِنِّي أَراني أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ﴾[1].

فَكَانَ جَوَابُهُ: ﴿لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ﴾[2].

قالَ اِبنُ جُريجٍ[3]: إنَّما عدَلَ عَنْ تَعبيرِ[4] الرُّؤيا، لأنَّهُ كَرِهَ أنْ يُخبِرَ هما بالتَّأويلِ، لِمَا يَجري عَلَى أحَدِ هما فيهِ. فَلَمْ يَترُكاهُ[5]، حَتَّى أخبَرَ هُما.

وقالَ أبو عَلِيٍّ[6]: إنَّما قَدَّمَ هذا، لِيَعلَمَا مَا خَصَّهُ اللهُ[7] بِهِ[8] مِنَ النُّبوَّةِ، وليُقبِلَا[9] إلى الطَّاعَةِ، والإقرَارِ بِتَوحِيدِ اللهِ ـ تعالى ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[10].

---

(١) يوسف: ٣٦.

(٢) يوسف: ٣٧.

(٣) جامع البيان: ١٢: ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٤) في (ط): تأويل.

(٥) في النسخ جميعها: يتركانه. وما أثبتناه هو الصَّواب.

(٦) هو أبو علي الطبرسيّ: مجمع البيان: ٣: ٢٣٣.

(٧) في (ح): الله تعالى.

(٨) في (أ): به يؤمن من النبوّة.

(٩) في (أ): لتقبلا. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) يوسف: ٤٢.

سِجنُهُ ـ إذا كَانَ قَبِيحاً، وَمُنكَراً ـ فعَليهِ، أنْ يَتَوَصَّلَ إلى إزَالَتِهِ بِكُـلِّ وَجْـهٍ، وسَبَبٍ، فَلَا يَمتَنِعُ ـ عَلَى هَذا ـ أنْ يَضُمَّ إلى دُعائهِ [اللهَ][1] ـ تعالى ـ رغبَةً[2] إليهِ في خَلَاصِهِ مِنَ السِّجنِ.

ويُمكِنُ أنْ يكونَ اللهُ ـ تعالى ـ[3] أوحى إليهِ بِذلِكَ، وأمَرَهُ أنْ يَقُولَ لِلرَّجُلِ مَا قالَ لَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾[4].

المُرَاوَدَةُ، هِيَ التَّلَطُّفُ، وتكونُ مِن جِهَةِ الصِّدقِ، والكَذِبِ، مَعاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾[5].

الغَرَضُ ـ في ذلكَ ـ التَّسَبُّبُ إلى اِحتِبَاسِ أخيهِ عِندَهُ. ويَجوزُ أنْ يكونَ ذلِكَ بِأمرِ اللهِ ـ تعالى ـ.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) في (هـ): رعيته. بعين مهملة بعدها ياء مثناة من تحت. وفي (أ): رغبته ـ مع. الضمير (الهاء).

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) يوسف: ٦١.

(٥) يوسف: ٧٠.

ورُوِيَ: أَنَّهُ أعلَمَ أخاهُ بِذلِكَ، لِيَجعَلَهُ طَرِيقاً إلى التَّمَسُّكِ بِهِ. ووُجُودُها في رَحلِهِ يَحتَمِلُ وُجُوهاً كَثيرَةً غيرَ السَّرِقةِ، فَلا يُصرَفُ إليها إلَّا بِدَليلٍ.

وأمَّا [نِدَاءُ][1] المُنَادِي بِأنَّهُم ﴿سارِقُونَ﴾[2] فَلَمْ يَكُنْ بِأمرِهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وكيفَ يَأمُرُ بِالكذِبِ؟

وقالُوا: المُرَادُ بِأنَّهم ﴿سارِقُونَ﴾: أنَّهُم سَرَقُوا يُوسفَ مِنْ أبيهِ ـ عليهما السلام ـ.

وقَالُوا: أسقَطَ مِنهُ «ألِفَ» الاستفهامِ. أرادَ: أ إنَّكم لَسَارِقونَ؟ وهذا ضَعِيفٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾[3].

كتمانُ يُوسُفَ خَبَرَهُ عِنْ أبيهِ، لأنَّهُ أوحَى اللهُ ـ تعالى ـ إليهِ: بِأن يَعدِلَ عَنْ إطِّلاعِهِ عَلَى خَبَرِهِ، تَشدِيداً لِلمِحنةِ[4] عَلَيهِ، وتَعْرِيضاً لِلمَنزِلةِ الرَّفِيعةِ في البَلوَى. ولَهُ ـ تعالى ـ أن يُصَعِّبَ التَّكليفَ، وأنْ يُسَهِّلَ.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) يوسف: ٧٠.

(٣) يوسف: ٥٩.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): للمحبة. بباء موحدة من تحت.

ويجوزُ: أنّهُ لَمْ يَتمكَّنْ مِنْ ذلِكَ، ولا قَدَرَ عَلَيهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[1].

أي: سَجَدُوا لله ـ تعالى ـ[2] مِنْ أجْلِهِ. تَقُولُ[3]: إنَّما صَلَّيتُ لِوُصُولي إلى أهلي، وإنَّما صُمتُ لِشِفَائي مِنْ مَرَضِي.

ويجوزُ: أن يكونَ السُّجودُ لله ـ تعالى ـ غيرَ أنَّهُ كَانَ إلى جِهَةِ يُوسُفَ. كَما يُقَالُ: صلَّى فُلَانٌ إلى القِبلَةِ. وعَلَى هذا لا يَخْرُجُ يُوسُفُ مِنَ التَّعظِيمِ. ألَا تَرَى أنَّ القِبلَةَ، مُعَظَّمَةٌ، وإنْ كانَ السُّجُودُ لله ـ تعالى ـ نَحوَهَا.

والسُّجودُ، لَيسَ بِمُجَرَّدِ عِبادَةٍ، حَتَّى يُضَامَّهُ مِنَ الأفعَالِ مَا يَكونُ عِبَادةً. فَلَا يَمتَنِعَ أنْ يكُونُوا [سَجَدُوا][4] لَهُ على سَبيلِ التَّحيَّةِ، ولَا يكونُ ذلكَ مُنكَراً، لأنّهُ لَمْ يقَعْ على وجهِ العِبَادَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ﴾[5].

---

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) يوسف: ١٠٠.

النَّزْغُ، والقَبِيحُ، كان مِنْهُم إليهِ، لَا مِنـهُ إلـيهِمْ، وذلـكَ كـما يقُـولُ / ٢٢/ القائِلُ: جَرَى بَيْنِي، وبَيْنَ فُلانٍ، شَرٌّ. وإنْ كانَ مِنْ أحَدِهِما.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الأَرْضِ﴾[1].

الْـتَمَسَ تمكينَهُ مِنْ خَزائِنِها، لِيَحْكُمَ فيها بالعـدْلِ، ويَـتَمكَّنَ مـن الحـقِّ، والأمرِ بالمعروفِ، وذلكَ بعدَ ما قال المَلِكُ: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾[2] فلمّا كَلَّمَهُ، قالَ: ﴿إِنَّكَ الْـيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[3].

***

قوله ـ سبحانه ـ ﴿إِنِّي حَفِـيظٌ عَلِـيمٌ﴾[4]. وقـال ـ تَعَـالى ـ: ﴿فَـلا تُزَكُّـوا أَنفُسَكُمْ﴾[5].

✿✿✿

---

(١) يوسف: ٥٥.

(٢) يوسف: ٥٤.

(٣) يوسف: ٥٤.

(٤) يوسف: ٥٥.

(٥) النّجم: ٣٢.

فصل [- ١٧ -]

[في قصّة أيّوب - عَلَيهِ السَّلام -]

قَوْلُهُ - تَعَالى - في قِصَّةِ أَيُّوبَ - عَلَيهِ السَّلام -: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ﴾[١].

«النُّصْبُ»، هُوَ التَّعَبُ. والتَّعَبُ، المَضَرَّةُ الَّتي لا تَخْتَصُّ[٢] بالعِقَابِ. وقد تكونُ[٣] - على سبيلِ الاختيارِ، والعَذابِ - المَضارَّ الَّتي لا يَخْتَصُّ[٤] إطْلاقُ ذِكْرِها، بِجَهَةٍ دُونَ جِهَةٍ، ولِذلِكَ يُقالُ للظَّالِمِ المُعْتَدِي بِالظُّلْمِ: إِنَّهُ مُعَذِّبٌ [و][٥] مُضِرٌّ. وإنَّما قِيلَ: مُعَاقِبٌ. على سَبيلِ المَجازِ. وإنَّ[٦] لَفْظَةَ «العقاب» يَقْتَضِي[٧]

---

(١) ص: ٤١.

(٢) في (ك) و(أ): يختصُّ. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٣) في (ش) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ): تختصّ. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (ح): فإنَّ. مع الفاء.

(٧) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): تقتضي. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

ظاهِرُها الجَزاءَ، لأنَّها مِنَ: التَّعْقِيبِ، والمُعاقَبَةِ. ولفظَةُ «العذاب» لَيْسَتْ كذلِكَ.

وأمّا إضافتُهُ ذلك إلى «الشَّيطانِ» بما ابتلاهُ اللهُ بِهِ، فَإنَّهُ لَمْ يُضِفِ المَرَضَ إليهِ، وإنَّما أضافَ وَسْوَسَتَهُ، وَتَذْكِيرَهُ لَهُ العافِيَةَ[1]. ودُعاءَهُ لَهُ إلى التَّضَجُّرِ، ولأنَّهُ كان يُوَسْوِسُ إلى قَوْمِهِ: بأنْ يَسْتَنْقِذُوهُ[2]، ويَتَجَنَّبُوهُ مِنْ أمراضِهِ، البَشِعَةِ المَنْظَرِ. وكُلُّ هذا ضَرَرٌ مِنْ جَهَةِ إبْلِيسَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾[3].

قال قَتادَةُ[4]، والضَّحَّاكُ[5]: إنَّهُ كان حَلَفَ على امرأَتِهِ ـ لِأَمْرٍ أنْكَرَهُ مِنْ قَوْلِها ـ: لَئِنْ عُوفِي لأضْرِبَنَّها مائةً. فقِيلَ لَهُ: خُذْ ضِغْثاً بِعَدَدِ ما حَلَفْتَ، واضْرِبْ بِهِ دُفْعَةً واحِدَةً، فإنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ جَعَلَ لأيُّوبَ مَخْرَجاً مِنْ حَلِفِهِ.

والحِيَلُ ـ في الأحكامِ ـ تَجوزُ عِنْدَنا. وعِنْدَ الشَّافعيِّ[6]: ما كانَ مُباحاً، يُتَوصَّلُ بِهِ إلى مُباحٍ.

---

(١) في (ح): العافية والنعم.

(٢) في (ش): يستنقذونه.

(٣) ص: ٤٤.

(٤) جامع البيان: ٢٣: ١٦٩.

(٥) جامع البيان: ٢٣: ١٦٩.

(٦) الرسالة: ٣٥٤.

قَوْلُهُ: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾[1]، وقولُهُ: ﴿جَعَلَ السِّقايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ الآية[2]، وقولُهُ: ﴿فَالْمُورِياتِ قَدْحاً﴾[3].

وأخَذَ وائِلٌ حجراً عداءً، فَحَلَفَ سُوَيْدُ[4] بنُ حنْظَلَةَ: إِنَّهُ أخِي، فَخَلُّوا عَنْهُ. فَذكَرَ ذلك للنَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام[5] ـ فقال[6]: صَدَقْتَ. والمُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ.

[و] [7] وَرَدَ أنَّ النَّبِيَّ، كان إذا أرادَ غَزْواً، تَهَيَّأَ بموضِعِ آخَرَ، حتَّى لا يَقِفَ عَلَيْهِ النَّاسُ.

ومنهُ حديثُ[8] عليٍّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لعَمْرو بنِ عَبْد ودٍّ ـ بَعْدَ[9] ما رَجَعَ وَعَصَبَ رَأسَهُ مِنْ ضَرْبَةِ عَمْرٍو ـ خُدْعَةً[10]: أتُبَارِزُني وَحْدَكَ أم مَعَكَ غَيرُكَ؟

---

(١) الأنبياء: الآيتان ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) يوسف: ٧٠.

(٣) العاديات: ٢.

(٤) في (أ): سويبت. وهو تحريف.

(٥) في (أ) و(ح): صلى الله عليه وآله.

(٦) سنن ابن ماجه: ١: ٦٨٥ بإسقاط الواو من «والمسلم...». سنن أبي داود: ٢: ٢٠٠.

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٨) السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني: ١: ١٢٠.

(٩) في (أ): وَبَعْدَ.

(١٠) في (ك) و(هـ): خَدَعَه. بصيغة الماضي مع ضمير المفرد الغائب.

فالتَفَتَ عَمْرٌو، فَضَرَبَهُ عَلِيٌّ، فقالَ النَّبِيُّ[١] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: الحَرْبُ خُدْعَةٌ.

وقال أبو حَنِيفةَ: الحِيْلَةُ المَحْظُورَةُ، يُتَوصَّلُ بِهَا إلى المُباحِ، جائِزٌ، واستَدَلَّ بقولِهِ: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْـقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْـبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾[٢]، فكانُوا يَكْسِبُونَ[٣] يَوْمَ السَّبْتِ، ويَصِيدونَ يَوْمَ الأحَدِ.

وقال النَّبِيُّ[٤] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: لَعَنَ اللهُ اليهودَ؛ حُرِّمَتْ علـيْهِمْ الـشُّحُومُ، فَبَاعُوها، وأكَلُوا أثمانَهَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[٥].

هُوَ[٦] الضُّرُّ، الَّذي قد يكونُ مِحْنَةً، وليسَ بِمُنْكَرٍ أنْ يكُونَ[٧] أمراضُ أَيُّوبَ

---

(١) صحيح مسلم: ٥: ١٤٣.

(٢) الأعراف: ١٦٣.

(٣) في (ك) و(ح): يكبسون. بالباء الموحّدة من تحت ثم السين المهملة.

(٤) مسند أحمد: ١١: ٢٠٢. باختلاف يسير. ط.شاكر. صحيح البخاري: ٣: ١٠٧. وفيه: «قاتل الله يهود حُرِّمت...». سنن النسائي: ٢: ١٩٢. بلفظٍ مغاير. تاريخ بغداد: ٤: ٢٢٠/ ١٠: ٢٢. باختلافٍ يسير. مسند أبي يعلى الموصلي: ١: ١٧٨/ ٤: ١٤٧/ ٥: ٣٨٣/ ٦: ١٦٠.

(٥) الأنبياء: ٨٣.

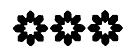
(٦) في (ح): الضرّ هو الذي يكون...

(٧) في (ح): تكون.

ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وَمِحَنُهُ في جِسْمِهِ، وأَهْلِهِ، وَمَالِهِ، بَلَغَتْ مَبْلَغاً عَظِيماً، لِكَونِ اللُّطْفِ، والمَصْلَحَة فِيها.

وإنَّما[1] يُنكَرُ الأمراضُ المُسْتَقْذَرَةُ، مِثْلُ البَرَصِ، والجُذَامِ، وفيهِ كلامٌ كَثِيرٌ.

وأمَّا الأمراضُ النَّازِلَةُ بِهِ، فكانَتِ اختِبَاراً، أو تَعْرِيضاً[2] للثَّوابِ بِالصَّبْرِ عَلَيها، والعِوَضِ العَظِيمِ في مُقَابَلَتِها.



(١) العبارة: «وإنّما يُنكر الأمراض... وفيه» ساقطة من (أ).

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): وتعريضاً. مع الواو.

فصل [ـ ١٨ ـ]

[في قصة شعيب ـ عَلَيهِ السَّلام]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ في قِصَّةِ شُعَيْبٍ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[1]: ﴿قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْها وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّنا﴾[2].

المِلَّةُ الَّتي عَنَاهَا[3] اللهُ ـ تَعَالى ـ إنَّما هِيَ الشَّرْعيَّاتُ لِقَوْمِ شُعَيْبٍ، وهي مَنْسُوخَةٌ عِندَهُمْ دُوْنَ الاعتِقَاداتِ في الأُصولِ.

والشَّرْعيَّاتُ يَجُوزُ فيها اختلافُ العِبَادَةِ مِنْ حيثُ تَتَبُّعُ المصالِحِ، والألطَافُ، والمعلُومُ مِنْ أحوالِ المُكَلَّفِينَ.

فكأنَّهُ قالَ: إنَّ مِلَّتَكُمْ لا نَعُودُ فِيهَا، مَعَ عِلْمِنَا بأَنَّ اللهَ ـ تعالى[4] ـ قَدْ نَسَخَها، إلّا أنْ يَشاءَ اللهُ أنْ يَتَعَبَّدَنا بِمِثْلِها، فَنَعُودَ إِلَيْها.

---

(١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٢) الأعراف: ٨٩.

(٣) في (أ): عنها. وهو تحريف.

(٤) (تعالى) ساقطة من (ح).

وَتِلْكَ الأفعالُ الَّتي كَانُوا مُتَمَسِّكينَ بِهَا، مَعَ نَسْخِها / ١٢٣/ عَنْهُمْ، وَنَهْيِهِمْ عَنْها ـ وإنْ كانَتْ ضَلالاً، وكُفْراً ـ فَقَدْ يجُوزُ فِيمَا هُوَ مِثْلُها أن يكونَ إيماناً. بَلْ فيها، أنْفُسِهَا قَدْ كان يجوزُ ذلكَ.

وليسَ تَجْرِي هذهِ الأفعالُ، مَجْرَى الجَهْلِ باللهِ، الَّذي لا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ إلّا قَبِيحاً.

وأرادَ أنَّ ذلكَ، لا يكونُ ـ أبداً ـ مِنْ شُعَيْبٍ، إلّا بِمَشِيئَةِ اللهِ، لِمَا كانَ مَعْلُوماً أنَّهُ لا يَشَاؤهُ.

وَكُلُّ أَمْرٍ، عُلِّقَ بِمَا لا يكونُ، فَقَدْ نُفِيَ كَوْنُهُ عَلى أبْعَدِ الوُجُوهِ، كَقَولِهِ: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾[١].

يُقالُ: لا أفعلُ ذلكَ حتَّى يَبْيَضَّ القارُ، ويَشِيبَ الغُرَابُ.

وقال قُطْرُبُ[٢]: في الكلامِ، تَقْدِيمٌ، وتأخِيرٌ. والاستثناءُ، مِنَ الكُفَّارِ وَقَعَ، لا مِنْ شُعَيبٍ.

فكأنَّهُ ـ تَعَالى ـ قال ـ حاكِياً عَنِ الكُفَّارِ ـ: لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا، إلّا أنْ يَشاءَ اللهُ أنْ تَعودَ في مِلَّتِنا. ثُمَّ قالَ ـ تَعَالى ـ حاكِياً عَنْ شُعَيْبٍ ـ: وَمَا كانَ لَنَا أنْ نَعُودَ فيها. على حالِ «الها» مِنْ «فِيها»، تَعُودُ إلى

(١) الأعراف: ٤٠.

(٢) هذا القول في التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٤٦٨ من دون عزوٍ إلى أحدٍ.

«القَرْيَةِ»[١] لا إلى «المِلَّةِ»[٢] لأنَّهُ قَدْ تَقدَّمَ ذِكْرُهَا.

المعنى: إلّا أنْ يشاءَ اللهُ أنْ يَرُدَّكُمْ إلى الحَقِّ، فَنَكُونَ ـ جَمِيعاً ـ على مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ.

لأنَّهُ لـمَّا حَكَى عَنهُم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾[٣] كان معناهُ: أوْ لِنَكُونَنَّ عَلَى مِلَّةٍ واحِدَةٍ. فحَسُنَ أنْ يَقُولَ ـ مِنْ بَعْدُ ـ: إلّا أنْ يَشاءَ اللهُ أنْ يَجْمَعَكُمْ مَعَنا على مِلَّةٍ واحِدَةٍ. المعنى: إلّا أنْ يَشَاءَ اللهُ أنْ[٤] يُمَكِّنكُم مِنْ إكْرَاهِنَا، بأنْ يُخَلِّيَ[٥] بَيْنَكُم، وَبَينَهُ، فَنَعُودَ إلى إظْهَارِها مُكْرَهِينَ.

يُؤَيِّدُ ذلِكَ قولُهُ: ﴿أَ وَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ﴾[٦]. المعنى: إلّا أنْ يشاءَ اللهُ أنْ يَتَعَبَّدَنا بإظْهَارِ مِلَّتِكم، مَعَ الإكراهِ، لأنَّ إظهارَ كَلِمَةِ الكُفْرِ، قد يَحْسُنَ في بعضِ الأحوالِ، إلى أنْ يَتَعَبَّدَ اللهُ بِإظْهارِها. يُقَوِّي ذلك قولُهُ: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ﴾.

***

(١) في الآية: ٨٨ من سورة الأعراف.

(٢) في الآية: ٨٨ من سورة الأعراف.

(٣) الأعراف: ٨٨.

(٤) في (هـ): أي.

(٥) في (ك) و(ح): نخلّي. بنون المضارعة الموحّدة من فوق.

(٦) الأعراف: ٨٨.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حاكِياً عَنْ شُعَيْب ـ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾(١).

والشيءُ لا يُعْطَفُ على نَفْسِهِ، لا سيّما بِالحَرْفِ الّذي يَقْتَضِي التراخِيَ. ثُمَّ إنَّ الاستِغْفَارَ، هُوَ التَّوْبَةُ.

الجَوابُ: اِجْعَلُوا المغْفِرَةَ ـ أوَّلاً ـ في(٢) الطَّلَبِ، والتَّوبةَ ـ آخِراً ـ في السَّبَبِ، وَسَلُوْهُ(٣) التَّوفِيقَ لِلْمَغْفِرَةِ، والمَعُونَةَ عَليهَا، ثُمَّ تُوبُوا، لأنّ التَّوفِيقَ، يكونُ قَبْلَها، واستَغْفِرُوه قَوْلاً، ثُمَّ تُوبُوا إليهِ بِالنيَّةِ، الَّتي بِهَا يُسْقَطُ العِقابُ.

خَاطَبَ المُشْرِكينَ باللهِ ـ تَعَالى ـ فقالَ: اِسْتَغْفِرُوه مِنَ الشِّرْكِ بِمُفَارَقَتِهِ، ثُمَّ تُوبُوا. أي: ارْجِعُوا إليهِ بأفعالِ الخَيْرِ. اِسْتَغْفِروا رَبَّكُم ثُمَّ أَقِيْمُوا على التَّوبَةِ إِلَيهِ تَكْراراً، وَتأكِيداً(٤). كما يُقالُ: اِضْرِبْ زَيداً ثُمَّ اِضْرِبْهُ. وَافْعَلْ هذا ثُمَّ اِفْعَلْهُ. أرادَ بـ«ثُمَّ»: الواوَ، بمعنى: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، وَتُوبُوا(٥) إليهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ...﴾(٦) إلى قوله: ﴿... إِحْدَى ابْنَتَيَّ

---

(١) هود: ٩٠.

(٢) (في) ساقطة من (أ).

(٣) في (ك) و (ح): واسألوه.

(٤) في (هـ): تأكيداً وتكراراً.

(٥) في (ك): ثوبوا. بالثاء المثلثة.

(٦) القصص: ٢٦.

هاتَيْنِ﴾ [١].

سَأَلَتْهُ أنْ يَسْتَأْجِرَهُ، ومَدَحَتْهُ بـالقُوَّةِ، والأمَانَـةِ. كـانَ كَلامُهـا، دَالًّا عـلى التَرغيبِ فيهِ، والتَّقريبِ منهُ، فبَذَلَ لَهُ النِّكاحَ، الَّذي فيهِ غايَـةُ الاختِـصَاصِ فِـيما فَعَلَهُ شُعَيبٌ في غايةِ المُطابَقَةِ لما يَقْتَضيهِ سُؤالُها.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَـإِنْ أَتْمَمْـتَ عَـشْراً فَمِـنْ عِنْدِكَ﴾ [٢].

إنَّما جَازَ [٣] التَّخييرُ، والتَّفويضُ في الصَّدَاقِ [٤]، واستفادَةُ شُعَيْبٍ لِنَفسِهِ، لأَنَّهُ يجوزُ أنْ يكونَ الغَنَمُ كانَتْ لِشُعَيبٍ، وكانتِ الفائِدَةُ ـ بِاسْتِئجارِ مَنْ يَرْعَاها ـ عائِدَةً عَلَيهِ. إلّا أَنَّهُ أرادَ أنْ يُعَوِّضَ بِنْتَهُ [٥] مِنْ قِيْمَةِ رَعْيِها، فَيَكُونُ ذلك مَهْراً لَها.

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِنْ شَرِيعَتِهِ العقْدُ بالتراضِي مِنْ غَيْرِ صَدَاقٍ مُعَيَّنٍ، ويكونُ قَوْلُهُ: ﴿عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ...﴾ على غَيْرِ وَجْهِ الصَّدَاقِ. وهذا ضَعِيفٌ.

---

(١) القصص: ٢٧.

(٢) القصص: ٢٧.

(٣) في (أ): جزاء.

(٤) في (ش): الصدر. وهو تحريف.

(٥) في (ح): ابنته. مع همزة الوَصْل.

ويجُوزُ أنْ يكُونَ الغَنَمُ، كانَتْ لِلْبِنْتِ، وكانَ الأبُ المُتَوَلِّي لأمْرِهـا. وَقَـبْضُ الأبِ مَهْرَ بِنْتِهِ(١)، جَائِزٌ.

وأجْمَعُوا على أنَّها كانَتْ بِكْراً. حَذَفَ ذِكْرَ الصَّدَاق، وذَكَرَ مـا شَرَطَ لنفـسِهِ مُضافاً إلى الصَّداقِ، لأنَّهُ جائزٌ أنْ يَشْرِطَ(٢) الوَلِيُّ لنفسِهِ ما يَخْـرُجُ عـنِ الـصَّداقِ. وظاهِرُ الآيةِ: أنَّ أحدَهُما، جَزَاءٌ(٣) على الآخرِ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَـنْ صـالِحٍ ـ عَلَيـهِ الـسَّلام ـ: ﴿فَـما تَزِيـدُونَني غَـيْرَ تَخْسِيرٍ﴾(٤).

معناهُ: فما تزيـدُونني غـيرَ تَخْسِيرِكُمْ، وَتَـضْلِيلِكُمْ. أي: تَـصِيرُونَ عِنْـدِي خُسَّاراً، ضُلّالاً. كقولِهِ: ﴿يا حَسْرَةً عَلَى الْـعِبادِ﴾(٥)، فتصيرُ(٦) الحَـسْرَةُ علـيهم. أيْ: مِنْهُمْ.



(١) في (ح): بنته البالغ.

(٢) في (ح): يشترط.

(٣) في (ش) و(ح): جزا.

(٤) هود: ٦٣.

(٥) يس: ٣٠.

(٦) في (ك): فيصير. بياء المضارعة المثناة من تحت.

فصل [ـ ١٩ ـ]

[في قصة موسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ في قِصَّة مُوسى ـ عَلَيـهِ الـسَّلام ـ: ﴿فَـوَكَزَهُ مُوسـى فَقَـضى عَلَيْهِ﴾ (١).

أرادَ أنْ يُخلِّص مَنْ اسْتَغَاثَ إليهِ مِنْ شِيْعَتِهِ، فأدَّى ذلكَ إلى القَتْلِ مِـنْ غَـيْرِ قَصْدٍ.

وَكُلُّ أَلَمٍ يَقَعُ على سبيلِ المُدافَعةِ للظَّالِمِ، مِـنْ غـيرِ قَـصْدٍ، فَهـوَ حَـسَنٌ، ولا يَستَحِقُّ العِوَضَ بِهِ.

ولا فَرْقَ بينَ أن يُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ، أو عَنْ غَـيرِهِ. والـشَّرطُ فِـيهِمَا أنْ يَكُـونَ الضَّرَرُ غَيْرَ مَقْصُودٍ، وأنْ يكونَ القَصْدُ إلى دَفْعِ المَكْرُوهِ، والمنعِ مِنْ وُقُوعِ الضَّرَرِ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ كانَ قَدْ عَرَّفَ مُوسى اسْتِحْقاقَ القِبْطِيِّ القَتْلَ، بِكُفْـرِهِ، ونَدَبَهُ إلى تأخِيرِ قَتْلِهِ إلى حالِ التَّمَكُّنِ(٢)، فلَمَّا رَأى مِنـهُ الإقْـدَامَ عـلى رَجُـلٍ مِـنْ

---

(١) القصص: ١٥.

(٢) في (ك): التمكين.

شِيعتِهِ، تَعَمَّدَ قَتْلَهُ تارِكاً لما نُدِبَ إليهِ، مِنْ تأخيرِ قَتْلِهِ.

وَقَتْلُهُ لا يخلُو: إمَّا أنْ يكونَ قَتَلَهُ عَمْداً، وهوَ مُسْتَحِقٌّ، فَلا يَكُونُ عَاصِياً(١)، أوْ قَتَلَهُ عَمْداً، وهوَ غيرُ مُستَحِقٍّ، فهذهِ كَبيرَةٌ. وإنْ قَتَلَهُ خطأً، وهوَ مُستَحِقٌّ، أوْ غيرُ مُسْتَحِقٍّ، فَفِعْلُهُ، خارجٌ مِنْ بابِ القَبِيحِ، جُمْلَةً. وهذا رَدٌّ على مَنْ قَالَ: إنَّ قَتْلَهُ، كانَ صَغِيرَةً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ﴾(٢).

أي: تَزْيينُ قَتْلِي [لَهُ](٣)، وَتَرْكي لِما نُدِبْتُ إليهِ مِنْ تأخِيرِهِ، وتَفْويتي لما أسْتَحِقُّهُ مِنَ الثَّوابِ، مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ. مُفْصِحاً(٤) ـ بِذلِكَ ـ عَنْ خِلافِهِ لله ـ تَعَالى ـ واسْتِحقاقِهِ للقَتْلِ.

ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ المُرادُ بالشَّيطانِ، القِبْطيَّ في اعتدائِهِ(٥).

***

(١) العبارة في (هـ): «وهو لا يكون عاصياً وقتله عمداً وهو مستحقّ ولا يكون عاصياً» وهي عبارة مضطربة.

(٢) القصص: ١٥.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): منصحاً. بنون موحّدة من فوق.

(٥) في (أ): اعترافه.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾[١].

أي: خَائِبٌ في طَلَبِ ما تَذكُرُهُ، ثُمَّ قَصَدَ إلى نُصرتِهِ، كما نَصَرَهُ بالأمسِ على الآخرِ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُريدُ البَطْشَ بِهِ، فقالَ: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ﴾[٢].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾[٣].

قالَ مُجاهِدٌ[٤]، وَقَتادَةُ[٥]: يعني: قَتْلَ القِبْطِيِّ الَّذي قَتَلَهُ مُوسى حِينَ اسْتَصْرَخَ بِهِ واحدٌ مِنْ بَني إسرائيلَ، فأخافُ أنْ يَقْتُلوني بذلكَ المَقْتُولِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾[٦].

لِنِعْمَتي، وَحَقِّ تَرْبِيَتي. يُقَوِّيهِ قولُه: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً﴾[٧].

---

(١) القصص: ١٨.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) الشعراء: ١٤.

(٤) جامع البيان: ١٩: ٦٤، ٦٥. الدر المنثور: ٦: ٢٩١.

(٥) جامع البيان: ١٩: ٦٥. الدر المنثور: ٦: ٢٩١. الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٦٠.

(٦) الشعراء: ١٩.

(٧) الشعراء: ١٨.

وقال الحسنُ[١]: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْـكافِرِينَ﴾ بِي، أَنِّي إلهُكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَأَنا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٢].

أيْ: الذَّاهِبِينَ عَنْ أنَّ الوَكْزَةَ تأتِي على النَّفْسِ، أو أنَّ المُدافعةَ، تُفْضِي إلى القَتْلِ. وَقَدْ يُسمَّى الذَّاهِبُ عَنِ الشَّيءِ أَنَّهُ ضَالٌّ عَنْهُ.

ويجوزُ أنْ يُريدَ[٣]: أَنَّني[٤] ضَلَلْتُ[٥] عن فعلِ المَنْدوبِ إليهِ مِنَ الكَفِّ عَنِ[٦] القَتْلِ في تِلْكَ الحالِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[٧] كقولِ آدَمَ: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا أَنفُسَنا﴾[٨].

---

(١) مجمع البيان: ٥: ١٨٦. وكذا: في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٩٥. وهو في جامع البيان: ١٩: ٦٦ منسوبٌ إلى السُّدِّيّ. وفي تفسير البغوي: ٣: ٣٨٣ معزو إلى الحسن والسدّي.

(٢) الشعراء: ٢٠.

(٣) في (أ): تريدني.

(٤) في (أ): أنّى.

(٥) في (ك) و(هـ): ظللت. بالظاء المعجمة.

(٦) في (هـ): على.

(٧) النّمل: ٤٤.

(٨) الأعراف: ٢٣.

وَتَوْبَتُهُما إنَّما كانَتْ على وَجْهِ الخُشُوعِ، والانْقِطَاعِ إلى الله ـ تَعَالى ـ وذلكَ دَأْبُ الصَّالِحِينَ عِنْدَ تَجَدُّدِ آياتِ الله ـ تَعَالى ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾[١].

فَاقْبَلْ مِنِّي هذهِ القُرْبَةَ، والرُّجُوعَ[٢] إليكَ. ويُسَمَّى الاستِغْفَارُ، والتَّوبَةُ: غُفْراناً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

فأجَابَ مُوسى: ﴿إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[٤]، ﴿فَأَرْسِلْ إِلى هَارُونَ﴾[٥].

ليسَ ذلكَ اسْتِعْفاءً[٦] عَنِ الرِّسالةِ، بَلْ كَانَ قَدْ أذِنَ لَهُ في أنْ يَسْأَلَ ضَمَّ أخِيهِ في الرِّسالةِ إليهِ، قَبْلَ هذا الوقتِ. وضُمِنَتْ لَهُ الإجابةُ، قَوْلُهُ[٧]: ﴿وَاجْعَلْ لِي

(١) القصص: ١٦.

(٢) في (أ): الروجوع. وهو تحريف.

(٣) الشعراء: ١٠.

(٤) الشعراء: ١٢.

(٥) الشعراء: ١٣.

(٦) في (ش) و(أ): استغفار.

(٧) في (ح): لقوله تعالى.

وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي﴾ (١).

فأجَابَهُ اللهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى﴾ (٢).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الْـقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٣).

[فكأنَّهُ قالَ: فَالْـقُوا ما أنتُمْ مُلْقُونَ] (٤) إنْ كُنتُم مُحِقِّينَ، وكانَ فِـيما تَفْعَلُونَـهُ حُجَّةٌ.

وحَذْفُ الشّرْطِ ـ في الأمرِ ـ جائِزٌ، لِدَلالَةِ الكَلامِ عليهِ، واقْتِضَاءِ الحالِ لَهُ.

ويجوزُ أنْ يكونَ دَعَاهُمْ ـ عَلى وَجْهِ التَّحَدِّي (٥) ـ إلى الإلقاءِ (٦)، على وَجْـهٍ، يُسَاوونَهُ فيهِ بالتَّخَيُّلِ (٧)، ويَغْلِبُهم بالحُجَّةِ مِنْ انقِلابِ الجَمَادِ حَيَّةً على الحقيقـةِ (٨).

وقد بَيَّنَ اللهُ ـ تَعَالى ـ ذلكَ في قولِهِ: ﴿وَجـاءَ الـسَّحَرَةُ فِرْعَـوْنَ...﴾ (٩) إلى قولِـهِ:

---

(١) طه: الآيتان ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) طه: ٣٦.

(٣) يونس: ٨٠.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش). وفي (ح): كأنّه. من دون (الفاء).

(٥) في (ح): التحري. بالراء المهملة.

(٦) في (أ): الفاعل.

(٧) في (ش) و(هـ) و(أ): بالتحيّل. بالحاء المهملة.

(٨) العبارة في (أ): «حيّة على الكفار الحقيقة» وهي عبارة مضطربة.

(٩) الأعراف: ١١٣.

﴿... صَاغِرِينَ﴾[1].

قَالَ الجُبَّائِيُّ[2]: قولُهُ: ﴿الْـقُوا...﴾ ، كُفْرٌ لَهُمْ، وَتَهْدِيْدٌ[3].

ومعناهُ: مَنْ كانَ إلقاؤُهُ، مِنْكُم حُجَّةً عِنْدَهُ، ابتَدَأ بالإلقَاءِ.

وقَالَ قَوْمٌ: يَجُوزُ أن يَكُونَ ذلِكَ أمراً عَلى الحَقِيقَةِ، أمَرَهُمْ بالإلقاءِ على وَجْهِ الاعتِبَارِ، لا على وَجْهٍ، يُقَوِّي الكُفْرَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَإِذا حِبالُهُمْ وَعِـصِيُّهُمْ يُخَيَّـلُ إِلَيْـهِ مِـنْ سِـحْرِهِمْ أَنَّهـا تَسْعَى﴾[4].

إِنَّما قالَ: «يُخَيَّلُ» لأنَّها لَمْ تَكُنْ تَسْعَى حَقِيقةً، وإِنَّـما تَحَرَّكَـتْ[5]، لأَنَّـهُ قِيـلَ: جُعِلَ ـ دَاخِلَها ـ زِئْبَقٌ، فَلَمَّا حَمِيتْ بالشَّمْسِ، طَلَـبَ الزِّئْبَـقُ الـصُّعُودَ، فَتَحَرَّكَـتْ العِصِيُّ، فَظَنَّ أنَّها تَسْعَى.

***

---

(١) الأعراف: ١١٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٥٠٢.

(٣) في (أ): تهديه. وهو تحريف.

(٤) طه: ٦٦.

(٥) (إنما تحرّكت) ساقطة من (ح).

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوْسَى﴾[١].

إنَّهُ لَمْ يَخَفْ إلّا مِنْ قُوَّةِ التَّلْبِيسِ، وبالتَّخْيِيلِ[٢]، ما أن أشفَقَ عِنْدَهُ مِنْ وُقوعِ الشُّبْهَةِ على مَنْ لَمْ يُنْعِمُ النَّظَرَ. ولا / ١٢٥/ يَقْتَضِي شَكُّهُ في صِحَّةِ ما أَتى بِهِ، فَأَمَّنَهُ اللهُ مِنْ ذلكَ، وَبَيَّنَ[٣] أنَّ حُجَّتَهُ، سَتَصُحُّ لِلْقَوم بِقَوْلِهِ: ﴿لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلى﴾[٤].

يُوافِقُهُ قَوْلُ[٥] أميرِ المؤمنينَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: لَمْ يُوجِسْ مُوسى خِيفَةً على نَفْسِهِ، بَلْ أشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَّالِ، وَدُوَلِ الضَّلالِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ يا مُوسى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾[٦].

إنَّما عَلِمَ مُوسى أنَّ هذا النِّدَاءَ مِنْ قِبَلِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بِمُعْجِزٍ، أظهَرَهُ لَهُ اللهُ. كما قالَ في مَوضِعٍ آخَرَ: ﴿نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا

---

(١) طه: ٦٧.

(٢) في (ش): بالتحليل. وهو تحريف.

(٣) في (أ): لين.

(٤) طه: ٦٨.

(٥) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ١: ٣٩. المسترشد في إمامة عليٍّ بن أبي طالب (ع): ٤٦ ـ ٤٧.

(٦) طه: الآيتان ١١ ـ ١٢.

رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [١] حتَّى قِيلَ لَهُ: ﴿أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾ [٢].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [٣].

قالَ الحسَنُ [٤]، وابنُ جُريج [٥]: لِيُباشِرَ بِقَدَمِهِ بَرَكَةَ الوَادِي المُقَدَّسِ. وهو قولُ [٦] أميرِ المؤمنينَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

وقال البَلْخِيُّ [٧]: إنَّهُ أُمِرَ بذلِكَ على وجهِ الخُضُوعِ، والتَّواضُعِ، لأنَّ التَخَفِّي في مِثْلِ ذلِكَ، أعظَمُ تَوَاضُعاً، وخُضُوعاً.

وقال كَعْبُ [٨]، وعِكْرِمَةُ [٩]: لأنَّها كانَتْ مِنْ جِلْدِ حَمَارٍ مَيِّتٍ.

---

(١) القصص: الآيتان ٣٠ ـ ٣١.

(٢) القصص: ٣١.

(٣) طه: ١٢.

(٤) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

(٥) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

(٦) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

(٧) تفسير التبيان: ٧: ١٤٥، وفي مجمع البيان: ٤: ٥ غير معزو إلى أحد.

(٨) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الدر المنثور: ٥: ٥٥٩. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

(٩) جامع البيان: ١٦: ١٤٤. أيضاً مجمع البيان: ٤: ٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٧٣.

وهذا فَاسِدٌ، لأنَّ النَّبِيَّ، لا يَسْتَحِلُّ[١] الميِّتَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾[٢].

قالَ الحسنُ[٣]، وأبو بكر بن الأخشيد: إنَّهُ كـانَ مَعْلُومـاً، مُعْتـاداً في ذلـكَ الوَقْتِ: أَنَّهُ مَنْ قَبَضَ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ قَبْضَةً، فألقاهَا على جَمادٍ، صَارَ حَيَواناً. فَعَلى هذا لا يكونُ خَرْقَ العَادَةِ، بَلْ كانَ مُعتاداً.

وقالَ الجُبَّائيُّ[٤]: المعنى: إنَّهُ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مـا لا حقيقـةَ لَـهُ وإنَّـما جـازَ بِحِيلَةٍ، جُعِلَتْ فيهِ مِنْ خُرُوقٍ، إذا دَخَلَتْهُ الرِّيحُ، سُمِعَ لهُ خُوَارٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾[٥].

مجازٌ. لأنَّ الإنسانَ، لا يَصُحُّ أن يَكونَ مَقْدُوراً عليهِ، أو في حُكْـمِ المقـدُورِ عليهِ، في أَنَّهُ يُصَرِّفُهُ تَصْرِيفَ المَقْدُورِ، كمِلْكِ الإنسانِ للمالِ، والعَبْدِ.

---

(١) في (أ): يستحيل. بياء مثناة من تحت بين الحاء واللاّم.

(٢) طه: ٨٨.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٤٨٠. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٣٥.

(٤) مجمع البيان: ٤: ٢٦.

(٥) المائدة: ٢٥.

ومَعْنَاهُ: إنَّهُ لَـمَّا مَلَكَ تَصْرِيفَ نَفْسِهِ في طاعَةِ الله، جازَ أنْ يَصِفَ نَفْسَهُ بأَنَّهُ بِمَا يَجُوزُ[١] أنْ يَمْلِكَهُ.

وقولُهُ: «أخِي»، لأَنَّهُ[٢] كان ـ أيضاً ـ طائِعاً لَهُ فيما يَأْمُرُهُ بِهِ، فكانَ كالقَادِرِ عليهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَدَعا رَبَّهُ أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾[٣]، وذلكَ أَنَّهُ لَـمَّا آيسَ[٤] مِنْ قَومِهِ أنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، دَعَا اللهَ ربَّهُ، فقالَ: إنّ هؤلاءِ قَومٌ مُجرِمُونَ.

وقيلَ: إنَّهُ دَعَا، لما يقتضِي سُوءُ أفعالِهِمْ، فكأنَّهُ قالَ: اللّهُمَّ عَجِّلْ بما يَسْتَحِقُّونَهُ بإجرامِهِمْ، بِما بِهِ يكونُونَ أنْكالاً[٥] لِمَنْ بَعْدَهم.

وما دَعَا بهذا الدُّعاءِ، إلّا بَعْدَ أنْ أَذِنَ اللهُ لَهُ في الدُّعاءِ عَلَيْهِم.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوالاً فِي الْحَياةِ

---

(١) في (أ): كالجوز. وهو تحريف.

(٢) في (ك) و(ح): أنّه. من دون حرف الجر (اللام).

(٣) الدخان: ٢٢.

(٤) في (أ): آيش. بالشين المعجمة.

(٥) في (ك) و(أ): نكالاً.

الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾[١].

أيْ: لِئَلَّا[٢] يُضِلُّوا. فَحَذَفَ «لا»، كقولِهِ: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الأُخْرى﴾[٣]، وقولِهِ: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾[٤]، وقولِهِ: ﴿وَأَلْقى فِي الأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[٥]. قالَ الشَّاعِرُ[٦]:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّا ... فَعَجَّلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا[٧]



(١) يونس: ٨٨.

(٢) في (ش) و(ك): لا أنْ يضلّوا. وفي (أ): أنْ يضلّوا. وفي (هـ): أنْ لا يضلّوا.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

(٤) الأعراف: ١٧٢.

(٥) النحل: ١٥. لقمان: ١٠.

(٦) في (ح): شاعر. من دون (أل) وبسقوط (قال).

(٧) مغني اللبيب: ١: ٣٦. شرح المفصل لابن يعيش: ٨: ١١٥. من دون عزوٍ فيهما.

فصل [ـ ٢٠ ـ]

[في قصّة موسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[1].

إنَّما سأَلَ رَبَّهُ ـ تَعَالى ـ ضَرُورَةً، بإظْهَارِ [بَعْضِ][2] أعلامِ الآخِرَةِ الَّتي يُضْطَرُّ ـ عِنْدَها ـ إلى المعْرِفَةِ، فَتَزُولُ الخواطِرُ عنهُ، وَمُنَازَعةُ الشُّكُوكِ، والشُّبُهاتُ، ويَسْتَغْني عَنِ الاستِدْلالِ، فَتَخِفُّ المِحْنَةُ عَنْهُ بذلِكَ، كما سأَلَ[3] إبراهيمُ، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾[4].

ويَجُوزُ أَنَّهُ إنَّما سأَلَ ذلِكَ حَالَةَ[5] نَظَرِهِ في جَوَازِهِ، وامتِنَاعِهِ، فأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ ذلِكَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ، والرُّؤيةِ. يُعْرَفُ[6] بِالعَقْلِ، والسَّمْعِ، وحالَةِ النَّظرِ،

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) في (أ): يسأل. بصيغة المضارع.

(٤) البقرة: ٢٦٠.

(٥) في (أ): خالطه.

(٦) في (أ) و(ح): تعرف. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

فَارِقُ[١] سَائِرِ الأَحْوَالِ.

ويَجُوزُ[٢] فيهِ[٣] ما لا يَجُوزُ في غيرِهِ[٤]، ولو لَمْ يَكُنْ سُؤَالُهُ لِبَعْضِ مـا قُلْنَـاهُ، لاسْتَحَقَّ الذَّمَّ، كما اسْتَحَقَّ قَوْمُهُ ﴿فَقالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾ الآية[٥].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا﴾[٦].

الهَلاكُ ـ هاهنا ـ بمعنـى، المَـوْتِ. كَقَولِـهِ: ﴿إِنِ امْـرُؤٌ هَلَـكَ...﴾[٧]، ولا يَكونُ ذلِكَ عُقُوبَةً مِنْهُ بِفِعْلِ غَيْرِهِمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[٨].

التَّوبَةُ إِنَّما كانَتْ على سَـبِيلِ الرُّجُـوعِ إلى اللهِ ـ تَعَـالى ـ وإِظْهَـارِ الانقطـاعِ،

---

(١) في (ح): فارقت.

(٢) في (ح): تجوز.

(٣) في (ح): فيها.

(٤) في (ح): غيرها.

(٥) النساء: ١٥٣.

(٦) الأعراف: ١٥٥.

(٧) النساء: ١٧٧.

(٨) الأعراف: ١٤٣.

والتَّقَرُّبِ(١)، لا لِذَنْبٍ. فيجُوزُ أنْ يَكُونَ الغَرَضُ في ذلِكَ لِتَعْلِيمِنَا(٢)، وتوقِيفِنَا(٣) على ما نَسْتَعْمِلُهُ(٤) عِندَ الشَّدائِدِ.

وَلَهُ أجوبةٌ غَيرُ ذلِكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالْـقَى الالْـواحَ﴾(٥).

أيْ: إنَّ مُوسى ـ عَلَيـهِ الـسَّلام(٦) ـ أقْبَـلَ غَـضْبَانَ عـلى قَوْمِـهِ، مُـسْتَعْظِماً لِفِعْلِهِمْ، فَأخَذَ بِرأسِ أخِيهِ، وَجَرَّهُ(٧) إليهِ، كما يَفْعَلُ الإنسانُ / ١٢٦/ بِنَفْسِهِ مِثْلَ ذلكَ عِنْدَ الغَضَبِ، وَشِدَّةِ الفِكْرِ(٨).

والمُفَكِّرُ الغَضْبَانُ، قَدْ يَعَضُّ على يدِهِ، ويُفَتِّلُ أصَابِعَهُ، ويَقْبُضُ على لِحيَتِـهِ، فأجْرَى مُوسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أخاهُ هارُونَ مجْرَى نَفْسِهِ.

---

(١) في (أ): التقريب.

(٢) في (هـ): لتعلمينا. بلام ثمّ ميم.

(٣) (ش) و(هـ): توفيقنا. بفاء موحّدة وقاف مثنّاة بينهما ياء مثنّاة من تحت.

(٤) في (أ): مستعملة.

(٥) الأعراف: ١٥٠.

(٦) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٧) في (هـ): يجرّه. بصيغة المضارع.

(٨) في (أ): الكفر. بكاف ثم فاء. وهو تحريف.

وهذهِ الأُمورُ تَختَلِفُ أحكامُها بِالعادَاتِ، فيكونُ ما هُوَ إكْـرَامٌ في بَعْـضِها، اسْتِخْفَافاً[١] في غَيْرِها، ويكونُ على ضِدِّ ذلِكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾[٢].

لايَدُلُّ على أنَّهُ وَقَعَ على سَبِيلِ الاستخفافِ[٣]، بل مَعنَى كلامِهِ: لاتَغْضَبْ، ولا يَشْتَدَّ جَزَعُكَ، وأسَفُكَ. وإنَّهُ أجْرَاهُ مُجْرَى نَفْسِهِ ـ إذا غَضِبَ ـ في القَبْضِ على لِحيَتِهِ، كأنَّهُ لم يَكُنْ مُتَّهَماً عِنْدَهُ، كما لا يُتَّهَمُ على نَفْسِهِ[٤].

ويَحْتَمِلُ أنَّ عادَةَ ذلِكَ الوَقْتِ، أنَّ الواحِـدَ إذا خاطَبَـهُ غَـيْرُهُ، قَـبَضَ عـلى لحيَتِهِ، كما يَقْبَضُ على يَدِهِ في عَاداتِنَا. والعَاداتُ تَخْتَلِفُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾[٥].

لا يَمْتَنِعُ أنْ يكُونَ هارُونُ، خَافَ مِـنْ أنْ يَتَـوَهَّمَ بَنُـو إسرائيـلَ ـ بِـسُوءِ[٦]

---

(١) في (ك) و(هـ): استحقاقاً. بقاف مثنّاة في الموضعين.

(٢) طه: ٩٤.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): الاستحقاق. بقاف مثنّاة في الموضعين.

(٤) في (ح): كما لم يكن متهماً نفسه.

(٥) طه: ٩٤.

(٦) في (ك): يسوء. بياء مثنّاة من تحت.

ظَنِّهِمْ ـ أَنَّهُ مُنْكِرٌ عَلَيْهِ، مُعَاتِبٌ لَهُ. ثُمَّ ابْتَدَأَ يَشْرَحُ قِصَّتَهُ، فقالَ ـ مَـرَّةً ـ: ﴿ابْـنَ أُمَّ إِنَّ الْـقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[1].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ﴾[2].

قالَ الزَّجَّاجُ[3]: اللّثغةُ كانَتْ في لِسَانِهِ.

وقالَ قَتَادَةُ[4]، والسُّدِّي: كانَتْ في لِسانِهِ آفَةٌ.

وقال أكثرُ المُفسِّرينَ: كانَ احْترقَ لِسَانُه بِالجَمْرِ، الَّذي وَضَعَهُ في فَمِهِ، حِينَ أَرَادَ أن يَعْتَبِرَ[5] فِرعونُ عَقْلَهُ، لمّا لَطَمَ وَجْهَهُ، وأرادَ أنْ يأخُذَ[6] غَيْرَ النَّارِ، فَصَرَفَ جَبْرَائيلُ يَدَهُ إلى النَّارِ، دَفْعاً عَنْهُ القَتْلَ.

وقالَ الحَسَنُ[7]: كان في لِسانِهِ، ثِقْلٌ، فَنَسَبَهُ إلى ما كانَ عليهِ أوَّلاً.

---

(١) الأعراف: ١٥١.

(٢) الزّخرف: ٥٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٤: ٤١٥.

(٤) جامع البيان: ٢٥: ٨٢. الدر المنثور: ٧: ٣٨٣.

(٥) في (أ): يغير. بغين معجمة بعدها ياء مثنّاة من تحت. ولعلّها: يختبر.

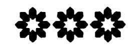
(٦) في (ش) و(هـ): يأخذه. مع ضمير الغائب (الهاء). وفي (أ): أخذه بصيغة الماضي.

(٧) مجمع البيان: ٥: ٥١.

وأقولُ: إنَّهُ نَسَبَهُ إلى قِلَّةِ البَيانِ، كَما نَسَبَهُ[١] إلى المَهانةِ، كَذِباً وزُوْراً.

قالَ الجُبَّائِيُّ[٢]: فانْحَلَّ مَا كانَ بِلِسانِهِ مِنْهُ، بِدِلالَةِ قَولِهِ: ﴿وَلا يَكادُ يُبِينُ﴾.

وقالَ الحسنُ[٣]: اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، فَحَلَّ العُقْدَةَ[٤] عَنْ لِسانِهِ. وهوَ الصَّحيحُ لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى﴾[٥] في عُقَيْبِ دُعائِهِ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[٦].



(١) في (أ): شبه. وهو تحريف.

(٢) مجمع البيان: ٥: ٥١.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٥١. وهو في جامع البيان: ١٦: ١٦١ غير معزوٍّ إلى أحدٍ.

(٤) في (هـ): العقد. بصيغة الجمع.

(٥) طه: ٣٦.

(٦) طه: ٢٥.

فصل [ـ ٢١ ـ]

[في قصة موسى مع الخضر ـ عَلَيهِمَا السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[١].

يُمكِنُ أنْ يكونَ اللهُ ـ تَعَالى ـ قَدْ أعْلَمَ هذا الغُلامَ ما لم يُعْلِمْهُ[٢] مُوسى، وأرْشَدَ مُوسى ـ عَلَيهِ السَّلام[٣] ـ إليهِ، لِيَتَعَلَّمَ[٤] مِنْهُ. وإنَّما المُنْكَرُ أنْ يَحْتاجَ النَّبِيُّ في العِلْمِ إلى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ.

ويجوزُ أنْ يكونَ نبيٌّ أعلمَ مِنْ نبيٍّ وَقْتِهِ. وما تَعَلَّمَهُ مِنْ هذا العالِمِ، [إلّا][٥] كَتَعَلُّمِهِ مِنَ المَلَكِ الَّذي يَهْبِطُ إليهِ.

ولا يدلُّ ذلكَ على [أنَّ][٦] ذلِكَ العَالِمِ، كانَ أفضلَ مِنْ مُوسى في العِلْمِ،

---

(١) الكهف: ٦٥.

(٢) في (هـ) و(أ): يعلم. من دون الضمير (الهاء).

(٣) (عَلَيهِ السَّلام إليه) ساقطة من (ح).

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): ليعلم.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح). وهي زيادة يقتضيها السِّياق.

لأنَّهُ لا يَمْتَنِعُ أنْ يَزِيدَ مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلام[١] ـ في سائِرِ العُلُومِ، الَّتي هي أفْـضَلُ مِمَّا عَلِمَهُ. فَقَدْ يَعْلَمُ أحَدُنَا شَيئاً مِنَ المعلومَاتِ، ما لا يَعْلَمُهُ مَنْ هُوَ أفضلُ مِنهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلا تَسْأَلْـنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْـراً﴾[٢].
وَقَدْ قَالَ: ﴿فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

النَّهيُ إنَّما هُوَ نَهْيٌ عَنْ نَوْعِ العِلْمِ الَّذي لم يَبْلُغْ مَنْزِلَتَهُ بَعْدُ. و«أُحْـدِثَ» إنَّـما هُوَ على سُؤَالِ تَفَاصِيلِ ما خَفِيَ عَلَيهِ مِنَ النَّوعِ الَّذي هُوَ بِصَدَدِهِ، لِئَلّا يَتَوَلَّـد فِيـهِ شُبْهَةٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[٤].

لَوْ كانَ نَفْيُ الاستطاعَةِ على ما ظَنَّهُ الجُهَّالُ، لَكَانَ العالِمُ، وَهُـوَ ـ في ذلِـكَ ـ سَوَاءٌ. فلا معنى لاختِصَاصِهِ[٥] بِنَفْيِ الاستطَاعَةِ.

---

(١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٢) الكهف: ٧٠.

(٣) الأنبياء: ٧.

(٤) الكهف: ٦٧.

(٥) في (أ): لاختصاص. من دون الضمير (الهاء).

والدَّليلُ على أنَّـهُ نَفَى عَنْـهُ الـصَّبْرَ، لا اسْـتِطَاعَتَهُ، قَـوْلُ مُوسـى - عَلَيـهِ السَّلام[1] - في جَوابِهِ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً﴾[2] ولم يَقُلْ: مُسْتَطِيْعاً. وَمِـنْ حَقِّ الجوابِ، أنْ يُطابِقَ الابْتِدَاءَ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلا أَعْـصِي لَـكَ أَمْـراً﴾[3] مَـشْرُوطٌ بالمَـشيئَةِ، ولـيسَ بِمُطْلَقٍ. فكأَنَّهُ قالَ: سَتَجِدُني صَابِراً، وَلا أعْصِي لَـكَ أمْـراً - إنْ شـاءَ اللهُ -. وَإنَّـما قَدَّمَ الشَّرْطَ على الأمْرَينِ جَمِيعاً.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾[4].

أيْ: عَجَباً، وَمُنْكَراً، أو دَاهِيَةً.

وقالُوا: «الإمْرُ»: مِنْ: أَمِرَ القَـوْمُ. أي: كَثُـرُوا. وَجُعِـلَ عِبَـارَةً عَـنْ كَثْـرَةِ عَجَبِهِ.

***

---

(١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٢) الكهف: ٦٩.

(٣) الكهف: ٦٩.

(٤) الكهف: ٧١.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ (١).

أي: إنَّ ظَاهِرَ ما أتَيْتَهُ، المُنْكَرُ. ومَنْ يُشَاهِدُهُ ـ قَبْلَ أن يَعْرِفَ عِلَّتَهُ ـ يُنْكِرُهُ.

ثُمَّ إنَّهُ حَذَفَ الشَّرْطَ، فكأنَّهُ أرادَ: إنْ كُنْتَ ظَالِماً، فَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً.

على أنَّهُ أرادَ: / ١٢٧/ إنَّكَ أتَيْتَ أمْراً بَدِيعاً، غَرِيباً، فإنَّهم يقولونَ ـ فيما يَسْتَغْرِبُونَهُ ـ إنَّهُ نُكْرٌ، وَمُنْكَرٌ.

وَيمكنُ أنْ نَقُولَ (٢): قَالَهُ (٣) عَلى وَجْهِ الاستِفْهامِ دُوْنَ القَطْعِ. يَدُلُّ عليهِ: ﴿أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها﴾ (٤)، وقولُهُ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (٥).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً﴾ (٦).

الغُلامُ كانَ مُرَاهِقاً، فَقَتَلَهُ العَالِمُ.

«خَشِيَ» أي: عَلِمَ مِنَ اللهِ ـ تَعَالى ـ أنَّهُ مَتَى بَلَغَ، كَفَرَ أبَوَاهُ، وَمَتَى قُتِلَ، بَقِيَا

---

(١) الكهف: ٧٤.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): قال. من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٤) الكهف: ٧١.

(٥) الكهف: ٧٤.

(٦) الكهف: ٨٠.

عَلى إيمانِهما. ولا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يُميتَهُ اللهُ، وبينَ أنْ يأمُرَ بِقَتْلِهِ.

والدَّليلُ عَلى أنَّ «خَشِيَ» بمعنى: عَلِمَ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً﴾[1]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِلاَّ أَنْ يَخافا أَلاَّ يُقِيما حُدُودَ اللهِ﴾[2]. وقولُهُ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[3].

وَقَالُوا: الغُلامُ كانَ كافِراً، مُسْتحِقّاً للقَتْلِ، فَخَشِيَ الخَضِرُ ـ عَلَيهِ السَّلام[4] ـ أي: خافَ إدْخالَ أبَوَيْهِ في الكُفْرِ، وتزيينَهُ لَهُما.

وقَالُوا: الخَشْيَةُ: الكَرَاهِيَّةُ. يُقالُ: فَرَّقْتُ بينَ الرَّجُلينِ خَشْيَةَ أنْ يَقْتَتِلا.

فَالتَّأويلُ بمعنى: العِلْمِ، لا يَمتَنِعُ أنْ يَضافَ العِلْمُ إلى الله ـ تعالى[5] ـ.

ثُمَّ إنَّ مُوسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ إنَّما اِسْتَقْبَحَ ـ على البديهَةِ ـ قَتْلَ الغُلامِ، لأنَّهُ لَم يَعْرِفِ[6] الوَجْهَ الَّذي هُوَ عِلَّةُ حَسَنَةٌ، ولَوْ عَلِمَ ذَلِكَ، لَعَلِمَ حُسْنَ القَتْلِ، وَقُبْحَ السَّفينَةِ.

***

(١) النساء: ١٢٨.

(٢) البقرة: ١٢٩.

(٣) التوبة: ٢٨.

(٤) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): لَمْ يعرفو. بإسناده إلى واو الجماعة. وفي (هـ): لا يزل يعرفوا. وما أثبتناه من (ط) وهو الموافق للسياق.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَساكِينَ﴾[١].

إنَّما عَنَى بِالمَسْكَنَةِ، عَدَمَ النَّاصِرِ، كما يُسَمَّى من كانَ كثيرَ المالِ، واسِعَ الحالِ: مَسْكِينٌ[٢]، وَمُسْتَضْعَفٌ. وقالَ النَّبِيُّ[٣] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: مَسْكِينٌ، مَسْكِينٌ رَجُلٌ لا زَوْجَةَ لَهُ.

ثُمَّ إنَّ السَّفينةَ لِلْبَحْريِّ ـ الَّذي لا يَتَعَيَّشُ إلّا بِهَا ـ كالدَّارِ الّتي يَسْكُنُها الفَقِيرُ، هُوَ وَعِيالُهُ، ولا يَجِدُ سِوَاها[٤]، فَهْوَ مُضْطَرٌّ إليها.

فإنْ انْضَافَ[٥] ـ إلى ذلكَ ـ أنْ يُشارِكَهُ جَماعَةٌ في السَّفينةِ، حَتَّى يَكُونَ مِنْها الجُزْءُ[٦] اليَسِيرُ، كانَ أظْهَرَ فَقْراً.

ثُمَّ إنَّ لَفظَةَ «المَسَاكِينِ» قَدْ قُرِئَتْ[٧] ـ بالتَّشديدِ[٨] ـ ومَعْناهُ[٩]: البُخَلاءُ.

***

(١) الكهف: ٧٩.

(٢) العبارة: «مسكين... السلام» ساقطة من (أ).

(٣) كتاب السُّنن لسعيد بن منصور الخراساني: ١٦٣ في جملة حديث. الدرّ المنثور: ٣: ١٤٨. بلفظ مختلف قليلاً. فردوس الأخبار: ٤: ٤٥٢.

(٤) في (أ): سواهما.

(٥) في (هـ): انصاف. بالصاد المهملة. وهو تصحيف.

(٦) في (هـ) و(ح): الجزاء. وهو تحريف.

(٧) في (هـ): قربت. بالباء الموحّدة من تحت.

(٨) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ١١: ٣٤.

(٩) في (ح): معناها.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ﴾[١].

أي: بِما تَرَكْتُ. نحو قولِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[٢].

قالَ ابنُ عبّاسٍ[٣]: لا تُؤاخِذْني بما فَعَلْتُهُ مِمَّا يُشْبِهُ النِّسيانَ. فَسَمَّاهُ «نِسْياناً» للمُشابَهَةِ، كما قالَ المُؤذِّنُ لإخْوَةِ يُوْسُفَ: ﴿إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ﴾[٤].

ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ النِّسيانُ بِعَجِيبٍ، مَعَ قِصَرِ المُدَّةِ، فإنَّ الإنسانَ قَدْ يَنْسَى مَا قَرُبَ زَمَانُهُ، لـمَّا يَعْرِضُ لَهُ شُغْلُ القَلْبِ.



(١) الكهف: ٧٣.

(٢) طه: ١١٥.

(٣) جامع البيان: ١٥: ٢٨٥. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٨٤. تفسير البغويّ. ٣: ١٧٤.

(٤) يوسف: ٧٢.

فصل [ـ ٢٢ ـ]

[في قصة موسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوْسَى﴾ (١).

لَيْسَ فيها ما قَرَفُوهُ بِهِ. والصَّحيحُ أَنَّ بَنِـي إسرائيـلَ، لـمّا مـاتَ هـارُونُ، قَرَفُوهُ بِأَنَّهُ قَتَلَهُ، لأَنَّهُمْ كَانُوا إلى هارُونَ، أمْيَـلَ (٢)، فَـبَرَّأَهُ (٣) اللهُ مِـنْ ذلـكَ، وأمَـرَ الملائِكَةَ: بِأَنْ حَمَلَتْ هارُونَ مَيْتاً، وَمَرَّتْ بِهِ على مَحافِلِ بَنِي إسرائيلَ، ناطِقَةً بِمَوْتِهِ، وَمُبَرِّئَةً لِموسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مِنْ قَتْلِهِ.

وَرُوِيَ أَنَّ مُوسَى، نَادَى أخاهُ هارُونَ، فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ، فَسَأَلَهُ: هَـلْ قَتَلْـتُهُ؟ فَقالَ: لا! ثُمَّ عادَ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ آتَيْنـا مُوسَـى الْـكِتابَ وَالْـفُرْقانَ لَعَلَّكُـمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٤).

---

(١) الأحزاب: ٦٩.

(٢) في (أ): أهيل. بالهاء. وهو تحريفٌ.

(٣) في (أ): فتراه، بالتاء المثنّاة من فوق والألف اللّينة.

(٤) البقرة: ٥٣.

والفُرْقَانُ ، هُـوَ القُـرآنُ ، وَلَمْ يُـؤْتَ بِـهِ ، وإنَّـما اخْـتُصَّ بِـهِ مُحَمَّـدٌ ـ عَلَيـهِ السَّلام[١] ـ.

كُتُبُ الله، كُلُّها فُرْقانٌ، يَفْرُقُ بَـيْنَ الحَـقِّ، والبَاطِـلِ. واخْـتِلافُ اللَّفْظَـيْنِ، جَائِزٌ. قال[٢]:

[وَقَدَّمَتِ الأديمَ لِرَاهِشِيهِ] وَأَلْـفَى قَوْلَها كَذِباً وَمَيْنَا

والكِتَابُ، عِبَارَةٌ عَنِ التَّوْرَاةِ.

والفُرْقَانُ: انْفِرَاقُ البَحْرِ لِموسى ـ عَلَيهِ السَّلام[٣] ـ.

والفُرْقَانُ: الفَرْقُ بَيْنَ الحلالِ، والحَرَامِ.

والفُرْقانُ: بَـيْنَ مُوسَـى، وَأَصْـحابِهِ المُـؤمنينَ، وَبَـيْنَ فِرْعَـوْنَ، وأصـحابِهِ الكَافِرينَ، كالنَّجاةِ وَالهلاكِ.

والفُرْقَانُ: المُنْزَلُ على نَبِيِّنا ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

والتَّصْدِيقُ، والإيمانُ بِالفُرْقانِ الّذي هُوَ القُرْآنُ، لأنَّ مُوسـى، كَـانَ مُؤْمِنـاً بِمُحَمَّدٍ [عَلَيهِ السَّلام][٤] وَبِما جاءَ بِهِ.

---

(١) في (ح): صلّى الله عليه وآله.

(٢) هو عديُّ بن زيد العباديّ. أُنظر ديوانه: ١٨٣ ومنه صدر البيت. والأديم: النِّطْعُ. الراهشان: عِرْقانِ في باطنِ الذّراعين.

(٣) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

وَسَاغَ حَذْفُ القَبُولِ، والإيمانِ، والتَّصْدِيقِ، وَإِقَامَةُ الفُرْقانِ مُقَامَهُ، كَمَا سَاغَ في قَوْلِهِ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(١).

والفُرْقانُ، هُوَ القُرْآنُ. وتَقْدِيرُ الكَلامِ: وَإِذْ آتَينا مُوسى الكِتَابَ، الَّذي هُوَ التَّوْرَاةُ، وَآتَينا مُحَمَّداً الفُرْقانَ. فَحَذَفَ مَا حَذَفَ، كَما قَالَ الشَّاعِرُ(٢):

[لَـمَّا حَطَطْتُ الرَّحْلَ عَنْها وَارِدَا] عَلَفْتُها تِبْناً وَمَاءً بَارِدا

وقالَ الآخرُ(٣):

يا ليتَ بَعْلَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحَا

---

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) مما ينسب إلى ذي الرُّمَّة. أُنظر ديوان شعر ذي الرُّمَّة: ٦٦٤، ومنه صدر البيت. عطف «ماءً» على قوله: «تبناً» ومن أجل هذا وجب أن يكون قوله: «ماءً» مفعولاً لفعل محذوف والتقدير: سقيتها ماءً. أو أنْ يضمّن (علفتها) معنى فعل يصحّ أنْ تسلطه على المعطوف والمعطوف عليه مثل: أنلتها أو قدَّمتُ لها.

(٣) معاني القرآن للفرّاء: ١: ١٢١، ٤٧٣/ ٣: ١٢٣. مجاز القرآن: ٢: ٦٨ معاني القرآن للأخفش: ٢: ٤٦٦، ٤٧٢. تأويل مشكل القرآن: ٢١٣. الكامل: ١: ٣٣٤. المقتضب: ٢: ٥١. الخصائص: ٢: ٤٣١. فقه اللغة وسرّ العربية: ٣٢٦. التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٤٥٦. أمالي المرتضى: ١: ٥٤. الأمالي الشجرية: ٢: ٣٢١. الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢: ٦١٢. وقد عزاه بعض محققي هذه الكتب إلى عبدالله بن الزِّبعرى. وقد نسبه ابن شهرآشوب في موضع آخر من هذا الكتاب إلى امرئ القيس، وليس في ديوانه. قال علماء اللغة: إنّه يقال: تقلّد فلان سيفَهُ. ولايقالُ: تقلّد رمحَهُ. وإنّما يقال: حَمَلَ رمحه. قوله: «رمحاً» معطوف على قوله: «سيفاً» فيكون قوله: «متقلّداً» مسلطاً، وعاملاً في المعطوف والمعطوف عليه جميعاً.

وقالَ الصَّادِقِ[١] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: القُرآنُ، جُمْلَةُ الكِتَابِ، والفُرْقانُ، المُحْكَمُ، الوَاجِبُ العَمَلِ بِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾[٢]، ثُمَّ قالَ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾[٣].

المعنى ـ واللهُ أعلمُ ـ إنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ خَصَّ مُوسى [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ][٤] بِكَلامٍ، خَلَقَهُ على هذهِ[٥] الصِّفَةِ، ما لم يَخُصَّ[٦] بِهِ أَحَداً[٧] مِنْ أنبيائِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ﴾[٨].

---

(١) معاني الأخبار: ١٩٠.

(٢) الشورى: ٥١.

(٣) النساء: ١٦٤.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ) و(ح).

(٥) في (هـ): هذا.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): يُخَصّ. بصيغة المبني للمجهول.

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): أحد. من دون تنوين النّصب.

(٨) البقرة: ٦٧.

/١٢٨/ والهُزْو: اللَّعِبُ، والسُّخْرِيَةُ. ولا يجوزُ أنْ يَقَعَ ـ مِنْ أولياءِ الله ـ تَعَالى ـ فِيمَا يُؤَدُّونَهُ ـ هُزْوٌ[١]، ولا لَعِبٌ. فَظَنُّوا بِهِ ظَنَّ سُوءٍ، لِجَهْلِهِم بِالحِكْمَةِ، فَقالَ مُوسَى ـ عِنْدَ ذلكَ ـ: ﴿أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾. يعني: مِنَ السُّفهاءِ الَّذين يَرَونَ على الله الكَذِبَ، والبَاطِلَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى...﴾ الآية[٢].

إنّما وَلَّى مُدْبِراً مِنْها[٣] مُوسى، للبِشَرِيَّةِ، لا أَنَّهُ[٤] شَكَّ في كَوْنِها مُعْجِزَةً لَهُ، لا تَضُرُّهُ.

فَقِيلَ: ﴿لا تَخَفْ﴾[٥]. نِداءٌ مِنَ الله ـ تَعَالى ـ لموسى، وَنَهْيٌ لَهُ عَنِ التَّخَوّفِ. وقالَ لَهُ: إنَّكَ مُرْسَلٌ ﴿لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[٦] لأنّهم لا يَفْعَلونَ قَبِيحاً، ولا يُخِلُّونَ بِواجبٍ، فيخافُونَ[٧] عِقابَهُ.

---

(١) في (ك): هزء. بالهمز.

(٢) القصص: ٣١.

(٣) في (ح): موسى منها.

(٤) في (ك) و(هـ): أنّ. من دون الضمير (الهاء).

(٥) القصص: ٣١.

(٦) النمل: ١٠.

(٧) في النسخ جميعها: يخافوا. بسقوط نون الرفع. والوجه ما أثبتناه.

﴿إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ﴾ [١] صُـورَتُهُ[٢]، صُـورَةُ الاسـتِثْناءِ، وهو مُنْقَطِعٌ عَنِ الأوَّلِ. وتقديرُهُ: لكنْ مَنْ ظَلَمَ نَفْسِهُ، فَعَلَ [٣] القَبِيحَ.

﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ﴾ بِأَنْ يأتِيَ ـ بَعْدَ القَبِـيحِ ـ بِالفِعْـلِ الحَسَنِ، فإنَّـهُ يُغْفَرُ لَهُ.

وَقالَ الحَسَنُ[٤]: هُوَ استِثْنَاءٌ، غَيرُ مُنْقَطِعٍ. وأَرَادَ: مَنْ فَعَـلَ صَـغِيرَةً[٥] مِـنَ الأنبياءِ.

وهذا بَعيدٌ مِنَ الصَّوابِ، لأنَّ صَاحِبَ الصَّغِيرَةِ، لا خَوْفٌ عَلَيْـهِ ـ أيـضاً ـ لِوقُوعِهَا مُكَفَّرةً. والاستثناءُ وَقَعَ مِنَ المُرْسَلينَ الّذينَ لا يَخافُونَ.



(١) النمل: ١١.

(٢) في (هـ): صورة. من دون الضمير (الهاء).

(٣) في (ح): بفعل. بصيغة المصدر مع حرف الجر (الباء).

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٧٠.

(٥) في (هـ): صغير. من دون التاء المدوّرة المنقوطة.

فصل [ـ ٢٣ ـ]

[في قصة داود ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ في قِصَّةِ داودَ ـ عَلَيهِ السَّلام[١] ـ: ﴿وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْـخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْـمِحْرابَ...﴾ [٢] إلى قولِهِ: ﴿... وَأَنابَ﴾[٣].

لا تَدُلُّ على وُقُوعِ الخَطَأ مِنْهُ. وأمَّـا الرّوايَـةُ المـدَّعاةُ، فَـسَاقِطَةٌ ـ لِتَـضَمُّنِها خِلافَ ما تَقْتَضِيهِ[٤] الأُصولُ ـ مَطْعُونٌ في رُواتِها.

و(الخَصْمُ)، مَصْدَرٌ، لا يُجمَعُ، ولا يُثَنَّـى، ولا يُؤَنَّـثُ، فلـذلِكَ قـال: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْـمِحْرابَ...﴾ .

ثُـمَّ إنَّ الخَـصْمَينِ[٥]، كـالقَبيلَتينِ، أوِ الجِنْـسَيْنِ. ثُـمَّ إنَّ في الاثنـينِ مَعْنـى الانْضِمامِ[٦]، وَلِهذا زَعَمَ بَعْضُهم: إنَّهُ أقلُّ الجَمْعِ.

---

(١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٢) ص: ٢١.

(٣) ص: ٢٤.

(٤) في (ك) و(هـ): يقتضيه. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٥) في (ح): الخصم. بصيغة المفرد.

(٦) في (ك) و(أ): الانضهام. من دون ميم بين الضاد والألف.

وَقِيلَ: بَلْ كانَ مَعَ هذينِ الخَصْمينِ، غَيْرُهما، مِمَّنْ يُعِينُهما[١].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾[٢]

لِأَنَّهُ كان خَالِياً[٣] بِالعِبادَةِ في وَقْتٍ، لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ فيهِ أَحَدٌ، ولأَنَّهما دَخَلا مِنْ غَيْرِ المَكَانِ المَعْهُودِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ...﴾[٤] إلى قولِهِ: ﴿... الْخِطابِ﴾[٥].

قالَ أَكثرُ[٦] المُفَسِّرينَ: إِنَّهُ كَنَّى بِالنِّعاجِ عَنْ تِسْعٍ، وتِسْعِينَ امْرَأَةً، وإِنَّ لِلآخَرِ امرَأَةً واحِدَةً.

وَقَالَ الحَسَنُ[٧]: لَمْ يَكُنْ لَهُ تِسْعٌ وتِسعُونَ امرَأَةً، وَإِنَّما هُوَ عَلى وَجْهِ المَثَلِ.

---

(١) في النسخ جميعها: يعينها. وما أثبتناه من (ط).

(٢) ص: ٢٢.

(٣) في (أ): حالياً. بالحاء المهملة.

(٤) ص: ٢٢.

(٥) ص: ٢٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٧٤.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٥٠٤.

وَقَالَ أبو مُسْلِمٍ[١]: أَرَادَ النَّعْجَةَ بِأَعْيَانِهَا. وَهْوَ الظَّاهِرُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَداوُدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً﴾[٢].

قِيلَ في مَعْنى قوله: ﴿إِذْ يَحْكُمانِ﴾: إنَّهُما إذْ شَرَعَا في الحُكْمِ فيهِ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ بِهِ في ابْتِدَاءِ الشَّرْعِ.

وَقِيلَ: أنْ يَكُونَ حُكْمُهُ، حُكْماً مُعَلَّقاً بِشَرْطٍ لَمْ يَفْعَلْهُ بَعْدُ.

وَقِيلَ: أنْ يَكُونَ مَعْناهُ: طَلَبَا[٣] الحَرْثَ، وَلَمْ يَبْتَدِئَاهُ[٤] بَعْدُ.

وَيُقَوِّي ذلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَفَهَّمْناهَا سُلَيْمانَ﴾.

والجَوابُ الصَّحِيحُ: إنَّهُ كَانَ حُكْمُهُما حُكْماً[٥] وَاحِداً، إلّا أنَّ دَاودَ أمَرَ سُلَيمانَ بِالحُكْمِ، لِيُعرِّفَ بَنِي إسرائيلَ، عِلْمَ سُلَيمانَ، وأنَّهُ وَصِيُّهُ مِنْ بَعْدِهِ.

***

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٥٠٤.

(٢) الأنبياء: ٧٨، ٧٩.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): طلب. من دون إسناد إلى ألف الاثنين.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يبتدئانه. مع نون الرفع.

(٥) (حكماً) ساقطة من (أ).

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْراقِ﴾ [١]، وقوله: ﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [٢].

مَعْنى ذلِكَ: إنَّها كانَتْ تَسِيرُ بِأمرِ الله ـ تعالى [٣] ـ مَعَهُ، حيثُ سَارَ بِالغَداةِ، والعَشِيِّ، فَسَمَّى اللهُ ـ تعالى [٤] ـ ذلِكَ تَسْبِيحاً، لِما في ذلِكَ مِنْ دَلَالَتِهِ على قُدْرَتِهِ، وَصِفَاتِهِ الّتي لا يُشارِكهُ فيها غَيْرُهُ.

وقولُهُ: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [٥]. أي: مجموعَةً مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ إليهِ.

يَعْني: كُلُّ الطَّيرِ، والجِبَالِ لَهُ أَوَّابٌ إلى مَا يُرِيدُهُ [٦].

وَقالَ قَتَادَةُ [٧]: أي: مُسَخَّرَةً. وَعَبَّرَ عَنْ ذلِكَ التَّسْخِيرِ بِأَنَّهُ تَسْبِيحٌ مِنَ الطَّيرِ، لِدَلَالَتِهِ عَلى أنَّ مُسَخِّرَهَا، قَادِرٌ، وَلا يَجُوزُ عَلَيهِ العَجزُ، كَما يَجُوزُ عَلَى العِبادِ.

وقَالَ الجُبَّائيُّ [٨]: أكمَلَ اللهُ ـ تَعالى ـ عُقُولَ الطَّيرِ حتَّى فَهِمَتْ مَا كانَ مِنْ

---

(١) ص: ١٨.

(٢) الأنبياء: ٧٩.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٥) ص: ١٩.

(٦) في (أ): مدين. وفي (ح): يريد. من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٧) جامع البيان: ٢٣: ١٣٧. الدر المنثور: ٧: ١٥٣.

(٨) مجمع البيان: ٤: ٤٦٩.

سُليمانَ، يأمُرُها بِهِ، وَيَنْهاها عَنْهُ، وَمَا يَتَوَعَّدُهَا بِهِ مَتَى خَالَفَتْ. وَسَخَّرَ لَـهُ الطَّـيْرَ بِأنْ قَوّى أفهامَها، حَتَّى صَارَتْ كَصِبيانِنَا الَّذينَ يَفْهَمونَ[1] التَّخويفَ والترهِيبَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ﴾[2].

مِنْ غَيْرِ مَسْألَةٍ لِلْخَصْمِ. إنَّما أرَادَ بِهِ إنْ كَانَ الأمْرُ كَما ذَكَرْتَ.

ومَعْنى «ظَلَمَكَ»: اِنْتَقَصَكَ. كَما قَالَ: ﴿آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾[3].

وقولُهُ: ﴿وَظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ﴾[4].

أي: عَلِمَ، وَحَدَسَ. أيضاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ راكِعاً وَأَنابَ﴾[5].

على سَبِيلِ الانْقِطاعِ إلى الله ـ تعالى[6] ـ والخُضُوعِ لَهُ.

***

(١) في (ح): يفهمون منّا.

(٢) ص: ٢٤.

(٣) الكهف: ٣٣.

(٤) ص: ٢٤.

(٥) ص: ٢٤.

(٦) (تعالى) ساقطة من (ح).

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ﴾ (١).

أي: قَبِلْنَا مِنْهُ، وَكَتَبْنا لَهُ / ١٢٩/ الثَّوابَ عَلَيهِ(٢). وَأَخْرَجَ الجَزَاءَ عَلى لَفْظِ الـمُجَازَى عَلَيهِ.

وَأَمَّا قَذْفُهُ بِامْرَأَتِهِ «اوريا» [فـ](٣) باطِلٌ. قَالَ أميرُ الـمُؤْمنينَ(٤) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: لا أُوتَى بِرَجُلٍ يَزْعُمُ أنَّ دَاوُدَ تَزَوَّجَ بِامْرَأةِ «أوريا» إلّا جَلَدْتُهُ، حَدَّاً لِلنُّبوَّةِ، وَحَدّاً للإسْلامِ.

وَقالَ أبُو مُسْلِمٍ(٥) الأصفهانِيُّ: لا يَمْتَنِعُ أنَّ الدَّاخِلينَ عَلى دَاودَ، كَانَا خَصْمَيْنِ مِنَ البَشَرِ. وَإنَّما ارْتَاعَ مِنْهُما لِدُخُولِهِما مِنْ غَيْرِ إذْنٍ، وَعَلى غَيْرِ مَجْرَى العَادَةِ. وَلَيسَ في ظَاهِرِ التِّلاوَةِ ما يَقْتَضِي أنْ يَكُونَا(٦) مَلَكَيْنِ.



(١) ص: ٢٥.

(٢) (عليه) ساقطة من (ح).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) مجمع البيان: ٤: ٤٧٢.

(٥) مجمع البيان: ٤: ٤٧٢.

(٦) في (ش): يكون. من دون ألف الاثنين.

فصل [ـ ٢٤ ـ]

[في قصّة سليمان ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ : ﴿وَوَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ...﴾[1] . إلى قوله : ﴿... وَالأَعْناقِ﴾[2].

لَيْسَ ظَاهِرُهَا دالًّا عَلَى أنَّ مُشَاهَدَةُ الخَيْلِ، الْـهَاهُ[3] عَـنْ ذِكْـرِ رَبِّـهِ، حَتَّـى فاتَتْهُ الصَّلاةُ، فَعَرْقَبَها[4]، وَقَطَعَ سُوْقَها، وَأعْنَاقَها. بَلْ هذا مُخالَفَةٌ[5] لِـما تَقْتَـضِيهِ الأدِلَّةُ.

يَدُلُّ عَلَيهِ أنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ ابْتَدَأ الآيَةَ بِمَدْحِهِ[6]، فقـال: ﴿نِعْـمَ الْـعَبْدُ إِنَّـهُ أَوَّابٌ﴾[7]. وَلا يَجُوزُ أن يُثْنِيَ عَلَيهِ بِهذا الثَّناءِ، ثُمَّ يُتْبِعُـهُ مِـنْ غَـيْرِ فَـصْلٍ بإضـافَةِ

---

(١) ص: ٣٠.

(٢) ص: ٣٣.

(٣) في (ح): ألهتهُ.

(٤) عَرْقَبَ الدابَّةَ: قطع عُرقوبتها. وهو من الدابة ما يكون في رجلها بمنزلة الرُّكبة في يَدِها. (المعجم الوسيط ـ عرقب).

(٥) في (ح): مخالف. من دون تاء التأنيث المتحرّكة.

(٦) في (ش): يمدحه. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٧) ص: ٣٠.

القَبِيحِ إليهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْـخَيْرِ﴾[1].

أي: أَحْبَبْتُ حُبّاً. ثُمَّ أضافَ «الحُبَّ» إلى «الخَيْرِ».

أو أرادَ: أحْبَبْتُ اِتِّخاذَ الخَيْرِ. لأنَّ ذاتَ الخَيْلِ، لا يُحَبُّ. فَجَعَلَ بَدَلَ قَوْلِهِ: اِتِّخاذَ الخَيْلِ، «حُبَّ الخَيْرِ».

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿حَتَّى تَوارَتْ بِالْـحِجابِ﴾[2] عائِدٌ إلى «الخَيْلِ» دُونَ الشَّمْسِ، لأَنَّهُ قَدْ جَرَى ذِكْرُها في الآيةِ، وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُ الشَّمْسِ. وَلَيسَ في ظَاهِرِ القُرآنِ أنَّ التَّوارِيَ، كانَ سَبَباً لِفَواتِ صَلاةِ النَّافِلَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رُدُّوها عَلَيَّ﴾[3].

الخَيْلُ لا مَحالَةَ.

﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْناقِ﴾[4]. مَسَحَها، أوْ أمَرَّ يَدَهُ عَلَيها، صِيَانَةً

---

(١) ص: ٣٢.

(٢) ص: ٣٢.

(٣) ص: ٣٣.

(٤) ص: ٣٣.

لها، وَإِكْرَاماً. وَهذا عَادَةُ النَّاسِ.

وَالمَسْحُ ـ أيضاً ـ: الغَسْلُ. أي: غَسَلَ قَوَائِمَها، وَأعْنَاقَها.

ولا تُسَمِّي العَرَبُ الضَّربَ بالسَّيْفِ، وَالقَطْعَ بِهِ: مَسْحاً. ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَجْرِ للسَّيْفِ ذِكْرٌ، فَيُضافُ المَسْحُ إليهِ.

ويُقالُ: إِنَّهُ عَرْقَبَ الخَيْلَ، لأنّها كانَتْ أَعَزَّ مَالِهِ، وَكَفَّرَ عَنْ تَفْرِيطِهِ في النَّافِلَةِ بِذَبْحِها، والتَّصَدُّقِ بِلَحْمِها عَلَى المَسَاكينَ، لِقَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾[2].

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَرِّثَهُ المَالَ[3]، والعِلْمَ.

وَقَالَ المُخَالِفُونَ[4]: إِنَّهُ وَرِّثَهُ العِلْمَ، للخَبَرِ[5] المَرْوِيِّ: نَحْنُ ـ مَعَاشِرَ الأنبياءِ ـ لا نُوَرِّثُ. وقَوْلِهِ[6] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: العُلَماءُ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ.

---

(١) آل عمران: ٩٢.

(٢) النّمل: ١٦.

(٣) في (هـ): العلم والمال.

(٤) في (هـ): المخلفون.

(٥) صحيح البخاري: ٤: ٩٦، ٩٧ / ٥: ٢٥، ١٧٧ / ٨: ١٨٥، ١٨٧. صحيح مسلم: ٥: ١٥٣، ١٥٥ باختلاف اللفظ. صحيح الترمذي: ٧: ١٠٩، ١١١، ١١٢ باختلافٍ يسير في اللفظ.

(٦) صحيح البخاري: ١: ٢٦ باختلاف يسير. سنن أبي داود: ٢: ٢٨٥. تاريخ بغداد: ١: ٣٩٨.

حَقِيقةُ المِيراثُ، هُوَ انتقالُ تَرِكةِ الماضِي بِمَوتِهِ إلى البَاقِي مِـنْ ذَوِي قَرَابَتِـهِ. وَحَقِيقةُ ذلِكَ في الأعيانِ. وإذا قِيلَ ذلِكَ في العِلْمِ، كَانَ مجَازاً.

والخَبَرُ، خَبَرُ واحِدٍ، لا يجُوزُ أنْ يُخَصَّ بِهِ عُمُومُ القُرآنِ.

وَمِثْلُ ذلِكَ قَولُهُ : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[1]. وَقَدْ شَرَحْتُ ذلِكَ في المَثَالِبِ[2].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾[3].

النُّبُوَّةُ، لا تكـونُ في خَـاتَمٍ، وَلا يَسْلُبها الجِنِّيُّ مِنَ النَّبِيِّ[4]، وإنَّ [اللهَ][5] ـ تَعَالى ـ لا يُمكِّنُ الجِنِّيَّ مِنَ التَّمَثُّلِ[6] بِصُورَةِ النَّبِيِّ.

وَلَيْسَ في الظَّاهِرِ أكثرُ مِنْ أنَّ جَسَداً، أُلْـقِيَ عَلَى كُرْسِيِّهِ عَلَى الاخْتِبارِ[7] لَهُ،

---

(١) مريم: ٦.

(٢) المثالب: كتاب لمؤلف هذا الكتاب (ابن شهرآشوب) ويبدو أنّه فُقد في جملة ما فُقـد مـن عيـون تراثنا العربيّ الإسـلامي، وقـد ذكـره المؤلـف في كتابـه (معـالم العلـماء): ١٠٦ باسـم: مثالـب النواصب.

(٣) ص: ٣٤.

(٤) في (أ): النبيّ صلعم.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (ش) و(أ): التمثيل.

(٧) في (هـ) و(أ) و(ح): الاختيار. بياء مثنّاة من تحت قبل الألف.

نَحوُ قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[1].

قِيلَ: إنَّهُ[2] ـ عَلَيهِ السَّلام[3] ـ ذَكَرَ[4] ـ يَوْماً في مَنْزِلِهِ ـ: لأَطُوفَنَّ ـ اللَّيلَةَ ـ على مَائةِ امْرَأةٍ، تَلِدُ كُلُّ امْرأةٍ مِنْهُنَّ غُلاماً يَضْرِبُ بالسَّيفِ في سَبِيلِ الله[5]... القِصَّةُ.

فإنْ صَحَّ ذلِكَ، فلا يَكونُ ذَنْباً، لأنَّ مَحَبَّةَ الدُّنيا ـ على وَجْهِ المُبَاحِ ـ لَيْسَ بِذَنْبٍ.

وَقِيلَ: كَانَ لِسُلَيمانَ وَلَدٌ شَابٌّ، يُعْجَبُ بِهِ، فَأَمَاتَهُ اللهُ فُجأَةً اخْتِبَاراً[6] مِنَ اللهِ ـ تَعَالى ـ لِسُلَيْمانَ.

وَقِيلَ: إنَّهُ أَمَاتَهُ في حِجْرِهِ، فَوَضَعَهُ على كُرْسِيِّهِ مِنْ حِجْرِهِ.

وَجَائزٌ أنْ يَكُونَ الجَسَدُ المَذْكُورُ، هُوَ نَفْسُ سُليمانَ، وأنْ يَكُونَ ذَلِكَ

(١) العنكبوت: ١ ـ ٣.

(٢) في (ح): إنّ سليمان.

(٣) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٤) مجمع البيان: ٤: ٤٧٥. الدر المنثور: ٥: ٣٧٨. فردوس الأخبار: ٣: ٢٣٨ ـ ٢٣٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٧٤.

(٥) (الله) لفظ الجلالة ساقط من (أ).

(٦) في (هـ): اختياراً. بالياء المثنّاة من تحت قبل الألف.

لِـمَرَضٍ، امْتَحَنَهُ اللهُ بِهِ.

والعَرَبُ تقُولُ: إنَّما هُوَ لَحْمٌ عَلى وَضَمٍ[١]، وَجَسَدٌ بِلا رُوْحٍ. تَغْلِيظاً لِلْعِلَّة، ومُبالَغَةً في فَرْطِ الضَّعْفِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ﴾[٢].

أي: بِالتَّسْخِيرِ.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾[٣]. يَعْني: بأمرِ سُليمانَ إلى حيثُ شَاءَ.

ويكونُ ـ فيما أعْطَاهُ مِنَ التَّسخيرِ ـ يَدْعُوهُ إلى الخُـضُوعِ، وَيَـدْعُو الطَّالِـبَ الحَقَّ إلى الاسْتِبْصارِ[٤] في ذَلكَ. وكانَ[٥] لُطْفاً يَجِبُ فِعْلُهُ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رَبِّ اغْفِـرْ لِي وَهَـبْ لِي مُلْكـاً لا يَنْبَغِـي لأَحَـدٍ مِـنْ بَعْدِي﴾[٦].

---

(١) الوَضَم: ج: أوضام وأوْضمة: خشبةُ الجزّار التي يقطع عليها اللحـم. يقـال: تـركهم لحماً عـلى وَضَمٍ. أي: أوقع بهم فذلّلهم وأوجعهم. (المنجد ـ وَضَمَ).

(٢) الأنبياء: ٨١.

(٣) الأنبياء: ٨١.

(٤) العبارة في (هـ): ويدعو الطالب إلى الحقّ بالاستبصار.

(٥) في (ح): فكان. مع الفاء.

(٦) ص: ٣٥.

قَدْ ثَبَتَ أنَّ الأَنبياءَ ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ لا تَسْأَلُ[١] إلّا ما يُؤْذَنُ لَهَا في مَسْأَلتِهِ، ولا سِيَّما إذا كانَتِ المسألَةُ ظَاهِرَةً يَعْرِفُها قَوْمُهُمْ.

وَجَائِزٌ أنْ يكونَ اللهُ ـ تَعَالى ـ أعْلَمَ سُليمانَ: أنَّهُ إنْ سَأَلَ مُلْكاً لا يكونُ لِغَيْرِهِ، كانَ أَصْلَحَ لَهُ في الدِّينِ، والاسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّاعاتِ / ١٣٠/ ، وأعْلَمَهُ: أنَّ غَيْرَهُ لَوْ سَأَلَ ذلِكَ، لَمْ يُجِبْ[٢] إليهِ مِنْ حَيْثُ لا صَلاحَ لَهُ فيهِ.

وَلَوْ أنَّ أحَدَنا، صَرَّحَ في دُعائِهِ بِهذا الشَّرطِ، حَتَّى يَقُولَ: اللهمَّ اجْعَلْنِي أيْسَرَ أهلِ زَمَاني، وارْزُقني ما لا يُساوي فيهِ غَيْري، إذا عَلِمْتَ أنَّ ذلِكَ أَصْلَحُ لِي، وأنَّهُ أدْعَى إلى ما تُرِيدُهُ مِنِّي. لكانَ هذا الدُّعاءُ حَسَناً جَمِيلاً، وَهوَ غيرُ مَنْسوبٍ إلى بُخْلٍ.

وليسَ يَمْتَنِعُ أنْ يَسْأَلَ النَّبِيُّ هذِهِ[٣] المسألَةَ مِنْ غَيْرِ إذْنٍ، إذا لَمْ يَكُنْ ذَلكَ بِحَضْرَةِ قَوْمِهِ، بَعْدَ أنْ يَكُونَ هذا الشَّرْطُ مُراداً[٤] فِيها.

وإنْ لَمْ يَكُنْ مَنْطُوقاً بِهِ، لَكَانَ هذا الدُّعاءُ، حَسَناً جَمِيلاً، وهوَ غيرُ مَنْسوبٍ إلى البُخْلِ.

---

(١) في (ش): يسال. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٢) في (أ): تجب. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٣) في (أ): هذا.

(٤) في (ش) و(أ): مراد. من دون تنوين النصب.

ثُمَّ إنَّهُ إنَّما الْتَمَسَ أنْ يَكُونَ مُلْكُهُ آيَةً لِنُبوَّتِهِ، يَتبيَّنُ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ، مِمَّنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ (١).

أي: لا يَنْبَغِي لأحَدٍ غَيْري مِمَّنْ أنَا مَبْعُوثٌ إليهِ. وَلَمْ يُرِدْ مِنْ بَعْدِهِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ من النَّبِيِّينَ، كَما يَقُولُ القائِلُ: أنا أُطِيعُكَ، وَلا أُطِيعُ أحَداً بَعْدَكَ. أي: سِوَاكَ.

قَال المُرْتَضى(٢): إنَّما سَأَلَ مُلْكَ الآخِرَةِ، الَّذي لا يَنالُهُ المُسْتَحِقُّ إلّا بَعْدَ انْقِطاعِ التَّكْلِيفِ، وَزَوالِ المِحْنَةِ.

وقولُهُ: ﴿لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾. أي: لا يَسْتَحِقُّهُ بَعْدَ وُصُولي إليهِ أحَدٌ مِنْ حَيْثُ لا يَصْلُحُ أنْ يَعْمَلَ ما يَسْتَحِقُّ بِهِ، لانْقِطاعِ التَّكليفِ.

وَيُقَوِّي ذَلكَ قولُهُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ (٣). وَهوَ مِنْ أحكامِ الآخِرَةِ.



(١) ص: ٣٥.

(٢) مجمع البيان: ٤: ٤٧٦.

(٣) ص: ٣٥.

فصل [ـ ٢٥ ـ]

[في قصّة سليمان ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿عُلِّمْنا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [١].

قال المُبَرِّدُ [٢]: تُسَمِّي العَرَبُ كُلَّ مُبينٍ عَنْ نَفْسِهِ، ناطِقاً، وَمُتكَلِّماً.

وقالَ الرُّمَّانيُّ [٣]: مَنْطِقُ الطَّيْرِ، صَوْتٌ، تَتَفَهَّمُ بِهِ مَعَانيها على صِيْغَةٍ واحِدَةٍ، بِخِلافِ مَنْطِقِ النَّاسِ، إذْ هُوَ صَوْتٌ، يَتَفَهَّمُونَ [٤] بِهِ معانيهم على صِيَغٍ مُختَلِفَةٍ. وَلذلِكَ لَمْ يَفْهَمْ عَنْها مَعَ طُوْلِ مُصاحَبَتِها، وَلَمْ تَفْهَمْ هِيَ عَنهُ، لأنَّ أفْهَامَها، مَقْصُورةٌ على تِلْكَ الأُمورِ المَخْصُوصَةِ. وَلـمّا جُعِلَ سُليمانُ يَفْهَمُ [٥] عنها، كانَ قَدْ عَلِمَ مَنْطِقَها.

وَقِيلَ: المُرادُ بِهِ: أنَّهُ عَلِمَ ما يَفْهَمُ بِهِ ما يَنْطِقُ [٦] الطُّيُورُ بِهِ في أصواتِها،

---

(١) النّمل: ١٦.

(٢) مجمع البيان: ٤: ٢١٤.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٢١٤.

(٤) في النسخ جميعها: تتفهّمون. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق. وما أثبتناه من (ط).

(٥) في النسخ جميعها: تفهم. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق. وما أثبتناه من (ط).

(٦) في (ح): تنطق.

ومَقَاصِدِها، بما يَقَعُ مِنْها مِنْ صِيَاحٍ على سبيلِ المُعْجِزِ لِسُليمانَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما لِيَ لا أَرَى الْـهُدْهُدَ﴾[1].

عَرَّفَهُ بالألف واللّامِ، للخُصُوصيَّةِ بِهِ، وَسَبيلُهُ، سَبِيلُ غُرابِ نُوحٍ، وحِمَـارِ عُزَيْرٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً﴾[2].

العَذَابُ، اِسْمٌ للضَرَرِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقّاً. وَلَيْسَ يَجْرِي مَجْرَى العِقَـاب، الّذي لا يَكُونُ إلّا جَزَاءً. فَيَكُونُ مَعْنَى: «لأُعَذِّبَنَّـهُ»: لأُؤْلِمَنَّـهُ. ويَكُـونَ اللهُ أباحَـهُ ذلِكَ الإيْلامَ، كَمَا أبَاحَهُ الذَّبْحَ، لِضَرْبٍ مِنَ المَصْلَحةِ، كَمَا سَخَّرَ لَهُ الطَّيْرَ، يُصَرِّفُها في مَنَافِعِهِ، وأغْرَاضِهِ لِلْمُعْجِزَةِ[3].

وَقَدْ يُسمَّى التَّأديبُ، تَعْذِيباً، قَوْلُهُ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ﴾[4].

وَقِيلَ: أرادَ حَبْسَهُ، أو نَتْفَ رِيشِهِ.

***

(١) النّمل: ٢٠.

(٢) النّمل: ٢١.

(٣) في (هـ) و(أ): للمعجز.

(٤) النّور: ٢.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْـكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ (١).

سَأَلَ يَحْيى(٢) بنُ أكْثَمَ عليَّ بنَ محمَّدٍ النَّقِيِّ ـ عَلَيهِمَا السَّلام (٣) ـ: هـل كـانَ سُليمانُ مُحتاجاً إلى عِلْمِ آصِفَ؟

فقالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لَمْ يَعْجَزْ سُليمانُ عَنْ مَعْرِفَةِ ما عَرَفَ آصِفُ، لكنَّهُ أحَبَّ أنْ يُعَرِّفَ أُمَّتَهُ مِنَ الجِنِّ، والإنْسِ، أنَّهُ الحُجَّةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَذلكَ مِنْ عِلْمِ سُلَيمانَ، أوْدَعَهُ آصِفَ، بِأمْرِ الله، فَفَهَّمَهُ اللهُ ذلكَ، لِئَلّا يُخْتَلَفَ في إمَامَتِهِ، وَدَلالَتِهِ(٤)، كَمَا فَهَّمَ اللهُ سُليمانَ في حَياةِ دَاودَ، لِتُعْرَفَ إمامَتُهُ، ونُبُوَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، لِتأكِيدِ الحُجَّةِ على الخَلْقِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَها﴾ (٥).

قَالَ قَتَادَةُ(٦): كانَ سُليمانُ أحَبَّ أنْ يَمْلِكَ عَرْشَها قَبْلَ أنْ تُسْلِمَ، فَيَحْرُمُ عَلَيهِ أخْذُ مَالِهَا، لأنَّهُ أعجَبَتْهُ صِفَتُهُ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٧).

---

(١) النّمل: ٤٠.

(٢) مجمع البيان: ٤: ٢٢٥ نقلاً عن تفسير العيّاشي. البرهان في تفسير القرآن: ٣: ٢٠٦.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عَلَيهِ السَّلام.

(٤) (في إمامته ودلالته) ساقطة من (ح).

(٥) النّمل: ٤١.

(٦) جامع البيان: ١٩: ١٦. الدرّ المنثور: ٦: ٣٥٩.

(٧) النّمل: ٢٣.

وقالَ ابنُ زَيْدٍ[١]: أَرادَ أَنْ يَخْتَبِرَ عَقْلَها، وفِطْنَتَها بِذلكَ، قَوْلُهُ: ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾[٢].

وَقَالَ وَهَبٌ[٣]: أرادَ أَنْ يَجْعَلَ ذلِكَ مُعْجِزَةً على نُبُوَّتِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾[٤].

تَكَلَّمَ العُلَماءُ في كيفِيَّةِ إتْيانِهِ بِالعَرْشِ:

فقَالَ ابنُ عبَّاسٍ[٥]، والكَلْبيُّ[٦]: خَرَّ آصِفُ سَاجِداً، وَدَعَا بِاسمِ اللهِ الأَعْظَمِ، فَغَارَ عَرْشُها تَحْتَ الأَرْضِ، حَتَّى نَبَعَ عِنْدَ كُرْسيِّ سُليمانَ.

وقَالُوا[٧]: حَمَلَتْهُ الملائِكَةُ بِأمرِ الله. أوِ الرِّيحُ حَمَلَتْهُ. أَوْ خَلَقَ اللهُ فيهِ حَرَكاتٍ مُتَوالِيَةً، أوِ انْخَرَقَ مَكانُهُ، حيثُ هُوَ هُناكَ، ثُمَّ نَبَعَ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيمانَ، أوِ الأَرْضُ

(١) جامع البيان: ١٩: ١٦٠ ـ ١٦٢ وهو المرويُّ عن ابن عبّاس. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٢٢٤. وفي الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٠٧ معزو إلى الفرّاء وغيره.

(٢) النّمل: ٤١.

(٣) جامع البيان: ١٩: ١٦٤. وهو وَهَب بن المنبّه. الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٢٠٦.

(٤) النّمل: ٤٠.

(٥) في جامع البيان: ١٩: ١٦٥ قول ابن عبّاس هذا منسوب بهذا التفصيل إلى وهب بن منبّه.

(٦) مجمع البيان: ٤: ٢١٣.

(٧) أُنظر تفصيل أقوال المفسّرين في ذلك: مجمع البيان: ٤: ٢١٣ ـ ٢١٤.

طُوِيَتْ لَهُ. أوْ أعْدَمَهُ اللهُ في مَوْضِعِهِ، وَأعَادَهُ في مَجْلِسِ سُليمانَ.

وهذا كَما رَوَتْهُ الشِّيعَةُ[١] أنَّ تَوَلِّي غَسْلِ الإمَامِ، والصَّلاةَ عَلَيـهِ، مُوقَفـانِ[٢] على الإمامِ الَّذي يَتَولَّى الأمْرَ بَعْدَهُ.

وقَالَ المُرْتَضى: يُرادُ بِهِ الأغْلَبُ، الأكثرُ، وَمَعَ الإمكانِ، والقُدْرَةِ.

واسْتَدَلَّ بِوَفَاةِ مُوسى بـنِ جَعْفَـرٍ، وَعَـلِيٍّ بـن مُوسـى، بِطُـوسَ، وابْنَاهُـمَا بِالمدِينَةِ.

فَمَنْ أرَادَ خِلافَهُ، اسْتَدَلَّ بِهذِهِ الآيةِ، وبِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْـمَسْجِدِ الْـحَرامِ إِلَى الْـمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[٣] . وَبِصُعُودِ الملائِكَةِ، وَنُزُولِها، وبِطَوَفَانِ إبليسَ، والجِنِّ في العالَمِ، بِسُرْعَتِهِمْ[٤].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُـلَيْمانَ وَمـا كَفَـرَ سُلَيْمانُ﴾[٥].

---

(١) دلائل الإمامة: ١٧٨ . إثبات الوصية: ١٦١، ١٦٩.

(٢) في (أ): موفقان. بفاء موحّدة بعدها قاف مثنّاة. وهو تصحيف.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): بـشرعتهم. بالـشين المعجمـة. ومـا أثبتنـاه مـن (ط). وفي (ح): لسرعتهم.

(٥) البقرة: ١٠٢.

فَكَأَنَّهُ أَخْبَرَ بِأَنَّهُم اتَّبعُوا ما يُكَذِّبُ فيهِ الشَّيَاطِينُ على مُلْكِ سُليمانَ، وَيُضِيفُهُ إليهِ مِنَ السِّحْرِ، فَبَرَّأَهُ اللهُ ـ تَعَالى ـ مِنْ قَرَفِهِم، فَقالَ: ﴿وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ﴾[١].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما أُنزِلَ عَلَى الْـمَلَكَيْنِ﴾[٢].

أَرَادَ: أَنَّهُمْ يُعَلِّمُونَهُمْ[٣] السِّحْرَ، الَّذي أُنزِلَ عَلى المَلَكَينِ، وَإِنَّما أُنزِلَ عَلَيهِما وَصْفُ السِّحْرِ، وَمَاهِيَّتُهُ[٤]، وكيفيَّتُهُ، للاحْتِيالِ فيهِ، لِيَعْرِفَا ذَلِكَ، وَيُعَرِّفَاهُ النَّاسَ، فَيَجْتَنِبُونَهُ، وَيَحْذَرُونَ[٥] مِنْهُ. كَمَا أَنَّهُ ـ تعالى[٦] ـ قَدْ أَعْلَمَنَا ضُرُوبَ المَعَاصِي، وَوَصَفَ لَنَا أَحْوالَ القَبَائِحِ، لِنَجْتَنِبَها[٧]، لا لِنُوقِعَها[٨]. إلّا أَنَّ الشَّيَاطِينَ، كَانُوا إِذَا عَلِمُوا ذلِكَ، وَعَرَفُوهُ، اسْتَعْمَلُوهُ.

***

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) في (ح): يعلمون.

(٤) في (هـ): مهيّة. وهو تحريف.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يحذروا. بسقوط نون الرفع.

(٦) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ): ليجتنبها. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٨) في النسخ جميعها: لتوقعها. بتاء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ط): لنتوقعها بنون موحدة من فوق بعدها تاء مثناة من فوق. وما أثبتناهُ هو الموافق للسياق.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْـمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾(١).

أي: فَيَعْرِفُونَ مِنْ جِهَتِهِمَا ما يَسْتَعملُونَهُ في هذا الباب، وَإِنْ كانَ المَلَكَانِ مَا الْقَياهُ إِلَيْهِمْ لِذَلِكَ، وَلِهذا قَالَ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾(٢)، لأَنَّهُ تَعَلَّمُوهُ، لِيَفْعَلُوهُ، لا أنْ يَجْتَنِبُوهُ، فَصَارَ ذلِكَ بِسُوءِ اخْتِيارِهِمْ ضَرَراً عَلَيْهِم.

ثُمَّ إِنَّ التَّفْرِيقَ إِمَّا أنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الدِّيانَةِ، أوِ الجَبْرِ، أوِ الحُكْمِ، أوِ الحِيلَةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ للإيجَابِ، وَالجَبْرِ، [والحُكْمِ](٣)، فَلَمْ يَبْقَ إِلّا الحِيلَةُ، أوِ الدِّيانةُ. كَمَا كَانَتِ الكُفَّارُ(٤) يَقُولُونَ للنَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: إِنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ، وَزَوْجِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ﴾(٥). إِنَّما جَازَ هذا المَقَالُ، لأَنَّها أغْلَقَتْ أَمْرَهُ، وَنَهْيَهُ، فَقَامَتْ عَلَيْها الحُجَّةُ مِنْ ذَلِكَ، لأنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ سَخَّرَ الطَّيْرَ لَهُ، قَوْلُهُ: ﴿وَالطَّيْرُ

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش). وفي (أ): لحكم. من دون (أل) ومع حرف الجر (اللام).

(٤) مجمع البيان: ٥: ٣٨٧.

(٥) النّمل: ٢٠ ـ ٢١.

صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[١].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾[٢].

إِنَّما قَدَّمَ اسْمَهُ عَلَى اِسْمِ اللهِ ـ تَعَالى ـ لأَنَّ اسْمَهُ، كَانَ عُنْوانَ الكِتَابِ. وَالعُنْوانُ ـ أَبَداً ـ مُقَدَّمٌ عَلَى الخِطَابِ.

وَقِيلَ: قَدَّمَ اِسْمَ نَفْسِهِ. أَيْ: إِنَّ الكِتَابَ مِنْ سُليمانَ، وإِنَّ المَكْتُوبَ [فيه][٣]: بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ.

وَقِيلَ: لأَنَّهُ كانَ سَمِعَ مِنَ الهُدْهُدِ: ﴿وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٤]. فَقَدَّمَ اسْمَهُ حَذَراً[٥] أَنْ يَسبُّوا اللهَ.

وَقِيلَ: لأَنَّها كانَتْ كَافِرَةً، والكَافِرُ، لا يُخَوَّفُ باللهِ، لِحَمِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾[٦].



---

(١) النّور: ٤١.

(٢) النّمل: ٣٠.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) النّمل: ٢٤.

(٥) في (أ): حزراً. بالزاي المعجمة.

(٦) البقرة: ٢٠٦.

فصل [ـ ٢٦ ـ]

[في قصّة يونس ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ في قِصَّةِ يُونُسَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ (١).

لا يَجُوزُ أَنْ يُغاضِبَ رَبَّهُ إِلّا مَنْ كَانَ مُعَادِياً لَهُ، أو جَاهِلاً بِأَنَّ الحِكْمَةَ في سَائِرِ أَفْعَالِهِ. وَهذا لا يَلِيقُ بِأَتْباعِ الأَنْبِياءِ، فَضْلاً عَمَّنْ عَصَمَهُ اللهُ، وَإِنَّما كَانَ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمِهِ، لِمَقَامِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وإِصْرَارِهِمْ عَلَى الكُفْرِ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَوْفَاً مِنْ نُزُولِ العَذَابِ، وَهُوَ مُقِيمٌ بَينَهُمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ (٢).

أي: لا نُضَيِّقُ (٣) عَلَيهِ المَسْلَكَ، وَنُشَدِّدُ عَلَيهِ المِحْنَةَ، والتَّكْلِيفَ. وَذَلِكَ

---

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) الأنبياء: ٨٧.

(٣) في (ك) و(هـ): تضيق. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق، وفي (أ): يضيق. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

يَجُوزُ أنْ يَظُنَّهُ النَّبِيُّ.

وَلا شُبْهَةَ أَنَّ (قَدَرْتُ)، وَ(قَدَّرْتُ)، مَعناهُ: التَّضْيِيقُ. قَالَ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾[١]، وقَالَ: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾[٢].

وَضِيقُ صَدْرِ يُونُسَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مِمَّا أَصَابَهُ في بَطْنِ الحُوْتِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣]. على سَبِيلِ الانقِطَاعِ إلى الله ـ تَعَالى ـ.

وَيَجُوزُ أن يُرِيدَ بِذلكَ، أي: بَخَسْتُ[٤]. حَتَّى يَترُكَ النَّوَافِلَ.

وَيَجُوزُ ـ أيضاً ـ أنْ يكونَ صِدْقَاً. أي: مِنَ الجِنْسِ الَّذي يَقَعُ مِنُهم الظُّلْمُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ﴾[٥].

---

(١) الطلاق: ٧.

(٢) الرعد: ٢٦. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) في (ش): يجست. بياء وجيم موحدتين من تحت. وفي (أ): نجست: بنون موحدة من فوق بعدها جيم معجمة من تحت.

(٥) القلم: ٤٨.

أي: إنَّهُ لَمْ يَقْوَ على الصَّبْرِ عَلَى تِلْكَ المِحْنَةِ، [الَّتي] (١) ابْتَلاهُ اللهُ بِهَا، وَعَرَّضَهُ بِنُزُولِها لِغَايَةِ الثَّوابِ، فَشَكَا إلى الله ـ تَعَالى ـ مِنْها، وسأَلَهُ الفَرَجَ، والخَلاصَ. وَلَـوْ صَبَرَ، لَكَانَ أفْضَلَ، فَأرادَ اللهُ ـ تَعَالى ـ لِنَبِيِّهِ ـ عَلَيهِ الصَّلاةُ(٢) والسَّلامُ(٣) ـ أفـضلَ المَنَازِلَ وَأعْلَاها.



(١) ما بين المعقوفتين مطموس في (ش).

(٢) (الصلاة) ساقطة من (ح).

(٣) (والسلام) ساقطة من (أ).

فصل [ـ ٢٧ ـ]

[في قصّة عيسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ / ١٣٢/ في قِصَّةِ عيسى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ ﴿إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾[١].

قالَ ابنُ عَبَّاسٍ[٢]، وَقَتَادَةُ[٣]: سَمَّاهُ اللهُ «كَلِمَةً» لِثَلاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدِها: أَنَّهُ أَوْجَدَهُ[٤] بِكَلِمَةٍ مِنْ غَيْرِ وَاجِدٍ[٥]. وَهُوَ قَوْلُ «كُنْ»، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٦].

والثَّاني: لأَنَّ اللهَ بَشَّرَ بِهِ في الكُتُبِ السَّالِفَةِ، كَمَا يَقُولُ الَّذي يُخْبِرُنا بِأَمْرٍ يَكُونُ: قَدْ جاءَ قَوْلي، وَكَلامي.

---

(١) آل عمران: ٤٥.

(٢) جامع البيان: ٣: ٢٦٩. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٢.

(٣) جامع البيان: ٣: ٢٦٩. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٢.

(٤) في (ك) و(هـ): أوحده. بالحاء المهملة.

(٥) في (ك) و(هـ) و(ح): واحد. بالحاء المهملة.

(٦) آل عمران: ٥٩.

والثَّالِثِ: لأنَّ اللهَ، يَهْدِي بِهِ، كَمَا يَهْدِي بِكَلِمَتِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾ (١).

فَقالَتْ مَرْيَمُ مُتَعَجِّبَةً: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (٢) على وَجْهِ الزَّوْجِيَّةِ ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾ (٣).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها﴾ (٤).

يَعْنِي: مَرْيَمَ.

والإِحْصَانُ: إِحْرَازُ الشَّيءِ مِنَ الفَسَادِ. فَمَرْيَمُ، أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا بِمَنْعِهِ ـ يَعْنِي: مِنَ الفسادِ ـ فَأَثْنَى اللهُ ـ تَعَالى ـ عَلَيْها.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا﴾ (٥).

---

(١) مريم: ١٩.

(٢) مريم: ٢٠.

(٣) مريم: ٢٠.

(٤) الأنبياء: ٩١.

(٥) الأنبياء: ٩١.

أجْرَيْنَا فِيهَا رُوحَ المَسِيحِ، كَمَا يَجْرِي الهَوَاءُ[١] بِالنَّفْخِ.

وَأَضَافَ[٢] «الرُّوحَ» إلى نَفْسِهِ ـ تَعَالى ـ عَلَى وَجْهِ المِلْكِ تَشْرِيفاً لَهَا، للاخْتِصَاصِ، بِالذِّكْرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾[٣].

أي: إنْ كُنْتَ تَتَّقِي عِبَادَتِي بِهِ، لِيَقِيَكَ هُوَ.

أوْ قَالَتْ: كُفَّ عَنِّي، وَلا تُؤْذِيَنِّي إنْ كُنْتَ تَقِيّاً، فإنَّ التَّقِيَّ يُمْسِكُ لِخَوْفِهِ، كَمَا يَقُولُ القَائِلُ: إنْ كُنْتَ مُؤْمِناً، فَلا تَظْلِمَنِّي.

وَيُقَالُ: «التَّقِيُّ» اِسْمُ رَجُلٍ، مَلْعُونٍ، مَشْهُورٍ بِالبَطَالَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا﴾[٤].

إنَّما تَمَنَّتِ المَوْتَ قَبْلَ تِلْكَ الحَالِ الَّتي قَدْ عَلِمَتْ أنَّها مِنْ قَضَاءِ الله ـ تعالى[٥] ـ

---

(١) في (هـ): الهَوَى. بالألف المقصورة.

(٢) في (ح): فأضاف.

(٣) مريم: ١٨.

(٤) مريم: ٢٣.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

لِكَرَاهَتِها أنْ يُعْصَى اللهُ بِسَبَبِها[١]. إذْ كانَ النَّاسُ يَتَسَرَّعُونَ[٢] إلى القَوْلِ فِيهَا بِمَا يُسْخِطُ اللهَ.

وَقالَ قَوْمٌ: إنَّها قَالَتْ بِطَبْعِ البَشَرِيَّةِ[٣]، خَوْفَ الفَضِيحَةِ.

وَقَالَ قَوْمٌ: المعنى ـ في ذلِكَ ـ: إنِّي لَوْ خُيِّرْتُ ـ قَبْلَ ذلكَ ـ بَينَ: الفَضِيحةِ بِالحَمْلِ، والمَوْتِ، لاخْترتُ الموتَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾[٤].

قَالَ مُقَاتِلٌ[٥]: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أَنَّهُ قَالَ: هارونُ، الَّذي ذَكَرَهُ[٦]، هُوَ: هارُونُ، أخُو مُوسى.

وتأويلُ: ﴿يا أُخْتَ هارُونَ﴾: يا مَنْ هِيَ مِنْ نَسْلِ هارُونَ. كَما يُقالُ: يا أخا بَني تَميمٍ، ويا أخا بَني زُهْرَةَ. قال اللهُ ـ تَعالى ـ: ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ

(١) في (أ): لسببها، مع حرف الجر (اللام).

(٢) في (ك) و(هـ): يتشرعون. بالشين المعجمة.

(٣) في (أ): البشر.

(٤) مريم: ٢٨.

(٥) في مجمع البيان: ٣: ٥١٢ قول مقاتل هذا منسوب إلى السُّدّي، وكذا في تفسير التبيان: ٧: ١٠٩.

وهو في الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٠٠ معزو إلى الكلبيّ.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): ذكروه. بإسنادِهِ إلى واو الجماعة.

هُوداً﴾[1]،﴿وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً﴾[2]. يَعْني: مِنْ نَسْلِهِمْ.

قالَ سَعِيدُ[3] بنُ جُبَيرٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ إنَّ هارونَ المذكورَ فيها، كانَ رَجُلاً، فاسِقاً. فَلمّا أنكَرُوا ما جاءَتْ بِهِ مِنَ الوَلَدِ، وَلَمْ يَعْرِفوا بَراءَةَ ساحَتِها، نَسَبُوها[4] إليهِ، تَشْبيهاً. وتقديرُ الكلامِ: يا شَبيهَةَ هارُونَ في فِسْقِهِ.

ويُقالُ[5]: إنَّ هارُونَ هذا كانَ أخاهَا لأبيها، دُونَ أُمِّها، وكانَ رَجُلاً مَعْرُوفاً بِالصَّلاحِ.

وَقِيلَ[6]: إنَّهُ لَمْ يَكُنْ أخاها ـ على الحقيقةِ ـ بَلْ كانَ رَجُلاً صَالِحاً مِنْ أَهْلِها.

***

---

(١) الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠.

(٢) الأعراف: ٧٣. هود: ٦١.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٥١٢. وهو في جامع البيان: ١٦: ٧٨ غير معزو إلى أحدٍ. وكذلك في تفسير البغوي: ٣: ١٩٤ وفي الدر المنثور: ٥: ٥٠٨ منسوب إلى سعيد بن جبير.

(٤) في (ش) و(أ): بسيرها. وفي (ك) و(هـ): بشيرها. وما أثبتناه من (ط).

(٥) هو قول الكلبي. أُنظر تفسير البغوي: ٣: ١٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥١٢.

(٦) هو قول قتادة كما في تفسير البغوي: ٣: ١٩٤. وقول قتادة وكعب، وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه إلى النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ كما في تفسير التبيان: ٧: ١٠٨، وهو قول مجاهد كما في الدر المنثور: ٥: ٥٠٧ وهو غير معزو إلى أحد في الجامع لأحكام القرآن: ١: ١٠٠.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾[١].

قالَ الجُبَّائيُّ[٢]: كانَ اللهُ ـ تَعَالى ـ أمَرَها بِأنْ تَنْذُرَ لله الصَّمْتَ، فـإذا كَلَّمها أحَدٌ، تُوْمِئُ[٣]: بِأنَّها نَذَرَتْ صَوْماً. أي: صَمْتاً، لأنَّه لا يجوزُ أنْ يأمُرَها بأنَّها تقولُ: نَذَرْتُ. وَلَمْ تكُنْ[٤] نَذَرَتْ، لأنَّ ذلِكَ كَذِبٌ.

وَقالَ ابنُ عبّاسٍ[٥]، والضّحَّاكُ[٦]: يُريدُ بِالصَّومِ: الصَّمتَ.

وَقالَ ابنُ مَسْعودٍ[٧] ـ رضي الله عنه[٨] ـ: أمَرَها بِالصَّمْتِ، لِيَكْفِيَها الكَلامَ عَنْها[٩]، وَلَدُهَا، ما يُبَرِّئُ مِنْ سَاحَتِها.

ولا تَنَاقُضَ في قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾ لأنَّهُ أَذِنَ لَهَا في أنْ تَقُولَ[١٠]: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ...﴾. أو قُلْتُ: إنّها أوْمَتْ بِذلِكَ، كَما قَالَ:

---

(١) مريم: ٢٦.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٥١٢.

(٣) في (ش): قومي. بالقاف المثناة. وهو تحريف.

(٤) في (أ): يكن. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) جامع البيان: ١٦: ٧٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥١٢. الدر المنثور: ٥: ٥٠٦. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٩٧.

(٦) جامع البيان: ١٦: ٧٤. أيضاً: تفسير التبيان: ٧: ١٠٨.

(٧) جامع البيان: ١٦: ٧٥. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥١٢. الدر المنثور: ٥: ٥٠٦.

(٨) (رضي الله عنه) ساقطة من (أ) و(ح).

(٩) في (ك) و(ح): عن. وهي ساقطة من (هـ) و(أ).

(١٠) في (ش): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ...﴾[١].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾[٢].

قَالَ الحَسَنُ[٣]، وأبو عَلِيٍّ[٤]: مَعْنى قَوْلِهِ: «وَجَعَلَنِي...» لأنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ أَكْمَلَ عَقْلَهُ، وَأَرْسَلَهُ إلى عِبادِهِ، وَلِذلِكَ كَانَتْ لَهُ تِلْكَ الْمُعْجِزَةُ.

وَقَالَ ابنُ الاخشيد[٥]: كَانَ ذلِكَ إِرْهَاصاً لِنُبُوَّتِهِ.

وَقَالَتِ الإِمَامِيَّةُ[٦]: مَعناهُ: إِنِّي عَبدُ الله، سَيُؤْتِيْنِي الكِتَابَ، وَسَيجعَلُني نَبِيّاً فيما بَعدُ. وكانَ ذلِكَ مُعجزَةً لِمَريمَ على بَرَاءَةِ سَاحَتِها.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾[٧].

إِنَّهُ[٨] يُكَلِّمُهُمْ بِالوَحْيِ الَّذي يأتيهِ مِنْ قِبَلِ الله، وإِنَّهُ ـ تَعَالى ـ أَخْبَرَ أَنَّ

(١) مريم: ٢٩.

(٢) مريم: ٣٠.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٥١٢.

(٤) هو أبو علي الجبائي: مجمع البيان: ٣: ٥١٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٧: ٥١٠.

(٦) مجمع البيان: ٣: ٥١٢. عن أكثر المفسّرين.

(٧) المائدة: ١١٠.

(٨) في (ح): الفائدة في قوله: (وكهلاً) أنّهُ يكلمه في الوحي...

عيسى، تَكَلَّمَ في المَهْدِ، أُعْجُوبَةٌ. وخَبَّرَ أنَّهُ يَعِيشُ حَتَّى يَكْتَهِل ـ، وَيَتكلَّمَ في الكُهُولِيَّةِ.

وَلَمْ يَقُلْ: وَشَيْخاً. لأنَّهُ عَاشَ نَيِّفاً وَثلاثينَ سَنَةً، على ما جَاءَتْ بِهِ الأخبارُ. وَأنَّهُ يَبْلُغُ حَالَ الكَهْلِ في السِّنِّ، لِكَوْنِ المُخْبِرِ على مَا أخْبَرَ بِهِ.

ثُمَّ إنَّ المرادَ بِهِ الرَّدُّ على النَّصارى بَما كانَ منْهُ مِنَ التَّقَلُّبِ على الأحوالِ، لأنَّهُ مُنَافٍ للصِّفَةِ الأَوَّلَة.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[1].

جَازَ أنْ يُقالَ: المسيحُ ، / ١٣٣/ رُوحُ الله. لأنَّ الأرْواحَ كُلَّها مُلْكُ الله.

وَإنَّما خَصَّ المسيحَ بِالذِّكْرِ، تَشرِيفاً لَهُ بهذا الذِّكْرِ، كَما خَصَّ الكَعْبَةَ أنَّها بيتُ الله، وإنْ كانتِ الأرضُ كُلُّها لَهُ ـ تَعَالى ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ﴾[2].

على وَجْهِ المجاز، أضَافَهُ إلى نَفْسِهِ. وَحَقِيقَتُهُ: أدْعُو اللهَ بِإحْياءِ الموتى،

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) آل عمران: ٤٩.

فَيَحْيَوْنَ بِإِذْنِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾[1].

لم يُقَيِّدْهُ بِإِذنِ الله ـ تعالى[2] ـ لأنَّ المُرادَ بِهِ التَّقْدِيرُ.

ثُمَّ قالَ: «بِإِذْنِ الله» لأَنَّهُ مِنْ فِعْلِ الله دُونَ عِيسَى.

أَمَّا التَّصويرُ، والنَّفْخُ، فَفِعْلُهُ. لأَنَّهُ مِمَّا[3] يَدْخُلُ تحتَ مَقْدُورِ القَدَرِ[4]، وَليسَ كذلِكَ انْقِلابُ الجَمادِ حَيَواناً، فإِنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَيهِ أَحَدٌ سواهُ ـ تَعالى ـ.

وَقَالَ في موضِعٍ آخَرَ: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾[5]. لِلَّفْظِ الهَيْأَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾[6].

مَعْنَى ذلِكَ: إِنَّهُ صَوَّرَ[7] الطِّينَ، وَسَمَّاهُ خَلْقاً، لأَنَّهُ كَانَ بِقُدْرَةٍ[8].

---

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (ح): فما.

(٤) في (ح): البشر.

(٥) المائدة: ١١٠.

(٦) المائدة: ١١٠.

(٧) في (هـ): سور. بالسين المهملة. وفي (أ): صوره.

(٨) في (ك) و(هـ) و(أ): بقدره.

وقولُهُ: «بِإِذْنِي». أي: تَفْعَلُ ذلِكَ بِإِذْني، وَأمْرِي.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾ مَعْنَاهُ: إِنَّهُ نَفَخَ فيهـا الـرُّوحَ، لأنَّ الرُّوحَ، جِسْمٌ، يجوزُ أنْ يَنْفَخَها المَسِيحُ بِأمْرِ الله ـ تَعَالى ـ كَمَا يَنْفَخُهـا إسرافِيـلُ في الصُّورِ، وَكَما يَنْفَخُ مَلِكُ الأرْحَامِ في الصُّورَةِ عِنْدَ تَمَامِ مَائَةٍ وَعِشرينَ يَوماً ـ عَلى ما جَاءَ في الخَبَرِ ـ[1].

فإذا نَفَخَ المسيحُ فِيهَا الرُّوحَ، قَلَبَها[2] اللهُ لَحْماً، وَدَماً، وخَلَـقَ فِيهَـا الحَيَـاةَ، فَصَارَتْ طائِراً، بِإِذْنِ الله، وإرَادَتِهِ، لا بِفِعْلِ المَسيح. فَلِذلكَ قالَ: ﴿فتكُـونُ طَـيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾[3]، معناهُ: إنَّكَ تَدْعوني حَتَّى أُبرِئَهُمَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْـمَوْتَى بِإِذْنِي﴾[4].

أيْ: إذْ تَدْعُوني[5]، فَأُحْيي الموتَى ـ عِندَ دُعَائِكَ ـ وأُخْـرِجُهُم مِـنَ القُبُـورِ، حَتَّى يُشاهِدَهُم النَّاس [أحياءً][6]. وَإنَّما نَسَبَهُ إلى عِيْسَى، لأَنَّهُ كَانَ بِدُعَائِهِ.

***

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٥٦.

(٢) في (ش): قبلها. بالباء ثم اللام. وهو تحريف.

(٣) المائدة: ١١٠.

(٤) المائدة: ١١٠.

(٥) في (أ): تدعونني.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْـبَيِّنَاتِ﴾[١].

يَجُوزُ أنْ يَكُفَّهُمْ بِالْـطافِهِ، الَّتي لا يَقْدِرُ عَلَيْها غَيْرُهُ. وَيَجُوزُ أنْ يكونَ كَفُّهُمْ بالقَهْرِ، كَما مَنَعَ مَنْ أرادَ قَتْلَ نَبِيِّنا ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

وَقِيلَ: لأنَّهُ الْـقَى شِبْهَهُ[٢] عَلَى غَيْرِهِ، حَتَّى قَتَلُوه، وَنَجا. قَوْلُهُ ﴿وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٣].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْـمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٤]. وَعِنْدَهُمْ هُوَ ابنُ اللهِ؟

الجَوابُ: لأنَّهُمْ زَعَمُوا أنَّهُ [إلهٌ وهذا[٥] الاسْمُ إنَّما] هُوَ للإلهِ بِمَنْزِلَةِ ذلِكَ. كَما قَالَ الدَّهْرِيُّ: إنَّ الجِسْمَ، قَدِيمٌ، لَمْ يَزَلْ. وإنْ لَمْ يَذْكُرْهُ بِهذا الذِّكْرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٦].

---

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) في (ش): شبهته.

(٣) النساء: ١٥٧.

(٤) المائدة ١٧.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) المائدة: ١١٦.

تَقْرِيعٌ في صُورَةِ الاسْتِفْهامِ لِمَنْ ادَّعَى ذلِكَ عَلَيهِ مِنَ النَّصارَى، لأَنَّهُ ـ تَعَالى ـ كَانَ عَالِماً بِذلِكَ: هَلْ كَانَ أو لَمْ يَكُنْ؟ كَمَا يَقُولُ القَائِلُ، لِغَيرِهِ: أَفَعَلْتَ كَذَا، وَكَذَا؟ وَهْوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ، وَإِنْ كَانَ خَارِجاً مَخْرَجَ الاسْتِفْهامِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ بِهذا القَوْلِ تَعْرِيفَ عِيْسَى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: أَنَّ قَوْماً قَدْ اعْتَقَدُوا فِيْهِ، وَفِي أُمِّهِ أَنَّهُما إِلهانِ[1]، لأَنَّهُ يُمكِنُ أَنْ يَكُونَ عِيسَى لَمْ يَعْرِفْ ذلِكَ إِلّا في تِلْكَ الحَالِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرانِيّاً وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً﴾[2]. حُجَّةٌ على مَنْ زَعَمَ أَنَّ المَسِيحَ. وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ، كَانُوا نَصَارَى.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ...﴾[3].

مَعْنَاهُ: تَفْوِيضُ الأمرِ إِلى صَاحِبِهِ، والتَّبَرُّؤ مِنْ أَنْ يَكونَ إِليهِ شَيءٌ مِنْ أُمُورِ قَوْمِهِ. كَمَا يَقُولُ أَحَدُنا: هذا الأَمْرُ لا مَدْخَلَ لِي[4] فيهِ، فإِنْ شِئْتَ أَنْ تَفْعَلَهُ، وَإِنْ

(١) في (ح): الإلهان. مع (أل).

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) المائدة: ١١٨.

(٤) في (ك): له.

شِئْتَ أَنْ تَتْرُكَهُ. مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ أَحَدَ الأَمْرينِ، لا يكُونُ مِنْهُ. وَإِنَّما حَسُنَ ذلِكَ مِنْهُ، لأَنَّهُ أَخْرَجَ[١] كَلامَهُ مَخْرَجَ التَّفْويضِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لا يدُلُّ على أَنَّ المسيحَ أَرَادَ بذلِكَ أَنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ لَهُ أَنْ يُعاقِبَ عَبِيدَهُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ، كَانَ مِنْهُمْ. لأَنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ يُريدُ بِكَلامِهِ مَا يَدُلُّ ـ في العَقْلِ ـ على كَوْنِهِ غَيْرَ جَائِزٍ عَلَيهِ ـ تعالى[٢] ـ.

ولا يَحْسُنُ مِنْهُ ـ تَعَالى ـ أيضاً أَنْ يَتْرُكَ إِنْكَارَ ذلِكَ.

فَلَمَّا عَلِمْنا أَنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ لا يُعَاقِبُ خَلْقَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيةٍ، سَبَقَتْ مِنْهُم مِنْ حَيْثُ كَانَ ظُلْماً مَحْضاً، عَلِمْنَا أَنَّ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ﴾ الجَاحِدُونَ لَكَ، المُتَّخِذُونَ مَعَكَ إِلهاً غَيْرَكَ، لأَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الكَلامِ، دَلَّ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَحْتَجْ أَنْ يَذْكُرَهُ في اللَّفْظِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٣].

و«عيسى» و«عَزَيرٌ» ـ عَلَيهِمَا السَّلام[٤] ـ عُبِدَا[٥] ؟

---

(١) في (أ): اخراج. وهو تحريف.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) الأنبياء: ٩٨.

(٤) (عليهما السلام) ساقطة من (ح).

(٥) في (هـ): عَبْدَاً.

فَإنَّما قَالَ: «وَمَا تَعْبُدُونَ». و«ما» لِـما[١] [لا][٢] يَعْقِلُ.

ثُمَّ إنَّ آخِرَ الآيةِ: ﴿أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ / ١٣٤/ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها﴾ الآية[٣].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٤].

يَصُحُّ في مَقْدُورِ الله ـ تَعَالى ـ أنْ يُلْقِيَ شِبْهَ زَيْدٍ على عَمْرٍو، حَتَّى لا يَفْصِلَ النَّاظِرُ بينَهُما، تَغْلِيظاً لِلْمِحْنَةِ، وَتَشْدِيداً للتَّكْلِيفِ، فيكُونُ ذلِكَ خارِقاً للعَادَةِ، مُعْجِزَةً لِبَعْضِ[٥] أوْلِيائِهِ الصَّالحِينَ، والأئِمَّةِ المَعْصُومينَ.

وَعِنْدَ المُعْتَزِلَةِ[٦]: على أيْدِي الأنبياءِ، أو في زَمَانِهِمْ. لأنَّهُ لا يَجُوزُ خَرْقُ العَادَةِ ـ عِنْدَهُم ـ إلّا عَلَى أيدِيهِم.

***

(١) في (ش): لِمَنْ.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٢.

(٤) النساء: ١٥٧.

(٥) في (هـ): بعض. من دون حرف الجر (اللام).

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٣: ٣٨٣.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْـكِتابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[1].

[مَعْنى الآيةِ، الإخْبَارُ مِنْهُ ـ تَعَالى ـ بِأَنَّهُ لا يَبْقَى أحدٌ مِنَ اليَهُودِ، إلّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ[2]]، يَعْنِي بِعِيسى[3] قَبْلَ مَوْتِهِ.

وَاخْتَلَفُوا في «الهاء» إلى مَنْ تَرْجِعُ:

فقالَ ابنُ عبّاسٍ[4]، وأبو مَالِكٍ[5]، والحَسَنُ[6]، وَقَتَادَةُ[7]، وابنُ زَيْدٍ[8]، والطَّبَرِيُّ[9]: هِيَ كِنَايَةٌ عَنْ عيسى. كأَنَّهُ قَالَ: [لا][10] يَبْقَى أحدٌ مِنَ اليهودِ إلّا

(١) النساء: ١٥٩.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) في (ش): عيسى. من دون حرف الجر (الباء).

(٤) جامع البيان: ٦: ١٨، ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٣. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ١٠.

(٥) جامع البيان: ٦: ١٨، ١٩. أيضاً مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٧٣٤ـ٧٣٥.

(٦) جامع البيان: ٦: ١٨، ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٥. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ١٠.

(٧) جامع البيان: ٦: ١٨. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ١١.

(٨) جامع البيان: ٦: ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ١١.

(٩) جامع البيان: ٦: ١٩، ٢٢. وفي (هـ): الطبرسي. وهو تحريف.

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

لَيُؤْمِنَنَّ[١] بِعيسى قَبْلَ مَوْتِ عِيْسَى، بِأَنْ يُنْزِلَهُ اللهُ إلى الأرضِ، إذا خَرَجَ المَهْـدِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

ثُمَّ قالَ الطَّبَرِيُّ[٢]: والآيَةُ مَخْصُوصَةٌ بِمَنْ يَكُونُ في ذلِكَ الزَّمانِ. وَقَدْ رُوِيَ أنَّ الحَجَّاجَ، سَأَلَ شَهْرَ[٣] بنَ حَوْشَبٍ عَنْها، وَقَالَ: إنِّي أضْرِبُ عُنُقَ اليَهُودِيِّ، ولا يَتكَلَّمُ بِشَيءٍ؟

فَقالَ شَهْرُ: حَدَّثَني مُحَمّدُ بنُ عَلِيٍّ ـ يَعني[٤] ابنَ الحَنَفِيَّةِ ـ إنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ يَبْعَثُ إليهِ مَلَكاً، يَضْرِبُ رأسَهُ، وَدُبُرَهُ، وَيَقُولُ: كَذَّبْتَ عِيسَى، فَيُؤْمِنُ [ـ حِينئِذٍ ـ][٥] كُرْهاً.

وَقالَ مُجَاهِدُ[٦]، والضَّحَّاكُ[٧]، وَعِكْرِمَةُ[٨]: «الهاءُ» كِنايةٌ عَنِ اليَهُوديِّ[٩].

---

(١) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): يؤمن. من دون نون التوكيد المشدّدة.

(٢) جامع البيان: ٦: ٢٢. وفي (ح): الطبرسي. وهو تحريف.

(٣) جامع البيان: ٢: ١٣٧. الدر المنثور: ٢: ٧٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ١١.

(٤) (يعني) ساقطة من (أ).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) جامع البيان: ٦: ١٩ ـ ٢٠. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. تفسير البغوي: ١: ٤٩٧. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ١١.

(٧) جامع البيان: ٦: ٢١. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٧. تفسير البغوي: ١: ٤٩٧.

(٨) جامع البيان: ٦: ٢٠ ـ ٢١. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٣٨. تفسير البغوي: ١: ٤٩٧.

(٩) في (هـ) و(أ): اليهود. من دون ياء النسب.

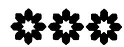
وتقديرُهُ: لا يكونُ مِنْ أهلِ الكِتَابِ، مُخْرجٌ[١] مِنَ الدُّنيا، إلّا وَيُؤمِنُ بِعِيسَى، عِنْدَ مَوْتِهِ، إذا زَالَ[٢] تَكْلِيفُهُ، وَتَحقَّقَ المَوْتُ، ولكنْ لا يَنْفَعُهُ الإيمانُ ـ حِينَئِذٍ ـ.

***

تَمَّ الجُزْءُ[٣] الأوَّلُ مِنْ كِتابِ مُتَشَابَهِ القُرآنِ[٤]

والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ[٥]، والصَّلاةُ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرينَ وَسَلَّمَ[٦]

ظُهْرَ نَهَارِ السَّبْتِ النِّصْفَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الآخَرِ سنة ١١٠٣هـ



(١) في (ش): يخرج، بياء المضارعة. وفي (هـ): فخرج. بالفاء مع الفعل الماضي.

(٢) في (ش): زل.

(٣) في النسخ جميعها: هنا تمام الجزء الأول. وربما يكون ذلك من تجزئة المؤلف رحمه الله، أو يكون ذلك من عمل النُّسَاخ.

(٤) في (ح): تمَّ الجزء الأول (...) من كتاب متشابه القرآن.

(٥) هنا ينتهي الكلام في نسخة (أ).

(٦) في (ك) و(هـ): وصلّى الله على محمّدٍ وآله.

فهرس الجزء الثاني

[٢]
باب ما يدخل في أبواب العدل

منافاة مذهب الجبر للأُصول الخمسة ٧

فرَّق الله بين فعل نفسه وفعل غيره ٧

الله ألزم العباد على أفعالهم ٩

الجزاء بالأعمال ١٠

الله أمر عباده بالأوامر ١٣

نهى الله العباد بالنواهي ١٤

وصف الله المحسنين بأفعالهم ١٥

عنَّف الله المجرمين وذكر عقوبتهم ١٦

صرَّح الله بمعتقد الأنبياء ١٧
حكى الله مقالة الكفّار ١٨
ذكر الله امتناع الكفّار عن الحقِّ ١٩
افتتح الله القرآن بالعدل واختتم به ٢٠

فصل [١]

في منع الجور على الله

في نسبة الجور إلى الله تعالى ٢١
أبيات للصاحب بن عبّاد ٢٣

فصل [٢]

في الاستطاعة ونسبة الأفعال

في استطاعة العباد ٢٤
نسبة الأعمال إلى الله ٢٥
معنى التمكين ٢٦
أبيات للعوني ٢٨

فصل [٣]

في نسبة الأفعال

الكفر والمعاصي ليسا من خلق الله ٢٩

أبو حنيفة والإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ٣١
أبيات في الجبر والاختيار ٣٢

فصل [٤]

في الاستطاعة وفي نسبة الأفعال

في استطاعة العباد ٣٤
أقوال لأبي هذيل والنظام والشيخ المفيد ولثمامة ٣٥
أبيات لأبي الأسود الدؤلي ٣٨
محاورة بين علي بن الحسين (عليه السلام) ويزيد بن معاوية ٣٨
أبيات للصاحب بن عبّاد ٣٨
مناظرة لأبي عليّ الجبّائي ٣٩
بشر بن المعتمر ومجبر ٤٠
المأمون وثنوي ٤١

فصل [٥]

في بطلان القَوْل بالجبر

في بطلان قول من قال بالجبر ٤٣
أقوال للجبرية والكفرة والمشبِّهة والنصارى ٤٤
أول من أظهر الجبر في هذه الأمّة معاوية ٤٥

شعر للصاحب وغيره ٤٦

فصل [٦]

في نسبة الهدى إلى الله

في بعض معاني الهدى ٤٨
الله هدى جميع خلقه المكلَّفين ٥٢
ليس كلّ من ترك الشكر كافراً ٥٢
معنى ﴿هُدَى اللهِ﴾ ٥٢
وجوب هَدْي الله المكلَّفين إلى الدِّين ٥٤
معنى التقدير والهداية ٥٤
«مَنْ يهدي الله» أي: يحكم بهدايته ٥٥
عقاب الذين كفروا وظلموا ٥٦
الهداية بمعنى الثَّواب ٥٧
الهداية بمعنى الإرشاد ٥٧
﴿هُدىً﴾ بمعنى النجاة ٥٨
معنى قوله ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ ٥٨
الله لا يهدي مَنْ ظَلَمَ نفسه ٥٩
الله لا يحكم الفاسق بالهداية ٥٩

فصل [٧]

في نسبة الهدى إلى الله

لا يجب على النبيِّ (صلى الله عليه وآله) هداية الناس ٦٠

النبي (صلى الله عليه وآله) لا يخالف إرادة الله ٦٢

القرآن هدىً للمتَّقين وغيرهم ٦٣

الله هدى الكافر كما هدى المؤمن ٦٣

معنى قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ ٦٣

معنى ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦٤

نسبة إِتبّاع الهدى إلى المخلوق ٦٥

الله يزيد الذين اهتدوا هدى ٦٥

الكاذب الكفّار لا يهتدي إلى طريق الجنَّة ٦٥

معنى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ﴾ ٦٦

فصل [٨]

في نسبة الهدى إلى الله

نور الله دينه وإيمانه ٦٧

النور في قلب الإنسان يهتدي به ٦٧

النور يخصّ مَنْ اِتَّبع رضوانَ الله ٦٨

معنى ﴿فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ ٦٨
الهدى من فعل الله ٦٩
لو شاء الله لهدى الناس على سبيل الجبر ٧٠

فصل [٩]
في نسبة الضَّلَال

في معنى ﴿ضَلَّ﴾ و﴿أَضَلَّ﴾ ٧٢
﴿الضَّلالُ﴾ لفظ مشترك ٧٣
الإضلال في الدين لا يجوز من الله تعالى ٧٧
الإضلال يوجب المذمَّة فليس هو من الله ٧٨
قول القدريَّة في نسبة الإضلال ٧٩
تفنيد قول القدريَّة ٨٠
الإضلال، الهلاك والهُدى، الإنجاء ٨١
معنى قوله: ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ ٨٢
معنى ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ ٨٢
الإضلال من الله يكون جزاء ٨٣
الإضلال ليس عن الدين ٨٤
معنى قوله: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ ٨٥
الإضلال بمعنى العقاب ٨٥

الإضلال بمعنى الدعوة إلى الضَّلال ٨٥
الإمداد في الخير وليس في الضلالة ٨٦
الله لا يضل إلَّا مَنْ أضَلَّ وكفر ٨٧

فصل [١٠]

في نسبة الإضلال

الضلال من الإنسان ٨٨
بطلان قول المجبرة: إنَّ الله يفعل المعاصي ويريدها ٨٨
نسبة المعصية إلى الشيطان ٨٩
الشيطان يزيِّن الكفر ٨٩
نسبة الإضلال إلى السامريِّ ٩٠
معنى قوله: ﴿يُضِلُّ اللهُ الْكافِرِينَ﴾ ٩٠

فصل [١١]

في الإرادة والمشيئة

في إرادة الله ومشيئة العباد ٩١
أقوال لابن سيرين وفضيل بن عياض ٩٣

فصل [١٢]

في المشيئة

الطاعة بأمر الله ومشيئته ٩٤
شرح الصدر للإيمان من الله ٩٥
الإضلال بمعنى الخذلان ٩٧
لا يكون الله مريداً لما لا يشاء بالضرورة ٩٧
مشيئة الله الهدى للعباد لطف منه ٩٧
الله لا يشاء لعباده الشرك والمعاصي ٩٨
الله قادر على منع العباد من ارتكاب المعاصي إذا شاء ٩٩
ذكر المشيئة إخبار عن قدرة الله ١٠٠
ذكر المشيئة إثبات لقدرة الله ١٠٠
الله قادر على هداية الجميع لو شاء ١٠١
معنى «الطمس» ١٠٥
معنى «المسخ» ١٠٦
معنى «ييأس» ١٠٧
بيان الهدى والضلال من الله ١٠٧
تعليق التوبة وإسقاط العقاب بالمشيئة تفضّل ١٠٨
تعليق الغنى بالمشيئة ١٠٩

الكافرون لا يؤمنون إلا بمشيئة الله إلجاءً ١٠٩

فصل [١٣]

في المشيئة

أفعال العباد غير متعلقة بمشيئة الله ١١١

مشيئة الله متعلقة بالطاعات ١١٢

يقول العبد ﴿إِنْ شاءَ اللهُ﴾ في الطاعات والمباحات ١١٣

المكلف يجوز أنْ يعود في الكفر إن شاء الله ذلك ١١٤

لا يملك الله لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بمشيئة الله ١١٥

الأفعال المستقلة لا يصح إطلاقها دون تعليقها بمشيئة الله ١١٥

الله لا يريد كفر الكافر ١١٦

الشيطان يتبرّأ من كفر الكافر ١١٦

فصل [١٤]

في التكليف والاستطاعة

الوسع والاستطاعة ١١٧

معنى الطاقة ١١٩

«لن» تفيد الاستقبال ١٢٠

يُعبَّر بالاستطاعة عن الفعل ١٢١

الكفار كالصمِّ ١٢١
لم يرد نفي الاستطاعة عن الكفار بل نفي القبول عنهم ١٢١
الله يعذر مَنْ لا يستطيع ١٢٢
مَنْ يقدر على شيء ومن لا يقدر لا يستويَان ١٢٣
الكفار لكفرهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير. ١٢٤
السمع هو إدراك الصوت ١٢٥
الفعل بالاستطاعة ١٢٥
الاستطاعة قبل الفعل ١٢٥
إذا عُدم الفعل عدمت الاستطاعة ١٢٦
الاستطاعة قبل القدرة ١٢٧
الاستطاعة قبل الفعل ١٢٨
القدرة قبل الفعل ١٢٩
لا يكلف الله خلقه فوق طاقتهم ١٣٠

فصل [١٥]

في معنى الفِطرة والصِّبغة

معنى قوله ﴿فِطْرَتَ اللهِ﴾ ١٣٢
معنى قوله ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ ١٣٣
من معاني «الفطرة» في اللغة ١٣٣

معنى ﴿خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ ١٣٥
معنى ﴿طَبَعَ اللهُ﴾ ١٣٧
معنى ﴿رَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ ١٣٨
معنى ﴿جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ ١٣٨
معنى ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ... ﴾ ١٣٩
معنى ﴿فَأَغْشَيْناهُمْ﴾ ١٤١
معنى ﴿غِشاوَةٌ﴾ ١٤١
معنى ﴿رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ ١٤٣
معنى ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ ١٤٣
معنى ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ١٤٤
معنى ﴿أَغْفَلْنا قَلْبَهُ﴾ ١٤٧
معنى ﴿أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ ١٤٨
معنى «ما» في قوله ﴿وَما تُغْنِي الآياتُ وَالنُّذُرُ﴾ ١٤٩
السوء بمعنى العذاب والنقمة ١٥٠
الكفر ليس من فعل الله ١٥٠

فصل [١٦]

في معنى الصَّرْف

معنى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ﴾ ١٥١

معنى «الصرف» ١٥٣
معنى ﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ١٥٣
معنى ﴿حِجاباً مَسْتُوراً﴾ ١٥٤
معنى ﴿وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ ١٥٥

فصل [١٧]

في معنى المرض والرِّجز والقسوة

معنى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ١٥٧
معنى ﴿فَزادَتْهُمْ رِجْساً﴾ ١٥٨
معنى ﴿الرُّجْزَ﴾ ١٥٩
معنى ﴿جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً﴾ ١٦٠

فصل [١٨]

في الإملاء للكافرين والإنعام عليهم

معنى ﴿نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾ ١٦٢
الاستفهام لا يدلُّ عَلَى وقوع الحدث ١٦٣
إملاء الله للكافرين لا يعني رضىً بأعمالهم ١٦٥
علّة تأخير العقاب إلى يوم القيامة ١٦٦
من معاني «اللّام» ١٦٦

فصل [١٩]

الإذن بمعنى العِلْم أو التخلية

الإذن بمعنى العلم ١٦٩

الإذن بمعنى التخلية ١٧٠

الزيغ هو الميل ١٧٣

الزيغ يكون من العباد ١٧٤

الدعاء سؤال لا يدلّ على أنَّ الله يفعل خلافه ١٧٤

فصل [٢٠]

في نسبة النسيان والخطأ والكفر

النسيان من فعل الله ١٧٦

من معاني النسيان ١٧٧

معنى «الخطأ» ١٧٨

ليس الله خالقاً لكفر الكافرين ١٧٩

معنى «الطمس» ١٨٠

معنى ﴿اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ ١٨٠

نسبة التثبيت إلى الله والركون إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ١٨٢

معنى ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنا﴾ ١٨٢

معنى ﴿ثَبِّتْ أَقْدامَنا﴾ ١٨٢

فصل [٢١]

في نسبة الأفعال إلى الله

تشبيه المكذِّبين بآيات الله بالصُّم والبكم ١٨٤

الغواية ليس من فعل الله ١٨٦

من معاني «الغواية» ١٨٦

التمنّي لا يكون صدقاً ولا كذباً ١٨٨

فصل [٢٢]

في نسبة الأفعال

ذكر المشيئة إخبار عن قدرة الله ١٩٠

معنى إرسال الشياطين على الكافرين ١٩٠

أهل النار يُقرن كلٌّ منهم بشيطانه ١٩١

معنى ﴿نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾ ١٩٢

معنى «التقييض» ١٩٢

معنى تزيين الله العمل ١٩٣

معنى تزيين الشيطان الأعمال ١٩٤

معنى قوله ﴿جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ ١٩٤

معنى «المدّ» ١٩٥

إنزال الآيات وإقامة الدلالات من لطف الله ١٩٦

فصل [٢٣]

من معاني «جعل» و«كتب»

«جعل» بمعنى «حكم» ١٩٧
من معاني «جعل» ١٩٨
«كتب» بمعنى «جعل» ٢٠١
معنى ﴿كَتَبَ اللهُ لَنا﴾ ٢٠١

فصل [٢٤]

في خلق الأعمال

ليس الله خالقاً لأعمال العباد ٢٠٣
﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ تدلّ على ا لمبالغة ٢٠٤
﴿الخَلْقَ﴾ بمعنى «التقدير» ٢٠٤
خُلِقَ الإنسان ضعيفاً عن تحمل الشدائد ٢٠٥
اختلاف الألسنة والألوان من آيات الله ٢٠٦
الله يعلم خلقه ٢٠٧
كلّ مخلوق من خلق الله ٢٠٧
الخلق هو التقدير والإتقان في الصنعة ٢٠٨

فصل [٢٥]

من معاني الفتنة

الفتنة في تشديد التكليف ٢١٠

معنى قوله ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ ٢١٠

الافتتان: الابتلاء ٢١١

من معاني «الفتنة» ٢١٢

«الفتنة» بمعنى «الابتلاء والاختبار» ٢١٣

الفتنة، الاختبار بشدّة التعبّد ٢١٤

معنى ﴿تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ ٢١٥

الفتنة لا تعني الإضلال ٢١٥

معنى قوله ﴿مَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ﴾ ٢١٦

فصل [٢٦]

في معنى المَكر

معنى ﴿المَكْرُ﴾ من العبد ٢١٧

ليس المكر من الإضلال ٢١٨

معنى ﴿المَكْرُ﴾ من الله ٢٢٠

المكر ـ من الله ـ جزاء ٢٢٢

الكيد تعليم بالخفية ٢٢٢
معنى ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ ٢٢٣
الكيد الاحتيال ٢٢٤
الكيد من الله جزاء ٢٢٥
الله لا يقبل قول إبليس ٢٢٥
السعيد والشقيّ مَنْ يظهر أمره في قبره ٢٢٧
السعادة والشقاوة في إصابة الخير وحرمانه ٢٢٨
لا يريد الله من خلقه الكفر ٢٢٩
يرتفع الخلاف بين الناس بالإسلام ٢٣١
معنى ﴿فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ﴾ ٢٣٢
«لعلَّ» من الله واجب ٢٣٣
«لعلَّ» تفيد التعليل ٢٣٤
العباد قادرون على الطاعة ٢٣٤
العباد قادرون على الإيمان ٢٣٥
«لعلَّ» بمعنى «لام» الغرض ٢٣٦

فصل [٢٧]

في الاستقامة وفي معنى «كل» وفي الإرادة

استقامة العقلاءِ على الهدى تقتضي جزاء من الله ٢٣٧

يراد بـ«كلّ» التكثير دون العموم ٢٣٨
إرادة الله تتعلّق بما يصحّ حدوثه ٢٣٩
تأخير عقوبة الناس تفضُّل من الله ٢٣٩
معنى الطمس عن الهدى ٢٤٠

فصل [٢٨]

في نسبة الأفعال

الإهلاك على سبيل الامتحان أو الاستحقاق حسن ٢٤٢
ذكر «الإرادة» مجاز في قوله ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ﴾ ٢٤٤
معنى قوله ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ ٢٤٥

فصل [٢٩]

في مسائل متفرِّقة

من التقديم والتأخير في القرآن ٢٤٨
معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا ٢٤٩
الله لا يريد موت الكافر على كفره ٢٤٩
إيمان أهل الكتاب يكون عند نزول عيسى (ع) وخروج المهدي (ع) ٢٥١
عدم إيمان أبي لهب دليل صدق معجزة النبي (صلى الله عليه وآله) ٢٥٢
الله لا يخلق الكفر ٢٥٣

معنى قوله ﴿كَرِهَ اللهُ انبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ ٢٥٤

فصل [٣٠]

في نسبة الأفعال

﴿الْبَلاءُ﴾ لفظ مشترك بين الخير والشرّ ٢٥٤

الاستهزاء يقصد به العيب والإزراء ٢٥٦

تسمية الجزاء على الذنب باسم الذَّنب ٢٥٧

عقاب الأبناء بما فعل الآباء حتّى لرضاهم عَنْ فِعْلِهِم ٢٦٠

لا يؤاخذ الله أحَدَاً بذنب غيره ٢٦٠

يعاقب الإنسان على خطاياه في نفسه وفي غيره ٢٦١

يعاقب الإنسان على ذنبه وذنوب الذين أضلّهم ٢٦٢

فصل [٣١]

في مسائل متفرِّقة

معنى النور والظلمة ٢٦٣

إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور ٢٦٣

معنى ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾ ٢٦٤

بطلان التقليد في أصول الدين ٢٦٧

الحثّ على تدبُّر القرآن ٢٦٧

القرآن من عند الله فهو خالٍ من الاختلاف ٢٦٧
المتناقض من الكلام ليس من فعل الله ٢٦٧
عاقبة كثير من الناس إلى جهنّم باختيارهم الكفر ٢٦٨
الله خلق الثقلين لعبادته ٢٦٩
معنى ﴿مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ﴾ ٢٦٩
لا عُذْرَ للكافر في ترك الإيمان ٢٦٩

فصل [٣٢]

تنزيه الله عَنْ فِعْل الظُّلْم

الله لا يظلم أحداً في الدنيا والآخرة ٢٧١
الله لا يحبّ الظلم والظالمين ٢٧٤
الله لا يريد الظلم لأحد ٢٧٤
الله لا يهلك الناس بظلم صغير منهم ٢٧٥
الله لا يفعل القليل من الظلم ولا الكثير ٢٧٦

فصل [٣٣]

في معنى الحسنة والسيئة ومصدرهما

الحسنة نصيب الإنسان من الله والسيئة من الإنسان بذنبه ٢٧٧
كلُّ أحوال الإنسان من الله ٢٨٠

فصل [٣٤]

من معاني ﴿قَضى﴾

معاني ﴿قَضى﴾ ٢٨٢

أقوال للنبيِّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) في القضاء والقدر ٢٨٤

أقوال للعلماء في القضاء والقدر ٢٨٥

أبيات للملك الصالح ٢٨٧

فصل [٣٥]

في القضاء

معنى ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ ٢٨٨

محاورة بين أميرالمؤمنين (ع) ورجل من أهل الشام في القضاء والقدر ٢٨٩

فصل [٣٦]

في القضاء

معنى ﴿وَقَضى رَبُّكَ﴾ ٢٩٢

الله قادر على ما يشاء غير محتاج إلى الاستعانة ٢٩٢

«قُضِيَ» بمعنى «عُلِمَ» ٢٩٣

معنى ﴿لَنْ يُصِيبَنا﴾ ٢٩٤

معنى «كتب الله عليهم القتل» ٢٩٤
معنى ﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا﴾ ٢٩٥
لو كان الله قضى بالمعاصي لم يكن لأحد الخيرة ٢٩٧

فصل [٣٧]

في القَدَر

معنى «قدَّر» ٢٨٩
أقوال النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمّة أهل البيت (عليه السلام) في القدر ٢٩٩
أقوال للعلماء والشعراء في القدر ٣٠١

فصل [٢٨]

في القدر

جميع ما خلق الله بقدر معلوم بلا تفاوت ٣٠٤
معنى قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾ ٣٠٤
معنى ﴿قَدَراً مَقْدُوراً﴾ ٣٠٥
أقوال للنبي (ص) وأهل البيت (عليه السلام) في القدر ٣٠٦
أقوال للعلماء والشعراء في القدر ٣٠٦

[٣]
باب ما جاء في النبوات

فصل [١]
في تفضيل الأنبياء على الملائكة

إجماع الإماميَّة على تفضيل الأنبياء على الملائكة ٣١١
معنى ﴿ما نَهاكُما رَبُّكُما﴾ ٣١٢
اعتقد قوم أنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء ٣١٣
قوله ﴿وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ لايدلُّ على أنَّ حال الملائكة أفضل من حال النبي ... ٣١٤
استدلال الجبائي على تفضيل الملائكة على البشر ٣١٥
﴿مِمَّنْ خَلَقْنا﴾ لا تفيد التبعيض ٣١٥
الله فضّل آدم بالنعم الدنيوَّية ٣١٦

فصل [٢]
في عصمة الأنبياء والملائكة

الإمامية تقول بعصمة الأنبياء والأئمّة من الكبائر والصغائر ٣١٧
الله لا يصطفى رسلاً إلّا مَنْ كان مرضيّاً معصوماً ٣١٩
معنى ﴿الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ... ﴾ ٣١٩

الأنبياء والأئمّة لا يجوز عليهم كلُّ منفِّر ٣٢٠

فصل [٣]

في مسائل متفرِّقة في النبوّة

الأسباط ليسوا أنبياء ٣٢٢
الاصطفاء لا يليق إلا بِمَنْ هو معصوم ٣٢٣
معنى تفضيل بني إسرائيل ٣٢٣
معنى تفضيل بعض الرسل على بعض ٣٢٤
النبوّة ليستْ مستحقّة بالأفعال ٣٢٥
الله أرسل رسلاً مِنَ الجنّ ٣٢٥
علّة كون الرُّسل رجالاً لا نساءً ٣٢٦
حال الناس قبل الرسل ٣٢٧
كلُّ أُمّة من البشر بُعِث فيها رسولٌ ٣٢٨

فصل [٤]

مسائل متفرِّقة في النبوَّة

معنى ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ٣٣٠
معنى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا﴾ ٣٣١
النصرة من الله للمبغي عليه ٣٣١

كيف ينصر الله رسله ٣٣٢
الله خصَّ أُمَّة محمّد (صلى الله عليه وآله) بأمانٍ إلى يوم القيامة ٣٣٣
من معاني «الوحي» ٣٣٤
الوحي لداود (عليه السلام) ٣٣٥
الكلام لموسى (عليه السلام) ٣٣٦
الرسول لمحمّد (صلى الله عليه وآله) ٣٣٦
كيفيَّة خطاب الله إبليس ٣٣٦
شأن كلب أصحاب الكهف ٣٣٧
«الظنّ» بمعنى «العلم» وغير «العلم» ٣٣٨
توبيخ المنافقين على لسان الرسل ٣٣٨
النبيّ والإمام يعلمان علوم الدين لا الغيب ٣٤٠

فصل [٥]

في قصّة آدم (عليه السلام)

الأمر والنهي لا صيغة لهما ٣٤١
خداع إبليس لآدم وحواء بِقَسَمِهِ لهما ٣٤١
قبول آدم وحوّاء قول إبليس ليس طاعةً له ٣٤٢
أَين لَقِي إبليس آدم وحوّاء ووسوس لهما ٣٤٣
المعصية مخالفة الأمر ٣٤٣

معنى ﴿فَغَوى﴾ ٣٤٤
إنزال آدم إلى الأرض على سبيل المصلحة لا الإهانة ٣٤٤
عداوة آدم والمؤمنين من ذرّيته لإبليس واجبة ٣٤٥
نسبة إخراج آدم وحوَّاء من الجنة إلى إبليس ٣٤٦
إخراج آدم وحوّاء من الجنَّة ليس عقوبة لهما ٣٤٦
إغواء إبليس آدم وحوَّاء سبب خروجهما من الجنَّة ٣٤٦
«ظلم» بمعنى «بخس» ٣٤٧
التوبة غير موجبة لإسقاط العقاب ٣٤٨
معنى «الأسماء» في قولهم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾ ٣٤٩

فصل [٦]

في قصَّة آدم (عليه السلام)

معنى «كلمات» ٣٥٠
«الخلق» بمعنى «التقدير» ٣٥١
معنى ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ٣٥١
«نسي» بمعنى «ترك» ٣٥٣
معنى قوله ﴿لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ ٣٥٣
عود الضمير في «جعلا» إلى الذكور والإناث من ذريَّة آدم وحوَّاء ٣٥٤
معنى ﴿أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ ٣٥٦

حذف المضاف في قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ ٣٥٧
حذف «لا» النافية ٣٥٧

فصل [٧]

في قصة إدريس وعيسى ونوح (عليهما السلام)

رفع عيسى (عليه السلام) ٣٥٨
معنى ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ٣٦٠
معنى ﴿فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ٣٦١
معنى ﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ ٣٦٢
السخرية جزاء السخريَّة ٣٦٣
معنى ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِراراً﴾ ٣٦٣
دعاء نوح على قومه بعد أنْ تأكَّدَ له كفرهم ٣٦٤
معنى ﴿وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ٣٦٥
حال اِبن نوح ٣٦٥

فصل [٨]

في قصة إبراهيم (عليه السلام)

معنى قول إبراهيم ﴿هذا رَبِّي﴾ ٣٦٧
ما علِّق بالمستحيل فهو مستحيل ٣٦٨

معنى ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ٣٦٩
معنى ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ٣٧٠
«مَنْ» بمعنى «مَا» ٣٧١
الملائكة لا تأكل الطعام ٣٧٢
علّة وصف الإسلام بأنّه مِلّة إبراهيم ٣٧٢
علّة انتقال إبراهيم من حجّة إلى حجّة ٣٧٣

فصل [٩]

في قصّة إبراهيم (عليه السلام)

علّة سؤال إبراهيم ربّه أنْ يريه إحياء الموتى ٣٧٤
اِستغفار إبراهيم لأبيه لو عده أنْ يؤمن ٣٧٥
استغفار إبراهيم لأبيه ممّا أمر الله بالتأسّي فيه ٣٧٧
مخاطبة إبراهيم كانت لجدِّه من أُمّه ٣٧٧
اسم أبي إبراهيم ٣٧٨
والدا إبراهيم كانا مؤمنين ٣٧٩

فصل [١٠]

في قصّة إبراهيم (عليه السلام)

﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ دعاء يختصّ بالمعصومين ٣٨٠

اصطفاء الله إبراهيم حينَ إسلامه ٣٨١
الملائكة رسل الله جاءَتْ إبراهيم بالبشر ٣٨١
وصفه بـ«عليهم» لدلالة البشارة ٣٨٢
معنى «يجادلنا» ٣٨٣
لا يجوز العجب من الله ٣٨٤
كيف صارت النار برداً وسلاماً ٣٨٤
المخاطب بقوله «أذِّنْ» هو محمّد (صلى الله عليه وآله) ٣٨٥

فصل [١١]

في قصَّة إبراهيم وإسماعيل (عليه السلام)

معنى دعاء إبراهيم وإسماعيل أنْ يجعلهما الله مسلمين ٣٨٦
معنى قوله إبراهيم: ﴿تُبْ عَلَيْنا﴾ ٣٨٧
مَنْ هو الذَّبيح؟ ٣٨٩
أَمَرَ الله إبراهيم بمقدَّمات الذَّبح لا بالذَّبح ٣٩١

فصل [١٢]

في قصة زكريَّا (عليه السلام)

مراجعة زكريا الله مع ما بشَّره ٣٩٣
معنى ﴿رِزْقاً﴾ وعلاقته بخلق الولد مِنَ العاقر ٣٩٤

معنى ﴿إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ﴾ ٣٩٥
حقيقة ميراث زكريا (عليه السلام) ٣٩٦
العلم والنبوّة لا يُورَّثان ٣٩٦

فصل [١٣]

في قصَّة لوط (عليه السلام)

عرض لوط بناته على جهة التزويج ٣٩٨
معنى «أنّي بريءٌ» على لسان هود ٣٩٩
قول هود «اِشهدوا» إقامة للحجَّة عليهم ٣٩٩

فصل [١٤]

في قصَّة يعقوب (عليه السلام)

إنكار اليهود على النبيّ (صلى الله عليه وآله) تحليله لحوم الإبل ٤٠١
حقيقة الحسد ٤٠٢
المحبَّة مِنْ ميل الطباع لا مِنَ الكسب ٤٠٣
أخوة يوسف لم يكونوا أنبياء ٤٠٤
إرسال يعقوب يوسف مع إخوانه ليس بتغرير به ٤٠٥
معنى ﴿وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا﴾ ٤٠٥
«كذبٍ» بمعنى: مكذوب عليه ٤٠٦

الصبر صبران ٤٠٦
علَّة حزن يعقوب على يوسف ٤٠٦
لا يُنْهي عن مجرَّد الحزن ٤٠٧

فصل [١٥]

في قصَّة يوسف (عليه السلام)

علَّة صبر يوسف على العبوديَّة ٤٠٨
من معاني «همَّ» ٤٠٩
معنى «الهمَّ» من يوسف ومن زُليخا ٤١١
ما المقصود بـ«برهان ربِّه» ٤١٢

فصل [١٦]

في قصَّة يوسف (عليه السلام)

معنى ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ٤١٤
قوله ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من قول اِمرأة العزيز ٤١٥
علّة عدول يوسف عن تأويل الرؤيا ٤١٦
رغبة يوسف في خلاصه من السجن ٤١٧
معنى المراودة ٤١٧
وجه جواز وضع يوسف السقاية في رَحْل أخيه ٤١٧

وجه جواز النداء بأنّهم سارقون ٤١٨
علّة كتمان يوسف خبره عَنْ أبيه ٤١٨
معنى ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ ٤١٩
نزغ الشيطان كان من إخوة يوسف ٤٢٠
علّة سؤال يوسف الله تمكينه من خزائن الأرض ٤٢٠
تزكية يوسف نفسه ٤٢٠

فصل [١٧]

في قصّة أيُّوب (عليه السلام)

معنى ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ﴾ ٤٢١
معنى ﴿خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾ ٤٢٢
هل تجوز الحيل في الأحكام ٤٢٢
رأي أبي حنيفة في الحيلة المخطورة ٤٢٤
أمراض أيوب كانت اختياراً ومصلحة له فيها ٤٢٥

فصل [١٨]

في قصّة شعيب (عليه السلام)

الملّة بمعنى الشرعيّات ٤٢٦
يجوز اختلاف العبادة في الشرعيّات ٤٢٦

المشيئة من الله لا من شعيب ٤٢٧
وجه تأخير التوبة عن المغفرة ٤٢٩
فعل شعيب يطابق السؤال ٤٣٠
جواز التخيير والتفويض في الصّداق ٤٣٠
جواز قبض الأب مَهْرَ ابنته ٤٣٠
جواز شرط الوليّ لنفسه ٤٣٠
معنى ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ ٤٣١

فصل [١٩]

في قصة موسى (عليه السلام)

كلُّ أَلَم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير قصد فهو حسن ٤٣٢
قتل موسى القبطيّ ٤٣٢
تزيين القتل من عَمَل الشيطان ٤٣٣
معنى ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ٤٣٤
الذنب هو قتل القبطيّ ٤٣٤
كفر موسى بنعمة فرعون ٤٣٥
الضالّ بمعنى الذاهب ٤٣٥
معنى ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ ٤٣٥
الاستغفار بمعنى الغفران ٤٣٦

سؤال موسى الله ضمَّ هارون إليه ٤٣٦
جواز حذف الشرط في الأمر ٤٣٧
دعوة موسى السحرة إلى إلقاء عصيِّهم على وجه التحدِّي ٤٣٨
معنى ﴿يُخَيَّلُ﴾ ٤٣٨
معنى ﴿أَوْجَسَ﴾ ٤٣٩
نداء الله موسى أظهره له بمعجز ٤٣٩
علّة أمر الله موسى يخلع نعليه ٤٤٠
معنى ﴿عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾ ٤٤١
ملك موسى نفسه وأخاه على وجه المجاز ٤٤١
دعاء موسى على قومه لمّا آيس منهم ٤٤٢
حذف «لا» النافية للجنس جوازاً ٤٤٣

فصل [٢٠]

في قصّة موسى (عليه السلام)

معنى ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ٤٤٤
الهلاك بمعنى الموت ٤٤٥
التوبة على سبيل الرجوع إلى الله لا إلى الذَّنب ٤٤٥
غضب موسى على قومه ٤٤٦
سؤال هارون أخاه موسى ألّا يغضب ٤٤٧

إِعتذار هارون من أخيه ٤٤٧
معنى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ٤٤٨

فصل [٢١]
في قصّة موسى مع الخضر (عليه السلام)

الله أَعْلَمَ الغلام ما لم يعلم موسى ٤٥٠
النَّبيّ لا يحتاج في العلم إلى بعض رعيَّته ٤٥٠
النَّهيّ عن العلم الذي لم يبلغ منزلته ٤٥١
نفي الصبر لا الاستطاعة ٤٥١
الصبر وعدم العصيان مشروط بالمشيئة ٤٥٢
معنى ﴿شَيْئاً إِمْراً﴾ ٤٥٢
معنى ﴿شَيْئاً نُكْراً﴾ ٤٥٣
﴿خَشِيَ﴾ و«خاف» بمعنى: عَلِمَ ٤٥٣
المسكنة بمعنى عدم النَّاصر ٤٥٥
«نَسِيَ» بمعنى: ترك ٤٥٦

فصل [٢٢]
في قصَّة موسى (عليه السلام)

معنى ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ ٤٥٧

كتب الله كلها فرقان ٤٥٨
من معاني الفرقان ٤٥٨
خصَّ الله موسى بالكلام من دون أنبيائه ٤٦٠
الهزء لا يقع من أولياء الله ٤٦١
هرب موسى من عصاه للبشريَّة ٤٦١
المرسلون لا يخافون ٤٦١

فصل [٢٣]

في قصَّة داود (عليه السلام)

لم يقع الخطأ من داود ٤٦٣
معنى فزع داود ٤٦٤
معنى ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ ٤٦٤
معنى ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾ ٤٦٥
تسخير الجبال والطير لداود ٤٦٦
«ظلم» بمعنى: انتقص ٤٦٧
«ظنّ» بمعنى: عَلِمَ وحَدَسَ ٤٦٧
معنى ﴿فَغَفَرْنا لَهُ﴾ ٤٦٨

فصل [٢٤]

في قصَّة سليمان (عليه السلام)

مشاهدة سليمان الخيل لم تُلْهِهِ عن ذكر ربِّه ٤٦٩
معنى ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ ٤٧٠
الضمير في ﴿تَوارَتْ﴾ عائد إلى الخيل لا الشمس ٤٧٠
فعل سليمان بالخيل ٤٧٠
أورث سليمان داود والعلم ٤٧١
حقيقة الميراث ٤٧٢
معنى ﴿فَتَنَّا سُلَيْمانَ﴾ ٤٧٢
تسخير الريح لسليمان ٤٧٤
الأنبياء لا تسأل إلا ما يؤذن لها في مسألته ٤٧٥
سأل سليمان الله أنْ يجعل ملكه آيةً لنبوَّته ٤٧٦
معنى ﴿لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ ٤٧٦

فصل [٢٥]

في قصَّة سليمان (عليه السلام)

معنى ﴿مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ ٤٧٧
تخصيص الهدهد بسليمان ٤٧٨

معنى ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ﴾ ٤٧٨
لم يكن سليمان محتاجاً إلى علم آصف ٤٧٩
معنى ﴿نكِّرُوا لَها عَرْشَها﴾ ٤٧٩
كيفيَّة الإتيان بالعرش ٤٨٠
تولّي غسل الإمام والصلاة عليه موقوفان على الإمام الذي بعده ٤٨١
معنى ﴿ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ﴾ ٤٨٢
لم ينزل السحر على الملكين وإنّما أُنزِلَ وصف السِّحر ٤٨٣
معنى ﴿يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما﴾ ٤٨٣
التفريق بين الزوجين ٤٨٣
الطير أغفلت أمر سليمان ونهيه ٤٨٣
علّة تقديم سليمان اِسمه على اسم الله ٤٨٤

فصل [٢٦]

في قصَّة يونس (عليه السلام)

مغاضبة ذي النون قومه لا ربّه ٤٨٥
﴿نَقْدِرَ﴾ بمعنى: نضيِّق ٤٨٥
معنى قول ذي النون ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٤٨٦
معنى ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ ٤٨٧

فصل [٢٧]

في قصَّة عيسى (عليه السلام)

معنى «كلمة» ٤٨٨
ولادة مريم لعيسى معجزة لمريم ٤٨٩
إحصان مريم فرجها ٤٨٩
معنى ﴿فَنَفَخْنا﴾ ٤٨٩
معنى ﴿تَقِيًّا﴾ ٤٩٠
علّة غنّي مريم الموت ٤٩٠
معنى ﴿يا أُخْتَ هارُونَ﴾ ٤٩١
كيفيَّة صوم مريم ٤٩٣
تكلّم عيسى في المهد معجزة لمريم ٤٩٤
معنى ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ ٤٩٤
معنى «المسيح روح الله» ٤٩٥
إحياء عيسى الموتى بإذن الله ٤٩٥
«الخلق» بمعنى التقدير ٤٩٦
نفخ الروح ٤٩٧
إخراج عيسى الموتى بإذن الله ٤٩٧
كفّ بني إسرائيل عن عيسى ٤٩٨

كفر مَنْ قال: إنَّ المسيح هو ابن الله ٤٩٩
التقريع في صيغة الاستفهام ٤٩٩
المسيح كان مسلماً ٤٩٩
تفويض أمر العباد إلى الله ٤٩٩
«ما» في قوله: ﴿وَما تَعْبُدُونَ﴾ لغير العاقل ٥٠١
معنى ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ٥٠١
عود «الهاء» في ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ٥٠٢
الفهرس ٥٠٥

